التوراة والأناجيل

بين التناقض والأساطير



السيد سلامة غنمى

التوراة والأناجيل

بين التناقض والأساطير

دار الأحمدي للنشر
القاهرة : ١٥ ش عبد الخالق ثروت
تليفاكس : ٥٧٧٠٦٢٥ / ٠٢
المنيا : ٧٨ ش طه حسين
تليفاكس : ٣٤٧٨٠٢ / ٠٨٦

التوراة والأناجيل
بين التناقض والأساطير
سيد سلامه غنمي

الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٠
رقم الإيداع : ٢٥٢٤ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولي : 977-5887-30-5

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

لتوراة والأناجيل

بين التناقض والأساطير

السيد سلامة غنمى



هذا الكتاب رد على دراسة

" ما الذي اقتبسه محمد من اليهودية ؟! "

للحاخام اليهودي إبراهام جايجر

نــداء

اسمعوا هذا .. يا جميع الشعوب
أصغوا .. يا جميع سكان الدنيا (١)
يا جميع الأمم .. صفقوا بالأيادي
اهتفوا لله بصوت الابتهاج
ملك الله على الأمم (3)
اهتفي للرب يا كل الأرض
اهتفوا .. ورنموا .. وغنوا (١٣)
هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا
لأنه هو إلهنا .. ليكن اسم الرب مباركا
من الآن والى الأبد
من مشرق الشمس إلي مغربها (١٥)
اعلموا أن الرب هو الله .. الله لنا ملجأ..
وقوة .. وعونا في الضيقات
ولا تخشى .. ولو تزحزحت الأرض
ولو انقلبت الجبال إلي قلب البحار (٢)
هلم أيها البنون .. استمعوا إلي
فأعلمكم مخالفة الرب ، طوبى لأناس عزهم بك (٥)
الرجل البليد لا يعرف .. والجاهل لايفهم هذا (١٠)
أما أنا .. فإليك يارب صرخت
وأن مسكين ومسلم (٧).. آمنت لذلك تكلمت (٦)
من الضيق دعوت الرب .. فأجبني من الرحب
.. الرب لي فلا أخاف
ماذا يصنع بي الإنسان ؟! الرب لي
وأنا سأرى بأعدائي !!
الاحتماء بالرب .. خير من التوكل على إنسان
الاحتماء بالرب .. خير من التوكل على الرؤساء

كل الأمم أحاطوا بي !! باسم الرب أبيدوهم
أحاطوا بي .. واكتنفوني !! باسم الرب أبيدوهم
أحاطوا بي مثل النحل . أنطفأوا كنار الشوك!!
باسم الرب .. أبيدوهم (١٧)
بصوتي إلي الرب .. .. أصرخ
بصوتي إلي الرب .. .. أتضرع (١٨)
من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي
أشبهت فوق البرية .. فاض قلبي .. بكلام صالح
متكلم أنا .. بإنشائي للملك
لساني .. قلم كاتب ماهر (٤)
يارب .. بنور وجهك يسلكون
باسمك .. يبتهجون لأنك أنت فخر قوتهم (٩)
ملوك الأرض .. وكل الشعوب .. والرؤساء
وكل قضاة الأرض .. ليسبحوا اسم الرب
لانه قد تعالى اسمه .. وحده (١٩)
مبارك الآتي باسم الرب .. الرب هو الله
وقد أنار لنا (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم : " **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال آلتي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون . ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون .** " صدق الله العظيم
الأعراف (١٥٧ ١٥٩)

مدخل

الحضارة الحديثة بجوانبها المتعددة هي نتاج طبيعي لتجارب البشرية على مر العصور والازمان . واقتطاع الحاضر عن ماضيه والتفكير في عدم وصله بغده يعد من أساليب التخلف البائدة ، كما أن عدم التعايش مع تجارب الآخرين والتعامل معها واعطائها الوقت الكافي للسحب والطرق يمثل انتكاسة يجنى الفرد منا نتائجها التى أقلها العودة به الى نقطة الصفر اللانهائى . وفى المقابل فإن الانتخاب الطبيعي كيفاً وكماً ينتظر بالضرورة كل من يبدأ من حيث انتهى الآخرون ، وشتان بين المرحلة البدائية التي يسودها الجهل والهمجية وبين واقع الأجناس المتحضرة والمتطورة .

إن جدولة الخريطة التاريخية يمكن أن تغني الحضارات عن مشقة التجربة الذاتية المميتة ، فضلا عن الأفراد المغامرين – دعني وإياك من هذا السيل الجارف – فانها تقودنا إلي مالا نعلم نهايته أو نتخيل نتائجه . غير أنى أردت متعمدا أن أستقي لنفسي فتخيرت المشارب والموارد ، نعم تخيرت فاخترت أن أتبع العفوية والتلقائية أينما وجدت وكيفما اتفقت ، دونما تكلف في رأى أو تصنع في قول ، لعلمي أن العفوية تكسب الكلام الصدق ، والتلقائية تلبس الواقع الجد .

إن وضع الأهداف مقدما ورسم النتائج مسبقا لهو جريمة علمية يعاقب عليها التاريخ والأجيال المتلاحقة ، وقلما يسلم صاحبها من اللوم ، كما أن صلاح أمر المؤرخ أن يسير وراء الأحداث والشواهد التي تعرض له إلي حيث تقوده – لا أمامها – دون أدنى تدخل منه بحذف أو إضافة أو تدليس أو تنكيس للواقع أو الانسياق لأفكاره المسبقة ، مع ضرورة العمل على تجديد هذه الأفكار الشخصية وتصحيحها كلما عنّ له ذلك . ولأنه ليس هناك إنسان معصوم من الزلل ، فان من الجهل المركب أن يستسلم المؤرخ لمشاعر الولاء – أيا كان نوعها – أو التحامل التي قد يتلون بها فهمه للتاريخ وعرضه له .

جميلة هي كلمة برنارد لويس BERNARD LEWIS آلتي يقول فيها :

" إن الذين يحاولون استرجاع التاريخ يبدأون بطبيعة الحال بما وقر في

ذاكرة الناس وما تناقلوه على مر السنين ، على أنهم بخلاف من سبقوهم لا يكتفون بمجرد ترديد ذكريات الماضي وإبلاغها للناس بل يحاولون أن يسدوا ما فيها من ثغرات ويصححوا ما فيها من أخطاء لا يبتغون من وراء ذلك سوى تحقيق شيئين : الدقة والفهم . وكثيرا ما يحدث أن تكون نتيجة جهودهم أو حتى أن يكون غرضهم – من استرجاع التاريخ – هو قتل الماضي عن طريق تحليله . وقد يتضح لهم من دراسة الذكريات أنها زائفة ومضللة . وحين يصبح ما إنتهوا إليه في هذا الشأن معروفا للجميع فان هذا الجزء من الماضي يفقد قوته ، لأنهم انتهوا إلى حيث بدأوا . ولهذا السبب فان العلماء الذين يسترجعون الماضي قد يكون تأثيرهم مدمرا للغاية ، على أن باستطاعتهم في مقابل ذلك أن يأتوا بكثير مما هو جديد ، وأن يثيروا الذاكرة الجماعية وينقوها مما يكون قد علق بها من شوائب " .

وفي سنة ١٨٣٣م كتب الحاخام اليهودي ابراهام جايجر (ABRAHAM GEIJER) حاخام مدينة (ويز بادن) بألمانيا بحثاً نال عليه جائزة عنوانه (ما الذي اقتبسه محمد من اليهودية ؟) !! وقد وصف رودولف ليزنسكى (RUDOLF LESZYNSKY) في كتابه (اليهود في الجزيرة العربية في زمن محمد) الذي صدر في برلين ١٩١٠ م ، هذا البحث بأنه حدث تاريخي هام . ومن يومها ألفت كتب ومقالات عديدة في موضوع العلاقات بين المسلمين واليهود تناولته من مختلف نواحيه ، منها كتاب س. د. جوتيابن (S.D.GOITEIN) المعنون (اليهود والعرب اتصالاتهم عبر العصور) نيويورك ١٩٥٥م ، حيث تساءل جوتيابن : على يد من تلقى النبى محمد العلم ؟ ومن كانوا معلموه ؟ ولاحظ المؤلف أن كتابات كثيرة من مستويات مختلفة دارت حول هذا الموضوع ، ثم خلص إلى أن للمرء أن يفترض بقدر من الصواب أن محمداً كان في سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود لم يكونوا يختلفون كثيراً عن أولئك الذين تصورهم الكتابات التلمودية . ومعنى هذا أن معتقدات من كانوا يجاورون الرسول من اليهود كان لها تأثير مباشر على جوهر ما أخذه الرسول من الديانة اليهودية . وقد وقف علم علماء الغرب أساساً عند هذه العامل ، غير أن الملاحظ أن بعض الأخبار التي اعتمدت عليها هذه البحوث لم تخضع أبداً لدراسة

أكاديمية نقدية ، ولم تكن تحت يد الحاخام اليهودى جايجر الذي لا يزال بحثه في رأى جوتيـاين كتاباً ثميناً ، مراجع عربيـة على وفرة المراجع المتاحة في وقتنا الحاضر. على أنه باستطاعتنا الآن بما نملك من مراجـع عربية وغربية واكتشفات أثريـة مذهلـة أن نكشـف النقـاب عـن كثـير مـن المغالطات التي وقع فيها المؤرخون وأئمة النقل ، لإعتمـادهم علـى مجرد النقل للغث والثمين على حد سـواء ودون عرضهـا علـى أصولهـا وقياسـها بأشباها وسبر غورها بمعيار الحكمة وبتحكيم النظر والبصـيرة الثاقبـة فـي الأخبار ، كما يقول أبن خلدون .

ومن أبجدية المقارنة بين نصوص القرآن الكريم وبين نصوص التـوراة والأناجيل معرفة ما بكفتي الميزان ، لنميز بين الغث والثمين وبيـن الحق والباطل وبين ما هو كلام الله وما هو كلام البشر، " ومـن ثمـارهم تعرف أشجارهم " . حتى إذا سطع النهار ستعلم أتحتك فرس أم حمار .!!

لـم ينـج الكتـاب المقدس بشقيه القديم والجديد مـن نقـد علمـاء اليهـود والمعلقيـن الغربييـن وتمحيص نصوصـه وتفنيد تاريخـه ومـا أصابـه مـن تدخلات بشرية بيد غليظة أفسدت على المتعبد جمال ترديد الكلمات الإلهية النقية كما نزلت من السماء ترفل فـي الشـفافية والطهـر . إن البـون شاسـع ومخيـف بيـن الكتـاب المقدس بأسلوبه الرقيـق وتاريخـه الهزيـل وأحداثـه المتناقضة ولغته الإغريقية واليونانية والأرمية ، وبين القرآن العظيم بلغتـه الراقية وإعجازه ومعجزاته وأحداثه وتشـريعاته التـي لـم تسبق . كـل هـذا وغيره كثير كفيل بالرد على من زعم بأن للكتاب المقدس نصيب يذكر فـي آيات القرآن الكريم ، إذا فماذا لمحمد النبي الأمـى ليـأخذه مـن هـذه الكتب المقدسة .. ؟!!

عندما طعنوا في أمية النبى العربي ، قلنا فليكن ! فهل كان محمد عالمـاً باللغـة الإغريقيـة أو الآراميـة (لغـة المسيح) أو باللغـة اليونانيـة القديمـة (لغة بولس الرجل الثاني في المسيحية) أو حتـى بالعبرانيـة المندرسـة ؟! لقد طبع أول نص للكتاب المقدس عام ١٥١٦م على يد اراز موس ، فـأين هو من محمد وأين محمد منه ؟.

إن الكتـاب المقدس يتكلـم عن إلـه إقليمـي عنصـري بـه مـن الصفـات

بحجة .. كل ماله عملت أني قصدت متعمداً الى جمع الموضوعات وتصنيف الأبواب وتقسيم العناصر .. فالمقاربة أسلوب أمثل للمقارنة تسهيلاً للموازنة .. تحريت فيه الدقة والموضوعية قدر الإستطاعة .

فلست طالباً للكمال فهو لله وحده .. ولكني هارب من الزلل .. فإن بلغت إربي فقد أرضيت ربي .. وإلا ....

السيد سلامه غنمي
يناير ٢٠٠٠

البشرية ما به ، ويتكلم عن أنبياء بهم من الصفات الدنية والأخلاق الرزية ما حاكوا به أعتى المجرمين . في حين أن القرآن الكريم يتكلم عن الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وعن أنبياء هم صفوة خلق الله ومثال الكمال البشري خلقاً وخلقاً فأين هذا من ذاك ؟ فما الذي تركوه ليقتبسه محمد من كتابهم المقدس ؟

لقد تجمعت لدي العديد من المراجع التي كتبتها نخبة كريمة من صفوة العلماء الباحثين والمؤرخين والنقاد حفرت الأجيال أسماءهم في صخور التاريخ ، حتى أنك لا تجد غضاضة أن تستقى منهم معلوماتك الخاصة بتوثيق التاريخ العقائدي للبشرية عامة وديانة الساميين خاصة . فهم بكل موضوعية أصحاب الكلمة واليهم يرجع فصل القول ، وهم موضع الثقة بين المؤيد والمعارض على حد سواء . يقول المؤرخ الأيرلندي جيمس فريزر : فمنذ أن قدم (رينان) للعالم تاريخه الكبير عن بنى إسرائيل وعن المسيحية في عصورها الأولى ازدادت معلوماتنا عن التاريخ البشرى اتساعا وغنى سواء عن طريق الكشوف الأثرية لعصور ما قبل التاريخ أو نتيجة لدراسة الأجناس البدائية على نحو أكثر دقة . وقد تضافرت هذه العلوم الحديثة نسبيا لكشف القناع إلي حد ما ، ذلك القناع الذي ظل مسدلاً حتي هذا الوقت علي طفولة البشرية . وأخذت تتيح لنا أن ننفذ بأبصارنا خلال الحائط المصمت ، الذي ظل حتى زمن متأخر حجر عثرة في طريق الباحثين ، عما وراء نطاق التراث الكلاسيكي ، وتكشف لنا آفاق تبدو لانهائية للفكر البشرى ونشاطه في تلك الأحقاب المظلمة السحيقة التي انقضت بين ظهور الجنس البشرى على وجه الأرض وحتى بلوغه حالة النضج الكامل في إطار الحياة الإنسانية المتحضرة .

وبعد .. فهذه نصوص أوردتها من بطون كتب المؤرخين والمعلقين الغربيين ، جمعتها من تفرق وضممتها من تباعد لعرض جانب هام من حياة البشرية .. لم أتعرض فيها لحكم ولم أصرح فيها برأي .. فلا مجال فيها لتأليف وليس فيها كلمة أدعيها أو جملة أنسبها لنفسي .. اللهم ما كان محكياً على لسان غيري سابقاً كان أم معاصراً ، ما دام قول بدليل وحكم

العهد القديم

الباب الأول

الأسفار

الأسفار الخمسة
الأسفار التاريخية
الأسفار الشعرية
أسفار الأنبياء
الأسفار الضائعة

العهد

المراد بكلمة العهد TESTAMENT أي الميثاق ، فهذه الأسفار جميعها تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس .

جاء في ١٨٠ سفر التثنية الاصحاح ١٢ فقرة ٣٢ : " كل الكلام الذي أوصيكم به إحرصوا لتعلموه ، لا تزد عليه ولا تنقص منه.. "

وجاء في إنجيل متى الاصحاح ٥ فقرة ١٨ "فإني الحق أقول لكم إلي أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف وحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " .

معنى العهد

هذه التسمية مبنية عند اليهود على عقيدة سفك دم الذبيحة التي ذبحها موسى عليه السلام .

جاء في سفر الخروج الاصحاح٢٤ فقرة ٨ "وأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال ". ومبناها عند النصارى على عقيدة سفك دم يسوع المسيح عليه السلام على الصليب فداء لخطيئة الإنسان .

جاء في رسالة بولس إلي العبرانيين الاصحاح ٩ فقرة ١٢ –١٥–١٩–٢٠ : " وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلي الإقداس فوجد فداءً أبدياً .. ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول .... لأن موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفاً ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به " .

أقسام العهد القديم

يقسم علماء دائرة المعارف البريطانية أسفار العهد القديم - طبقا للتقاليد اليهودية - إلى مجموعات هي كما يلي :

ويطلق عليها PENTATEUCH ، وهو تعبير يوناني بمعنى الشريعة، كما يطلق عليها NOMOS وتعنى القانون ، وأما الاسم السامي لها فهو TORAHوهى:

١- سفر التكوين GENESIS
٢- سفر الخروج FXODUS
٣- سفر اللاويين LEVITICUS
٤- سفر العدد NUMERI
٥- سفر التثنية DEUTERO NOMIUM

موسى والأسفار الخمسة

يقول موريس بوكييه MAURICE BUCAILLE : ظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران أن موسى نفسه هو كتاب التوراة وربما كان من دفع بتلك الدعوى قد اعتمد على واقعة أن الرب قد قال لموسى " اكتب هذا تذكاراً في الكتاب " خروج١٧/١٤ ، وكذلك " فعندما كمل موسى كلمات هذه التوراة في كتاب إلي تمامها " تثنية ٣١/٢٤ وأيضا " كتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة " تثنية ٣١/٩ . فقد تبنى هذه الدعوى كل من فلافيوس جوزيف وفيلون الاسكندرى . أما اليوم فقد هجر هذا الغرض تماماً ، وأصبح الكل يتفق على عدم هذه النسبة غير الشرعية بين الأسفار الخمسة وبين موسى عليه السلام .

أولا : قدم الأب ديفو R.P.DEVAUX مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس حججاً وأدلة قيمة تناقض الدعاوى الإنجيلية القائلة بنسبة هذه الأسفار الخمسة إلي موسى وذلك في ترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢م ، فيذكر:

رفض أبين أسرا ABEN ESRA في القرن١٢الميلادي لهذه الدعوى.



الكاهن الأكبر يعقوب وأسفار موسى الخمسة
رسم لرونجا عن صورة فوتوغرافية

٢- قول كرالستاد CARLSTADT في القرن ١٦ الميلادي الذي أشار باستحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات ، كما يصورها سفر التثنية الإصحاح ٣٤فقرة ٥-٧ : " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلي هذا اليوم. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته. فبكى بنو إسرائيل في عربات موآب ثلثين يوماً فكملت أيام بكاء مناحة موسى .. "

٣- تأكيد ريتشار سيمون RICHARD SIMON في دراسته " التاريخ النقدي للعهد القديم " عام ١٦٧٨م للصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في الأسفار الخمسة. حيث أثار هذا الكتاب ضجة وسخطاً ولم يتابع أحد بالنقد أو الرد حجة ر. سيمون تقريباً.

ثانياً : الفيلسوف اليهودي الهولندي باروخ سبينوزا (١٦٣٢) يعرض في كتابه" رسالة في اللاهوت والسياسة " ص٢٦٦ ما توصل إليه الحبر المفسر اليهودي الغرناطي إبراهيم بن عزرا من جملة حيثيات صادقة تسلم إلى نتائج مؤكدة على النحو التالي:

١- أن موسى عليه السلام لم يكتب مفتتح سفر التثنية الموجود حاليا والتى جاء فيها : " في عبر الاردن في أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة " ١/٥ ، لسبب واضح جداً هو أن موسى لم يعبر نهر الاردن وانه مات في برية سيناء كما جاء في سفر التثنية الإصحاح ٣٤فقرة ٥- ٦ " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلي هذا اليوم .

٢- نقش سفر موسى الاصلي كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد كما جاء في سفر التثنية الإصحاح ٢٧ فقرة ٨ : " وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً " ، وسار يشوع على نهج موسى كذلك ، ففي سفر يشوع الإصحاح ٨ فقرة ٣٢ : " وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بنى إسرائيل"

لقد نقش سفر موسى الأصلي كله على اثنتي عشرة حجر حسب عدد أسباط بنى إسرائيل الاثني عشر ، ومعنى ذلك أن سفر موسى الاصلى كان في حجمه أقل كثيراً من الأسفار الخمسة المتداولة الآن. وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله " سر الاثنتى عشرة ".

٣- يذكر الحبر اليهودي إبراهيم ابن عزرا كذلك أنه قد ورد في سفر التثنية الإصحاح ٣١ فقرة ٩ ما نصه : " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلا ..... " وفي الفقرة ٢٤ : " فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلي تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلاً...... " وفي الإصحاح ٣٢ فقرة ٤٥ تثنية : " ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم .... " يقول ابن عزرا : ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لابد من أن يكون قائلها كاتب آخر يروى أقوال موسى وأعماله.

٤- يذكر الحبر اليهودي نصاً في سفر التكوين في الإصحاح ١٢ فقرة ١ : " وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك ...... واجتاز إبرام في الأرض إلي مكان شكيم إلي بلوطه مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض " فيقص فيه الراوى مؤلف الأسفار رحلة إبراهيم في بلاد الكنعانيون ويعلق عليها الراوى بقوله : وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض . وهذا التعليق يدل بوضوح على أن الأمور عندما كان يكتب لم تكن كذلك. وعليه فلابد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موت موسى بزمن ليس بالقليل وبعد أن طرد بنو إسرائيل الكنعانيون من هذه المناطق في أيام يشوع .

إذاً فالراوى لم يكن موسى قطعاً لأن الكنعانيين في زمان موسى كانوا لا يزالون يملكون الأرض كاملة وهذا هو السر الذي يلوح به الحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا وينصح بكتمانه.

٥- ويذكر الحبر اليهودي ابن عزرا أنه وجد في سفر التكوين

الإصحاح ٢٢ فقرة ١٤ : " يهوه يراه " فيقول أن جبل المريا قد سمى جبل الله ولم يحمل هذا الاسم الا بعد الشروع في بناء الهيكل أيام سليمان بن داود كما هو مصرح به في أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٣ فقرة ١-٢ : " وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا.. وشرع في البناء في ثاني الشهر الثاني في السنة الرابعة في ملكه " وهذه التسمية(يهوه يراه) متأخرة جداً في زمن موسى.

ومن هذا يتضح أن الراوي هو الذي يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل اللـه برؤية عصره عام ٤٠٠ ق.م وليس برؤية عصر موسى عليه السلام . يقول مؤلف النص : " حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى " ص٣٣ قديم.

ثالثاً : يقول الفيلسوف باروخ سبينوزا في ص ٢٦٦ من كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) : " ولكي أسير في بحثي بطريقة منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم . لقد ظن الناس تقريباً أنه موسى بل أن الفريسيين أبدوا هذا الرأي بإصرار حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين ولهذا السبب فإن إبراهيم بن عزرا (١٠٩٣م-١١٦٧م) وهو رجل كان فكره حراً إلي حد ما ولم يكن علمه يستهان به وهو أول من تنبه - من علماء اليهود - إلي هذا الخطأ فيما أعلم ولم يجرؤ ابن عزرا على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة. أما أنا فلن أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعا " .

رابعاً: يقول الباحث المؤرخ ج . سميث J.SMITH عن سفر الخروج في كتابه GOD AND MAN IN EARLY LSRAEL ص ص ٣٠- ٣٥ :

" إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه. وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل. إذ كان بعضها كما لا يزال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية آلتي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة

في عيد الفصح " .

خامساً : يذكر المؤرخ ارنولد توينبي في ص ١٣٨ ح١ من كتابه " تاريخ البشرية " : والشريعة المسماة شريعة موسى إنما هي نسخة من مدونة القانون السومري الآكدي ، وقد اكتشفت مؤخرا النسخ البابلية والأشورية والحثية منها والتى تعود إلي القرن ١٤ق.م.

أين توراة موسى ..؟!

تحت عنوان " أين توراة موسى " بحث الفيلسوف باروخ سبينوزا بحثا دقيقا عن الأسفار الخمسة الحقيقية التي كتبها موسى عليه السلام والعلاقة بينها وبين الأسفار الخمسة المتداولة حاليا التي لم يكتبها موسى إطلاقاً ، وإن كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها إليه كذباً وزوراً . ففي رسالة سبينوزا في اللاهوت والسياسة كتب القس ابراهيم فيليبس في ص ٤٤،٣٤ من كتابه (الغفران) : " يرى سبينوزا - طبقا لإشارات الأسفار الخمسة الحالية - أن موسى كتب بنفسه سفراً يسمى " سفر حروب الرب " يحتوى على قصة الحرب ضد عماليق : " فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء " الخروج ١٤/١٧. وهناك إشارة أخرى إلى سفر يسمى "سفر العهد " قرأه موسى أمام بنى إسرائيل عندما عقدوا عهداً مع الرب . ويرجع سبينوزا أن مضمون هذا السفر في الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج : " وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا ، فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله ...." . وفي سفر الخروج ٧/٢٤ : " وأخذ موسى كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له " ، وفى تثنية ٢٥/٣ : " فيقول خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم " . وفى سفر يشوع ٨/ ٣١ :

" كما أمر موسى عبد الرب بنى إسرائيل كما هو مكتوب في سفر توراة موسى مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديداً واصعدوا عليه محرقات الرب وذبحوا ذبائح سلامة. وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى آلتي كتبها أمام بنى إسرائيل " .

ويجيب سبينوزا قائلاً : لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوى على نسخة " توراة موسى " أو على "عهد يشوع " فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد !! ونستنتج إذاً أن " سفر توراة الله " هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية بل كان سفراً مختلفاً عنها كلية. كما يرى المؤرخ اليهودي سبينوزا – بناء على ما جاء في الأسفار الخمسة الحالية - أن سفر توراة الله " الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطى الأحبار التوراة ، كما يشير إلي ذلك سفر التثنية ٣١/٩-٢٤- ٢٦ " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل .. فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم .. ثم طلب قراءته أمام جميع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا كما في التثنية ٣١/١٠" وأمرهم موسى قائلا.. " تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم " وهذه دلالة كبيرة على انه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة إذ كان من الممكن قراءته كله " بجميع كلمات التوراة " في مجمع عام يفهمه الجميع .

ومعنى هذا أن التوراة الأصلية ليست هي هذه الأسفار الخمسة.

ثم يذكر المؤرخ اليهودي ويعيد علينا نتيجة فحصه لسند التوراة فيقول : " لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة أن يكون موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على عكس يكذب العقل هذه النسبة " . ويعلق القس الدكتور فيلبس في ص٤١ من كتابه الغفران فيقول " وهذه هي النتائج الثلاث التي استخلصها سبينوزا من

كلام ابن عزرا وهى تلخص لنا قصة سند التوراة وتلخص رأى المؤرخ اليهودي سبينوزا نفسه في ذلك الوقت لأنها تشمل على:
١- أن موسى عليه السلام لم يكتب هٰذه الأسفار الخمسة التي يطلق عليها اليهود والنصارى أنها التوراة وينسبونها إلي موسى.
٢- إن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل بل جداً.
٣- أن موسى عليه السلام قد كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المروجة المشهورة .
ويعلل سبينوزا استنباطاته هذه على أسس نقلية علمية ، فضلاً عما يجيش في خواطر الفريسيين وهم الذين دونوا العهد القديم فيقول عن نظائرهم من رجال اللاهوت :
" أما مزاعم اللاهوتيين وحذلقتهم حول أسفار الكتاب فهي غير جديرة بالقبول ذلك اننا نرى اللاهوتيين قد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة وتأويلها قسراً وتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية . وهم لا يكونوا اقل حرصا واكثر جرأة في أي موضع آخر بقدر ما يكونوا في تفسير الكتاب . كما يدعى هؤلاء الأحبار المتحذلقون أن الأخطاء الكثيرة الموجودة في الكتب المقدس أسرار إلهية أبقاها الله في الكتاب بعناية . فيؤولون النقاط والحروف والعلامات حتى المسافات البيضاء التي يتركها النساخ بأنها أسرار إلهية.. لست أدرى إن كان ذلك ناجما عن اختلال العقل ؟! أو نوع من تقوى العجائز المخرفين ؟! أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتى نعتقد انهم وحدهم الأمناء على أسرار الله ؟! ولكنى اعلم أني لم أجد فيها إلا أعمالا صبيانية " (ص٢٩٧-٢٩٩ رسالة في اللاهوت والسياسة للمؤرخ اليهودي باروخ سبينوزا).
ولخص الدكتور اسكندر كيدس دراسته في العهد القديم بثلاثة نتائج استقاها من النصوص التوراتية وهى :
١- أسفار موسى الخمسة الموجودة الآن ليست من تأليف موسى.

٢- الأسفار الخمسة كتبت في كنعان أو أورشليم . وموسى لم يدخل هذه أو تلك.
٣- زمن تحريرها يرجع إلى ملك سليمان أي قبل ميلاد المسيح بألف سنة وبعد وفاة موسى بـ٥٠٠ سنة (١) (القس منيس عبد النور اعترض على شخصية الدكتور كيدس ولم يناقش آرأه للأسف).

وفى كتابه الفولكلور فى العهد القديم الجزء ٣ يقول العلامة المؤرخ جميس فريزر ص١٣ : " أهم نتيجة توصل إليها النقد التاريخي واللغوي للعهد القديم بل وأكثرها صحة هي البرهنة على أن سن التشريع في أسفار موسى الخمسة في الصورة التي هي عليه الآن لا يمكن أن يكون موسى أعلنها في الصحراء وفى موآب قبل ان يدخل الإسرائيليون فلسطين . وأنها لم تتخذ صيغتها النهائية إلا بعد أستيلاء بنوخذ نصر على أورشليم عام ٨٦ ق.م عندما حمل اليهود معه إلى الجنفي ، أى ان الجانب القانوني في الأسفار الخمسة بإختصار لا يرجع تأليفه في الصورة التي هو عليها الأن إلى عصر مبكر في تاريخ بنى إسرائيل وإنما يرجع إلي عصر متأخر. كما ألف الجزء الذي اصطلح النقاد على تسميته بالتشريع الكهنوتي لأول مرة في الصورة التي هي عليه الآن إما في فترة السبي البابلي أو بعده . ويضيف فريزر في ج٣ ص٢٧ : " وإذا كان في وسعنا ان نؤكد بثقة كبيرة التاريخ الذي نشرت فيه شريعة سفر التثنية فإنه ليس في وسعنا أن نحدد تاريخ تأليفها ، وقد اكتشفت هذه الشريعة وذاعت في السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا (٦٢١ ق.م) ولابد أنها كانت قد كتبت إما في الفترة السابقة على حكمه أو أنها ألفت في حكم خليفته " منسي " ، ذلك لأن الشواهد التي تتضمنها هذه الشريعة تؤكد أن تأليفها لا يمكن أن يكون أكثر قدماً من هذا التاريخ وانه من المؤكد أنها قد ألفت في القرن السابع ق.م. ، وفى العموم فإن أكثر الفروض إحتمالاً تشير إلى أن سفر التثنية قد كتب في عهد الملك منسي . حقاً أن الشك قد ساور بعض الباحثين في بعض الأحيان في أن هذا السفر قد لفقه كهنة المعبد الذين سعوا في احتيال بالغ الى خداع

الملك الطيب بأنه عمل بالغ في القدم .. ومهما يكن جهلنا بمؤلف سفر التثنية فليس هناك مجال للشك في أنه كان مصلحاً نزيهاً .. وسواء كان هذا المؤلف كاهناً أم نبياً فإنه مُن العبء علينا أن نقرر ذلك ، لأن سفر التثنية يخلط بوضوح بين المسائل الكهنوتية والشرعية بوجه عام بروح النبوة. وربما بدا من قبيل التأكيد أنه كتبه بدافع التأثير الملهم بكبار أنبياء القرن الثامن وهم عاموش وهوشع وأشعياء. وقد كان من الطبيعي لكي يقنع سامعيه بقراءة هذه المبادىء أن يستغرق فى الانفعال الجاد بل الدفاع الشجوي الذي هو أقرب إلى حيوية الخطيب وحماسه منه إلى هدوء رجل القانون وصرامته. فالتأثير الذي يتركه على القارىء الحديث هو تأثير الواعظ الذي ينساب في مجرى الخطابة المتقدمة أمام جمهور ساهٍ يحتشد في ممرات مدوية في كنيسة واسعة الأرجاء . بل أننا نكاد نرى عينيه المضطربتين وملامحه المتلهفة التي تلاحق نبرات صوته الجهوري وهو يتردد تحت السقف المقبي ويدوي في آذان المستمعين بإنفعالات مختلفة تتراوح بين التأكيد المطمئن والأمل والحزن المؤثر والتوبة والفزع المسيطر واليأس حتى إذا وصل إلى النغمة العالية من التحذير المفزع والوعيد بغضب الرب البالغ وأتى إلى الحديث عن الإثم والمعصية خفت صوته حتى يتلاشى نهائياً في السكون. وليس في العهد القديم منافس يقف مع هذا الخطيب على قدم المساواة كما لاحظ هذا بحق أحد النقاد المرموقين فى حسن ختام خطبته. ويضيف ليوتاكسل في ص٢٠٨ : " تؤكد الكنيسة المسيحية والكنيسة اليهودية على حد سواء أن الأسفار الخمسة هي من تأليف موسى ويجب ألا يظن أحد بأن أحداً غير موسى – يثرون الكاهن - كتبها . وإذا ما سولت لأحد نفسه واعتقد غير ذلك فسيجد نفسه مطروداً خارج مظلة الكنيسة لأن اللاهوتيون يؤكدون بعناد الحمير على أن موسى هو من كتب تلك الأسفار كلها من أول سطر فيها إلى آخر كلمة من كلماتها وأن (الروح القدس الحمامة) هو من لقنه إياها كلمة كلمه . إن الكتاب العادي أي الكتاب البشرى ينتهي في مثل هذه

الحال بصعود موسى إلى جبل بنو وفى أحسن الأحوال كان الإنسان سينتهي كتابه بالأسطر التالية :" أحس بأنني ماض في رحلة أبدية وها أنا ألقى قلمي لأنني أشعر باقتراب الموت " ، ولكن موسى كاتب " مقدس " لم يستطيع أن يتركنا بمثل هذه البساطة ، لذلك كرس الإصحاح الأخير من سفر التثنية ليخلد ذكرى وفاته ودفنه ويصف لنا حزن اليهود لموته ، بل ولم ينسى أن يمدح نفسه ببعض الكلمات فقال " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم .. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً فكملت أيام بكاء مناحة موسى .. " . غنى عن القول إن قارىء آخر لهذه السطور سيؤكد على أن لاعلاقة لموسى بكتابتها قط ومع ذلك يصر اللاهوتيون على أن الأسلوب هو أسلوب موسى نفسه وأنه لم يستخدم في الفصول السابقة صيغة المتكلم قط أثناء حديثه عن نفسه بل استخدم دائماً صيغة الغائب . إذاً بما أن الكنيسة قالت كلمتها فما علينا إلا القبول والصمت !!؟ لنسجد يا أخوتي ولا نعجب لأي شيء بعد هذا المنطق ! ويضيف ليوتاكسل : " تسمى كتب التوراة الخمسة الأولى أو الكتب الخمسة، وهي: التكوين، الخروج، اللاويون، والتثنية، وينسب التقليد اليهودي والمسيحي هذه الكتب إلى موسى ؛ وهذا الأخير ليس سوى شخصية خرافية خلقها أحبار الدين اليهودي. ويضم كتاب الدين مجموعة أساطير خلق العالم والمواثيق المعقودة بين يهوه واليهود، ثم مخالفة هؤلاء للمواثيق والقصاص الذي أنزله بهم ربهم (الطوفان ، إبادة سدوم وعموره وما شابه) . أما سفر الخروج فيعرض لنا قصة وقوع اليهود عبيداً عند فرعون مصر ، وظهور الإله اليهودي لموسى ومساعدته له على إنقاذ شعبه من العبودية ، وتسليم التوراة ، أى الشرائع ، لموسى ؛ بما فيها الوصايا العشر الشهيرة وسفر اللاويين هو تعليمات بالتفصيل الممل ،عن أصول العبادة وقوانين تقديم القرابين ، ويمثل سفر العدد وصفاً لترحال اليهود القدماء في

الصحراء ، أما سفر التثنية فهو موجز لمواد الكتب الأربعة الأولى؛ وتحظى تعليمات موسى وخطبه بمكانة هامة في هذا السفر الأخير. ويؤكد اللاهوتيون اليهود والمسيحيون علىُ أن الكتب الخمسة هي مؤلف واحد متكامل وضعه موسى بتلقين مباشر من فم يهوه لليهود . أما حقيقة الأمر فهي أن مادة هذه الكتب واسعة جداً، وقد نشأت وصيغت على امتداد قرون كثيرة . وكان الفرنسي أستريوك (١٦٨٤-١٧٦٠) أول من لفت الانتباه إلى أن القصة التوراتية تأتى على لسان إله يدعى ألوهيم (جمعها ألواهيم) أحياناً ، ويهوه في أحيان أخرى . وترجمة كلمة " ألواهيم "عادة هي كلمة " الله " بينما تترجم كلمة " يهوه " إلى كلمة " الرب " ونتيجة لهذا التباين توصل النقد العلمي للتوراة إلى خلاصة مؤداها أن الكتب الخمسة وضعت استناداً إلى مصادر أكثر قدماً أطلق عليها أصطلاحاً اسماء اليهوي والالوهي تستمد الكتب الخمسة مادتها أيضاً من مصدرين رئيسين آخرين هما : التثنية والقانون الكهنوتي . ويعتبر العنصر اليهوي الأقدم في التركيبة ، إذ يبدو أنه يعود إلى القرنين ١٠-٩ق.م. وهو يعكس واقع القبائل اليهودية القديمة وأعرافها وتقاليدها في صيغة دينية. وكانت هذه القبائل قد استوطنت جنوبي فلسطين . أما العنصر الألوهي فقد قام في القرنين ٩-٨ ق.م كثمرة للايدولوجيا الدينية عند القبائل اليهودية التي انتشرت في شمالي فلسطين. أما سفر التثنية فقد كتبه كهنة معبد أورشليم في القرن السابع قبل الميلاد(حوالي عام ٦٢١)، وقد عكس سعى السلطةالملكية لإقامة عبادة ذات مركز واحد. ومنذ القرن السادس قبل الميلاد ، اخذ يتشكل القانون الكهنوتي وأعيد تجديده في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. ويحتوى هذا القانون على أصول تقديم القرابين والنظافة الطقوسية وإقامة الخدمة وتنظيم المؤسسة الكهنوتية. كما انعكست فيه مصالح الكهنة الطامحين للعب دور الريادة في الدولة اليهودية العبودية التى كانت قد نشأت في تلك الأثناء. وفي عام ٤٤٤ق.م. أعيد النظر في الكتب الخمسة لأول مرة. (٢)

البحث عن المصادر

يقول موريس بوكييه MAURICE BUCILLE : هناك دراسات أكثر إيجازا وموضوعية فيها معطيات دقيقة كدراسة إدموند جاكوب EDMOND JACOB (العهد القديم) ، ويعطى في هذا الكتاب رؤية شاملة وكاملة عن المشكلة فيقول : " في البدء لم يكن هناك نص واحد فقط بل كان هناك تعدد في النصوص. ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا كان هناك على الاقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة ، كان هناك النص المحقق (الماسوري) MASSORETHIQUE والنص الذي استخدم جزئيا - على الاقل - في الترجمة إلى اليونانية، والنص المعروف بـ السامرى أو (أسفارموسىالخمسة)PENTATEPUE SAMERITAIN . ثم بعد ذلك في القرن الأول قبل الميلاد اتجاه الى تدوين نص واحد. ولكن تدوين نص الكتب المقدسة لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد ، ولو كانت هذه المدونات الثلاثة موجودة الآن لأمكن إقامة المقارنات للوصول ربما إلى رأى عما كان عليه النص الاصلي . ولكن شاء سوء الحظ ألا تكون لدينا أقل فكرة عنه.

إن أقدم نص عبري للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد (٣) ، فالعهد القديم يتكون من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع . كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة واعتماداً على التراث المنقول شفوياً . وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة وفي عصور متباعدة أحياناً . أما بحاثة القرن التاسع عشر فقد كرسوا جهدهم في البحث عن مصادر أكثر دقة . ففى سنة ١٨٥٤م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء التالية:

أ- الوثيقة اليهوية　　　　ب- الوثيقة الألوهيمية

ج - سفر التثنية　　　　د- النص الكهنوتي

وقد أفلح الباحثون في إعطائها أعماراً ، فالوثيقة اليهوية تقع في القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت في مملكة الجنوب)، والوثيقة

الألوهيمية فهي أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت بمملكة إسرائيل) ، أما سفر التثنية فينتمي إلى القرن الثامن قبل الميلاد في رأي جاكوب وينتمي إلي عصر جوزياس أي القرن السابع قبل الميلاد في رأي الأب ديفو، وأما النص الكهنوتي فينتمي إلي عصر النفي أو ما بعد النفي أي القرن السادس قبل الميلاد.

بهذا إذن يمتد تحرير نص أسفار موسى الخمسة علي ثلاثة قرون بأقل تقدير (٤). ويبدو معقولا أن ازدهار هذا الأدب الثري (التراث الشفوي) يقع تاريخيا فى بداية المملكة الإسرائيلية أى نحو القرن الحادي عشر قبل الميلاد. ففي هذا العصر ظهرت في البلاط الملكي (هيئة الكتبة) التي تتكون من مثقفين لا يقتصر دورهم علي مجرد الكتابة والتدوين ، وإلي هذا التاريخ أيضا يمكن إرجاع أولي المدونات ، والتي كانت لها أهمية خاصة حتي تدون كتابة بعض الأناشيد ونبوءات يعقوب وموسى والوصايا العشر والنصوص التشريعية عامة التي حددت تقليدا دينيا قبل سن القوانين . كل هذه النصوص تكوّن قطعا متفرقة في مختلف مجموعات العهد القديم . وبعد ذلك بقليل - أى ربما في القرن العاشر قبل الميلاد – تم تحرير النص المعروف بـ الرواية اليهوية(لان إسم الله بها يهوه) التي شكلت فيما بعد بنية الأسفار الخمسة التي عرفت بإسم أسفار موسى الخمسة. وقد أضيفت إلي هذا النص بعد ذلك الرواية المعروفة بـ الألهيمية(لأن اسم الله بها ألوهيم) والرواية الاخري المعروفة بـ الكهنوتية (لأنها صدرت عن كهنة معبد القدس) . (٥)

ولكن المشكلة أكثر تعقيدا من هذا ، ففي سنة ١٩٤١ م استطاع أ. لودز A . LOODS أن يميز في الوثيقة اليهوية ثلاثة مصادر، وفي الوثيقة الإلوهيمية أربعة مصادر، وفى سفر التثنية ستة مصادر، وهذا دون حساب الإضافات الموزعة بين ثمانية محررين – وكما يقول الأب ديفو R.P.DEVAUX – ومنذ فترة أكثر قدما وصل التفكير إلي أن كثيرا من نواميس أو قوانين أسفار موسى الخمسة كان لها ما يوازيها خارج التوراة وفى فترة تسبق بكثير التاريخ المنسوب إلى

هذه الوثائق. وإن عدداً من روايـات أسفار موسى الخمسـة يفترض وجود مصدر أكثر قدماً من ذلـك الذي يفترض أن هذه الوثـائق قد خرجت منه(٦).

وكثرت المصادر التي تكون أسـفار موسى الخمسـة تزداد تشـعبا وتعقيدا لدى المؤرخين والنقـاد والمعلقين. ممـا يصعب معـه تحديد مصدر هذه الأسفار أو تلك القوانين العبريـة. يقول المؤرخ جميس فريزر في كتابه " الفولكلور في العهد القديـم " ج٣ص٢٠ : " ويميز النقاد في مجموعة القوانين المعقـدة والتـي تكون الجزء الأكبر من أسفار موسى الخمسـة ثـلاث مجموعـات أو تكوينـات قانونيـة علـى الأقل. وهذه المجموعـات الثـلاث تختلـف عن بعضهـا البعض فـي تاريخها وطابعها. وهـي تشمل وفقـا لترتيبهـا التـاريخي علـى كتـاب العهد وقـانون سفر التثنيـة وقـانون السـفر الكهنوتـي . وإذا ألقـى القارىء نظرة سريعة على هذه المصادر فربما ساعده ذلك على تفهم مكانة كل مصدر منها في تاريخ التشريع العبري. وذلك في نطاق ما أكده النقاد من خلال فحصهم لهـا . وقد كثرت الآراء التـي أثيرت حول النتائج التي توصل إليها النقاد كمـا أنهـا تعد بالغـة فـي التعقيد بحيث يصعب علينـا أن نسردها فـي هذا المجـال . ومن ثـم فـإن القارىء الذي يرغب في التعرف علي هذه الآراء عليه أن يرجع إلي الأعمال الكثيرة التي تتعلق بهذا الموضـوع ويسـهل الحصـول عليـه حيث يجد تلك الآراء مدونة تدويناً كـاملا. ويعرف أقدم قـانون فـي أسفار موسى الخمسة بما يسمى كتاب العهد وهو الذي يتضمـن سـفر الخروج من الإصحـاح العشـرين آيـة٢٢ إلـى الإصحـاح الثـالث والعشرين آيـة٣٣ . وقد سمى هذا القـانون بالتشـريع الأول. وهـو يتصل كل الإتصال بسفر الخروج الإصحـاح الرابـع والثلاثون من آيـة١١ إلي ٢٧ وهو مـا يسمى فـي بعض الأحيـان بكتـاب العهـد الصغير. وقد أدمج كتاب العهد فـي المصدر الألوهيمي الذي يعتقد بوجـه عـام أنـه كتـب فـي شمال فلسطين في مطلـع القـرن الثـامن الميلادي على الأكثر. أما كتاب العهد الصغير فيحتوى على المصدر

اليهوي الذي يعتقد بوجه عام أنه كتب في ارض الميعاد في عصر مبكر عن كتابة المصدر الألوهيمى . أى انه كتب في القرن التاسع قبل الميلاد . ولكن القوانين في حد ذاتها كانت تعيش فيما يبدو بوصفها قانونا أو مجموعة منفصلة قبل أن تجتمع في هذه المصادر بزمن طويل . بل أنه من الممكن الإدعاء أن هذه القوانين حتى قبل تقنينها كانت تنتشر بوصفها نظما عادية ، وربما كان يرجع الكثير منها إلي عهد بالغ القدم (٧) .

أما المجموعة الثانية من القوانين التي يميزها النقاد في أسفار موسى الخمسة فهي تلك التي يشتمل عليها سفر التثنية ، ويحتوى هذا السفر على الجزء الأكبر من سفر تثنية الإشتراع في الصورة التي عليها الآن فيما عدا المقدمة التاريخية والفصول الختامية. ويتفق المحدثون في العموم فيما يبدو على أن سفر التثنية هو" كتاب القانون" الذي عثر عليه في معبد أورشليم عام ٦٢١ ق.م. وهو الكتاب الذي اتخذه الملك يوشيا أساساً لإصلاحه الديني(٨).

وإذا كان في وسعنا أن نؤكد بثقة كبيرة التاريخ الذي نشرت فيه شريعة سفر التثنية ، فإنه ليس في وسعنا أن نحدد تاريخ تأليفها. وقد اكتشفت الشريعة وذاعت في السنة الثامنة عشرة من حكم (يوشيا)٦٢١ ق.م. ولابد أنها كانت قد كتبت إما في الفترة السابقة على حكمه أو أنها ألفت في حكم خليفته (منسي). ذلك أن الشواهد التي تتضمنها هذه الشريعة تؤكد أن تأليفها لا يمكن أن يكون أكثر قدما من هذا التاريخ . وأنه من المؤكد أنها قد ألفت في القرن السابع ق.م. وفي العموم فإن أكثر الفروض إحتمالاً تشير إلي أن سفر التثنية قد كتب في عهد الملك (منسي). وإنه قد تم الإحتفاظ بها في أمان بعيدا عن الأعين بأمر من هذا الملك الشرير حتى قدر لها أن تخرج إلى الوجود في أثناء عملية ترميم المعبد المقدس الذي قام به(يوشيا الورع)(٩). ومهما يكن جهلنا بمؤلف سفر التثنية. فليس هناك مجال للشك في أنه كان مصلحاً نزيها. مدفوعا بدافع الحب الصادق لبلده (١٠).وأما المجموعة الثالثة فيقول عنها جيمس فريزر

في ص٣٧ ج٣ : " وقد طور المفكرون وكتاب المدرسة الكهنوتية (بالقدس) البرنامج الذي نشره حزقيال في السنوات الأولى من السبي واستمر تطوره حتى بعد النكسة بأكثر من قرن من الزمان. عندما جعل منه (عزرا) في أورشليم عام ٤٤٤ ق.م. النظام المتفتح للقانون اللاوي. والوثيقة التي تحتوي علي ثمرة هذا العمل والفكر هي القانون الكهنوتي الذي يكوّن إطار أسفار موسى الخمسة. ومع ظهور هذا القانون تبدأ الفترة اليهودية كما تم عن طريقه تحول بنى إسرائيل من أمة إلى مؤسسة دينية. وهذا القانون الكهنوتى الذى دوّن على الحجر الماثل فى واجهة معبد أورشليم يكون الجزء الثالث والأخير من مجموعات القوانين التى ميزها النقاد فى أسفار موسى الخمسة.

ومن أهم الآراء التى أعلنها النقاد المحدثون فيما يتعلق بالعهد القديم هو تأخر ظهور هذا القانون (١١). وذلك يدفع إلى الإهتمام بمشكلة (تشكل التراث). إن المشكلة تبدو عندئذ على درجة من التعقد بحيث إن الأمر يختلط على الكل ، ويجر تعدد المصادر إلى تنافرات وتكرارت عديدة فى هذه النصوص. ويعطى الأب ديفو أمثلة على تعقد هذه الأقوال الموروثة الخاصة بخلق الكائنات وأنسال قابيل والطوفان وإختطاف يوسف وما جرى له بمصر والإختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد والتصويرات المختلفة للأحداث الهامة (١٢) . (وسوف أفرد مساحة كافية لمشكلة تشكل التراث العبرى فى هذه الدراسة - المؤلف). وبهذا يتضح تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة ، جمعها بشكل يقل أو يزيد حذقاً محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب وطوروا وغيروا من شكل هذه الروايات تارة أخرى بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أموراً غير معقولة. وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعى عن المصادر.

ويحدد الأب ديفو فى تعليقاته على ترجمة فقرات نص سفر التكوين الحالى التى تخضع لكل مصدر من هذه المصادر - الثلاثة - وإذا إعتمدنا على هذه المعطيات نستطيع أن نحدد بالنسبة لكل فصل

ما يأتى به كل مصدر على سبيل المثال : فيما يخص الخلق والطوفان والفترة التى تمتد من الطوفان وحتى إبراهيم. وهى العصور التى تحتل الأحد عشر فصلاً الأولى من سفر التكوين .

نرى فى رواية التوراة جزءاً من النص اليهوى يتبعه جزءاً من النص الكهنوتى- وليس النص الإلوهيمى حاضراً فى هذه الفصول الإحدى عشر الأولى -ويظهر بجلاء تام هنا تداخل وتعقد الإسهامات للمصدر اليهوى والمصدر الكهنوتى.

أما فيما يتعلق بالخلق وحتى نوح فإنتظامها بسيط : فقرة يهوية تعقب فقرة كهنوتية. وهكذا من البداية وحتى نهاية الرواية . أما فيما يتعلق بالطوفان -وخاصة الفصلين السابع والثامن -فإن تقسيم النص حسب مصادره يعزل فقرات قصيرة جداً قد تصل إلى جملة واحدة. ففى أكثر من مائة سطر من النص الفرنسى ننتقل سبع عشرة مرة من مصدر لآخر ، ومن هنا كانت تلك المتناقضات والأمور غير المعقولة التى تدرك عند قراءة هذا النص اليوم . ويبسط الجدول التالي توزيع النص اليهوى والنص الكهنوتى فى بعض الإصحاحات من سفر التكوين - وذلك على سبيل المثال .

م	من الإصحاح	الآية	إلى الإصحاح	الآية	المصدر
١	١	١	٢	٤ أ	كهنوتي
٢	٢	٤ب	٤	٢٦	يهوى
٣	٥	١	٥	٣٢	كهنوتي
٤	٦	١	٦	٨	يهوى
٥	٦	٩	٦	٢٢	كهنوتي
٦	٧	١	٧	٥	يهوى
٧	٧	٦			كهنوتي
٨	٧	٧	٧	١٠	يهوى(معدل)
٩	٧	١١			كهنوتي

١٤	٧	٢٢	٧	٢٣	يهوى
١٥	٧	٢٤	٨	٢ أ	كهنوتي
١٦	٨	٢ب			يهوى
١٧	٨	٣	٨	٥	كهنوتي
١٨	٨	٦	٨	١٢	يهوى
١٩	٨	١٣ أ			كهنوتي
٢٠	٨	١٣ب			يهوى
٢١	٨	١٤	٨	١٩	كهنوتي
٢٢	٨	٢٠	٨	٢٢	يهوى
٢٣	٩	١	٩	١٧	كهنوتي
٢٤	٩	١٨	٩	٢٧	يهوى
٢٥	٩	٢٨	١٠	٧	كهنوتي
٢٦	١٠	٨	١٠	١٩	يهوى
٢٧	١٠	٢٠	١٠	٢٣	كهنوتي
٢٨	١٠	٢٤	١٠	٣٠	يهوى
٢٩	١٠	٣١	١٠	٣٢	كهنوتي
٣٠	١١	١	١١	٩	يهوى
٣١	١١	١٠	١١	٣٢	كهنوتي

(أ) و(ب) تشير إلى انقسام الآية إلى جزئين

ولم يكن الأب ديفو مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس هو أ
ن أشار إلى تعدد المصادر للأسفار الخمسة ، ولكن أيضا لاحـ
جان استروك(١٧٥٣) وجود نصين جنبا إلى جنب في سفر التكو

يحتوى كل منهما علي خاصية مختلفة في تسمية الرب. إذ يسمية احدهما (يهوه). ويسمية الثاني (ألوهيم). وكذلك أشار ايخهورن(١٧٨٠) إلى تعدد المصادر ولكن بالنسبة للأسفار الأربعة الأخرى أيضا مع سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية ، ثم جاء إيجلن(١٧٩٨) ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما جان استروك ينقسم كل واحد منهما إلي قسمين.

وبطريقتة المميزة وأسلوبة المبتكر حدد المؤرخ الانجليزي جيمس فريزر نموذجاً لكيفية تكوين هذه المجموعه المتنافرة من أسفار الكتاب المقدس من المصادر المتنوعة والمتعددة . ففي ص ٢٤٠ج١ من كتاب " الفولكلور في العهد القديم " حيث يقول : هناك أربع مصادر رئيسية جمع بينها لتكوين أسفار العهد القديم الستة إضافة إلي أسفار موسى الخمسة سفر يشوع . أقدم المصادر يطلق عليه نقاد العهد القديم المصدر الكهنوتى PRIESTLV DOCUMENT أو القانون ويشار إليه دائما بالحرف P وأحدث المصادر يطلقون عليه المصدر اليهوي IOHOVISTIC DOCUMENT ويشار إليه عادة بالحرف J نسبة للأسم المقدس " يهوه" ، وكلا المصدرين يختلف عن الأخر إختلافا بينا في اسلوبه وطبيعته كما أنهما ينتميان إلي عصور مختلفة ويعتقد الباحثون أن المصدر اليهوي قد كتب في أرض الميعاد في العصور الأولي من الحكم العبري ، أى أنه كتب في القرن الثامن أو التاسع علي وجه الإحتمال . أما المصدر الكهنوتى فيرجع تاريخه إلي ما بعد عام ٥٨٦ ق.م عندما استولي بنوخذنصر ملك بابل علي أورشليم وأخذ اليهود أسري معه إلي بابل ، فكلا المصدرين تاريخي في شكله ولكن بينما نجد مؤلف المصدر اليهوي يهتم إهتماما حقيقيا بشخصية الرجال والنساء الذين يصفهم كما يهتم بمغامراتهم فإن كاتب المصدر الكهنوتى يهتم بهم في حدود إستخدامهم وسيلة – عرض لخدمة فكرة " العناية الألهية " التي يقصد بها تزويد بنى إسرائيل بمعرفة إلهية وبنظم إجتماعية ودينية شاء بها الرب أن ينظم شعبة المختار حياته عن طريقها . فالتاريخ الذي كتبه مؤلف هذا المصدر تاريخ مقدس

وكهنوتي أكثر منه دنيوي وموتى - ذلك أنه يهتم بإسرائيل بوصفها أمة دينية لا بوصفها دولة. ومن ثم فإنه بينما يسهب إلي حد كبير في وصف حياة شيوخ بني إسرائيل وأنبيائهم الذين أختارهم الرب ليظهر لهم نجده يمر مر الكرام علي أجيال كاملة من البشر العاديين الذين لا يذكر أسمائهم إلا عابرا. كما لو كانوا مجرد حلقات تربط عصرا دينيا بعصر ديني آخر أو مجرد خيط تنظم فيه علي مسافات متباعدة جواهر الوحي الرائعة وموقفه من الماضي ، تفسر كل التفسيرات أحداث العصر الذي يعيش فيه. بإختصار فإن قادة بنى إسرائيل كانوا يبحثون عن سلوي وتعويض لأمنهم في مقابل المذلة التي كانوا يعانوها في حياتهم الدنيوية وذلك عن طريق رفعها إلي درجة الروحانية. فقد حل الكاهن الأكبر محل الملك. فقد كان كاتب المصدر - الكهنوتي باستغراقه في تفاصيل الطقوس التافهه وعدم اكتراثه بالشئون الدنيوية الخالصة وولعه بالتقويم والأنساب والتواريخ والأرقام أو اهتمامه علي الجملة بالهيكل العظمى للتاريخ اكثر من اهتمامه بدم هذا التاريخ ولحمه . كان أشبه بأحد الرهبان المؤرخين في العصور الوسطي الذين كانوا ينظرون إلي الحياة العريضة من خلال كوة صومعة الدير أو من خلال زجاج نافذ الكاتدرائية ذى الألوان المتعددة. ولقد ضاق أفق تفكير المؤرخ الكهنوتي كما تلونت نظرته للاحداث وفقا للوسيلة التي كان ينظر من خلالها إليها. ولم تكن عملية الخلق بالنسبة إليه سوى تمهيد كبير ليوم الراحة والعبادة عند اليهود وهو يوم السبت . كما أن قبو السماء المتلالىء بالاضواء الساطعة لم يكن سوى طبق مستدير رائع مقسم إلي درجات تتحرك عليه اصابع الرب إلي الأبد لتشير إلي مواسم الأعياد الصحيحة المثبتة في التقويم الديني " . (١٣)

لقد كان الكتاب المقدس قبل أن يكون أسفاراً ، كان تراثا شعبيا لا سند له إلا الذاكرة وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الافكار(١٤) لتتكون بها المجموعة الاسفار " المقدسة " .

يقول البروفسير موريس بوكييه MAURICE BUCILLE : " كم من قراء العهد القديم الذين قد يطرح عليهم هذا السؤال ولن يجيبوا إلا بترديد ما قرأوا في مقدمة كتابهم العهد القديم ؟ كم من هؤلاء سيردد أن مؤلف كل هذه الكتب هو الرب ، برغم أنها كتبت بأقلام بشر ألهمهم إياها الروح القدس ؟ أحيانا يكتفي مؤلف مقدمه الكتاب المقدس بأن يجيب بهذا الجواب المقتضب علي قارئه ، حتى يسد الطريق علي أي تساؤل. وأحيانا أخري يضيف إليها تصحيحا يقول فيه: ان هناك تفاصيل قد أضافها بشر إلى النص الأول ، وأن الطابع المشكوك فيه لفقرة ما في هذا النص لا تحرف الحقيقة العامة التي تنبع منه.

هناك إصرار علي هذه الحقيقة التي تتكفل الكنيسة دائما بضمان صحتها. يعينها علي ذلك الروح القدس. والكنيسة هي وحدها القادرة علي ايضاح هذه النقاط للمؤمنين . بل لقد نشرت الكنيسة منذ (مؤتمرات) مجامع القرن الرابع المسكونية قائمة بالكتب المقدسة وأيدت هذه القائمة المجامع المسكونية التي انعقدت بـ فلورنسا FLORENCA عام١٤٤١ م ومجمع ترانت TRENTE عام١٥٤٦ م ومجمع الفاتيكان الأول VATICAN 1 سنة ١٨٧٠م. وهذه القائمة المعترف بها كنسيا هي ما يسمى بالقانون CANON.

ومنذ عهد قريب قام آخر مجمع للفاتيكان VATICAN II سنة ١٩٦٢و١٩٦٥ م بعد نشر الكثير من الرسائل البابوية بنشر نص عن التنزيل الإلهي وهذا النص ذو أهمية كبيرة. عمل المجمع طيلة ٣ سنوات لإعداده ، وقد تم هذا النص وسط صعوبات جمة.

ويجد الغالبية العظمي من قراء الكتاب المقدس هذه المعلومات المطمئنة علي رأس الطبعات الحديثة. وتكتفي بالضمانات التي اعطتها الكنيسة عبر القرون.

ولم يرد بذهن هؤلاء القراء أن مسألة الصحة هذه أمر قابل

للنقاش ، ولكن إذا حدث ورجع القارىء إلي المؤلفات التي كتبها بعض رجال الدين للخاصة - وليس لعامة الجمهور - فيستكشف أن مسألة أسفار الكتاب المقدس مسألة اكثر تعقيدا مما كان يظن في بداية الأمر. وإذا استوضح طبعة الكتاب المقدس الحديثة التي ترجمت إلي الفرنسية تحت إشراف رناسة مدرسة الكتاب المقدس بالقدس (EDITIONS DU CERF PARIS) فإنه سيكتشف أن نبرة الحديث مختلفة جداً ، وسيدرك أن العهد القديم كالعهد الجديد يثير مشاكل لا يخفى المفسرون نصوصها التي تسبب النزاع (١٥).

ومعلوم أن أهم الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس هي المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس . كما يري الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م) في كتابة (رسالة في اللاهوت والسياسة ص٢٦٦) حيث يقول : " يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي لكتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة : أعني سيرة مؤلف كل كتاب وأخلاقة ، والغاية التي كان يرمي إليها ومن هو ؟ وفي أى مناسبة كتب كتابه ؟ وفي أى وقت ؟ ولمن ؟ وبأى لغة كتبه ؟ كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب علي حدة ، كيف جمع أولا ؟ وما الايادى التي تناولته ؟وكم نسخة مختلفة معروفة عن النص ؟ ومن الذين فرزوا ادراجه في الكتاب المقدس ؟ وأخيرا كيف جمعت جميع الكتب القانونية كنسيا في مجموعة واحدة ؟ (كما هي الآن) أقول: إن الفحص التاريخي يجب أن يتضمن كل هذا. فمن الزم اللزومات أن نعرف سيرة المؤلفين. واخلاقهم والهدف الذي كانوا يرمون إليه؟

هذا بالإضافة إلي أننا نستطيع أن نفسر بسهولة أكثر أقوال إنسان ما إذا ازدادت معرفتنا بعبقريته الخاصة وطبيعة تكوينه الذهني.. ولكي نعلم أيضا إن كانت هناك يد آثمة قامت بتحريف النص أو في حالة كونه غير محرف -إن كانت قد تسربت إليه بعض الأخطاء - يجب أن نعلم كل هذا احتى لا نسير كالعميان فيسهل وقوعنا في الخطأ و حتى لا نسلم إلا بما كان يقينا لا يتطرق إليه الشك. وكتب

الأنبياء في العهد القديم نـددت بـالمحرفين لكـلام اللـه : " لذلك هـأنذا علي الأنبياء يقول الـرب الذين يسرقون كلمتـي بعضهم مـن بعض هأنذا علي الأنبياء يقول الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولـون قـال . هأنذا علي الذين يتنبـأون بـأحلام كاذبـة يقول الـرب الذين يقصونهـا ويضلون شعبي بأكاذيبهم و مفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم فلـم يفيدوا هذا الشعب فائدة . يقول الرب وإذا سألك هـذا الشعب أو نبـي أو كاهن قائلاً ما أوحي الرب فقل لهم أي وحـي. إنـي أرفضكم هـو قول الرب . فـالنبي أو الكـاهن أو الشـعب الذي يقول أوحـي الـرب أعـاقب ذلـك الرجـل وبيتـه. هكذا تقولـون الرجـل لصاحبـه والرجـل لأخيه بماذا أجاب الرب وماذا تكلم بـه الـرب. أمـا وحـي الـرب فـلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كـلام الإلـه الحي رب الجنود إلهنا " (إرميا٢٣/٣٠ -٤٠) ص ١١١١ قديم . ثـم شرح سبينوزا خطوات منهجه قائلاً : " لكي أسير في بحثـي بطريقـة منظمة سأبدأ بالأحكـام المسبقة المتعلقـة بمـن قـاموا بتدويـن الأسـفار الخمسة الأولي من العهد القديم . لقد ظن الناس تقريبا انه موسى بـل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأي بإصرار شديد . حتـى أنهم عدوا مـن يظن خلاف ذلك مـن المـارقين . ولهذا السبب فـإن الحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧م) وهو رجل كان فكـره حـراً إلـي حد ما ولم يكن علمه يستهان به. وهو أول من تنبهه – من اليهود – إلي هذا الخطأ – خطأ نسبة الأسفار الخمسة من التوراة الحاليـة إلـي موسى ولم يجرؤ أبن عزرا علي الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفـي بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة أما أنا فلن اخشي توضيحها وإظهار الحق ناصعا . والنتائج الثلاثة التي استخلصها سبينوزا هي :

١- أن موسى عليـه السـلام لـم يكتـب هـذه الأسـفار الخمسـة- المنسوبة إليه.

٢- أن مؤلف هذه الأسفار شخص غير موسـى عـاش بعد موسـى بزمن طويل جداً .

٣- موسى قد كتب سفرا ولكنه مختلفا عن هذه الأسـفار الخمسـة .

الموجودة الآن (١٦)

وفي ص٢٦ من دراسة الكتب المقدسة يقول موريس بوكاي : " هناك كتب قد أصابها التعديل برمتها عدة مرات مثلما حدث لأسفار موسى الخمسة " . وهذه التعديلات يلخصها EDMOND JACOB في نقاط :

١- في القرن الثالث ق.م كان هناك ثلاث مدونات علي الأقل للنص العبري للتوراة.

٢- وجود النص المعروف بـ الماسوري الذي استخدم في الترجمة اليونانية.

٣ - الترجمة السبعينية وهي أول ترجمة وكانت باللغة اليونانية وترجع الي القرن الثالث قبل الميلاد وعلي نصها اعتمد كتاب العهد الجديد.

٤- النصوص اليونانية المعروفة CODEX VATICANUS ويرجع تاريخ هذين المخطوطين الي القرن الرابع بعد الميلاد.

٥- توراة القديس إيرونيمس اللاتينية المعروفة باسم VULGATE ويحتمل أن يكون قد أستخدم وثائق عبرية ترجع إلي السنوات الأولى من القرن الخامس الميلادي.

٦- المدونات الآرمية والسريانية(PESCHITTA) وهي غير كاملة.

٧- سمحت هذه المخطوطات المختلفة للمتخصصين بأن ينتهوا إلي إعداد النصوص المسماة بـ(المتوسطة) وهي أشبه بحلول وسط بين مختلف النسخ.

٨- نسخة والتون (WALTON) لندن ١٦٥٧ وهي عبارة عن مجموعات تحتوي بين دفتيها وجنبا الي جنب علي النسخ المختلفة أى العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والآرامية وحتى العربية. ذلك هو الكتاب المقدس.

٩- النص الشامل المركب وهو الكتاب المقدس الذي تطمح الترجمة المسكونة الجارية حاليا للعهد القديم إلي الأنتهاء لنص شامل مركب يهدف إلي توحيد النصوص يقوم به كثير من الخبراء

الكاثوليكيين والبروتستانت.

بهذا تتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلي العهد القديم ، وبهذا أيضا يتبين القارىء التحويلات التي أصابت نص العهد القديم الأول من نقل إلي نقل آخر. ومن ترجمة إلي ترجمة أخرى بكل ما ينجم حتما عن ذلك من تصحيحات جاءت علي أكثر من ألفى عام (١٧) وبهذا تشكل ما يعرف بالتوراة (TORAH) (١٨) ص٢٤ . يعيد المؤرخ اليهودي الفيلسوف باروخ سبينوزا نتيجة فحصة لسند التوراة قائلاً في ص٢٧٣ : ".. لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة التي يظن أن يكون موسى كتبها فإن أحدا لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف هذه الأسفار الخمسة بل علي العكس يكذب العقل هذه النسبة " (١٩) .

لقد أخذ هذا الموضوع حيز كبير من عقل وفكر بل ووقت كبار المؤرخين القدامي والمعاصرين ، وقد تركت النقل عن كثير منهم اكتفاء بما ذكره عمدة المؤرخين(أرنولد توينبي) في كتابه تاريخ البشرية ج١ ص١٣٨ حيث يقول : ".. إن بعض الأساطير الواردة في التوراة مثل قصة الطوفان هي ذات اصل سومري ، وقد انتقلت عن طريق الآكديين والكنعانيين ، والشريعة المسماة شريعة موسى انما هي نسخة من مدونة القانون السومري الآكدى. وقد اكتشفت مؤخرا النسخ البابلية والأشوريه والحثية منها ، والنسخة البابلية هي القانون الذي جمعه (حمورابي) وقد ظهر من إكتشاف النصوص الأدبية الفينيقية المدونة بالكتابة الأوغاريتية التي تعود إلي القرن الرابع عشر ق.م. إن المزامير إنما وضعت علي نمط الترنيمة الكنعانية الأقدم عهدا. وأن الفصول- الإصحاحات – الثامن والتاسع من سفر الأمثال انما هي ذات أصل كنعاني. وأمثال غيرها في هذا السفر هي نص يكاد يكون حرفيا للحكم الواردة في نصائح (أينموب)، وهو اكتب مصري لعله صنف في القرن الرابع عشر ق.م وقد وضع تحت تأثير أدب مصري من النوع نفسه. ولكنه أقدم عهداً. ولنا أن نخمن أن الأمثال المصرية هذه وصلت إلي

الإسرائيليين بواسطة الفينيقيين . ومعني هذا أنه كان تبادلاً أدبياً كما كان التبادل تجاري بين الدول السورية في الفترة التي تلت عصر سليمان. وقد كان مضمون جزء من الأدب الذي عبر الحدود السياسية دينياً "

المجموعة الثانية

الأسفار التاريخية "HAGOGRAPHA"

وهي اثنتا عشرة سفراً تبدأ بسفر يشوع – القضاة راعوث – صموئيل الأول – صموئيل الثاني– الملوك الأول– الملوك الثاني– أخبار الأيام الأول – أخبار الأيام الثاني– عزرا - نحميا – استير– أيوب .

المجموعة الثالثة

الأسفار الشعرية

١– سفر أيوب. ٢– سفر المزامير. ٣– سفر الأمثال.
٤– سفر الجامعة . ٥– سفر نشيد الإنشاد.

المجموعة الرابعة

أسفار الأنبياء PROHETS

وهي سبعة أسفار وتنقسم إلي قسمين:

أ) الأنبياء الكبار :

١– سفر أشعياء ٢– أرميال ٣– مراثي أرمياء
٤– حزقيال ٥– دانيال

ب) الأنبياء الصغار :

١– سفر هوشع ٢– يؤيل ٣– عاموس ٤–عويديا
٥– يونان ٦– ميخا ٧– ناحوم ٨– حبقوق
٩– صفنيا ١٠– حجي ١١– زكريا ١٢– ملاخي

وجملة أسفار المجموعات الأربعة ٣٩ سفرا وجملة الإصحاحات ٩٢٩ ، وفيما يلي عرض موجز لهذه المجوعات الثلاثة الأخيرة بعد أن استعرضنا المجموعة الأولى مجموعة الأسفار الخمسة .

أولاً : الكتب التاريخية

تتناول الكتب التاريخية تاريخ الشعب اليهودي منذ دخوله إلي أرض الميعاد ، ويحدد علي أحسن تقدير بنهاية القرن الثالث قبل الميلاد حتى النفي إلي بابل في القرن السادس قبل الميلاد . وتؤكد نبرة هذه الكتب علي ما يمكن تسميته "بالواقع القومي " وتقدمه الكتب باعتباره تنفيذاً لكلام الله - والرواية لا تحفل بالدقة التاريخية :

١- سفر يشوع علي سبيل المثال يخضع قبل كل شيء لدوافع دينية. ويشير أ. جاكوب بهذه المناسبة إلى التناقض الصريح بين علم الإثارة والنصوص فيما يتعلق بما يدعي تدمير مدينتي (جيريكو) JERICHO و(أي) AY.

٢- محور سفر القضاة هو الدفاع عن الشعب المختار ضد الذين كانوا يحيقون بـه وإغاثة الرب لـه، ولقد تعدل هذا الكتاب مرات عدة.. وذلك ما يشير إليه بموضوعية كبيرة الأب ألوفيفر R.P.ALEFEVER فى تمهيده لتوراة كرامبون (CRAMPON) وتشهد بذلك المقدمات والحواشي المتداخلة.

٣- إن حكاية راعوث ترتبط بهذه الروايات فى سفر القضاة.

٤- أما كتاب صموئيل وكتب الملوك فـى أساسها مجموعات من السير تخص صموئيل وطالوت وسليمان وقيمتها التاريخية مشكوك فيها. ومن وجهة النظر هذه وجد جاكوب فى هذه الكتب اخطاء متعددة . فالحدث الواحد له روايات مزدوجة وحتى ثلاثية. ويجد الأنبياء إليا واليشع وأشعيا مكانهم فـى هذه الروايات وبهذا تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير.

٥- الإصحاح الأول والثاني من سفر أخبار الأيام وكتب عزرا ونحميا تنتمي إلي كاتب واحد أسمه (القصاص) الذي عاش في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، وهو يتناول من جديد التاريخ برمته من بداية الخلق وحتي ذلك العصر لكن الإنساب عنده تتوقف عند داود . يقول أ.جاكوب : ويستخدم فوق كل شيء كتاب صموئيل

وكتاب الملوك بل ينسخها آليا دون أن يهتم بالمتناقضات الناجمة عن هذا النسخ ، غير أنه يضيف أمورا معينة يؤكد علم الآثار صحتها . في هذه المؤلفات إذن أهتمام بتكييف التواريخ مع الضرورات اللاهوتيه وكما يقول جاكوب فإن الكاتب هنا يكتب التاريخ منطلقا من اللاهوت، وعلي هذا ولكي يشرح الكاتب أن ملك الملك منسي الذي أضطهد ودنس القدسيات قد دام طويلا وأزدهر ، فإنه يفترض أن هذا الملك آمن في رحلة له بآشور (أخبار الأيام ٢/٣٣) . وليس لهذا الأمر أي مصدر في أي كتاب من كتب التوراة أو خارجها . لقد انتقض كتابي عزرا ونحميا بشدة لأنهما يمتلئان بالإبهام والغموض ولأنهما يتعلقان بعصر هو نفسه غير معروف – القرن الرابع ق.م – وذلك لعدم وجود وثائق خارج الكتب المقدسة.

٦– تضاف كتب طوبيا وجوديت وأستير الى الكتب التاريخية ، وفيها تجاسر وتصرف شديدان إزاء التاريخ . ففيها تغير لأسماء الأعلام وأختراع لشخصيات وأحداث وهمية وكل هذا بنية دينية طيبة. الواقع أن هذه الكتب تحتوي علي حكايات أخلاقية النزعة محشوة بالأخطاء التاريخية بل وبأمور مستبعدة تاريخياً .

٧– أما كتابا المكابيين فيختلفان تماما ، إذ يعطيان أحداث القرن الثاني قبل الميلاد رواية صحيحة بأكبر قدر ممكن عن تاريخ ذلك العصر ، وهي بهذا تشكل شهادات قيمة.

إذن فمجموع الكتب المسماة بالتاريخية شديد التباين ،والتاريخ فيها معالج بشكل علمي بمثل ما هو معالج بشكل وهمي أيضاً . (٢٠)

ثانياً : كتب الأنبياء الصغار

وتغطى هذه الكتب الفترة من القرن الثامن إلى القرن الثاني قبل الميلاد: كتب القرن الثامن ق.م هي كتب عاموش وهوشع وأشعيا وميخا ، ويشتهر عاموس بإدانته للمظالم الأجتماعية ويشتهر هوشع بإدانته للفساد . أما سفر أشعيا فهو وجه للتاريخ السياسي ومن المؤكد أن نبؤتي أشعيا الثانية والثالثة فهما تحتويان إلى جانب الإهتمام

النبوي على اهتمام سياسي يظهر واضحاً. وتتبع رسالة ميخا – وهو معاصر لأشعياء – نفس هذه الأفكار. وفى القرن السابع ق.م يبرز صفنيا وأرميا وناحوم وحبقوق في التبشير وينتهي أرميا بالإستشهاد ، وتلقى باروك نبوءاته ، وربما كان أرميا كاتب المراثي . ويرتبط كتاب عوبيديا بكوارث القدس المقهورة ، النفي إلى بابل في بداية القرن السادس ق.م وبعد النفي الذي انتهي في عام ٥٣٨ ق.م . وقد كتب استئناف النشاط النبوي مع حجاي وزكريا للحث على إعادة بناء المعبد بإسم ملاخي. ولكن ما سبب إدراج كتاب يونس بين كتب الأنبياء ؟ إن العهد القديم لا ينسب إليه نصوصاً بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ومع ذلك فإن كتاب يونس عبارة عن حكاية يستخلص منها أمر رئيسي هو الخضوع للإرادة الإلهية. وأما رؤيا دانيال فهي مذهلة من وجهة النظر التاريخية كما يقول المعلقون المسيحيون ، فهي مكتوبة بثلاث لغات (العبرية والأرامية واليونانية) ، ويقول البعض أنها مؤلف يرجع إلى القرن الثاني ق.م فى عصر المكابيين. ويحتمل أن يكون كاتب هذه الرؤيا قد أراد إقناع مواطنيه في عصر" منتهى الشر " بأن ميعاد الخلاص قريب وذلك حتى يغذى إيمانهم (أ.جاكوب) (٢١).

ثالثاً : كتب الشعر والحكمة

تكون كتب الشعر والحكمة مجموعات تتمتع بوحدة أدبية لا جدال فيها.. وتحتل المزامير المقام الأول بين هذه المجموعات.إ نها الصرح الشامخ فى الشعر العبرى. وقد كتب داود عدداً كبيراً منها. وكتب الباقي الكهنة واللاويون. وموضوعها المدائح والتضرعات والتأملات. وكانت وظيفة المزامير طقوسيه الطابع.

أما كتاب أيوب وهو كتاب الحكمة والبر بكل معنى الكلمة فيرجع فيما يقال إلى ٤٠٠ أو ٥٠٠ ق.م.

وأما المراثي على سقوط القدس وفى بداية القرن السادس قبل الميلاد فربما كان كاتبها هو أرميا.

ولنذكر أيضاً أن نشيد الإنشاد هي أناشيد رمزية تنصب على الحب الإلهي فوق كل شيء.

وسفر الأمثال يتكون من مجموعة من أقوال سليمان وحكماء آخرين في بلاطه .

وسفر الجامعة ويتحدث عن السعادة الدنيوية والحكمة (٢٢).

ويقول جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم ج٥ ص٤١ : " أما فيما يتعلق بالشعر فإن قليلاً من الناس يعلمون أنه بالرغم من قدم بعض المزامير – مثلاً المزمور ٢٤ عدد ٧ – ١٠. والمزمور ٤٥ – فإن عدداً كبيراً منها نظم في عصور متأخرة أي بعد ٤٠٠ ق.م أو حتى بعد٢٠٠ ق.م. وأحدثها عهداً تلك المزامير التي تعرف بمزامير المكابيين (المزمور٤٤ و٧٤ و٧٩ و٨٣ وغيرها ومزامير الحشمونيين المزمور٢ و١١٠ وغيرها . وأما سفر المزامير العبري – كما نعرفه اليوم– فقد جمعت بعد المئتين ق.م ويسمونه (تهليم) أي تسابيح. ويعد ذلك بزمن قصير ترجم إلى اليونانية (PSAL TERION).

وما قلناه عن سفر المزامير يصدق على سفر الأمثال ، فإنه ليس من بين الأمثال الواردة في هذا السفر ما يضاهي بقدميته أقدم المزامير، ولكن بعضها يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد وبعضها يعود إلى أوائل العصر الهيلنستي. وبالرغم من أن عنوان السفر (أمثال سليمان الحكيم) فإن سليمان ليس من قام بوضعها ولا هو بجامعها . كما أن داود ليس بناظم المزامير التي تعزي إليه. والحكم الواردة في هذا السفر ليست أمثالاً بمعني المثل المتعارف عليه. والتعاليم الحكيمة التي أضيفت في أزمنة تلت والتي جمعت معاً عند مستهل الفترة الهيلنستية تختلف في العبرية والترجمة السبعينية في ترتيبها ومواضع ورودها - وهذا يصدق أيضا على مختلف الترجمات – ويبدو أن ترتيبها في الترجمة السبعينية أقرب إلى الأصل مما هي في التوراة العبرية المعترف بها.

ومن الأدب الحكمي الذي يعود زمن تأليفه بصورة جازمة إلى العصر الهيلنستي ثلاثة أسفار هي سفر الجامعة وسفر سيراخ (أو

حكمة سيراخ) وسفر حكمة سليمان .

أما سفر الجامعة فقد كتب باللغة العبرية عند منصرم القرن الثالث قبل الميلاد أو عند مستهل القرن الثاني ومؤلفه يسمي نفسه (الجامعة) وفي العبرية (قوهلت) أي الواعظ ، ويبدأ السفر هكذا : " كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم " ، وهو سفر عجيب فريد أقحمه خطأ ربابنة اليهود في توراتهم المعترف بها ، وذلك تبعاً لما جاء في مستهل السفر أن مؤلفه هو ابن داود الملك في أورشليم (الإصحاح الأول العدد الأول) . وقد تردد هذا الكلام ذاته في الإصحاح الأول العدد الثاني عشر حيث يقول : " انا الجامعة كنت ملكا علي إسرائيل في أورشليم " ، أما معني الجامعة فقد يفسره لنا ما جاء في آخر فصل من السفر ١٢ :٩-١٤ ، ويبدو أنه كان من أنصار الهيلنستية وربما أيضا يعطف علي قضية السلوقيين في سورية في حين كان أبناء قومه من العامة يعطفون أو يميلون إلي بطالمة مصر. وفي الكتاب أيضا أقوال وحكم ابيقورية في روحها (٩:٧-٩) غير أن حكماً واقوالاً كهذه قد تكون أقدم في الزمن من ابيقور ، منهم من لقب مؤلفه (بعمر خيام التوراة) ومنهم من لقبه (بأبي هول العهد القديم) . وسفره هذا اطلق عليه عنوان " الكتاب الذي يتكلم بلسانين أو بصورتين " ، يريدون بذلك(أورثوزكسيته وهرطقته) . وهكذا شبه بعضهم مؤلف هذا السفر (باروخ سبينوزا أو بيسكال) ، غير أن (جانتز) GANDZ يؤثر أن يشبهه بابيقور وهنا مصدر التناقض الغريب ، أبيقور(٢٣) يعترف به في توراة اليهود المعترف بها ؟ كيف ؟

أما سفر (حكمة سليمان) فإنه أكمل شأنا من هذه الأسفار ، وقد كُتب لليهود وللمقيمين في مصر باللغة اليونانية في الفترة التي تقع بين ٥٠ ق.م الي ٤٠ ق.م أي بعد أن كان قد مر قرن من الزمان علي تأليف السفرين (الجامعة وسيراخ).

ونستطيع عند قراءتنا لهذا السفر أن نميز بين جزئين مختلفين ، يبدأ الجزء الأول منهما بالفصل الأول إلي الحادي عشر والعدد

الخامس . ويبدأ الجزء الثاني من الفصل الحادي عشر والعدد السادس إلي التاسع عشر والعدد الثاني والعشرين ، مما يدل علي أن السفر من عمل مؤلفين أثنين وليس واحداً كتب كل منهما جزءاً في فترة تختلف زمناً عن الأخري .

أما السفر التاريخي الرئيسي الذي ظهر في هذه الفترة التي نحن بصددها فهو سفر دانيال الذي كتب قرابة نصفه باللغة الأرامية والنصف الباقي باللغة العبرية ، ويقع زمن تأليفه علي وجه التدقيق بعد تدنيس الهيكل ونشوب الثورة التي قام بها المكابيون سنة ١٦٨ ق.م والرؤي التي رآها دانيال (الفصل ٧-١٢ من السفر) . كانت في الفترة الواقعة بين ١٦٨ و ١٦٥ ق م عندما أعيد بناء الهيكل. وتشير هذه الرؤى إلي سقوط بابل سنة ٥٣٨ ق.م وإلي ما حل نبوخذ نصر وكيف أنه طرد من بين الناس وأكل العشب كالثيران. أما الأقسام الثلاثة التي أضيفت إلي سفر دانيال فإننا نجدها في الترجمة السبعينية(اليونانية) ، ومن الترجمة السبعينية نقلت إلي التوراة التي اعترفت بها الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية. غير أن القارىء لن يجدها في الترجمات التي تعترف بها الكنيسة الإنجيلية(البروتستنتية) وهذه الأقسام المضافة هي صلاة الغلمان الثلاثة (الإصحاح ١٣) وقصة البعل والتنين (الإصحاح١٤) من سفر دانيال بالترجمة العربية اليسوعية. وهذه الإضافات الثلاث اقحمت علي سفر دانيال في الترجمة السبعينية ، نقحها أو أعاد ترجمتها إلي اليونانية رجل يهودي من أهل أفسس إسمه (ثيود وتيون) وكان معاصرا (لماركس أو ريليوس)الجزء الثاني-٢. وأما النص الذي إعتمدته مختلف الترجمات المسيحية أو (الأبوكرفيا) فإنه نص مأخوذ عن (ثيود و تيون) لا من النص الوارد في الترجمة السبعينية. أما سفر طوبيا فكان مؤلفه رجلا يهودياً من مصر ، وقد كتبه باللغة اليونانية فى الفترة الواقعة بين ٢٠٠-٧٥ ق.م.

وأما سفر يهوديت فقد كتب باللغه العبرية بعد حروب المكابيين في حوالي ١٥٠ ق.م ، وأما النص في اللغة اليونانية فإنها ترجمة

عن اللغة العبرية. غير أنها ترجمة مفصلة أضيف إليها بعض الزيادات.

أما سفر أستير فهو قصة فتاة يهودية أصبحت زوجة الملك أحشو يروش (أجزركسيس) ملك فارس ٤٨٥-٤٦٥ ق.م ويحتفل اليهود كل سنة بذكراها في عيد يعرف عندهم بعيد (الفوريم) ، وقد كتبت هذه القصة باللغة العبرية حوال ١٥٠-١٢٥ ق.م . وبعد ذلك بقرابة نصف قرن تمت ترجمتها إلي اللسان اليوناني. غير أن الترجمة اليونانية تتضمن إضافات وزيادات هي من نوع (الابوكريفا) إلي أبعد حد . وهذه الإضافات أدخلت أيضا في الترجمة الإنكليزية الرسمية المعروفة بترجمة (الملك جيمس) ويجدها القارىء في إصحاح١٠-٤ إلي إصحاح ١٦-٢٤ . أما الترجمة السبعينية فهي مبثوثة هناك في أقسام مختلفة ظاهرا عن النص كما هو في التوراة العبرية وفي الترجمة السبعينية.

وأما أسفار عزرا الكاتب وعددها ثلاثة ، وهي قصة متخيلة تدور حول إعادة بناء الهيكل الذي هدمه البابليون . ويرجح أنها كتبت باللغة اليونانية في مصر حوالي ١٥٠ ق.م. وأما السفر الأول من هذه الأسفار الثلاثة فتشتمل مادته الإصحاح ٣٥و٣٦ من سفر أخبار الايام الثاني. وسفر عزرا من الإصحاح الأول إلي العاشر. الإصحاح ٨ من سفر نحميا. ولكن إلي جانب هذه المادة يحتوي السفر الأول علي أمور أخري أهمها خبر حراس الملك دارا الثلاثة (الإصحاحان ٣-٤) .

وأما في المخطوطات العبرية فإننا نجد سفر عزرا ونحميا في سفر واحد !

وقد ظل السفران (عزرا ونحميا) كتابا واحدا حتي سنة ١٤٤٨م. أما في الترجمة اللاتينية(VULGATE) فإن هذين السفرين يعرفان بسفر عزرا الأول وسفر عزرا الثاني. وأما السفران الأبوكريفيان فيعرفان في الترجمة اللاتينية بسفرعزرا الثالث والرابع (٢٤).

وفي أثناء النصف الأول من القرن الثالث نشرت كتب تاريخية

كثيرة مثل سفر الأيام (٦٥ إصحاحا) وسفر عزرا(١٠ إصحاحات) وسفر نحميا (١٣ إصحاحا) ، وفي الـ(القانون) الكاثوليكي (VULGATE) يسمي سفر عزرا بأسم سفر عزرا الأول (ESDRAS 1) ويسمى نحميا بإسم عزرا الثاني(ESDRAS,ALIAS NEHEMIAS). وسفرا عزرا الأول والثاني يدخلان عند الكاثوليك والبروتستانت ضمن الكتب المنحولة (APOCRGPHA) ولكن الكاثوليك يسمونها عزرا الثالث والرابع (3&4 ESDRAS).

وصاحب سفر الأيام يحكي تاريخ اليهود منذ آدم إلي نهاية (٥٣٨-٥٣٦) ، ويواصل عزرا ونحميا الحكاية من ٥٣٦ إلي ٤٣٢. وكتاب عزرا وكتاب نحميا أخذا مما دونه هذا الحبران العبريان عزرا ونحميا اللذان عاشا في القرن الخامس في عصر لم تكن فيه اللغة الأرامية قد حلت محل اللغة العبرية وكان سفر نحميا آخر ما كتب أيام كانت هذه اللغة لا تزال حية وكان الشعب اليهودي يتكلم الأرامية وكان جهلهم باللغة العبرية شديدا بحيث كان لابد من تزويدهم بترجمة (TARGUM) أو بتفسير بالآرامية ، وهذا هو التفسير الكلداني (CHALDEE PARAPHRASE) (٢٥).

ولكن بغض النظر عن اللغة الأصلية التي كتبت بها هذه الأسفار فإنه لم يمر وقت طويل علي تأليفها حتي ظهرت فوراً باللغة اليونانية.

ويعود زمن تأليفها إلي ما بعد القرن الثالث قبل الميلاد. وتجدر الإشارة إلي أنه حتي زمن قريب جداً لم يكن لدينا مخطوطات معاصرة أي مخطوطات تعود في تاريخها إلي زمان كتابتها وهذا من أغرب الأمور في تاريخ النص العبري للعهد القديم ؟ (٢٦).

ويقول موريس بوكييه : " والسؤال الآن هو كيف استطاع هذا المجموع المتنافر بمضمونه الذي يتكون من أسفار كتبت علي مدي سبعة قرون علي الأقل وأتت من مصادر شديدة التنوع ثم تجمعت بعد ذلك داخل مؤلف واحد. كيف استطاع عبر القرون أن يكون كلاً لا ينفصم, ان يصبح كتاب الوحي اليهودي- المسيحي ؟

كيف هو أصبح القانون(CANON) وهي كلمة يونانية يرتبط بها معني عدم المساس ؟!

إن التجميع يرجع في مرحلته الأولي إلي القرن السابع قبل الميلاد. حيث أن الكتب والأسفار اللاحقة قد اتت بعد ذلك لتضاف إلي ما أحتفظ به من قبل وقد تشكل فعلا قبل القرن الثاني قبل الميلاد . واذا كان تطهير الأناجيل قد تم بأستبعاد الأناجيل المزورة فإن المسئولين لم يروا ضرورة القيام بنفس الفرز بالنسبة إلي العهد القديم وقبلوا ما يحتويه كلية تقريبا.

هل هناك من جرؤ علي الإعتراض علي هذا المجموع المتنافر حتي القرون الوسطي في الغرب علي الأقل ؟ تقريبا لا أحد. ومن القرون الوسطي وحتي بداية العصور الحديثة ظهرت بعض الإنتقادات ولكن الكنائس نجحت دائما في فرض سلطتها . ولا شك أن عصرنا قد شهد ميلاد نقد أصيل للنصوص خاصة وإن المتخصصون الكنسيون قد حكموا بوجود (صعوبات) ولا يبدو أن بهم ميلا لدراسة هذه الصعوبات علي ضوء المعارف الحديثة.(٢٧).

يقول المؤرخ ليوتاكسل: " الكتب التوراتية الأربعة: الأمثال ، الجامعة ، نشيد الأنشاد ، الحكمة ، وكتاب أمثال سليمان عبارة عن مجموعة من الأفكار والأقوال التي نري أنها مبتذلة سخيفة وتتصف بالغباء . قصاري القول، انها لا تساوي شيئاً ، أضف إلي هذا أنه يصعب أن نصدق بأن ملكا متنورا وضع مجموعة من المواعظ لم يتطرق فيها إلي أساليب الحكم والادارة وطرقهما ، أو إلي السياسة وأصول الحياة الملكية وأعرافها. والذي أثار دهشة الناقدين والمعاصرين ، أن فصولا كاملة كرست فيه قحبات كن يتصيدن الرجال من الشارع. ولا تثير إعجاب الناقدين حكم ومواعظ مثل: " بنتان هات هات . ثلاثة لا تشبع واربعة لا تقول كفي ! الهاوية، والرحم العقيم ، وأرض لا تشبع ماء ، ونار لا تقول كفي ! " أمثال ٣٠،١٥-١٦ ، " ثلاثة عجيبة فوقي ، وأربعة لا أعرفها : طريق نسر السموات ، وطريق حية علي صخر، وطريق سفينة في قلب

البحر ، وطريق رجل بفتاة " (١٨-١٩). " أربعة هي الأصغر في الأرض ولكنها حكيمة جداً : النمل. قوم ليس قوماً ولكنه يعد طعامه في الصيف، والفئران الجبلية طائفة ضعيفة ولكنها تضع بيوتها في الصخر ، والجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقا ؛ العنكبوت تمسك بيدها وهي قصور الملوك " (٢٤،٢٨).

لله در فولتير حين قال : " أيعقل أن تكون هذه أقوال الحكماء ؟

أما كتاب حكمة سليمان فقد صيغ بأسلوب أكثر جدية. ويرى الناقدون أن هذا الكتاب كله ، يترك إنطباعاً بأنه مجرد إنتقاء لأقوال عامة معرفة لا تغني ولا تثمر.

ولكن كتاب الجامعة من صنف آخر مختلف فالذي يجري الحديث على لسانه فيه، شخص خيبت آماله مغريات العظمة، تعب من الملذات وقرف من المعرفة. وقد عدوا أبيقوريا لأنه يردد على كل صفحة من صفحات كتابه : إن الصديق والآثم يخضعان للمصادفات نفسها ، وإن الإنسان لا يختلف عن الحيوان فى شىء ولذلك كان أفضل له ألا يولد قط من أن يعيش ، وأنه ليس ثمة حياة آخرى فى أى مكان ، وأنه ليس أروع وأعقل من أن يتمتع المرء بزوجته وثمار عمله.

وقد قال فولتير بصدد كتاب سليمان هذا أنه: " ربما إحتفظ سليمان بمثل هذه الأقوال عن واحدة من زوجاته . ويؤكدون بأن أقواله هنا هى ملاحظات من يزعم أنه قالها بحق نفسه. ولكن هذه الأقوال التى تسيطر عليها روح الإنفلات، ولا تشبه لوم النفس، وتحاول أن ترى فى أعمال المؤلف نقيض ما يقوله، ألا يعنى هذا أنك تسخر منه ؟ "

أما فيما يخص نشيد الإنشاد ، فلابد لنا من سوق بعض من إصحاحاته الثمانية كاملة دون نقص :

" ليقبلنى بقبلات فمه ، لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة إدهانك الطيبة ، إسمك كطيب مهراك ، لذلك أحبتك العذارى . إجذبنى وراءك فنجرى ؛ أدخلنى الملك إلى مخدعه ، سنبتهج ونفرح بك ، نذكر حبك أكثر من الخمر ، بالحق يحبونك !... لقد شبهتك يا حبيبى

بفرس فى مركبات فرعون . ماأجمل خديك بسموط ، وعنقك بقلائد ؛ نصنع لك سلاسل من ذهب ، مع جمال من فضة .. صدرك المرمر حبيبى لى ، بين ثديى يبيت . ها أنت جميلة يا حبيبتى ، عيناك حمامتان . ها أنت جميل يا حبيبى وحلو ، وسريرنا أخضر ، جوائز بيتنا أرز ، وروافدنا سرو ..." (نشيد الإنشاد ١-٤، ٩-١١، ١٣-١٦)

" أنا نرجس شارون ، سوسنة الأودية ! كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتى بين البنات. كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبى بين البنين تحت ظله إشتهيت أن أجلس . وثمرته حلوه لحلقى . أدخلنى إلى بيت الخمر ، وعلمه فوقى محبة أسندونى بالخمر ، أنعشونى بالتفاح فإننى مريضة حباً . شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى وأحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء ... أجاب حبيبى وقال لى : قومى يا حبيبتى، ياجميلة وتعالى !... يا حمامتى فى محاجىء الصخر... فى ستر المعاقل أرينى وجهك ، أسمعينى صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل ..." (٢، ١-٧، ١٠-١٤).

" فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى ، فما وجدته. أنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى طلبته فما وجدته. وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت : أرأيتم من تحبه نفسى ؟ فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرحه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حلبت بى أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء..." (٣، ١-٥).

" ها أنتى جميلة يا حبيبتى ، ها أنتى جميلة ، عيناكى حمامتان تحت نقابك شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد ، أسنانك كقطيع معز مقصوصة ، صادر من الغسل ولكن منها جديان وليس فيها عقيم ، شفتاكى كسلكه من القرمز وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة تحت نقابك. عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة ، ألف مجن علق

عليه، كلها أتراس الجبابرة ؛ ثدياك كخشفي ظبيه ، توأمين يرعيان بين السوسن ... ما أحسن حبك يا أختي العروس ، كم أحبك أطيب من الخلق ، وكم رائحة عطرك أطيب من كل الأطياب. شفتاك يا عروس تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن ، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان! "(٤،١-٥، ١٠-١١).

" أنا رائحة وقلبي مستيقظ ، صوت حبيبي قارعاً: إفتحي لي يا أختي ، يا حمامتي يا كاملتي ، رأسي إمتلأ من الطل ، وقصصي من ندى الليل ... حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائي. قمت لإفتح لحبيبي ويداي تقطران مراً وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل. فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر، نفسي خرجت عندما أدبر ، طلبته فما وجدته ..." (٥،٢، ٤-٦).

" أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء ؟ أين توجه حبيبك فنطلبه معك؟ حبيبي نزل إلى جنته ، إلى خمائل الطير ليرعى في الجنات ويجمع السوسن ، أنا لحبيبي وحبيبي لي ؛ الراعي بين السوسن " (٦، ١-٣).

" ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحلى صنعته يدي صناع سرتك كأس مدورة لايعوزها شراب ممزوج ، بطنك صبرة حنطه مسيجة بالسوسن ، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية ، عنقك كبرج عاج ، عيناك كالبرق في حشبون... أنفك كبرج لبنان الناظر إلى دمشق... قامتك شبيه بالنخلة وثدياكي بالعناقيد. قلت: أني صعدت إلى النخلة وأمسك بعروقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر ، لحبيبتي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين ، أنا لحبيبي وإلي إشتياقه يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى ، ولنبكرن إلى الكروم ولننظر : هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح إلى القعال ؟ هل نور الرمان ، ها لك أعطيك حبي. اللقاح يفوح رائحة ، وعند أبوابنا كل النفائس ، من جديد وقديمة إدخرتها لك يا حبيبي " (٧، ١-٥، ٧-١٣).

" ليتك كأخ لي الراضع ثدى أمى ، فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يلومنى أحد. وأقودك وأدخل بك بيت أمى وهى تعلمنى فأسقيك الخمر الممزوجة من سلاف رمانى . شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى . أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء... لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان ، فماذا نصنع لإختنا يوم تخطب ؟..."

يواصل ليو تكسل فيقول : هذا هو نشيد الإنشاد الشهير بروعتـه ، والذى أثار كثيراً من الجدال. ولكن ذوى الأفكار المتحررة من المعتقدات الخرافية لا يرون فى هذا المؤلف الشهوانى سوى أغنية عادية صيغت وفق ذوق العصر ، إلا أن اللاهوتيين اليهود والمسيحيين يؤكدون على شيء مغاير. فيؤكد الأولون والزبد يعلو شفاههم بأن الحبيب هنا هو الله ، والحبيبة سوسنة الوديان هى شعب إسرائيل. ويفسر هؤلاء نشيد الإنشاد بإنه التاريخ المجازى للشعب اليهودى منذ " الخروج من مصر " حتى مجيىء " المسيح " حينما يبنى معبد أورشليم الثالث كما يزعمون ، وإستخدموا لتعليل هذا التفسير كل التعقيدات وأساليب التضليل وسفسطة التلمود وإختزال الكلمات المنطوقة نطقاً موحداً وإستبدالها.

أما اللاهوتيون المسيحيون ، وخاصة الكاثوليك ، فلم يفعلوا شيئاً سوى إعادة ترتيب الشرح اليهودى من جديد ، ويؤكدون بكل رزانة على أن هذه الملحمة الشهوانية هى ثمرة إلهام سام ، هى كتاب نبوءة حب المسيح للكنيسة وحب الكنيسة لمؤسسها الإلهى الذى يظهر فيه زوج لها . وعلى الرغم من أن هذا الحب يأخذ هنا أشكالاً جريئة ، إلا أن خطرها يتطهر بمغزاها الصوفى ولا يثير حفيظة العقول الدنسة المتحررة. وكان أوريجين (أوريغين) وهو صاحب أول تفسير صوفى لنشيد الإنشاد، قد كتب فيه شرحاً مستفيضاً. ونشير من باب الفكاهة ليس الا إلى أن شرف هذا الإكتشاف يعود إلى أب الكنيسة هذا الذى لم يشتهر بعمق فكره وإخلاصه للدين وحسب ، بل

واشتهر أيضاً بأنه خصى نفسه ثم سار على خطى أوريجين المخصى بلهاء المسيحية الآخرون كلهم وكل رجال الدين الذين أسعدهم هذا الحدث ووفر لهم وسيلة فعالة لإرغام المؤمنين السذج على ابتلاع واحدة من أكثر حبوب التوراة روعة. وبفضل هذه الخدعة الماكرة يقدمون نشيد الإنشاد إلى راهبات الأديرة كمادة للتفكير وتهدئة الدم الفاتر . بيد أنه ليس صعباً علينا أن ندرك حقيقة التأثير الذى تتركه هذه الملحمه على السجينات التاعسات اللواتى يجعلهن تصوفهن الهستيرى يتصورن أنفسهن عرائس المسيح . ففى وحدة صوامعهن الهادئة تدغم كل تاعسة نفسها بالكنيسة : عروس الحبيب ، ويستغرق جميعهن فى حلم واحد ليس من الصعب تخمين محتواه. ولترسيخ هذا التفسير الوهمى فى أذهان المؤمنين والمؤمنات، وضع رجل الكنيسة عنواناً خاصاً لكل فصل من فصول نشيد الإنشاد الثمانية، وكل عنوان من هذه العناوين ينضح بخبث رجال الدين ونفاقهم:

الفصل الأول: الزوجة تكسب حبها لزوجها ، والزوج يكسب حبه لزوجته.

الفصل الثاني: كلام الكنيسة عن يسوع المسيح.

الفصل الثالث: كيف تبحث الكنيسة عن المسيح، وكيف تفرح عندما تجده.

الفصل الرابع: جمال الزوجة الذي يوصف وصفاً صوفيا في تعابير صوفية صرف.

الفصل الخامس: أسي الزوجة لانها لم تبحث عن زوجها كما يجب، وهي تصف جمال زوجها.

الفصل السادس: جوار يسوع المسيح مع الكنيسة.

الفصل السابع: وصف صوفي آخر لجمال الزوجة ، حب الكنيسة الصادق ليسوع .

الفصل الثامن: الحب المتبادل بين الكنيسة ويسوع المسيح.

والآن ، لننه هذا الجزء من بحثنا هذا بكلمات قالها فولتير: " بما أن نشيد الأنشاد هو وصف مجازي لزواج الكنيسة الأبدي من ابن مريم ، كما يؤكد رجال الكنيسة ، فإننا نرغب في أن نعرف معني الكلمات التالية : لنا أخت ليس لها ثديان " (٨ / ٨) . (٢٨).

ويقول موريس بوكييه : " كانت هذه المعلومات معطاة تحت تحفظات التعديلات اللاحقة لأن كتب العهد القديم لم تتخذ هيئتها الأولي إلا قبل قرون من ميلاد المسيح ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح. وعلي ذلك يبدو العهد القديم صرحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله وحتي العصر المسيحي . ولقد دونت وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد. وليس هذا مطلقاً وجهه نظر شخصية نعطيها عن تاريخ تحرير هذه الأسفار فالمعطيات الجوهرية لهذه اللمحة التاريخية مستقاة من مقال (التوراة) BIBLE بدائرة معارف أونيفر ساليس للكاتب ج.ب.ساندروز J.P.SANDROZ والإستاذ بكليات الدومنيكان بسولشوار SAULCHOIR ولكي تفهم ما العهد القديم يجب أن تكون هذه المعلومات حاضرة في أذهاننا ، وهي معلومات أثبتها متخصصون علي درجة عالية من الكفاءة(٢٩).

جمع النقاد ٢٦ سفرا خلا منهم الكتاب المقدس رغم ورود ذكر أسمائها في ثنايا العهد القديم المتداول الآن ، وهذه الأسفار هي:

١- سفر الحروب الذي ورد ذكره في سفر العدد الإصحاح ٢١ فقرة ١٤ ص ٢٤٨ : " لذلك يقال في كتاب حروب الرب واهب في سوقه وأودية أرنون " . ويشمل سفر الحروب أخبار نصرة موسى علي عماليق . كما يحتوي علي بعض القوانين وذلك لإرشاد يسوع خليفة موسى في حروبه. .

٢- سفر ياشر الذي ورد ذكره في سفر يشوع الإصحاح ١٠ فقرة ١٣ص ٣٥٣ : " فدامت الشمس ووقف القمر حتي أنتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر " . وقد ورد في سفر صموئيل الثاني الإصحاح الأول فقرة ١٨ ص ٤٨٣ : " وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس . هو ذا في سفر ياشر" . وهذا السفر يذكر بعض ما حدث لبنى اسرائيل مثل وقوف الشمس مدة يوم كامل، ويشتمل على بعض القوانين الحربية والنصائح العسكرية واستعمال القوس فى الحروب .

٣-٤-٥ ثلاثة لسليمان ورد ذكرها فى سفر الملوك الأول الاصحاح٤ فقرة ٣٢ص ٥٣٧ " وتكلم بثلاثة آلاف مثل . وكانت نشائده ألفاً وخمسا . وتكلم عن الاشجار من الارز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط. وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الارض الذين سمعوا بحكمته"

يقول القس منيس عبد النور : وهذه حقائق علمية لافقهية ومع ذلك فان العلماء الباحثين فى التاريخ يأسفون لضياع هذه التأليف إلا انها ليست كتابات دينية.

يقول المؤرخ آلبان.ج رويدجرى: " وقد أشار كاتب سفر الحكمة(ECCLESLASTICUS) من الأسفار المحذوفة إلى أنه فى

الامكان الاستمتاع بالتاريخ الدنيوى مع الحكمة والطيبة. ومع أنه لم يعالج فكرة الحياة المستقبلية إلا قليلا فإنه كتب " إن المعرفة بوصايا الرب هى شرعة الحياة وكل من عمل بما يرضيه سيلتقى ثمرة شجرة الخلد وورد فى حكمة سليمان" وذلك أن الرب خلق الانسان ليكون خالدا وجعله صورة من سرمديته " (ص١٥٧ ج١ التاريخ وكيف يفسرونه).

٦- سفر قضاء المملكة للنبى صموئيل ، وقد ورد ذكره فى سفر صموئيل الأول الاصحاح ١٠ الفقرة ص ٤٤١ " فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه فى السفر ووضعه أمام الرب. ثم أطلق صموئيل جميع الشعب كل واحد الى بيته " .

٧- سفر تاريخ صموئيل الرائى.

٨- سفر تاريخ ناثان النبى.

٩- سفر تاريخ جاد الرائى . وقد ورد ذكر هذه الاسفار فى سفر أخبار الأيام الأول الاصحاح ٢٩ فقرة ٢٩ و٣٠ ص ٦٧٩ : " وأمور داود الملك الأولى ، والأخيرة هى مكتوبة فى سفر أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى. مع كل وجبروته والأوقات التى عبرت عليه وعلى اسرائيل وعلى كل ممالك الأرض . "

١٠- سفر شمعياء.

١١- سفر عدو الرائى.

١٢- سفر أخيا الشيلونى.

١٣- سفر رؤى يعدو الرائى.

وقد ورد ذكرها جميعا فى سفر أخبار الأيام الثانى الاصحاح ٩ الفقرة ٢٩ ص ٦٩٤ : " وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة إما هى مكتوبة فى أخبار ناثان النبى وفى نبوة أخيا الشيلونى وفى رؤى يعدو الرائى يربعام بن نباط " .

١٤- سفر ملوك اسرائيل.

١٥- سفر ياهو ابن حنانى وقد ورد ذكرهما فى سفر أخبار الأيام

الثانى الاصحاح ٢٠ فقرة ٣٤ ص ٧٠٩ : " وبقية أمور يهو شافاط الأولى والأخيرة هاهى مكتوبة فى أخبار ياهو بن حنانى المذكور فى سفر ملوك اسرائيل ".

١٦- سفر اشعياء ابن آموص النبى وقد ورد ذكره فى سفر أخبار الأيام الثانى الاصحاح ١٦ فقرة ٢٢ ص ٧١٩ : " وبقية أمور عزيا الأولى والخيرة كتبها اشعياء بن آموحى النبى ثم اضطجع عزيا مع آبائه ودفنوه.."

١٧- سفر رؤيا أشعياء بن آموحى وهو جزء من سفر ملوك يهوذا واسرائيل .

١٨- سفر ملوك يهوذا واسرائيل ، وقد ورد ذكرهما فى سفر أخبار الايام الثانى الاصحاح ٣٢ فقرة ٣٢ ص ٧٣٠ : " وبقية أمور حزقيا ومراحمه ها هى مكتوبة فى رؤيا أشعياء بن آموص النبى فى سفر ملوك ياهوذا واسرائيل"

١٩- سفر مرثية إرمياء ليوشيا

٢٠- سفر ناموس الرب وقد ورد ذكرهما فى سفر أخبار الايام الثانى الاصحاح ٣٥ فقرة ٢٤ ص ٧٣٦ : " وكان كل من يهوذا وأورشليم ينوحون على يوشيا. ورثى إرميا يوشيا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا فى مراثيهم الى اليوم. وجعلوها فريضة على اسرائيل. وهاهى مكتوبة فى المراثى. وبقية أمور يوشيا ومراحمة حسبما هو مكتوب فى ناموس الرب. وأموره الأولى والأخيرة هاهى مكتوبة فى سفر ملوك اسرائيل ويهوذا ".

٢١- سفر أخبار الايام الى أيام يوحانان بن الياشيت وقد ورد ذكره فى سفر نحميا الاصحاح ١٢ فقرة ٢٣ ص ٧٧٤ : " وكان بنو لاوى رؤوس الآباء مكتوبين فى سفر أخبار الايام الى ايام يوحانان بن الياشيب " وفى سفر استير الاصحاح ٢ فقرة ٢٣ ص ٧٨٢ : " .. وكتب ذلك فى سفر أخبار الايام أمام الملك " . وقد ورد ذكره أيضا فى استير الاصحاح ١٠ فقرة ٢ ص ٧٩٢: " وكل عمل سلطانه وجبروته وإذاعة عظمة مروخاى الذى عظمة الملك أما هى مكتوبة

فى سفر أخبار الأيام لملوك مادى وفارس " .

٢٢- سفر موسى وقد ورد ذكره فى سفر نحميا الاصحاح ١٣ فقرة ١ ص ٧٧٦ : " فى ذلك اليوم قرىء فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجد مكتوبا فيه أن عمونيا وموآبيا لا يدخل فى جماعة الله الى الأبد " .

٢٣- سفر تذكار أخبار الأيام ، وقد ورد ذكره فى سفر أستير الاصحاح ٦ فقرة ١ ص ٧٨٦ : " فى تلك طار نوم الملك فأمرنا بأن يؤتى بسفر تذكار أخبار الايام فقرئت أمام الملك " .

٢٤- سفر الفوريم ، وقد ذكر فى سفر أستير الاصحاح ٩ فقرة ٢٩ و ٣٢ ص ٧٩٣ : " وأمرنا أستير أوجب أمور الفوريم هذه فكتبت فى السفر " .

٢٥- سفر الدرج الآخر لإرمياء بن حلقيا ، وقد ورد ذكر هذا السفر فى مواضع كثيرة فى الاصحاح ٣٦ ص ١١٣٦ منها : " فأخذ إرميا درجا آخر ودفعه لباروخ بن الكاتب فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذى أحرقه يهواقيم يهوذا وزيد عليه أيضا كلام كثير مثله " .

٢٦- سفر إسدراس الثانى ، يقول عنه المؤرخ ألبان ج. ويدجري: " وعلى نحو سفر الحكمة لسليمان يصرح سفر اسدارس الثانى بأن الحياة الحاضرة ليست هى النهاية ولكن يوم القيامة سيكون نهاية هذا الزمن وبداية ما سيأتى من خلود " ص ١٥٧ ج١ (التاريخ وكيف يفسرونه).

الباب الثانى

المنهج المقارن بين التراث العبرى والآثار البدائية القديمة

خلق العالم والإنسان
علامة قابيل القاتل
الطوفان الكوني
برج بابل
قطع العهد
نظام وراثة الإبن الأصغر
يعقوب في بيت إيل
صخرة الشهادة
يعقوب يصارع الله
آراء النقاد

فى ص ٢٠ من كتـاب " دراسـة الكتب المقدسـة " يقول المؤرخ الفرنسـى موريس بوكـاى : " كـان الكتـاب المقـدس قبـل أن يكـون مجموعـة اسفار تراثـا شعبيا لاسند لـه إلا الذاكـرة ، وهـى العـامل الوحيد الذى اعتمد عليه نقل الافكـار ، وكـان هـذا التراث الشعبى الشفهى يتغنى به الناس فى مختلف المناسبات والاحتفالات " .

ويقول أدموند جاكوب : " إن كل شعب يغنى فـى مراحل تطوره البدائية –ويسمى الفولكلور الشعبى – وفـى اسرائيل كمـا حـدث فـى غيرها من البلاد سبق الشعر النثر ، ولقد غنت إسرائيل كثيرا وكانت تحسن الغناء ، ولأن الظروف التاريخية كانت قد قادت إسرائيل إلى قمة الحماس كمـا قادتهـا إلـى مهـاوى اليـأس ، ولأنهـا سـاهمت بكل كيانها فى كل ما حدث لها حيث إنه كان لكل شىء معنى فى نظرهـا فإنها قد أعطت اغانيها تعبيرات شديدة التنـوع . منهـا اغـانى الطعـام واغـانى الاحتفـال بنهايـة الحصـاد وأناشيد العمل مثـل نشـيد البئر المشهور (فى سفر العدد الاصحـاح ٢١ و١٧) وأناشيد الزواج مثل نشيد الانشاد وتراتيل الحداد وأناشيد الحرب وهـى كثيرة فـى العهد القديم ، ومن بينهمـا ترنيمـة دبـورة (سفر القضـاة الاصحـاح ٥ من ١–٣٢) و (سفر العدد الاصحاح١٠) والحكم والامثال (سفر الامثال وأمثال وحكم الكتـب التاريخيـة المقدسـة) وأقوال البركـات واللعنـات والقوانين التى يسنتها الأنبياء للبشر بعد أن وكلهم الله لذلك .

ويضيف (جاكوب) أن تناقل هذه الأقوال كان يتم إمـا عـن طريق الاسرة وإما عن طريق المعابد فى شكل روايـات لتـاريخ شـعب اللـه المختار ، وقد تحول هذا التاريخ بسرعة الى حكاية مثل حكاية يوثـام (سفر القضاة الاصحاح ٩) . ويخلص أدموند جـاكوب مـن هـذا إلـى نتيجة حتميه فيقول : " يحتمل ان مايرويـه العهد القديم عن موسـى والأبـاء الأولين لا يتفق إلا بشـكل تقريبـى مـع المجـرى التـاريخى للأحداث. ولكن الرواة كانوا يعرفون حتى فى هذه المرحلة من النقل الشفهى كيف يضفون الاناقة والخيال حتى يربطوا بين أحداث شـديدة التنوع. وقد نجحوا فى تقديم هذه الاحداث المختلفة فـى شـكل حكايـة

لما حدث فى أصل العالم و أى إنسان. وكان الاهتمام منصبا على تدوين الوثائق الهامة من عقود وخطابات وقوائم الشخصيات (القضاة وكبار الموظفين بالمدن وقوائم الانساب) وقوائم القرابين وقوائم الغنائم. وبهذا تكونت الأرشيفات التي أتت بالوثائق التي استخدمت بعد ذلك عند تحرير المؤلفات النهائية التي أدت إلي الكتب والأسفار التي في حوزتنا اليوم . وبهذا الشكل أيضا تختلط في الكتب أو الأسفار أنواع أدبية متنوعة . وما علي المتخصصين إلا أن يبحثوا في دوافع تجميع هذه الوثائق المتنافرة . ومن المهم أن تقارب بين عملية تكوين هذا المجموع المتنافر الذي هو العهد القديم والذي إعتمد أولا علي النقل الشفهي وبين ما قد يحدث تحت سموات وأزمنة أخري عند ميلاد أدب بدائي. إن الموازنة بين مولد الكتاب المقدس ومثل هذا الأدب الدنيوي شيء يبدو أنه متفق بشكل دقيق مع الواقع. ولا تهدف هذه الموازنة مثلما يفعل كثير من منكري الله المنهجيين إلي رفض نص الكتاب المقدس في مجموعه. ذلك النص الذي يحتفظ به الناس في متحف الآثار الأسطورية. يمكن عن حق الإعتقاد في حقيقة الخلق وفي اعطاء الله الوصايا لموسى وفي تدخل الله في شئون البشر في عصر الملك سليمان - علي سبيل المثال - كما نستطيع الإعتقاد بأن جوهر هذه الأحداث قد وصل إلينا فعلا. في نفس الوقت نستطيع أن نري وجوب خضوع تفصيل وصف الأحداث لنقد صارم . ذلك أن مساهمات البشر فى تدوين التراث الشفهى كبيرة حقاً (٣٠).

يقول المؤرخ جيمس فريزر فى مقدمة " الفولكلور فى العهد القديم " : " أرى أنه من الضرورى – فى مجال الإستشهاد بنص من العهد القديم - أن أبدىالأسباب التى دعتنى إلى أن أتبنى قراءة مخالفة لتلك التى أخذت بها الترجمة الإنجليزية الرسمية أو المعتمدة للعهد القديم . وقد حاولت فى هذا الكتاب أن أسير على هدى الدراسات الفولكلورية والعملية في المراحل الأكثر قدماً وفجاجة.

تلك التي تشبه ما نجده لدى القبائل البدائية التي تعيش حتى اليوم من معتقدات وعادات – وإذا كنت قد حققت أي قدر من النجاح في هذه المحاولة فإنه سيكون من الممكن النظر إلى تارِيخ بني إسرائيل في ضوء أكثر صدقاً إن لم يكن أقل رومانسية ، بوصفهم شعباً لا يميزه الوحي الإلهي عن غيره من الشعوب الأخرى ذلك التمييز العجيب ، بل شعباً تطور كبقية الشعوب من مرحلة بدائية يسودها الجهل والهمجية، وذلك عن طريق عملية إنتخاب طبيعى بطيئة . وقد توصلت الأبحاث الحديثة التى تدرس فجر التاريخ البشرى بشتى إتجاهاتها إلى نتيجة مؤكدة إلى حد بعيد مؤداها أن كل الأجناس المتحضرة قد تطورت فى زمن أو آخر من المرحلة الهمجية . وعلى الرغم مما كان العبريون القدماء قد أحرزوه من رقى فكرى وتطور دينى . فليس هناك ما يدعو لافتراض أنهم قد شذوا عن هذا القانون العام . إذ المحتمل أنهم أيضاً قد مروا بمرحلة بربرية بل همجية. وهذا الإحتمال الذى يرتكز على ما بينهم وبين الأجناس البشرية الأخرى من تشابه يؤيده النظر الى أدبهم ، ذلك الأدب الذى يتضمن كثيرا من الاشارات الى معتقداتهم وعاداتهم التى لايمكن أن تفسر إلا من خلال افتراض أنها مخلفات باقية من مستوى حضارى أشد انخفاضا بكثير. ومن ثم كان موضوع دراستى هذه هو أن أوضح وأفسر قدرا محدوداً من تلك المعتقدات البالية التى تنتمى الى عصور سحيقة لأضع يدى على آثار بدائية أخرى يتضمنها العهد القديم لها نظائرها عند القبائل الهمجية مثل التضحية بالأبن الأول ، وقانون دنس النساء ، ثم عادة تقديم ذبيحة الخطيئة SCAPEGOAT ، ووسيلتنا فى الكشف عما يتغلغل فى الحضارة من آثار بدائية هو المنهج المقارن. وليس بدعا أن نطبق المنهج المقارن على دراسة التراث العبرى القديم . فقد استخدم العالم الفرنسى (صموئيل بوشار القس) هذا المنهج فىالقرن السابع عشر فى فرنسا استخداماً ناجحاً. كما استخدمه فى انجلترا رجل الدين العالم (جون اسبنسر) رئيس كلية جسد المسيح بانجلترا COPPUS CHRISTI بجامعة كمبردج. وقد

قيل عن كتابه الذى ألفه حول قوانين الطقوس لـدى العبريين القدمـاء أنه أرسى دعائم الأديان المقارن. أما فـى عصرنـا وبعد قرنين من الزمان فقد استأنف استاذى المبجل وصديقى(وليم روبرتسون سميث)فى جامعة كمبردج العمل الذى اضطلع به هـذان العالمـان الجليلان وقد كان الأمل يحدونى أن أقتفى أثر هؤلاء المتقدمين المرموقين فـى هذا المجال من العلم وأن أسير بـه قدمـا بمـا يمكننـى من أن أسمح لنفسى بأن أسميه تراث كمبردج فى الأديـان المقارنـة . وقد حـاولت فى هذا البحث أن أضع فى الاعتبار النتائج التـى توصـل اليهـا أشـهر النقـاد المحدثين فيمـا يختص بتـأليف أسفار العهد القديـم المختلفـة وتاريخهـا . ذلـك أننـى أعتقد أن كثيرا مـن المتناقضـات الجليـة فـى الكتاب المقدس لايمكن أن تقبل تفسيرا منطقيا وتاريخيا معقولا إلا فى ضوء هذه النتائج . ولقد دفعنى الهدف من دراستى هذه إلـى أن أمعن النظـر بصفـة أساسية فـى الجـانب الأدنـى مـن حيـاة العبريين القدمـاء كمـا تتمثـل فـى العهد القديـم . وأن أتتبـع الآثـار الهمجيـة والخرافية تلك الآثار التى تنتشر فى صفحاته.

أولاً : خلق العالم والإنسان

يبدو أن المؤلف اليهودى قد تصور أن الإله قد شكل الرجل الأول من الطين على نحو ما يفعل صانع الفخار تمامـاً ، أو كمـا يفعل الطفل حين يشكل دميـة مـن الطيـن . فبعد أن عجن الإلـه الطين وسواه على الصورة المعلومة بث فيه الروح بأن نفخ فـى فم التمثال ومنخريه وبنفس الطريقة التى يروى عن النبـى إليشـع أنه أعاد بها الحياة إلى جسد الطفل الميت ابن الشونامية (الملـوك الثانى اصحاح ٨/٤) ، علـى أن فكـرة العبريين فـى أن الجنس البشرى يرجع فى أصله إلى التراب تتضح لنا على نحو طبيعى للغاية ، اذ أننا نجد أن كلمة (أدمة) فى لغتهـم ومعناهـا الأرض هى الصيغة المؤنثة لكلمـة (آدم) ومعناهـا الرجل . ويبـدو مـن نصوص مختلفة فى الأدب البابلى أن البابليين كذلك كانوا يـرون

أن الإنسان قد خلق من طين . فهناك رواية إغريقية احتفظت بحكاية عن أصل الخليفة (لبيوسوس) الكاهن البابلى (٣١).

وقد استلفت نظر فريزر فى هذه القصة مشكلات ثلاث فتحت له باب المقارنة على مصراعيه بين هذه القصة وقصص الخلق التى رويت أو تزال بين الشعوب البدائية. وهذه المشكلات هى:

أولاً : خلق الإنسان الأول من الطين.

ثانياً : الدور الذى لعبته الحية فى صراع حواء.

ثالثاً : حرمان الإنسان من الخلود .

أما العنصر الأول فتكاد تتفق حكايات جميع شعوب العالم على أن الإنسان الأول شكل من الطين . ومن ذلك ما حكى عن سكان استراليا السود الذين يسكنون ضواحى ملبورن عن " بندر- جل " الخالق ، وكما فى بولينيزيا والدياكيون وسومطرة والباجويس (٣٢).

وأما عن العنصر الثانى هو إقحام الحية نفسها فى حياة أول رجل وإمرأة خلقها الرب فهو يرجع من وجهة نظر فريزر إلى اعتقاد الإنسان البدائى فى أن الحية كانت سبباً فى حرمان الإنسان من الخلود بعد أن سلبت منه هذه المنحة الجليلة - وقد اعتقد الإنسان البدائى فى هذا لأنه رأى أن الحية تغير جلدها فى مواسم معينة ومن ثم فقد تصور أنها بذلك تجدد شبابها ولاتموت على الإطلاق (٣٣).

على أنه مازال علينا أن نواجه هذا السؤال : لماذا دبرت الحية تلك المكيدة للإنسان ؟ وماذا كان هدفها من وراء حرمان الجنس البشرى من المميزات الكبيرة التى كان الرب يعتزم أن يخلعها عليه؟ فهل كان تدخلها فى هذا الأمر مجرد فضول ؟ أم أنها كانت تضمر هدفاً أبعد من هذا ؟ كل هذه الأسئلة لا يجيب عنها سفر التكوين أدنى إجابة (ص١٤٨ج١ فريزر).

وعن العنصر الثالث فإن حكاية التوراة لم تحك أن الإنسان قد منح منحة الخلود ثم فقدها بسبب خداع الحية له ، ولكن كان ذكر شجرة الخلود يعد غريباً عن الموضوع بخاصة إذا وضعناها جنباً إلى جنب مع شجرة المعرفة.

فقد افترض المؤلف أن حكاية التوراة تعد رواية محرفة لرواية أخرى أصلية حكت عن شجرتين فى الجنة حرمتا على الإنسان وهما شجرة الفناء وشجرة الحياة . ثم جاءت الحية الماكرة وأضلت الإنسان حتى أكل من شجرة الفناء وبذلك حرم الخلود وأصبح من الفانين (٣٤).

ومن المسلم به بوجه عام فيما يبدو أن حكاية الشجرتين قد إعتراها بعض الخلط وأن شجرة الحياة لم تلعب فى الحكاية الأصلية هذا الدور المثير السلبى الصرف الذى لعبته فى الحكاية.

ومن ثم فقد إعتقد البعض أنه كان هناك فى الأصل حكايتان مختلفتان عن السقوط ، وأن كاتباً مزج بين الحكايتين فى غير حذق وجعل منهما حكاية واحدة (٣٥). وبالمثل يحكى فى الأسطورة الإغريقية أن (بروميثوس) قد خلق الإنسان الأول من الطين . كما يحكى الماعوريون سكان نيوزيلندة إن الإله(تو- تيكى-تانى) قد صنع رجلا من الطين الأحمر شديد الشبه به وسماه (تيكى اهوا) أى شبيه تيكى. وفى تاهيتى يزعمون أن الإله (تاروا) الإله الأكبر خلق أول زوجين من الطين الأحمر.

وعلى كل فإن قصة خلق أول امراة من ضلع أول رجل تصادفنا في اماكن أخري في شكل روايات شديدة الشبه بحكاية الكتاب المقدس إلي درجة أننا لا يمكن أن نعدها مستقلة عنها (٣٦) . فإذا صحت الرواية علي هذا النحو فإن الحكاية تكون شبيهة كل الشبه بحكايات البدائيين التي رويت عن خلق الإنسان من الطين وعن اكتسابه الخلود ثم حرمانه هذه المنحة نتيجة خداع حيوان من الحيوانات الماكرة له (٣٧).

كتب المؤرخ ليوكاستل تحت عنوان (خلق العالم والإنسان) :

" لقد كان الله موجودا في كل زمان . وفي بداية الأزمنة كان الإله يسمي " ألوهيم " هكذا يعظمه نص كتاب التكوين (١) اليهوي القديم . والمعني الحرفي لكلمة " ألوهيم "هو " اله " وإنه لمن الغريب حقاً أن تسمي التوراة سيداً واحد بهذا الإسم.

أما " ألوهيم " هذا فهو " يهوه " و " رب الجنود " و" ادوناي " (٢) كما تسميه التوراة في أماكن مختلفة. وكان قد أحس مللا قاتلا في خرابه الكوني . وأطلقت التوراة علي هذا الخراب الكوني اسم " توغو بوغو " (٣) وهو تعبير معناة بتصرف " لا قاع ولا سقف ".

وبما أن الأزل يمتد أمتداداً لا نهائياً ، فاننا نعتقد أن ملل " الوهيم " امتد ملايين ، لا بل مليارات القرون . ولكن فكرة لمعت في ذهنه فبما أنه هو الله الكلي القدرة ، إذاً لماذا يضني نفسه مللا وسأمة، لماذا لا يفعل شيئا ما. وهكذا قرر العجوز يهوه أن يطلق قدراته الإبداعية.

غني عن القول أن يهوه كان يستطيع خلق كل شيء دفعة واحدة ، بيد أنه قرر ألا يتعجل الأمور ، " فلكل خضرة أوانها ". في البداية خلق السماء والأرض والأدق أن نقول : إن المادة ظهرت تلقائياً فور إعلانه إرادته بذلك. وكانت تلك المادة عديمة الشكل خالية بغير قاع ولا سقف غارقة في المياه وكانت الأرض وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف (٤) على وجه المياه (تكوين ١،٢).

بعدئذ التفت يهوه ليخلق السماء !! نعم السماء مرة ثانية (٥) . وتصف التوراة هذه العملية كما يلي : " فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ودعا الله الجلد السماء. وكان مساء، وكان صباح ، يوماً ثانياً (١،٧-٨).

إن قصة المياه التي " تحت " الجلد والمياه التي " فوقه " تعكس الضلال الفظ الذي عرفت به الشعوب البدائية كلها. فحسب التصورات القديمة أن السماء عبارة عن جسم كثيف صلب ، ومن هنا جاءت تسميتها بـ " الجلد" أي القساوة اليابسة . واعتقدوا أيضا أن تجمعا مائياً هائلا يقوم خلف ذلك الجلد الذي تشكل السماء قاعه. وإذا كان كل قارىء يعرف اليوم ان المطر ما هو إلا الماء المتبخر من الأرض ، فقد اعتقدوا في زمن ما، ان المطر هو الماء الذي ينساب من التجمع المائي العلوي عبر فتحات صممت لهذا الغرض بالذات ، لكن هذا الرأي الذي يثير السخرية اليوم صمد طويلا جدا في أذهان

الناس . ففي القرون المسيحية الأولي اقره علماء اللاهوت كلهم (٦).
لنمض معا : في اليوم الثالث كانت ثمار عمل الله اكثر قيمة من نتائج عمله فى اليومين السابقين . فلما جاب نظره المياه السفلى ، قال لنفسه : انه من الافضل ان تجمع هذه المياه فى امكنة خاصة بها كى تتمكن اجزاء اليابسة من الظهور. فتجمعت المياه صاغرة فى قيعان تشكلت فى اللحظة نفسها كما تشكلت فى الآن عينه، اليابسة ، وبرزت المرتفعات ، التى انحدرت منها المياه على شكل جداول وانهار، سارت الى البحار والبحيرات.. ودعا الله اليابسة ارضا ومجتمع المياه بحاراً ، ورأى الله ذلك انه حسن " (تكوين١،١٠).
يجدر بنا ان نلفت انتباه القارىء الكريم الى ان الجد يهوه لايزال راضيا عن نتائج عمله. وقد يكون اطلق صيحة اعجاب فى كل مرة قائلا: كيف لم افطن الى هذا كله من قبل ... في هذا اليوم نفسه، كان يهوه سعيداً خاصة بيابسته وبحاره لدرجة أنه رغب في خلق شىء ما آخر قبل هبوط الليل . إذا، " لتنبت الأرض عشباً وبقلاً بزرا، وشجرا ذا ثمر يعمل تمراً كجنسه، بزره فيه علي الأرض ، كان ذلك .... (تكوين ١،١١)..
والحقيقة أننا عاجزون عن وصف دهشتنا حيال حكمة يهوه! تخيل مثلا ، لو أنه زرع الأرض شجرا مثمرا يطرح ثمرا من غير جنسه، فما الذي كان سيحل بالأرض ؟ فلنشكر الله لانه لم يزرع أشجار تفاح تثمر برتقالا ، أو أشجار برتقال تثمر أجاصا ، أو أشجار أجاص تثمر عنب الثعلب . إذاً لكان اختلط الحابل بالنابل..
والآن بعد أن خضعت له الأرض ، وتعالي شجر التفاح وأثمر تفاحا، رأي يهوه مرة أخري " أن هذا حسن ، وكان مساء ، وكان صباح يوم ثالث " (تكوين ١،١٢-١٣) . بيد أنه ثمة أمر غريب آخر، فبفضل توزيع النور بصورة دقيقة ، مرت ثلاثة أيام بصباحاتها ولياليها . وكان ذلك النور يترك مكانه لظلمات الليل ، بعد أن يكون قد أضاء ذلك العالم الوُليد طيلة النهار ، دون أن يكون له مصدر مرئي ، فليس هناك كلام عن الشمس حتي الآن ، أي انها لم تكن قد

خلقت بعد . لكن هذا الشيء استحق نصاً طويلا في التوراة هاكموه : " وقال يهوه لتكن أنوار في جلد السماء لتضيء الأرض لتفصل بين الليل والنهار. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير الأرض. وكان كذلك . فعمل يهوه النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم جعلها الله في جلد السماء لتنير علي الأرض ، ولتحكم النهار والليل ، ولتفصل بين النور والظلمة ، ورأي يهوه ذلك أنه حسن . وكان مساء ، وكان صباح : يوماً رابعاً (تكوين ١٤،١-١٩).

وهذا كله حقيقة صافية لا غش فيها ، أليس كذلك ؟ فالحديث هنا عن الشمس والقمر. إذا وحسب التوراة ، إن العدل أنقسم إلي ليل ونهار ، قبل ظهور الشمس ، التي لم " يخلقها " يهوه إلا في اليوم الرابع بعد ظهور العالم .

والحقيقة أنني لا أعرف ما الذي حدا " بالروح القدس " لان يلقن موسي مثل هذه الخرافات عن الشمس والنور ؟ ولكن تخيل قارئي الكريم ، أنه حتي نهاية القرن الميلادي السابع عشر كان العلماء يعتقدون أن الشمس ليست مصدر الضوء ، بل هي " تمرره " عبرها وحسب ؛ أما الضوء فهو موجود بذاته . وحتي رينيه ديكارت نفسه (٧) كان من أنصار هذا الضلال ..

وأستمرت الحال هكذا حتي جاء الفلكي الدانماركي أولاف ريمر (١٦٤٤-١٧١٠) الذي يدين العلم له باكتشاف حقيقة هامة جدا ناقضت تعاليم التوراة تماما ؛ وهي أن الضوء الساقط فوق عالمنا مصدره الشمس ، وهو لا ينتشر دفعة واحدة .. ثم حدد هذا العالم سرعة الضوء- وهو ما ثبتت صحته غير مرة - مبينا أنه يصل من الشمس إلي الأرض في ثمان دقائق وثمان عشرة ثانية، أي أن سرعته حوالي ثلاث مائة ألف كيلو متر في الثانية. وقد توصل ريمر إلي اكتشافه هذا عن طريق مراقبة هبوط الظلام فوق الأقمار التابعة لكوكب المشتري . وكان ريمر يقيم عندئذ في فرنسا ، فكتب

بحثا عن اكتشافاته وقدمه في أكاديمية باريس ، في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٦٧٥. أما كاتب سطور التوراة ، فقد كان فريسة الجهل التام بشؤون الفلك، ولكن هذا لايعفي يهوه من مسؤولياته ، كان عليه أن يعرف كل شيء عندما كتبت التوراة .

وما يلفت النظر، أن التوراة أعطت النجوم دورا هزيلا في عملية الخلق " نجمان كبيران " هما الشمس والقمر. القمر وهو تابع هزيل للأرض ! بيد أن هذا الكاتب الجاهل لم يكن يعلم أن القمر والأرض، وحتي الشمس ، لا تعني إلا القليل في بناء الكون ! فحتي شمسنا الباهرة الضياء ، التي تعد المركز الرئيسي لعالمنا الشمسي ليست أكثر من نجم متواضع ، إنها واحدة من عشرات المليارات من النجوم التي تتألف منها منظومة النجوم العظيمة، مجرتنا . اما المؤلف " المقدس " ، فلا يري سوي الأرض ، ويربط كل شيء بها لكن الأرض ليست سوي واحدة من الكواكب ، وهي تدور حول كوكب صغير نسبيا ، هو الشمس ، التي تكبر الأرض بـ ٣٠٠٠٠٠ مرة ، ومع ذلك يضعها مؤلف كتاب التكوين تبعا لجهله ، في تبعية تابعتها ، أي الأرض ..

لا ريب أنه لو قدر لمؤلف الهراء التوراتي ان يعود إلي الحياة اليوم ، لصعق لدي قراءاته أي كتاب شعبي في علم الفلك ، أو زيارته لاي مركز فلكي، حيث يستطيع أن يراقب من هناك جبال القمر ، وبقع الشمس ، والأقمار التابعة لكوكب المشتري، والاجرام السماوية الأخرى التي زعم أن يهوه " وضعها في الجلد السماوى "

ولكن لنعد الى التوراة : " وقال يهوه : لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطر طير فوق الأرض ، على وجه جلد السماء، فخلق يهوه التنانين العظام وكل ذوات الانفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياة كاجناسها ، وكل طائر ذي جناح كجنسه، ورأى يهوه ذلك أنه حسن، وباركهما يهوه قائلا: أثمرى واكثري واملئي المياه فى البحار، وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء، وكان صباح ، يوماً خامساً.

وقال الله : لتخرج ذوات انفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش ارض كاجناسها ، وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كاجناسها ، والبهائم كاجناسها وجميع الدبابات الأرض كاجناسها . ورأى الله ذلك أنه حسن "(تكوين ١،٢٠-٢٥).

أليس هذا رائعا حقا ! وفرك يهوه الكلي القدرة يدية سرورا ولكن عملا آخر أكثر متعه كان بانتظاره . فقد نظر إلي مخلوقاته كلها وتساءل قائلا لنفسه : لكن احدا من هذه الحيوانات كلها لا تشبهني ، أنه لأمر مؤسف حقا ! فأنا أملك رأسا جميلا وأذنين غير كبيرتين ونظرة حية وأنفا مستقيما ، وأسنانا رائعة، والحقيقة أنني استطيع ان اصنع مرآة أرى نفسي فيها ولكنني اعتقد أنه من الأفضل ان ارى نفسي إذا تخيلت شبيها آخر بى ، حسن ! يجب أن يكون في الأرض حيوان يشبهني ..

وبينما شيخنا مستغرق في هذه المحاكمة الذهنية ، كانت زمرة من القردة التى خلقها لتوه " تتشقلب " عند قدميه ، فنظر إليها وقال فى نفسه : إن في مخلوقاتى هذه ما يشبهني لكن ليس هذا هو المطلوب .. فلكل من هذا القردة ذيل لا أحمل مثله . والحقيقة أن بينها من لا يحمل ذيلا ، ولكن .. ليس هذا هو المطلوب ! ثم أخذ يهوه قبضة تراب رطب ، وشرع يصنع انسانا ، ولكن هل يستقيم بعد هذا قولنا أن روح الله فقط ، وليس يدان ؟

وتقول التوراة ايضا ، إن يهوه بعد ان صنع الأنسان " نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية " (تكوين٢١،٧)..

ونقع في الإصحاح الأول من سفر التكوين (سطر ٢٧) علي نقطة مبهمة يخيل لنا انها تجيز لنا أن نستنتج أن الله خلق الأنسان في البداية جنسين في واحد، ولم يعدل هذا الوضع إلا في وقت لاحق . فالمسألة المتعلقة بالمرأة لم تظهر إلا فى نهاية الاصحاح الثانى ، أما السطر السابع والعشرون من الاصحاح الأول فيقول : " فخلق الله الانسان علي صورته. خلقه ذكرا وأنثى ، علي صورة الله خلقه " (٨) . هذه هى الترجمة الحرفية للنص العبرى لهذا السطر ، الذى

أعطى الدافع لانتشار خرافة الآلهة الثنائية الجنس . ومن جهة أخرى كان هذا النص يتعرض للتحريف في كل مرة على يد المترجمين المسيحيين ذوى النوايا الحسنة، ويعود سبب ذلك إلى غموضه بالذات..

بيد أنه من الخطأ تماما ، اعطاء هذا التخيل التوراتى أهميه كبيرة. وتنطوى التوراة على نصوص أخرى لا تحتاج أى فهم ، بل قل انها عصية على كل فهم . لذلك نرى ، أنه حرى بنا أن نلتفت إلي ما يعرفه جميعهم.

لقد خلق الله الأنسان وأعلنه تاج الخلق ، وفي هذه اللحظة التي خلقه فيها دعاه ليرى الحيوانات كلها " وجبل الله من الأرض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء واحضرها الى الإنسان ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به الإنسان ذات نفس حية ، فهو اسمها " (تكوين ٢،١٩).

لا ريب أنه كان استعراضا مسليا ، واننى لعلى يقين من أن أى عالم طبيعيات لم يكن ليجرؤ أن يأخذ مكان آدم فى تلك الساعة .

وقال الله لآدم : " املأوا الأرض ، وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض " (تكوين ١،٢٨).

ولكن ما يعرفه الجميع ، أنه على الضد من ارادة يهوه هذه ، فقد أرغم" ملك الطبيعة " ،الإنسان ، أن يقاتل قتالا مريرا ضد الأسود والنمور، والدببة والتماسيح والذئاب وما شابه ، ولم يكن النجاح حليفه دوما ؛ بل ولم يعد الأنسان فريسة للكواسر وحدها ، فقد كانت الإنسانية كلها فريسة لكثير من الطفيليات : البراغيث ، القمل، البق والأمراض التى تسببها الميكروبات.

ونضيف، أن الله الذى خلق الكواسر تحب " بفتيك "اللحم البشرى، وأمر الانسان أن يكون نباتيا . فالتوراة تقول فى هذا السياق : " وقال الله: أنى اعطيتكم بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً.لكم يكون طعاما (تكوين ١،٢٩).

ونحن بدورنا نرجو القارىء الكريم أن يحتفظ فـي ذاكرتـه بسـمة غذاء الناس الاوائل هذه .

وفي اليوم السادس أصبح كل شيء معدا ، أو تقريبا معدا ، وكـان يهوه راضيا سعيدا ، فقـرر ان يمنـح نفسـه يومـا يرتـاح فيـه . تقول التوراة : وفرغ الله في اليوم السابع من عملـه الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل " (تكوين٢،٢)..

لنتابع قارئى الكريم ، قراءة التوراة: " وغرس يهوه جنة في عـدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذى جبلـه... وكـان نهـر يخـرج مـن عـدن ليسقى الجنة ؛ ومن هناك ينقسم فيصير اربعة رؤوس . اسـم الواحـد فيشون . وهو المحيط بجميع أرض الحويلة ، حيث الذهـب ؛ وذهـب تلك الأرض جيد ، هناك المقل وحجـر الجـزع . واسم النهـر الثـانى جيحـون ، وهـو المحيط بجميـع أرض كـوش . واسم النهـر الثـالث حداقل (دجلة)، وهو الجارى شرقى آشور ، والنهر الرابع الفرات " (تكوين ٢،٨،١٠-١٤)..

بهذه التفاصيل ، أراد المؤلف رسم حـدود المكـان الـذى تقـع فيـه الجنة الأرضية رسما دقيقا ، ولكن حبذا لو لم يقل شيئا بهذا الصـدد قط . لأنه من الصعب ان تجد من يضـع نفسه فـي موقـع اكثر غبـاء من هذا الموقـع . فالباحثون يعترفون كلهم بأن نهـر فيشون هـو نهـر فاز، الذى دعى فيما بعد باسم اراكس . ويقع هذا النهر فى أرمينيـا ، وهو ينبع من منطقة هـي مـن أكثـر منـاطق القوقـاس وعـورة ، واذا افترضنا جدلا أن تلك المنطقة تحتوى على الذهـب وحجـر الجـزع ، فان احدا لا يعرف ما هو " المقل " (٩)

من جهه أخرى لا يمكن أن يكون ثمـة خطـأ بصـدد نهـرى دجلـة والفرات ، وبناء علـى ذلـك يتضـح ، ان التـوراة تحـدد موقـع الجنـة الأرضية في مكان ما ، يقع بيـن أرمينيـا وبـلاد الرافدين . ومـع ان منابع اراكس ودجلة والفرات ليست بعيدة عـن بعضهـا ، الا ان لكـل منها منبعه المستقل . فأراكس ، وهـو أكبـر روافـد نهـر كـورا ، ينبـع من بيتغيـل - داغ فـى تركيـا ، ويسـير حتـى بحـر قزويـن، أم دجلـة

والفرات ، فألامر لايقتصر على ان لكل منهما منبعه المستقل، بل إنهما يلتقيان معا قبل ان يصبا فى الخليج العربى.

أما فيما يتصل بالنهر الذى يدعوه سفر التكوين جيجون ، فإن خطأ المؤلف " المقدس " يعتبر خياليا ، فحسب السفر المذكور ، ان هذا النهر " يحيط بجميع ارض كوش " (حوش). ولكن أرض حوش (وهو ابن حام ووالد نمرود) ، هى حسب التوراة ثيوبيا بعينها أى أن نهر جيجون هو النيل ، الذى من المعروف أنه يجرى فى افريقيا وفى اتجاه معاكس للاتجاه الذى يجرى فيه دجلة والفرات، أى من الجنوب إلى الشمال ، وإذا اخذنا نقطة انبثاقه فى افريقيا الاستوائية ، من منطقة بحيرة فيكتوريا ، فان المسافة التى تفصل هذه المنطقة عن المنطقة التى تقع فيها منابع الانهار الثلاثة الاولى هى ثلاثة آلاف كيلو متر . أما سفر التكوين ، فيعلن ان الانهار الاربعة تروى بستانا واحدا هو، جنه عدن. والحقيقةأن المسافة بين منبعى دجلة والفرات ليست أكثر من مائة كيلو متر ، ومع ذلك فانها مسافة كبيرة لرى بستان واحد . لكن ما هو هذا البستان المترامى الاطراف الذى يحتوى على جبال ومنحدرات عظيمة تقع فى أكثر بقاع الارض وعورة .؟

فلنعد ذهنيا الى ذلك البستان العجيب ، الذى تنطلق منه اربعة انهار من منبع واحد لتحمل مياهها فى اتجاهات مختلفة. وهاهو ابونا آدم يتنزه فى اقطاعته غارقا فى لذة البطالة وربما كان يقول لنفسه : انا انسان ، وادعى آدم، واعتقد ان اسمى يعنى " الارض الحمراء " (١٠) لاننى صنعت من الطين كأى آنية عادية . كم لى من العمر ؟ لقد ولدت منذ أيام قليلة ، ولكن المثل القديم يقول : أن مظهر الرجل هو الذى يحدد سنه ، وعليه استطيع القول اننى ولدت ولى من العمر ٢٨ عاما ، واسنانى كلها فى فمى ،... أه ، كلا ، مازال ينقصنى ضرس العقل ، بنيتى لا بأس بها ، وكيف لا اكون شابا جميلا وانا نسخة طبق الاصل عن الرب الاله ما عدا لحيتى وسنى ، كما انه يتميز عنى بصفته أكثر الكائنات مجدا وشهرة . هاكم صحتى انظروا

الى يدى وساقى القوية ، الى عضلاتى المفتولة ، الى حمرة جسدى .. ليس هناك اى اثر للروماتيزم ! بل أتفل على الامراض كلها ، بما فيها الحصبة ، التى صنعنى ابى ومعى مناعة ضدها . ان الحياة فى هذا المكان الرائع ، لا بأس بها ، فأنا اغدو وأعود ، اقطف ثمار الأشجار كلها وآكل قدر ما أستطيع ، أما التعب فهو شعور غريب عنى ، لأننى لا أعمل شيئاً قط . وإذا إستلقيت ، فإنما أفعل ذلك للمتعة وحسب . وفى اليوم الثالث اقام لى يهوه الطيب حفلة ترفيهية تركت فى نفسى اثرا طيبا مدى الحياة ، فقد مرت الحيوانات كلها امامى ، وقال العجوز لى : " كل ما تدعو به ذات نفس حية، يكون اسمها " (١١). يا له من كرم ضيافه !

صدقونى يا أحفادى ، إنه يصعب على مجرد تصور عدد تلك الحيوانات التى مرت امامى فى ذلك اليوم ، ولم اتخيل فى يوم من الأيام أن العالم فيه تلك الكائنات الحية كلها . ولكن جدكم الشاب لم يجد صعوبة تذكر في منح كل كائن اسمه . اما اللغة ، التى اتحدثها بطلاقة مع اننى لم ادرسها فى أى وقت او مكان ، فهى لغة غنية غنى غير طبيعى ، تتمتع بوفرة لا محددة من التعابير. أضف إلى هذا ، اننى كنت عارفا بخصائص كل كائن وسماته دون أن أبذل أى جهد في التفكير ؛ فقد كنت انظر إلى الحيوان الواقف أمامى وأحدد سماته بكلمة واحدة ، أى أن الأسم الذى كنت أمنحه كان فى الوقت عينه تعريفا كاملا غير منقوص . لنأخذ مثلاً الحيوان الذى نطلق عليه فيما بعد " إيكفوس " باللغة اللاتينية ، و" إيبوس " باليونانية و" بغيرد " باللامانية (و" حصان " بالعربية) ، لقد منحت هذا الحيوان اسماً حدد أوصافه بدقة متناهية ، فله أربعة أطراف ، وعرف ، وذيل ، ويوضع فى فمه لجاما . حقا أنها لغه لا مثيل لها ! ومن دواعى الأسى أن تندثر يوما ما .

لقد كان استعراضى الكائنات الحية رائعاً ، وعندما وصفه بالروعة فذلك ليس كل شيء ، لأن ستعراضنا يضم مشهدا هزلياً ، يتمثل فى ظهور الأسماك. فتصور يارعاك الله ، إن بستاننا الذى يقع

على اليابسة بعيدا عن شواطيء البحار ، حيث لا توجد سوى الانهار، أى المياه العذبة ، وإذ بالأسماك البحرية تتلوى قافزة فى مياه دجلة والفرات كى تقدم نفسها لى ! مسكينة ، لا ريب أنها كانت تعانى آلاماً قاسية بسبب عدم وجود المياه المالحة. ولكن من حسن الحظ أن جدنا يهوه أستدرك الأمر وزاد اتساع انهار بستانى وإلا لما استطاع أى حوت الدخول فيها... وما أن أخذت أسمائها حتى ولت الأدبار مسرعة إلى المحيط . غنى القول إنه قد يوجد من لايصدق هذه القصة، فالكفرة سيرفضون حتماً . واضح أن الفقمة ، وفيل البحر ، والدب الأبيض ، والبطريق ، قد تمكنوا من الوصول إلى وادى دجلة والفرات للمشاركة فى الإستعراض ، فما بالك بقدوم الكنغر ، وخلد الماء ، والنعامة الأسترالية ، والفيل ، ووحيد القرن ، وفرس النهر ، والتمساح الأفريقى ، والببغاء ، واللاما ، والتمساح الأمريكى ، والانكنده الأمريكية الجنوبية ، و ... وماذا فى ذلك ؟ فلا مكان للنقد هنا ! فأنا اقسم أننى رأيت فى جنة عدن ، الفقمة ، والحيتان ، والثعالب ، والايائل ، حيوانات العالم كلها..

ويسأل المتعنتون : ولكن أجناس السمك الفريدة التى تعيش فى مختلف التجمعات المائية ، مثل سمك البايكال والسمك العجيب وايل الشرك الأقصى ، هذه كيف وصلت إلى هنالك ؟ لقد حصلت على إذن خاص من الله ، وجاءت جوا لتشارك فى العرض الذى أقيم فى عدن... فلتحل اللعنة على الكفرة الذين لا يقبلون هذا التفسير!

ولكن مالى أنا وهذا كله ؟ فى نهاية المطاف أنه لأسوأ بكثير بالنسبة لمن لا يصدقنى حينما أقول : إن الحيوانات كلها مرت أمامى، الفقريات ، الرخويات ، والزواحف . لقد أعطيت الجراثيم والحشرات كلها أسماء ، لكن الذى أثار دهشتى أكثر من هذه الكائنات كلها هو ، دودة طويلة ملساء خرجت منى أنا نفسى ببطء ، إنها كائن يثير الاشمئزاز ، هى نفسها التى سيطلق العلماء فيما بعد اسم " الدودة الشريطية الوحيدة " فما أن خرج هذا الكائن الأحمق منى حتى انحنى لى باحترام شديد ، وبعد أن منحته أسمه عاد ودخل

فى ثانية ، عبر الثقب الخلفى وأستقر فى داخلى ، وأننى لم أتحدث عن هذا الكائن المقرف إلا لأكون دقيقا فى سرد قصتى ، والحقيقة إننى لم أكن على علم بأن داخلى مسكون . ،

نظر آدم الى صورته فى الماء العذب ، الذى يملأ منبع الأنهار الأربعة العظمى ثم استرخى على العشب بتكاسل . ما أروع الحياة ! تمتم آدم وهو يتثاءب ويتمطى ، ثم سيطر عليه كسل لم يعرفه من قبل . ما هذا ! أنه لا يحس أى تعب كان ، فماذا يعنى هذا الاسترخاء ؟ أنه لايفهم شيئاً ، ولا يستطيع مقاومة هذا الاحساس الغريب المبهم : يلتحم الاثنان ببعضهما رغما عنه . آدم ينام . لقد كانت تلك أول حالة نوم فى تاريخ الانسان ، وبينما هو نائم ، مر العجوز يهوه على مقربة وألقى نظرة على ذلك الشاب الكسول النائم وقال لنفسه : الحقيقة أننى عندما اصنع شيئا أتقن صناعته؛ إنه شاب جميل ، بنيته قوية وسليمة ، اننى أكاد أقسم بأن هذا الشاب هو أنا نفسى قبل عدة مليارات من القرون . انحنى العجوز ولمس ساق آدم، فأجابه هذا الأخير بشخير أقوى . رائع ، تابع المعلم " الوهيم " : إذاً ليست سمة حاجة لاجراء تحذير عام . فآدمى مستغرق فى نوم عميق .. ولأن أحدا لايسمعنى الآن فمبقدوري أن اعترف بأننى لاحظت صباح هذا اليوم أنيأقوم أحيانا بعمل أخرق . فأين كان عقلى مثلاً عندما صنعت انسانا بغير رفيقة ؟ فلقد أعطيت كل حيوان ذكر أنثاه ، ما عدا استثناءات قليلة. فالدودة الشريطية الوحيدة ثنائية الجنس ، وهذا مفهوم ، فلو أنها عاشت زوجا لما سميت وحيدة (١٢) ولكن الانسان ليس دودة . إذاً ينبغى أن أصنع له رفيقة ، وسأصنعها من جسده نفسه. وعندما قال الرب الإله هذا : " أخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم أمرأة وأحضرها إلي آدم" (تكوين ٢، ٢١–٢٢) . اننى أستطيع أن أتخيل دهشة آدم عندما أستيقظ من نومه ورأى أمامة لعبة حية فاتنة..

ما هذا أيضا.. ؟ تسائل آدم . انها زوجتك . أجابه يهوه ، ولى

الشرف أن أهنئك يا سيدى بزواجك الشرعى منها ، والويل لك أن قلت أنها لا تعجبك !

الحقيقة يا جدى المبجل أنه لابأس بها .

ماذا تقول أيها الأحمق ؟ لابأس بها ! زوجة بغير حماة أيها المغفل ، انك محظوظ .

وتقول التوراة : إن آدم قال : " هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمي؛ هذه تدعى أمرأة ، لأنها من أمى أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمرأته ويكونان جسداً واحدا (تكوين٢، ٢٣-٢٤).

ويجدر بنا أن نعيد إلى الأذهان هنا ، أن القديس أوغسطين يؤكد على أن الله لم يعد ضلع آدم إلى مكانه ، أى أن الرجل بقى مشوهاً فاقداً أحد أضلاعه؛ ولكن أنه كان ضلعاً " كاذباً " كما لاحظ فولتير بسخرية ، لأن نقص ضلع حقيقى واحد يترك أثراً واضحاً ..

ويقول سفر التكوين أيضاً : " وكان كلاهما عريانان ، آدم وإمرأته، وهما لايخجلان " (تكوين ٢ ، ٢٥) . يفيدنا الشارحون الأتقياء هنا بأن ذلك العرى لم يستدع أى درجة من درجات الشعور بالخجل ، الأمر الذى يبرهن على نقاء والدينا الأولين ، ويعد علامة لكمالهما الروحى . ولكن ، إذا كان العرى هو علامة الكمال الأخلاقى كما يرى اللاهوتيون ، فإن هذا ينسحب أيضاً على بشر الثقافات البدائية كلها ، إضافة إلى الأينك الأمريكيين وبعض قبائل أفريقيا وسكان بولينيزيا وميلانيزيا وغيرهم ممن لم يكونوا يرتدون ملابس ، ومع ذلك عندما إستعمر الأسبان والبرتغاليون والفرنسيون والإنكليز شعوب البلدان المذكورة قضوا على القبائل المحلية التى كانت تعيش حالة نقاء تام ، وقد بارك كهنة المسيحية تلك المجازر ووجدوا المبرر النظرى لوحشية " المتحضرين " تلك ، ثم يؤكدون من جهة أخرى أن البرد هو الذى أرغم الناس على إرتداء الملابس، ولم يعش الناس عراة إلا فى المناطق الحارة . أضف إلى ذلك أنه عندما يكون كلهم عاريا لايخجل من العرى أحد ..(١)

ومن الغريب أن يجد لاهوتيونا المعنيون بتفسير التوراة ما يناقشونه هنا أيضاً. لقد رأى بعضهم ، خلافا للنص الذى سقناه هنا ، أن علاقة الحب تحققت بين أول رجل وامرأة عندما كانا فى الجنة. ويعتقد آخرون ، أن حواء التى خلقت لتوها كانت قد فقدت عفتها ، ويظن فريق ثالث ، ومستندا إلى النص المشار إليه ، أن آدم لم يفكر فى مضاجعة حواء قبل أن يطردا من الجنة. ولم يتوقف الخلاف عند هذا الحد ، فقد انقسم اللاهوتيون بعضهم ضد بعض للسبب المدهش التالى : إذا أعتبرنا أن التواصل الزوجى " بين أول انسانين " وقع أثر الخروج من الجنة ، فليس ثمة أسس تسمح أن تؤكد بأن ذلك وقع بعد لحظة الخروج مباشرة . إذا متى حدث ذلك ؟ متى بالضبط ؟ يبدوا أن هؤلاء السادة يريدون معرفة كل شىء ؛ فهذه الفئة من البشر تملك قدرا مذهلا من الفضول ، وخاصة بالنسبة لمثل هذه المسائل . انهم يؤكدون مثلا ، أن آدم أرجأ مواقعة حواء طيلة خمسة عشر عاما ، أو حتى ثلاثين عاما . بينما يؤكد فريق آخر ، بمنتهى الجدية ، أن آدم وحواء اتفقا على أنيمتنعا عن ممارسة الحب طيلة مائة عام تكفيرا عن اثمهما.

ولكن ، اتظنون أن هذا كل شىء ؟ اذا كنتم ترون الأمر هكذا فانتم لا تعرفون اللاهوتيون قط ! فقد اختلق بعضهم خرافة تقول : آدم عاش بتولاً على امتداد مائة وخمسين عاما ، وكان ذلك كأنه بسبب تلك " الثمرة المحرمة " ، وقد عاش طول الوقت المذكور مع المدعوة ليليت ، التى كانت مثله مصنوعه من طين . وولد منها عددا من الشياطين . وبعد انقضاء سنوات طويلة تزوج آدم حواء ، أى بعد أن رفع يهوه عنه عقوبة التفريق. وعندئذ بدأ ينجب أولاداً . وأخيرا هناك من الشارحين من يؤكد ان الشيطان عاشر حواء معاشرة الأزواج ، بعد أن طردت من الجنة. وفى مسألة الإنجاب عند حواء ، وجد اللاهوتيون مادة لا تنضب للتأملات الذهنية ، و الأبحاث العلمية " فناقشوا بالجدية كلها المسألة التالية : هل كان لكل من آدم وحواء سرة ، أم لا ؟

لا ريب أن هذه التفاصيل لا تثير إلا الضحك ، ولذلك سنتحول الآن إلى ماهو جدى وجوهرى ، فالجدى فى التوراة يثير المرح والضحك(٣٨).

يقول جيمس فريزر: " أننا لانستطيع ان نشك فى أن مثل هذه الأفكار الساذجة عن أصل الأنسان التى كانت مألوفة لدى الأغريق والعبريين والبابليين والمصريين القدماء قد انتقلت الى الشعوب المتحضرة القديمة عن طريق أجدادهم الهمجيين او المتبربريين فمن المؤكد ان مثل هذه الكائنات الدنيئة قد دبرت مكيدة لكى تحرم الإنسان من هذا الحق الذى لايقدر بثمن. وهذا النوع من الحكايات ينتشر انتشارا كبيرا فى انحاء العالم . وليس غريبا ان نجدها منتشرة بين الشعوب السامية . ويبدو ان قصة سقوط الانسان التى تروى فى الفصل الثالث من سفر التكوين تعد رواية مختصرة لهذه السطور البدائية فهى فى حاجة الى قليل من الاضافة حتى يكتمل تشابهها بمثيلاتها التى لا تزال القبائل البدائية تحكيها فى بقاع كثيرة من العالم . فالجزء المحذوف من الحكاية العبرية هو الذى يتمثل فى سكوت القاص عن ذكر أكل الحية من فاكهة شجرة الحياة . وما نتج عن ذلك ؟ فهل حصل هذا الحيوان على الخلود؟ على انه ليس من العسير علينا ان نفسر وجود هذه الفجوة فى الحكاية العبرية. واذا كان تفسيرى للقصة العبرية صحيحا فإننى ادع المنهج المقارن لكى يسد الفجوات فى التراث الفنى القديم بعد ان مرت عليه آلاف السنين ولكى يحتفظ على مافيه من سذاجة بدائية بالألوان البربرية المرحة التى خفضت من حدتها أو محتها يد الفنان العبرى الماهرة (٤٠).

ثانيا : علامة قابيل القاتل

يقول ليو تاكسل : " وكان هابيل راعيا للغنم ، وكان قابيل عاملا فىالأرض " تكوين٤،٢ ".

دعونا نعود الى مشهد الخلق لنرى من من ولدى آدم امتثل لرغبة يهوه عند اختيار مهنة حياته ؟ انه قابيل بالطبع ، لان يهوه أمر

الإنسان أن يحرث الأرض ويأكل من انتاج الحقل حصرا . أما هابيل فقد امتهن الرعي وتربية الحيوانات . واذا كان سرح بالغنم ، فانه لم يفعل ذلك ليمتع نظره بمرآها وهي ترعى، بينما هو يعزف على قيثارته ، لقد رباها ليستفيد من لحمها في غذائه. ومع ذلك فقد غدا هو بنفسه حبيب يهوه . ولذلك نرى أنه ينبغي التحفظ على السيد يهوه في احد المصحات ، وليس في صوامع الكنائس .

" وحدث بعد مضي بعض من الوقت ، ان قابيل قدم من اثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل ايضا من ابقار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب الى هابيل وقربانه ، ولكن الى قابيل وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابيل جدا وسقط وجهه " (تكوين ٤،٣-٥).

الحقيقة أن موقف يهوه هذا يثير الغضب ، لانه أظهر جورا وتعسفا واضحين : " فقال الرب لقابيل : لماذا اغتظت ؟ ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا ترفع وجهك ؟ وان لم تحسن فعند الباب خطيئه رابضة ، واليك اشتياقها ، وانت تسود عليها " (تكوين ٤،٦-٧).

بماذا أجاب قابيل يهوه ؟ نحن لا نعرف ، لان التوراة لم تقل شيئا في هذا الصدد. والحقيقة انه ينبغي ان نعترف بان اللغو المبهم الذى سيق الينا في السطر السابع ، يمكن أن يضلل أيا كان . فالإجابة لم تكن سهلة ، وقابيل لم يكن نبيا والا استطاع ان يقول ليهوه الخرف : لذا انت ياسيدى تفضل قرابين اللحم ؟ حسن ! لكنك بهذا تقدم مثلا حذا حذوك فيه كهنه الوثنية كلهم . إنك تكتشف عن ذوق سيلتزم به عبدة الأصنام كلهم وسيعلن أن هذا الذوق فظا لا يليق بالالهة ؛ وهل تعرف من سيعلن ذلك ؟ إنهم اتباع التوراة انفسهم خدم دينك !

لكن قابيل لم يجب بشيء. أنه ، وهو الذى يبذل جهدا جبارا لينتج افضل انواع اليقطين الذى قدمه قربانا ليهوه ، ثم رأى قربانا مرفوضا ، ادرك ان العجوز يسخر منه ، فاحس بطعنة عميقة أفقدته توازنه لبعض الوقت. وبدلا من ان يغضب من الإله الفظ الاحمق المزاحي ، انقض على أخيه وقتله.

" وكلم قابيل أخاه وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابيل قام على هابيل أخيه وقتله " (تكوين ٨،٤).

بإختصار ووضوح كان قابيل شابا عمليا سريع الحركة . فقد دعا أخاه الى نزهة فى الحقل ولما ابتعدا فيه افتعل معه شجارا سخيفا ثم رفع المجرفة وهوى بها على رأسة فقتله. وهكذا كان حبيب يهوه وحده أول البشر بادر إلى الموت.

ما الذى دار فى رأس قابيل بعد ذلك ؟ هل تـأثر لبشاعة الجريمة التى أرتكبها ؟ لا شيء من هذا قط ، بل تحول فى غمضة عين الى مجرم عريق ، الى محكوم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، أما ضميره فقد بقى هادئا غير معذب. لقد تكشف فلاحنا عن نذل غير عادى ، ووقح صفيق جرىء : " فقال الرب لقابيل : اين هابيل اخوك ؟ فقال لا اعلم أحارس أنا لأخى ؟ " (تكوين ٩،٤).

اليكم اللوحة : أطل الله من وراء الغيوم وسأل القاتل ، بينما كان هذا الأخير يتفل من بين اسنانه بهدوء وسكينة لا يتمتع بها الا مجرم محترف واثق من انه اخفى اثار جريمته كلها ، ووضع قرونا على رؤوس أجهزة التحقيق.

بيد ان يهوه لم يدع أى تفصيل من تفاصيل الواقعة يفوته؛ فقد كانت عينه الألهية حادة النظر في هذه المرة : " فقال ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض " (تكوين ١٠،٤).

أذاً ، عقاب قابيل سيكون صارما فقد لعنه يهوه قائلا : " متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها . تائها وهاربا تكون فى الأرض " (تكوين ١٢،٤). وهكذا حكم عليه بالتشرد ، والحرمان من سقف يأويه تحت ظله ، وبالبقاء تائها طيلة أيام حياته دون توقف. ولكن إذا كان قابيل لن يعرف فى تشرده وتجواله الإستقرار والراحة، فكيف سيمارس العمل الزراعى اذا ؟ إذ من المعروف ان هذا العمل يتطلب الإستقرار ، وكيف سيحرث الأرض ، حتى لو لم تعط ثمارا؟

لقد أخذ قابيل هذا كله على محمل الجد ، فذعر ذعرا شديدا ،

حتى أنه نسى أن الإنسانية كلها كانت تتألف عندئذ من ثلاثة أشخاص فقط، هو واحد منهم ، وأن أحداً لا يتربص به عند الزاوية ليقتلـه ! " فقال قابيل ليهوه : ذنبى أعظم من أن يحتمل ؛ إنك قد طردتنى اليـوم عن وجـه الأرض ، ومن وجهك أختفي وأكون تائهـاً وهارباً فـى الأرض ؛ فيكون كل من وجدني يقتلنـى " تكوين ٤،١٣-١٤) إلا أن غضب الرب سرعان ما تراجع ، وبعد أن فقد حس الواقعية ، أخذ قابيل تحت حمايته ضد القتلة الذين لا وجود لهم أصلاً . فإذا لم يكـن هذا كله مجرد هذيان ، فما هو إذاً ؟

" فقال له الرب : : لذلك كل من قتل قابيل ، فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقابيل علامة لكي لا يقتله كل من وجده " (تكوين ١٥،٤). هنا يخيل للقارئ أنه ستلي هذا النص قصص المغامرات التى وقعت لقابيل في أثناء تشرده . بيد أن شيئاً من هذا لم يقع . لأن ذاك " المتشرد " كـان قعيد بيت وحسب : " فخرج قـابيل من لـدن الرب ، وسكن فى أرض نـود ، شرقى عدن وعرف قـابيل أمرأتـه فحبلت وولدت حنوك . وكان يبنى مدينـة ، فدعـا اسم المدينـة كاسم ابنه " جنوك " (تكوين ٤ ، ١٦-١٧) . إذا ، لقد تـزوج قـابيل ، لكن المؤلف لا يقول من هي زوجته هذه ؟ فهل كانت لأدم وحواء بنات - ؟ ليس ثمـة لهذا السؤال سوى إجابـة واحدة هـي ، نعم . غير أن التوراة لم تجد أنهن يستحق الذكر ؛ وعلى أى حال ، لقد تزوج قابيل واحدة من أخواته ، ونحن لن نلومـه علـى ذلـك ، لأن سفاح القربـى كان إلزامياً فى أزمنة البشرية الأولى ، كما يفيدنا " الكتاب المقدس .

لكن ما يثير الدهشة فىهذا كلـه هـو ، المدينـة التـى بناهـا قـابيل . الحقيقة أن الكيل طفح الآن ! تصور يا رعاك الله ، أن متشرداً يبنـى مدينة ! من أين أتى بالعمال ؟ وما هى أدوات البناء التى اسـتعملها ؟ وأخيراً ، من أين جاء قابيل بالسكان لمدينته ؟ (٤١).

ويقول المؤرخ جيمس فريزر : " تقرأ فى سفر التكوين أن قـابيل لفظه مجتمعه عندما قتل أخاه هابيل وأصبـح بعد ذلـك هائمـاً شـريداً على وجه الأرض . ولما كن يخشى من أن يقتله أى فرد يقابله إحتج

على الرب لما آل إليه حظه العاثر . وأشفق عليه الرب كل الإشفاق إلى درجة أن جعل الرب لقابيل علامة لكى لا يقتله كل من وجده . فما هى العلامة التى ميز بها الرب أول قاتل على وجه الأرض ؟ وما الإشارة التى حددها له ؟ على أننا إذا سلمنا بأن مهمة هذه الشعارات والعلامات هى حماية حاملها فمازال هذا التفسير - إذا أرتضيناه بالنسبة لعلامة قابيل - لا يتلائم مع موقف قابيل تمام ذلك لأنه تفسير يتسم بالعمومية التامة . فإذا كانت العلامة من شأنها أن تحمى كل فرد من أفراد القبيلة سواء أكان قاتلاً أم غير قاتل ، فإن حوادث قصة قابيل فى مجموعها تنحو إلى أن تبرز لنا أن علامة قابيل لم يكن يحملها كل فرد من أفراد جماعة قابيل وإنما كانت خاصة بقابيل وحدة ، ومن ثم فنحن مضطرون لأن نبحث عن تفسير آخر (٤٢) . من حقنا أن نحكم على هذه العلامة مستعينين بعادات "دارين المشابهة لذلك فى الوقت الحاضر. فإن الرب يكون بذلك قد علم قابيل بعلامة حمراء أو بيضاء أو سوداء وربما مزج بين هذه الألوان ليكون منها لوناً مناسباً فعلمه به وربما لون جسمه كله بلون أحمر كما يفعل (الفيجيانيون) وربما لونه بلون أبيض كما يفعل (النجونيون) أو بلون أسود كما يفعل (الأرونتائيون) وربما لون نصف جسمه باللون الأحمر ونصفه الأخر باللون الأبيض كما يفعل (الساى) و(النانديون) وإذا كان الرب قد قصر جهده الفنى على وجه قابيل فربما رسم دائرة حمراء حول عينه اليمنى ودائرة سوداء حول عينه اليسرى مثل (الواجوجيون) أو ربما وشمه كما يفعل (الاسكيمو) و(التنجاويون) فى الأذن أو الأنف.

إن تفسير علامة قابيل على هذا النحو من شأنه أن يخلص القصة التوراتية من السخف الواضح فيها . فإن تفسير العلامة بأن الرب علم قابيل بها لكى يحول بينه وبين أن يقتل على يد أى إنسان أخر فيه إغفال لحقيقة أنه لم يكن على وجه الأرض من يقتله ؟ حيث أن الأرض لم يكن يعمرها ،آنذاك سوى القاتل ووالديه أدم وحواء أما إذا تبينا التفسير الذى مؤداه أن العدو الذى كان يخشاه القاتل هو شبح

القتيل وليس إنساناً حياً ، فإننا نتجنب بذلك التهاون الوقح المائل فى اتهام الرب بزلة فى ذاكرته . الأمر الذى لا يتلائم كلية مع صفات الرب العالم بكل شئ . ومن ثم يؤكد المنهج المقارن - مرة أخرى - أنه دفاع قوى فى حق الرب (٤٣).

ثالثاً : الطوفان الكونى

كتب المؤرخ ليو تاكسل تحت عنوان " الطوفان الكوني " : يتوخى سفر التكوين الحذر الشديد فى وصفه تفاصيل الجرائم والآثام التى اقترفها أحفاد آدم على الأرض فى أثناء معاشرة الملائكة نساء البشر. فهو يقول : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم " (٦،٥).

نقول دون مواربة ، إن أحفاد آدم تركوا الصلاة عند الصباح والمساء ، على أغلب الظن ، لأنه ما من شئ يجعل يهوه غاضباً إلى هذه الدرجة سوى الخلل بمواعيد الصلاة . وهذا ما يقوله لك كل كاهن . فمن ينسى أن يرفع الصلوات ليهوه فى مواعيدها معرض للسقوط فى الخطيئة كل حين . " فحزن الرب لأنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال : أمحوا عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى ندمت أنى خلقتهم " (تكوين ٦ ، ٦–٧) إذاً ، نه حزن يهوه ! وهو ليس حزناً عادياً يا صحبى ! أضف إلى هذا ، أن أسى العجوز كان عميقاً إلى درجة فقد فيها إتزانه الروحى والعقلى ، الأمر الذى قاده إلى قرار إبادة الحيوانات أيضاً ، علماً بأن هذه التاعسة لم تأثم ولم تفعل ما يغضبه . ويخيل للوهلة الأولى ، أن أبسط حل أمام الشيخ كان تغيير الناس ، إلا أنه آثر أن يميتهم غرقاً . ويجب أن نعترف بأن هذا الموقف لم يكن موقفاً أبوياً .

" أما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب " (٨،٦) . فقد كان الرجل " باراً كاملاً فى جنسه " (٩) لذلك جاء يهوه زائراً محذراً من الكارثة الوشيكة الوقوع . ثم منحة فرصة للخلاص ، " فقال الله لنوح :

نهاية كل بشر أتت أمامي ، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ؛ فها أنا مهلكهم من الأرض . أصنع لنفسك فلكاً من خشب الجفر ؛ وأجعل الفلك مساكن ؛ واطله من داخل ومن خارج بالقار واصنعه هكذا : ثلاث مائة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسين ذراعاً عرضه ، وثلاثين ذراعاً أرتفاعه . واصنع كوى للفلك ، وتكمله إلى حد ذراع من فوق ، وضع باب الفلك في جانبه ؛ وأجعل فيه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية . فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض ، لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ؛ كل ما في الأرض يموت. ولكن أقيم عهدي معك ، فتدخل الفلك أنت وبنوك وأمرأتك ، ونساء بنيك معك . ومن كل حي ، من كل ذي جسد أثنين ، من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك ، تكون ذكراً وأنثى من الطيور كأجناسها ، أثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها . وأنت خذ لنفسك من كل طعام يؤكل ، وأجمعه عندك ، فيكون لك ولها طعاماً ، ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله ، هكذا فعل " (تكوين ٦ ،١٣-٢٢).

لقد استمر بناء الفلك مائة عام (٢) . ولم يأذن يهوه لنوح أن يحذر باقى البشر من الخطر القاتل الزاحف اليهم . أى أن نوحاً وعائلته كانوا يعدون عدتهم فى الخفاء . ولا ريب أن الدهشة كانت ترتسم علي وجه القوم عندما كانوا يرون نوحاً يبنى فى الحقل فلكاً طوله ثلاثمائة ذراع ، أى حوالى مائة وخمسين متراً ، وهو طول سفينة كبيرة . وكان بعضهم يظن أن العجوز فقد عقله ، فيهزأ ويمشى أما نوح فكان يسمع سخرياتهم بصبر ويتابع عمله بأناة وتأن .

لن تبدو الأعوام المائة التى استغرقها بناء الفلك طويلة ، إذا تذكرنا أن آلاف الضرورات كانت مرتبطة بتلك المنشأة ، لكن التوراة لم تأت على ذكرها . فقد كان ينبغى على أبناء نوح الثلاثة ، على سبيل المثال ، أن يجوبوا بلاد العالم كلها ليأتوا بمختلف أنواع الحيوانات . وبما أنه كان ينبغى عليهم حماية أنفسهم داخل الفلك نفسه، من بطش الأسود والنمور والفهود والتماسيح ، وغيرها من الكواسر ، فقد كان عليهم أن يتقنوا فنون الترويض . وكان يجب

عليهم أيضاً ، أن يعدوا كميات كبيرة من الطعام ، بما فى ذلك اللحوم الضرورية لذاك العدد الهائل من الكواسر ؛ إضافة إلى الحبوب والثمار وما شابه.

وعلينا أن نفترض أن الخشب الذى صنع منه الفلك هو من أفضل أنواعه . لأنه إذا ما قرر أحدهم أن يصرف مائة عام على صنع سفينة ، فإنه لن يجد الخشب الذى يبقى سليماً حتى نهاية عملية البناء، ولتحولت مؤخرة السفينة إلى فتات متآكل عندما يصل البناؤون إلى مقدمتها. وهكذا تتحول العملية إلى أعادات متكررة ؛ فما هو نوع الخشب الذى استخدمه نوح يا ترى ؟ حتى الآن لا أحد يعرف . وعلى الرغم من أن التوراة تسميه خشب " الجفر" ، إلا أن أحداً لم يستطع أن يعترف على هذه الشجرة حتى الآن (٣).

عندما انتهى بناء الفلك قال يهوه لنوح : " ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك ، لأنى أياك رأيت باراً أمامى فى هذا الجيل " (تكوين ١،٧). وتبين تتمة الحديث ، أن يهوه نسى تعليماته السابقة ، فقد رأينا أن أمر العجوز بألا يأخذ معه سوى زوج من كل حيوان ، لكنه عاد وأدخل على خطته تعديلاً هاماً ، فى اللحظة الأخيرة ، فقال : " من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ، ذكراً وأنثى ، ومن البهائم التى ليست طاهرة ، أثنين ، ومن البهائم التى ليست طاهرة ، أثنين ، ذكراً وأنثى (٢،٧)(٤).

ولا تذكر لنا التوراة ما إذا كان يهوه قد أشار إلى نوح بعلامات التقسيم إلى " طاهرة " و " غير طاهرة " ، ولكن كتاباً آخر ينسب إلى موسى ، هو كتاب اللاوين ، يعدد الحيوانات التى يعتبرها اليهود " طاهرة " وتلك التى يعتبرونها " نجسة " (١١). " فالطاهرة " بين البهائم هى تلك المشقوقة أظلافها ، وتجتر ، بيد أن الجمل والأرنب يجتران لكن أظلافهما غير مشقوقة، ولذلك فهما حيوانان نجسان ؛ والخنزير أظلافه مشقوقة لكنه لا يجتر، فهو نجس . ومن الطيور النجسة ـ التى حرم يهوه أكل لحومها : النسر ، الحدأة ، العقاب ، الغراب ، النعامة ، البومة ، النورس ، البجع ، الرخم وما شابه.

وأعلن الإله الأب لنوح أن الطوفان سيبدأ بعد سبعة أيام . وكان ينبغي على الشيخ نوح أن يدرس التاريخ الطبيعي ليعرف ما إذا كان عليه أن يحمل معه سبعة غرانيق ، أو غرنوقين فقط ، فيلين أم سبعة فيلة ، أثنين من وحيد القرن أم سبعة ، أثنين من جاموس النهر أم سبعة ..

"وحدث بعد السبعة الأيام ، أن مياه الطوفان صارت علىالأرض. في سنه ستمائة في حياة نوح ، في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم أنفجرت كل ينابيع الغمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء " (تكوين ٧ ، ١٠-١١). يتضح من هذا النص ، أن الروح القدس واثق من وجود تجمع مائي كبير في الجانب الأخر من السماء ، فرغ من مياهه عبر فتحات : " وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. وفي ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث ، بنو نوح ، وأمرأة نوح وثلاث نساء بنيه، هم وكل الوحوش كأجناسها ، وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها ، كل عصفور ، كل ذي جناح " (١٢،٧-١٤) .

ياله من فلك ! إذا جمعنا الزمن المذكور في هذا الإصحاح وما يليه ، فسيتبين لنا أن نوحاً وعائلته وتلك الحيوانات التي أنقذها ، أمضوا في الفلك ٣٩٣ يوماً . ولكن اللاهوتيون لا يقولون لنا كيف تمكن ثمانية أشخاص أن يطعموا تلك الحديقة من الحيوانات كلها ، على امتداد أكثر من عام ، ويحافظوا على نظافة مرابطها . ويجب أن تطرح هنا أيضاً مسألة التكاثر ! إلى كم من اللحوم احتاج الأمر ! أي كمية هائلة من المواد الغذائية ! وأي عمل مضن كان على نوح وأفراد عائلته القيام به كي يحافظوا على نظافة الفلك !

ولما آن الأوان جاء يهوه بنفسه وأغلق أبواب الفلك : " وأغلق الرب عليه " (١٦،٧). وبعد أن تعاظمت المياه أبحرت السفينة " فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء ، خمس عشر ذراعاً في الإرتفاع ، تعاظمت المياه " (٩،٧-٢٠).

غنى عن القول : أنه يصعب كثيراً على المرء أن يتخيل ذلك الكم من المياه ، خاصة إذا ما أخذنا بالحسبان أن أعمق نقطة فى المحيط الهادئ (وهدة مارين) ، تزيد عن أحد عشر ألـف متر ، بينمـا أعلـى جبل فـى العـالم - جومولـو نغمـا (أيفريسـت) فـى الهمالايـا إرتفاعـه ٨٨٨٠ م فوق سطح البحر " فمات كل ذى جسد يدب على الأرض ، من الطيور والبهائم والوحوش ، وكل الزحافـات التـى كـانت تزحـف على الأرض ، وجميع الناس ؛ كل ما فى أنفه نسمة روح حياة ، من كل ما فى اليابسة مات . فمحا الله كل قائم كان إلـى وجـه الأرض ؛ الناس والبهائم والدبابات وطيور السمار انمحت مـن الأرض ؛ وبقـى نوح والذين معه فى الفلك فقط. وتعاظمت المـيـاه علـى الأرض مائـة وخمسين يوماً"(٧،٢١-٢٤) .

لقد كان السمك وحدة سعيداً فى ذلك الخضم المتلاطم! ولكن لكل شئ نهاية : " ثم تذكر اللـه نوحـاً وكل البهائم التـى معـه فـى الفلك وأجاز الله ريحاً على الأرض ، فهدأت المياه ، وأنسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء ، فأمتنع المطر من السمـاء ، ورجعت الميـاه علـى الأرض رجوعاً متوالياً . وبعد مائة وخمسين يوماً ، نقصت الميـاه ، وأستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليـوم السـابع عشر مـن الشـهر ، على جبل أرارات ، وكانت الميـاه تنقص نق والياً إلـى الشـهر العاشر ، فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال " (٨ ، ١-٥).

كم من العجائب المفاجئة فى هذه السـطور الخمسـة ! أولاً ـ اننـا سعداء بلقاء " ريح يهوه " اللطيفة ، مرة أخرى ، فبعد نهاية الخـراب الكونى ، لم يعد لها أى عمل ، وكـان شـارحوا التـوراة قد أدغموهـا " بروح يهوه " . " ففى البدء ، تقول التـوراة ، كـانت هذه الـروح ترف فوق وجه الغمر". أما الآن ، فلكى يجفف يهوه مياه الطوفان ، أطـق" الـروح القدس " (روح يهـوه) ، التـى يصفهـا الإنجيل بأنهـا " حمامة الل ه" (أو بطة اللـه ، إذا شئتم) ، وألقـى علـى عاتقهـا مهمـة مستحيلة وهى تجفيف مياه الطوفان . ونحن لا نرتـاب فـى أن الأمـر كـان يتطلب تدخل أحد أفراد " الثالوث المقدس " ، لأنـه لم يكـن

بمقدور أى ريح عادية أن تجفف ذلك الكم الهائل من المياه . وبما أن مستوى مياه الطوفان كان أعلى من جبال الأرض بخمسة عشر ذراعاً ، فقد توصلت بعض الحسابات إلى أن حجمها كان يساوى حجم إثنى عشر محيطاً أحدها فوق الأخر. وعليه فقد كان ذلك الطوفان العجيب أكثر تميزاً بين العجائب التى صنعها يهوه كلها ، لأنه بعد صنع المحيطات التى يدركها البصر عاد وقضى عليها بنفخة واحدة من فمه ! أى رنتان عند تلك " الحمامة " !

والعجيبة الأخرى التى يجب ألا نغفل الإشارة إليها هى : فى اليوم السابع عشر من الشهر السابع رسى فلك نوح فوق قمة ارارات التى يبلغ ارتفاعها ٨٠٠٠م ، أو القمم الاخرى فى (أمريكا الجنوبية وأفرقيا) ، فلم تظهر إلا فى اليوم الأول من الشهر العاشر ، أى بعد ستة أسابيع ؟ إنها لعجيبة حقاً !

وتضم رواية التوراة عن نهاية الطوفان أكثر قصص الغراب والحمامة سذاجة على الإطلاق ، لكنها لا تمثل أى أهمية بالنسبة إلينا، فقد أطلق نوح " الغراب " أولاً فطار ولم يحط إلا بعد أن جفت المياه عن الأرض ، " ثم أرسل الحمامة " ، لكنها لم تجد مكاناً لرجلها ، فعادت إليه ، إلى الفلك ، فعاد وأطلقها بعد سبعة أيام ، فعادت إليه تحمل ورقة زيتون بمنقارها . عندئذ علم نوح أن " المياه قد قلت على الأرض " . ثم تخبرنا التوراة بأن نوحاً كان قد بلغ عامه الـ ٦٠١.

وقال يهوه لنوح ، إنه آن الأوان ليخرج من الفلك . وخرجت الحيوانات والبهائم بنظام نموذجى ، على أغلب الظن . أضف إلى هذا ، أنه يجب أن نعتقد (وهذا ما لا تقوله التوراة) ، بأن المياه المالحة انفصلت عن العذبة فى الحال (عجيبة أخرى) ! لكى تتمكن الأنهار والبحيرات والبحار أن تعود إلى مجاريها ثانية ، كما كانت عليه حالها قبل ذلك ثم عادت الأسماك إلى المياه التى تلائم طبيعتها.

" وبنى نوح مذبحاً للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، من كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذابح ، فتنسم الرب رائحة

الرضى ، وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض ثانية من أجل الإنسان ، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضاً أميت كل حي ، كما فعلت " (تكوين ٨ ،٢٠-٢١).

وفي أثناء ذلك منح يهوه بركته لنوح وأبنائه ، وأجاز لهم أن يأكلوا كل طعام أخر ، إضافة إلى الحبوب والنباتات ." وبارك الله نوحا وبنيه " وقال لهم : أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، وليكن خوفكم ورهبكم على كل حيوانات الأرض ، وكل أسماك بحر : قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون طعاماً لكم ؛ كالشعب الأخضر دفعت اليكم الجميع ؛ غير ان لحماً بحياته ودمه لا تأكلوه ، فأنا أسترد دمكم أيضاً ، الذي فيه حياتكم ، أسترده من يد كل حيوان، ومن يد الإنسان ، وسافك دم الإنسان ، يسفك الإنسان دمه : لأن الله على صورته عمل الإنسان " (٩ ،١-٦) .

يتبين مما سبق عرضه أن للحيوانات روح ، وهي تسكن الدم ، ويبدو أيضاً أن يهوه لا يستطيع أن يتقبل قتل الإنسان ، لكن الإله التوراتي يتصف بسرعة نسيانه أقواله ، وسنرى كيف سيحرص اليهود على القتل . وبما أن العجوز يهوه التزم بعدم إغراق البشر بعد ذلك ، فإن الإتفاق يتطلب توقيعاً وتوقيعه هو ، قوس قزح ، الذي لم يظهر إلى الوجود إلا في ذلك اليوم المشهود . " وضعت قوسي " (٥) في السحاب ، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض ، فيكون متى انتشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب ، إني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً تهلك كل ذي جسد " (٩،١٣-١٥).

والحقيقة أنه كان لحذر يهوه الشرير هذا ما يبرره ، فالذاكرة كثيراً ما تخون أصحابها ، حتى وإن كان الإله يهوه نفسه ! ونلاحظ في هذا السياق ، أن النص المقدس يقول قوسي : " أنا وضعت قوسي ". وهذا يعني بوضوح ، أن قوس قزح لم يكن موجوداً قبل ذاك الحدث. وبما أن القوس قزح يتشكل من إنكسار الأشعة الشمسية وانعكاسها في قطرات الماء ، فمن الجلي أن الأرض لم تعرف

المطر كوسيلة للري خلال القرون الفاصلة بين خلق العالم والطوفان، أي أن الشجر والنباتات كانت تنمو تلقائياً ، إذ كان يكفيها العرق الذى كان يسيل من جباه البشر العاملين ، أو أن ذاك المتشرد قابيل الذى بنى المدن بنى أيضاً شبكات الرى الصناعى في أنحاء الأرض كلها ..(٤٤).

يقول المؤرخ جيمس فريزر : " لم يعنينى فى المقام الأول أن أتساءل عن صدقها أو كذبها وإن كان لا ينبغى إهمال هذا السؤال عند البحث عن موضوع نشأتها ، ومن ثم فقد تناولت هذه القصة من زاوية أخرى أى بوصفها تراثاً شعبياً . ومن المعروف منذ زمن طويل أن أساطير الطوفان الكبير الذى هلك فيه كل الناس على وجه التقريب تنتشر انتشار كبيراً فى جميع أنحاء العالم . وبناء على ذلك فقد حاولت أن أجمع الروايات المختلفة لهذه القصة وأن أقارن بينها لكى أرى ما تسفر عنه هذه المقارنه من نتائج . وقد روت كل شعوب العالم على وجه التقريب قصصاً عن الطوفان الكبير الذى أغرق الأرض ومن عليها فيما عدا رجلاً واحداً .

١- أسطورة الطوفان البابلية

أسطورة الطوفان البابلية أو بالأحرى السومرية هي أقدم أساطير الطوفان المدونة فى الأدب ، والتى دونها المؤرخ البابلى الأصل (بيروسوس) فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وكان يكتب مؤلفاته باللغة اليونانية . وفيها ظهر الإله (كرونوس) للملك البابلى العاشر (أكسيسوثروس) (٤٥) وقد أدمجت ضمن حوادث ملحمة (جلجامش) الشهيرة والتى ذاع صيتها حتى اليوم مكتوبة فى أثنى عشر نشيداً أو لوحاً ومحتوية على حكاية الطوفان الكبير فى لوحها الحادى عشر ، كما أعلن (جورج سميث) فى أجتماع (جمعية الآثار الإنجيلية) فى ديسمبر عام ١٨٧٢م . (٤٦)

فيما يرى جيمس فريزر أن قصة الطوفان البابلى لم تكن لها فى الأصل علاقة بالملحمة الشهيرة (جلجامش).(٤٧)

٢- أسطورة الطوفان العبرية

يجمع نقاد العهد القديم على أن أسطورة الطوفان العبرية كما هى مدونة فى سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين فى أصلهما ومتناقضتين تناقضاً جزئياً .

وقد مزج المؤلف بين القصتين لكى يكون منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل ومع ذلك فقد مزج المؤلف بينهما بطريقة فجة للغاية بحيث لا يفوت القارئ ما فيهما من تكرار وتناقض حتى وإن كان القارئ غير مدقق فى قراءته (٤٨) . وربما كانت المقارنة السطحية بين حكايتى الطوفان العبرية والبابلية كافية لأن تؤكد لنا أن كلتا الحكايتين لم تنشأ فى الأصل مستقلتين . بل من المؤكد أن أحداهما اعتمدت على الأخرى أو أنهما استمدا معاً من أصل واحد وتتعدد . وجوه الاتفاق بين الحكايتين حتى تشمل التفصيلات الجزئية بحيث لا يمكننا أن نرجع هذا إلى محض الصدفة (٤٩) . ويتعدد وجه الشبه بين الحكايتين البابلية والعبرية فى مجموعهما ، فإذا شئنا بعد ذلك أن نتعمق فى التفصيلات فإننا نجد أن الحكاية البابلية أقرب إلى الحكاية اليهوية منها إلى الحكاية الكهنوتية (٥٠).

فإذا كانت الحكايتان العبرية والبابلية عن الطوفان تتشابهان إلى هذا الحد فكيف يمكننا أن نفسر هذا التشابه ؟ إن الرواية البابلية لا يمكن أن تكون من الرواية العبرية لسببين :

أولاً : أن بينهما ما يقرب من احد عشر أو أثنى عشر قرناً من الزمان .

ثانياً : أن الحكاية العبرية فى جوهرها - كما لاحظ (تسيمرن) - تقضى بأن يكون البلد المشار إليه قابلاً لحدوث الفياضانات مثل بابل. الأمر الذى لا يدع مجالاً للشك فى أن الحكاية نشأت أصلاً فى بابل ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلسطين. ولكن إذا كان العبريون قد أخذوا حكاية الطوفان الكبير عن البابليين ، فمتى ؟ وكيف تم ذلك ؟ أننا لا نملك أدنى قدر من المعلومات عن هذا الموضوع . ومن ثم فإن الإجابة عن هذا السؤال لا تكون إلا عن طريق التخمين . ومن

المحتمل أن كتاب هذا المصدر قد تعرفوا على التراث البابلى أما عن طريق الروايات الشفوية أو المدونة ، وذلك فى أثناء أسرهم أو ربما بعد عودتهم إلى فلسطين (٥١).

أما الآن فسأكتفى بتقديم نتائجى العامة تاركاً للقارئ مهمة التأكد من صحتها أو تصحيحها أو معارضتها معتمداً على الشواهد التى زودته بها . ومن ثم فإننا إذا صرفنا النظر عن الحكاية العبرية عن الطوفان والتى تعد بدون شك مستقاه من الرواية البابلية . وإذا صرفنا النظر عن النماذج الحديثة التى تكشف بوضوح عن تأثير واضح للمبشرين المتأخرين أو عن تأثير مسيحى بصفة عامة . فإنى لا أعتقد فى أننا نملك أدلة قاطعة تعيننا على إرجاع أيه رواية من روايات الطوفان إلى الحكاية البابلية بوصفها أصلاً لها جميعاً (٥٢)

يقول المؤرخ أرنولد توبينى ج١ ص١٣٨ فى كتابه تاريخ البشرية: " أن بعض الأساطير الواردة فى التوراه - مثل قصة الطوفان - وهى ذات أصل سومرى وقد انتقلت عن طريق الأكديين والكنعانيين ".

رابعا : برج بابل

جاء في الإصحاح ١١ من سفر التكوين : ".. فتنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها . وقال الرب هو ذات شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل .. والآن لا يمنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك علي وجه الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة . لذلك دعي اسمها بابل. لان الرب هناك بلبل لسان كل الأرض .."

العبريون القدماء فسروا اختلاف اللغات التي تتحدث بها الأجناس البشرية المختلفة من خلال هذه الحكاية : " كان الجنس البشرى بأسره يتحدث لغة واحدة في بداية الحياة . ثم انتقل هؤلاء الناس بوصفهم بدو رحل عليّ هيئة قافلة كبيرة من جهة الشرق حتى وصلوا إلى سهول شنعار الفسيحة - أرض بابل - وهناك حطوا

رحالهم وابتنوا مساكنهم من الطوب . ولم يكتفوا ببناء المدينة بل رأوا أن يشيدوا برجا عاليا يصل إلي عنان السماء ليكون هذا البرج علامة لهم من ناحية وحتى لا يتفرق الناس علي سطح الأرض من ناحية أخرى . فبينما كانوايشيدون البرج هبط الرب من السماء ليبصر المدينة والبرج فساءه هذا المنظر وقال لهم " هاهم أولاء شعب واحد له لسان واحد " ويبدو أن الرب كان يخشى انه عندما يكتمل بناء البرج ويصل إلي عنان السماء يتسلقه الناس ويقضون مضجعه ولذلك فقد عزم الرب علي أن يقضي علي هذه الخطة في مهدها وقال : " لنهبط إلي الأرض ونبلبل لغتهم وفرقهم في الأرض ومن ثم كف الناس عن بناء المدينة والبرج وقد أطلق علي هذا المكان اسم بابل ومعناها البلبلة لأن الرب قد بلبل فيه لغات الناس جميعاً.

يقول المؤرخ ليو تاكسل : " يؤكد بعض اللاهوتيون برضى وثقة أن برج بابل كان قد بلغ ١٥٠٠ و ارتفاعاً عندما هدمه يهوه ، أي أنه كان أعلي بعشرات مرات من أعلي هرم مصري (هرم خوفو ١٤٧م) . لكن الأهرامات بقيت عصية علي الفناء ، ولم يبق من برج بابل أثر . فكيف أمكن اختفاء هذه المنشأة الجبارة دون أن تترك أي اثر يدل عليها ؟ ومرة أخرى ينسى " الروح القدس " أن ينبئ مؤلف سفر التكوين بهذا ؟

ثانيا : تحكي قبائل أفريقية حكايات عديدة تتشابه مع أسطورة برج بابل في وجوه محددة . كما يحكي في المكسيك عن بناء هرم (كولولا) حكاية شبيهه بحكاية الكتاب المقدس عن برج بابل . علي انه يبدو أن حكاية بلبلة الألسنة قد انتشرت في المكسيك بعد غزو الأوربيين لها بزمن قصير . كما عادت حكاية برج بابل وبلبلة الألسن إلى الظهور بين قبيلة (ميكير) إحدى قبائل (التبت البورمانية). كما أن هناك غير قليل من الشعوب حاولت أن تفسر اختلاف اللغات عن طريق حكايات لا تمت لحكاية برج بابل بسبب ، أو بأية حكايات أخرى تشبهها في تكوينها المعماري .

علي كل فمن بين المشكلات التي وقفت عقبة دون أية محاولة للبحث عن فجر تاريخ الجنس البشري مسألة اصل اللغة ، وهي من أكثر المسائل إثارة وأكثرها صعوبة . علي أن الكتاب الذين ضمنوا الفصول الأولي من سفر التكوين آراءهم الساذجة عن الأصول البشرية لم يذكروا شيئا عن الوسيلة التي يمكن أن يكونوا قد تصوروا أن الإنسان قد حصل بها علي القدرة علي الكلام البين ، بل تصوروا أن هذه القدرة كانت قاسما مشتركا بين الإنسان والحيوان علي حد سواء(٥٤).

خامسا : قطع العهد

جاء في الإصحاح ١٥ من سفر التكوين : " وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها . فقال أيها السيد الرب بماذا اعلم أني أرثها . فقال له خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة . فأخذها هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشقه . فنزلت الجوارح علي الجثث وكان إبرام يزجرها. ولما صارت الشمس إلي المغيب وقع علي إبرام سبات ، وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه .. في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا ".

ونلاحظ من خلال هذا الوصف أن الفزع الذي انتاب إبراهيم عند مغيب الشمس كان نذيرا بقدوم الرب الذي مر بين أجزاء الضحية في هيئة أتون يتصاعد منه الدخان أو شعلة من النار . وبهذا يكون الرب قد استجاب للتقاليد الشرعية التي كان يتطلبها قانون العبريين القدماء للتصديق علي العهد . ومما يؤكد كل التأكيد أن هذا كان هو النظام المتبع في هذه المناسبة تلك العبارة العبرية التي تستخدم في عقد عهد بين طرفين وهي " قطع العهد " . كما يؤكد هذا الاستدلال ما يشبه هذا في اللغة والطقوس الاغريقية . وذلك أن الاغريق يستخدمون عبارات شبيهة بعبارة العبريين كما يمارسون طقوسا شبيهة بطقوسهم . فهم يتحدثون عن " قطع اليمين " بمعنى القسم به .

وعن " قطع العهد " بمعنى عقد العهد ، وهذا التعبير الاغريقي مع التعبير اللاتيني والعبري مستمد بدون شك من عادة ذبح الضحية وشطرها بوصفها وسيلة لخلع المهابة علي القسام أو العهد .

ووفقا للأسطورة الاغريقية في حرب " طروادة " انه عندما كان (أغا ممنون) علي وشك أن يقود الاغريق إلي طروادة أحضر العراف (كلخاس) خنزيراً بريا إلي ميدان السوق وذبحه وشطره إلي شطرين شطر جهة الشرق وشطر جهة الغرب . ثم مر كل رجل شاهرا سيفه بين شطري الخنزير وهو يغمس طرف سيفه في دمه. وبهذا أقسموا علي عدائهم لـ" بريام " ملك طروادة.

ومثل هذه الشعائر التي تتبع عند القسم أو عند عقد معاهدة سلمية كانت تتبعها القبائل البربرية في الزمن القديم ، فقد اعتادت قبيلة (مولوسيانش) أن يقطعوا جسد ثور أجزاء صغيرة عن عقد معاهدة ، ويقسمون اليمين علي هذه الأجزاء علي أن لا ينقصوها ، وبالمثل فما تزال القبائل البدائية في أفريقية والهند تتبع مثل هذه الشعائر عند إعلان حالة السلم بين طرفين متنازعين وذلك من خلال ذبح كلب وشطره نصفين ويحمل كل شطر ممثل من الطرفين ويأتي رجلا ثالثا ويقول " ليقتل من ينقض هذه المعاهدة كما قتل هذا الكلب ".

وبناء علي ذلك فإذا صح تحليلنا لعهد وميثاق إبراهيم فإن الشعيرة التي قام بها تتكون من عنصرين متميزين وإن كانا متلازمين . أما العنصر الأول فهو شطر الضحية إلي شطرين ويفسر بنظرية الجزاء. وأما العنصر الثاني فهو مرور المتعاهدين بين أجزاء الضحية ويفسر بنظرية السر المقدس ، وكلتا النظريتين تكمل إحداهما الأخرى. كما أنهما معا تقدمان تفسيرا متكاملا لهذه الشعيرة التي كانت تتبع بين القبائل البربرية البدائية في مثل هذه الظروف وكان يتبعها المتعاهدون في المجتمع البدائي بقصد إنجاز عقد ملزم بين الطرفين المتعاقدين (٥٥) . علي أننا نتساءل هل كان الرب في حاجة ملحة لإجراء تلك الطقوس البدائية لعقد أواصر الرباط المقدس بينه وبين إبرام ؟

علي فرض الحاجة فهل يلقـي الـرب وفقا لنظريـة الجزاء جزاء مشابها لمصير الضحية المشطورة نصفين إذا ما حنث بـالعهد الـذي قطعه مع إبرام؟! يقول فريزر : ومن المؤكد أن هذا التفسير يبـدوا أنه التفسير الصحيح للشعائر التـي تتبعهـا بعض الشـعوب . وترجـع قدرة الضحية علي الجزاء إلى الدعوات التي تصحب ذبح الحيـوان . فذبح الحيوان يرمز إلي ذبح الحـانث بـاليمين أو بـالأحرى جـزء من سحر تقليدي يقصد به إلحاق الموت بـالمذنب جـزاء جريرتـه (٥٦). وإذا كان دم الحيوان يعد بديـلا لـدم المتعـاقدين أنفسـهم فكيـف يكـون الوفاء إذا حنث الرب في العهد الـذي قطعـه ؟! وذلـك وفقـا للنظريـة الثانية وهي نظرية التطهير والوفاء .. وإذا كان مصير هذه الفروض الرفض - وأظنه يكون - فما هي الفائدة العائدة من مرور الرب بين شطري الذبيحة بناء علي الرواية العبرية؟!

إن بقايا المعتقدات البدائية والعادات القديمة والطقوس الهمجية قد تركت - بلا شك بصمتها علي الروايات العبرانية .

سادسا : نظام وراثة الابن الأصغر

إن الروايات التي تتعلق بشخصية يعقوب تعد أكثر اكتمالا من تلك التي تتعلق بشخصية أبيـه إسحاق وجده إبراهيم. وهـي فضـلا عن ذلك، أكثر غنى في مادتها الفلكلورية. أي فيما تكشف عنـه من بقايا معتقدات وعـادات قديمـة . وقد كـان من الطبيعي أن تتجمع بشـدة الذكريات والخيالات حول شخصية الجد البطل الذي ينتسب إليـه بنو إسرائيل من ناحية الاسم أو من ناحية الدم (٥٧). وأود أن ألفت نظر القارئ إلي نقطتين في حكاية سفر التكوين:

أولاهما حق الابن الأصغر في إقصـاء أخيـه الأكبر عن ميراث الأب .

ثانيهما الوسيلة التي اتبعها الابن الأصغر في سبيل تحقيق غرضـه (٥٨).

فأما عن حق الإبن الأصغر في اقصاء أخيـه الأكبر عن ميراث

أبيه فأول ما يسترعي نظرنا أنه إذا كان يعقوب قد سلب أخاه الأكبر عيسو حقه مستغلا في بداية الأمر جوع أخيه ، فإنه لم يفعل إلا ما فعله أبوه إسحاق من قبل . ذلك أن إسحاق كان ابنا أصغر لإبراهيم وكان قد عزل أخاه إسماعيل من حقه في وراثة أبيهما إبراهيم .

وهذا الذي اتبعه يعقوب في معاملته لخاله لابان ولأبيه إسحاق ثم لاخيه عيسو إذا كان من المستطاع أن نسميه مبدأ . ويبدو انه اتبعه بعد ذلك مع أبنائه الكبار " لان يوسف كان ابن شيخوخته " . ولقد أبدى تفضيله ليوسف بطريقة أثارت الحقد في قلوب أبنائه الكبار الى درجة أنهم دبروا مؤامرة للقضاء علي يوسف . فالعاطفة التي أبداها نحوه أبوه والرداء ذو الألوان المتعددة كل هذا يؤيد أن يوسف كان احب أبناء يعقوب إليه . ولكننا نجد من ناحية أخرى أن اسم (بنيامين) أصغر أبناء يعقوب معناه (ابن اليمين) وهذا اللقب الذي يبرز بنيامين بوصفه صاحب الحق الشرعي في الإرث تؤيده الرواية المشهورة التي تحكي أن يعقوب عندما كان يبارك حفيديه ولدى يوسف فضل متعمدا حفيدة الأصغر (أفرايم) علي حفيده الأكبر (منسي) بأن وضع يده اليمنى علي رأس حفيده الأصغر (أفرايم) ويده اليسرى علي رأس حفيدة الأكبر (منسي) رغم معارضة يوسف لأبيه يعقوب : " ليس هذا يا أبي لأن هذا هو البكر . ضع يمينك علي رأسه فأبي أبوه وقال علمت يا بني ..." ومن ثم فإن الباحث الذي اخذ علي عاتقة الدفاع عن يعقوب وهو (يوسف يعقوب) يقول بحق أن يعقوب كان يتمسك علي الأقل في أثناء حياته بمبدأ تفضيل الأبناء الصغار علي الكبار وأنه كان يغفل هذا المبدأ عندما يجد انه لا يخدم أغراضه الشخصية وعليه فإن عادة ارث الابن الأكبر أو تفضيل الابن الأكبر علي أخوته قد تلت عند الإسرائيليين عادة حق ارث الابن الأصغر أو عادة تفضيله علي اخوته بوصفه وريثا لأبيه. وقد يتأكد هذا الفرض إذا رأينا أن عادة مشابهة لهذه العادة كانت تنتشر في بقاع كثيرة من جهات العالم مثل بريطانيا في قانون يعرف باسم " BOFOUGH ENGLISH " وفي فرنسا ويعرف بقانون" MAINETE "

كما في جنوب روسيا وغربها ، وكذلك في التشريع الروسي الأول (روسكايا برافدا) وقد شرع في عهد " باروسلاف " الأكبر . وأيضا في هنغاريا والذي يعرف بقانون الضواحي . وفي آسيا الجنوبية والشمالية الشرقية وفي القبائل الرعوية في أفريقيا.

لسنا في حاجة لأن نفترض أن يعقوب قد قام بهذه الشعائر الشكلية بقصد تدعيم موقفه من إرثه لأبيه وحرمان أخيه الأكبر منه وذلك لأنه إذا كانت عادة حق الابن الأصغر لاتزال رائجة كل الرواج في عصره ، فإنه كان يعد الوريث الشرعي لأبيه ولم يكن في حاجة لأن يقوم بتأدية شعائر معينة لاكتساب تلك الحقوق التي منحها لكونه أصغر أخوته . ولكن عندما حلت عادة حق الابن الأكبر في الإرث محل عادة حق الابن الأصغر في عصره متأخرا فربما رأى مؤرخ حياة يعقوب أن من واجبه تبرير حصول بطله علي تلك المنزلة التقليدية بأن نسب إليه تأدية الشعائر ذلك لأنها لم تكن مألوفة لديه. فقدمها بوصفها مجرد خدعة ماكرة . احتال بها يعقوب متواطئا مع أمه بقصد خداع أخيه وأبيه حتى لا يحصل علي البركة المقدرة شرعا له . ومن ثم فقد وصلتنا حكاية سفر التكوين في هذه المرحلة الأخيرة من سوء الفهم والتشويه وفقا لهذا الغرض الذي افترضناه(٥٩).

أما عن ثانيهما وهي الوسيلة التي اتبعها لتحقيق غرضه فقد تظاهر يعقوب لوالده - الأعمى - بأنه عيسو الأخ الأكبر وذلك بأن أرتدي ملابس أخيه وغطي يديه ورقبته بجلد جدي لكي يصطنع ملمس جلد أخيه الذي يكسوه الشعر . وقد قام بهذا الفعل بدافع التحريض من أمه التي ساعدته في القيام بهذا العمل الزائف بأن ألبسته ملابس أخيه من ناحية وغطت يديه ورقبته من ناحية أخرى . وبذلك نجح يعقوب في تحويل بركة أبيه إليه . تلك البركة التي كانت مقصودا بها أخوه . وبذلك أصبح خليفة لأبيه . ومن المحتمل أن هذه القصة تحتوى علي بقايا شعائر قانونية كانت تتبع عندما يصبح الابن الأصغر خليفة شرعيا لأبية بدلا من أخيه الأكبر (٦٠).

إن حكاية الخديعة التي ارتكبها يعقوب مع أبيه إسحاق تتضمن بقايا احتفال شرعي هو احتفال الميلاد الجديد من عنزة . الذي كان الناس يرون ضرورة اتباعه أو يرغبون في اتباعه أو يرغبون في اتباعه عندما يفضل الابن الأصغر في الحقوق علي حساب أخيه الأكبر الذي مازال علي قيد الحياة تماما كما يتظاهر الرجل الهندي في أيامنا هذه بأنه يولد من جديد من بقرة .. وذلك إذا شاء أن يسمو إلي مستوى اجتماعي أعلي من مستواه ، أو أن يعود إلي قومه الذين خسرهم إما نتيجة حظه العاثر أو بسبب سوء سلوك . وربما بسط هذا الاحتفال الغريب عند العبريين كما بسط عند " الأكيكيو " فأصبح يتمثل في ذبح عنزة ووضع قطع من جلدها علي الشخص الذي يعتقد بذلك أنه يولد من عنزة مرة أخرى . فإذا كان افتراضنا هذا صحيحا فإن كاتب قصة يعقوب في سفر التكوين يكون بذلك قد دون هذه الشعيرة القديمة وإن كان قد أساء فهمها في الوقت نفسه (٦١).

سابعا : يعقوب في بيت إيل

في سفر التكوين الإصحاح ٢٨ من فقرة ١٠ إلى ٢٢ ص ٤٥ للمؤرخ الإنجليزى جيمس فريزر عدة مآخذ على هذا النص :

أولاً : حلم يعقوب

وعند ذلك جلس يعقوب وقد أحاطت به الصخور الضخمة من كل جانب . ثم وضع رأسه على إحدى هذا الصخور كأنها وسادة وراح فى نوم عميق . فرأى فى منامة كأنه يبصر سلماً يصل ما بين الأرض والسماء وكانت الملائكة تتحرك عليه صاعدة هابطة . ثم أبصر الرب يقف بجانبه ويعده بأن الأرض التى تحيط به جميعاً ستصبح له ولذريته من بعده .

ثم هب يعقوب واقفاً وأخذ الحجر الذى يسند عليه رأسه ونصبه فى هيئة عمود وصب عليه الزيت . وأطلق على هذا المكان أسم (بيت أيل) أى بيت الرب .

ونحن نفترض أنه على الرغم من هول الرؤيا التى رآها يعقوب .

فقد أستأنف رحلته فى ذلك اليوم بروح عاليه بسبب الوعد الذى وعده به الرب . بل أن المنظر الطبيعى نفســه تغير فـى أثنـاء سيره وبدأ يأخذ مظهراً أكثر بهجة وأنشراحاً منسجماً فى ذلك مع آمالــه الجديدة التى يمتلئ بها صدره .

لاحظ النقاد أن حكاية حلم يعقوب قد حكيت فيما يبدو لكـى تفسر قدسية (بيت ايل) ذلك المكان البالغ فى القدم الذى ربمـا كـان يقدســة سكان أرض كنعان الأصليون قبل أن يغزوهـا العبريون ويستقروا فيها بزمن طويل . والإعتقاد فى أن الآلهة تتمثـل للإنسـان فـى رؤيـا وتكشف فى رؤياه وتكشف له عن إرادتهـا . اعتقـاد كـان ينتشـر فـى الزمن القديم ووفقاً لهذا الأعتقاد كان الناس يلوذون بالمعابد والأمـاكن المقدسة الأخرى وينامون هناك حتى تظهـر لهـم القوى العلويـة فـى رؤياهم تتحدث معهم . إذ كان من الطبيعى أن يعتقدوا أن الآلهـة أو أرواح الأشخاص المؤهلين أكثر مـا تتمثل لهـم فـى تلـك الأمــاكن المخصصة لعبادتها . على سبيل المثال محراب العراف(أمغياراوس) فـى مدينـة (ورويـوس) ومعبـد (أسـكولابيوس) الكبـير فـى مدينـة (البيداوروس) ومعبد شاطئ (لاكونيا) عند سلسلة جبال (تـايجبتوس) وهذه المعابد الأغريقية كـانت مهجعاً للمرضـى وفيهـا كـانت الآلهـة تكشف عن رغباتها إلى الناس عن طريق أحلامهم فى المنام وكذلك معبد (دريبوم) بمدينـة (أبوليـا) الإيطاليـة وكـانت معبـداً للعـراف (كالشاش) وأيضاً معبد (فانوس) بالقرب من شلالات (تيبور) (٦٢) .

٢) سلم السماء

رأى يعقوب فى منامه أن الملائكة تهبط وتصعد علـى سلم يصل بين السماء والأرض يختلف كل الأختـلاف عن أمـاكن النبـوة التى كانت تقع وسط الطبيعة الجميلة في كل من بلاد الأغريق وإيطاليا . والإعتقاد فى وجود مثل هذا السلم الذى تستخدمه الكائنات الإلهيـة أو أرواح الموتى يصادفنا فى بقاع كثيرة من أنحاء العالم . فعلـى سبيل المثال شعب (فرنادوبو) فى غرب أفريقيا وسكان (سيليبس الوسـطى)

عند نهر (ويمبى) وأيضاً سكان (سومطرة) وسكان (مدغشقر) حيث يعتقد (البتسيميسارراكيون) أن أرواح الموتى تصعد إلى السماء عن طريق سلم من الفضة وهذا السلم تستخدمه الأرواح السماوية فى تبليغ رسالات السماء إلى الأرض . على أن هناك سلالم حقيقية تختلف عن تلك السلالم المتخيلة ينصبها بعض الناس ليسهلوا عملية هبوط الآلهة والأرواح من السماء إلى الأرض كما يعتقد أهالى (تيمورلاوت) و(بابار) وجزر (ليتى) الهندية . ويكثر الحديث عن سلم فى كتابات أهرامات الجيزة وهى أقدم الكتابات المدونة فى العالم كان الملوك المصريون المتوفون يرتقون عليه إلى السماء .

بل أنه قد عثر على سلالم فى قبور الفراعنة لمساعدة الأرواح عن الخروج من قبور أفراعنة ومساعدة الأرواح على الصعود إلى السماء (٦٣).

٣) الحجر المقدس

ساد الإعتقاد فى أن الصخرة المنتصبة أو العمود هى بعينها التى وضع يعقوب رأسه المجهد بعد تجواله فى تلك الليلة الخالدة . وهى بعينها التى نصبها فى صباح اليوم التالى ذكرى لرؤياه . ذلك أن مثل هذه الأحجار المقدسة أو الأعمدة الصخرية كانت تعد فى العادة معابد مقدسة عند الكنعانيين والعبريين فى الزمن القديم وكثيراً منها قد اكتشفه الباحثون الأثريون فى أماكنه الأصلية وقد كانوا يعتقدون فى الأصل أن الرب كان يسكن حقا فى هذا الأحجار . وكان احساسهم بالرهبة من سكن الرب لهذه الأحجار هو الذى يخلع ليها قدسيتها . ومن ثم فقد أعلن يعقوب أن الحجر الذى نصبه فى بيت أيل ينبغى أن يكون بيت الرب .

وفكرة أن الرب يسكن الحجر أو أية قوة روحية أخرى تسكنه لم تكن فكرة غريبة على الأسرائيليين القدماء . بل كان يشاركهم فيها كثير من شعوب العالم . فقد كان العرب الجاهليون يعبدون الأحجار وسكان (٦٥) (ثيسبيآى) فى مدينة (بويوتيا) وسكان (الاينانيون) فى مدينة (ثيسالى) ، كما كان للإله (توريا) فى جزر (ساموان) ضريح

على شكل أملس يقع داخل غابة مقدسة وكذلك أهالى (بوسوجر) فـى أفريقيا الوسـطى ومنـاطق (هولـم) (إيسـت سـايد) (وسكورى بريك) بجوار مدينـة (بورتـرى) باسـكتلندا وبعـض الأحيـاء الجبليـة فـى النرويج. فقد أعتاد الاسكتلنديون صب قربان اللبن علي الصخور كما اعتاد النرويجيين طلاء الأحجار بالزبد .

وتذكرنا هذه العادات بما صنعه يعقوب عندما صب الزيت علي الحجر الذي نصبه إحياء لذكرى الرؤيا التي رآها في بيت آيل . وتعد هذه الأسطورة أصدق دليل علي تقديس الحجر. ومـن المحتمل أنها تشير إلي عادة قديمة هي عـادة طـلاء الحجر الذي يوضـع فـي المكـان المقدس بـالزيت . ومـن المؤكـد أن عـادة طـلاء الأحجـار المقدسة بالزيت تنتشر علي نطاق واسع في جميع أنحاء العالم(٦٤).

ولعله من المعقول في ضوء هذه الموازنات أن تفـترض أنـه كـان يوجد في بيت أيل حجر مقدس تعود المتعبدون منذ زمن بـالغ فـي القدم أن يصبوا فوقه الزيت . لأنهم كـانوا يعتقدون بحق أنـه بيت الرب (بيت أيل) أي أنـه كـان مـأوى لـروح مقدس . ويعزى هذا الاعتقاد وتلك العادة إلي الوحي الذي ظهر ليعقوب فـي هـذا المكـان قبل أن يتكاثر نسله ويستوطن هذه الأرض بزمن طويل . علي أننا لا نستطيع أن نحدد ما إذا كـانت قصـة يعقوب تعد روايـة متوارثـة لحادثة حقيقية . أم أنها وضعت لتفسير قدسية هذا المكـان الـذي كـان يرتبط بهذه العادة من قبل ؟! ومن المؤكد أن عبـارة (بيت أيـل) أو بيت الإله كـانت اسما مألوفا لأحجار مقدسـة عن نـوع معين كـان موجود في فلسطين . وكمـا استعارتها الروايـة العبريـة فقد استعار الإغريق هذه العبـارة أيضـا وحوروهـا إلـي (بيتيـل وس) وكـانت ترتبط بآلهة مختلفة سماها الإغريـق (كرونـوس) أو (زيـوس) أو (الشمس) ، فكانت هذه الأحجار المنتصبة أو الأعمدة الخشنة يسميها العبريون (ماسيبوث) وكانت ملحقة بمعابد الكنعانيين والإسـرائيليين المبكرة . ويمكننا أن نفترض أن الحجر المقدس الذي قيل إن يعقوب قد نصبه في بيت أيل وطلاه بالزيت كان شبيها بتلك الأحجار . ومـن

المحتمل كذلك أن نسل يعقوب كان يتقرب إلي هذا الحجر علي هذا النحو طيلة عصور طويلة من بعده (٦٦).

ثامنا : صخرة الشهادة

جاء في الإصحاح ٣١ من سفر التكوين من فقرة ٤٤ إلى ٥٤ ص٥٢". فالآن هلم نقطع عهداً أنا وأنت ، فيكون شاهدا بيني وبينك فأخذ يعقوب حجراً وأقفه عموداً . وقال يعقوب لأخوته التقطوا حجراً . فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك علي الرجمة. ودعاها لابان يجر سهدوثا . وأما يعقوب فدعاها جلعيد . وقال لابان هذه الرجمة هي شاهدة بيني وبينك اليوم .."

اتفقا يعقوب ولابان علي أن يرحلا في سلام من قبل أن يصلا إلي إشهار السيوف في وجه بعضهما البعض . فأستأنف يعقوب رحلته بغنيمته الكبيرة وعاد لابان خاوي الوفاض إلي أهله . ولكنهما قبل أن يفترقا نصبا حجرا كبيرا علي نحو ما ينصب العمود . وجمعا فوقه ركاما من الأحجار الأقل حجما . وأكلا الخبز معا وهما جالسان أو واقفان فوق هذا الركام . ومن شأن هذا الركام أن يشير إلي الحدود التي لا ينبغي أن يتعداها كل منهما بهدف إيذاء الطرف الأخر . وفضلا عن ذلك فإن هذا الركام كان بمثابة شاهد عليهما عندما يرحل كل منهما في طريقه . لهذا فإن العبريين والسريانيين يطلقون عليه اسم (نصب الشهادة) . وفي نهاية الاتفاق قام الطرفان بذبح الضحية وتناولا وجبة عادية ثم عاد كل إلي خيمته وقد انتهيا إلي الصلح . وإن كان صلحا زائفا.

إن هذا النصب كان بمثابة إجراء وثيقة في هيئة حجر وضع عليه الطرفان المتعاهدان أيديهما حتى اذا نقض أحدهما العهد عوقب الخائن . فالنصب الحجري لم يكن ينظر إليه بوصفه مجرد كومة من الأحجار . بل بوصفه شخصا أو روحا قويا أو إلها ينظر بعين اليقظة إلي الطرفين المتعاهدين ويذكرهما . ويتضح هذا من خلال الكلمات التي وجهها (لابان) إلي يعقوب عند إتمام شعائر العهد

فيما بينهما فلقد قال له : " ليراقب الرب بيني وبينك حينما يتواري بعضنا عن بعض أنك لا تذل بناتي ولا تأخذ نساء علي بناتي. ليس إنسان معنا . أنظر الله شاهد بيني وبينك " . ومن ثم فقد سمي هذا الركام باسم " برج المراقبة " (المصفاة) بالعبرية كما سمي (صخرة الشهادة) لأنه كان يقوم مقام الرقيب والشهد معا . وينتمي الحجر المنتصب وركام الأحجار اللذان حكت عنهما هذه الأسطورة المثيرة بدون شك إلي طبقة الآثار الحجرية الطبيعية التي لا تزال ترى بكثرة في المنطقة التي تقع فيما وراء نهر الأردن بما في ذلك جبل جلعاد حيث كان الفراق بين يعقوب ولابان كما تحكي القصة (٦٧).

ومن المحتمل أن تناول الطعام فوق الأحجار يقصد به التصديق علي العهد. وربما استطعنا أن نستوضح السبب في الاعتقاد أن تناول الطعام علي الأحجار يعد تصديقا علي العهد من خلال عادة نرويجية كما وصفها المؤرخ الدانماركي القديم (ساكسو جراما تيكوس) . وفي الهند عندما يحتفل (براهماني) بزواجه يجعل الزوج زوجته تطأ بقدمها اليمنى علي حجر الرص وهو يصيح بها : " لا تطئ بقدمك هذا الحجر ولتكن صلابتك من صلابته ولتتغلبي علي الأعداء وتطئيهم بقدميك " . وفي أثينا وقف عليه الرؤساء التسعة عندما أقسموا أن يحكموا بالعدل وفقا للقوانين . وشبيه بهذه العادات عادات تتبعها أجناس بدائية تعيش في أفريقيا والهند .

ويبدو أن التفكير السحري والتفكير الديني قد تداخلا في حكاية العهد الذي تم بين يعقوب ولابان عند ركام الأحجار كما تروى في الكتاب المقدس (٦٨).

تاسعا : يعقوب يصارع الله

جاء في الإصحاح ٣٢ سفر التكوين من الفقرة ٢٤ إلي ٣١ ص ٥٤ : " فبقي يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذه يعقوب

في مصارعته معه . وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني . فقال ما اسمك؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان " فنيئيل " ، قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي .."

كان الوقت ليلا . وكانت ليلة من ليالي الصيف يسطع فيها القمر علي وادي نهر يبوق الكبير أو النهر الأزرق كما اصطلح علي تسميته اليوم ، بما ساعدنا هذا المنظر علي تصور المغامرة الغريبة التي خاضها يعقوب عند عبوره النهر . ومهما يكن الأمر فقد بدا ليعقوب رجل أخذ يناضل مع يعقوب طوال الليل حتى بزغ الصباح وأخذ ضوءه يتسرب إلي ذروة الغابات التي تنتشر في اعلي جوانب الوادي فوق الرجلين المتصارعين في ظلال الوادي ثم نظر هذا الشخص الغريب إلي أعلي وأبصر الضوء فقال ليعقوب : " أطلقني لأنه قد طلع الفجر " ، ولكن يعقوب تعلق بالرجل الغريب وقال له : " لا أطلقك إن لم تباركني " ، وعند ذلك سأله الرجل الغريب عن اسمه وعندما ذكر يعقوب اسمه أجابه هذا الشخص قائلا : " لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " ، ولكن عندما استفسر يعقوب عنه قائلا : " أخبرني باسمك " ، رفض هذا الرجل أن يذكر اسمه ولكنه منح يعقوب البركة التي طلبها واختفي . وعند ذلك أطلق يعقوب علي هذا المكان اسم (فنيئيل) أي وجه الرب ، فلقد فسر هذا الاسم بقوله " لاني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي ".

والقصة علي هذا النحو تبدو غامضة ، ومن المحتمل أن مؤلفي سفر التكوين قد اغفلوا بعض ملامحها الأساسية عندما اشتموا فيها رائحة الوثنية . ومن ثم فإن أي تفسير لها إنما يعتمد علي الفرض . ولكننا إذا ربطنا هذه القصة بالملامح الطبيعية للمكان الذي جرت فيه حوادثها من ناحية ، وإذا ربطناها بالأساطير الأخرى المشابهة لها

من ناحية أخرى فإننا نفترض بادئ ذي بدء أن هذا الغريم الغامض الذي تصارع معه يعقوب هو روح النهر أو شيطان النهر وان صراع يعقوب معه كان من أجل انتزاع البركة منه . وهذا يفسر سبب تخلف يعقوب عن قافلة النساء والأطفال وقطعان الماشية وبقاءه وحده في الظلام في مخاضة النهر.

ومن الأساطير المشابهة لهذه القصة ما يحكي أن (مينيلاوس) قد أمسك علي هذا النحو بإله البحر (ثيتيس) واتخذها زوجة له . وكذلك حول إله النهر (أشيليوش) نفسه إلي حية ثم إلي شبح لكي ينفلت من البطل الجرئ (هرقل) الذي امسك به لكي يستوي علي (ديجانيرا) الجميلة .

وكل هذه الأساطير المشابهة لأسطورة يعقوب تؤكد أن غريم يعقوب في الرواية الأصلية لهذه الحكاية قد حاول أن يغير شكله لكي يهرب من أسره اللحوح . وقد يكون إله النهر نفسه هو خصم يعقوب وقد استطاع (ميداس) ملك (فريجيا) أن يمسك بهذا الإله في لحظه ضعف وكان معه عادة كثير من الشعوب استرضاء أرواح الأنهار التي تخشى لخطورتها وتقلبها ، وينصح (هيزيود) كل من يعبر النهر قائلا " عليك قبل أن تعبر النهر أن تنظر إلى المياه الجارية وان تصلى وتغسل يديك لان من يخوض النهر دون أن يغسل يديه فإنه يتعرض لغضب الآلهة . وتعتقد قبائل (البانتو) التي تسكن أفريقيا الجنوبية الشرقية أن الأنهار تسكنها الشياطين أو الأرواح الشريرة (٦٩) .

ويمدنا سفر التكوين وفقا لهذه النظرية بقانون ديني لعادة كانت ترتكز في الأصل على عقيدة سحر المشاركة وحدها . وحكاية صراع يعقوب مع الشيخ الذي ظهر له في الليل بقصد انتزاع البركة من خصمه المتمنع قبل الغسق لها ما يناظرها في خرافات المكسيكيين القدماء ، ولها ما يماثلها لدى بعض القبائل الهندية التي تسكن أمريكا الشمالية (٧٠) .

وبعد .. فقد فتحت الدراسات الفولكلورية الشعبية الباب على مصرعيه أمام تطبيق المنهج المقارن لدراسة التراث العبري القديم مقابلة بنظائره عن القبائل الهمجية من المعتقدات البالية التي تنتمي إلى العصور البدائية والتي يحتفظ بها العهد القديم وكأنها حفريات منقرضة ، مع تتبع الآثار الهمجية والخرافية التي تنتشر في صفحاته. وقد أردفت هذه الدراسة بما توصل إليه اشهر النقاد فيما يختص بتأليف أسفار العهد القديم من المتناقضات الجلية والتي لا يمكن أن تقبل تفسيرا منطقيا أو تاريخيا معقولا إلا في ضوء هذه النتائج . وقد ذكرت بعض المآخذ الهامة على سفر التكوين فقط - على سبيل المثال - دون بقية أسفار الكتاب المقدس . وما ترك أضعاف ما ذكر . والتي تضمنتها الدراسة المستفيضة للمؤرخ الإنجليزي جيمس فريزر في كتابه " الفولكلور في العهد القديم " عام ١٩١٩م والمؤرخ (روبرتسن سميث) في كتابه (ديانة الساميين RELIGION THE SEMITES) عام ١٨٩٤م .

ملاحظات النقاد

لقد رأيناه فيما سبق أن التوراة تحتوي على أخطاء ذات طابع تاريخ وذكرنا بعض هذه الأخطاء مما اكتشفه عدة مفسرين يهود ومسيحيين. وينزع المفسرون المسيحيون بشكل طبيعي إلى التقليل من أهمية هذه الأخطاء ويرون أن طبيعي تماما أن يقدم الكاتب الديني أمورا تاريخية بحسب وجهه النظر الدينية . هم يكتبون التاريخ ؟ اذن حسب مقتضيات الحال . وسنرى فيما بعد بالنسبة إلى إنجيل متى نفس هذه التصرفات إزاء الواقع ونفس التعليقات التي تهدف إلى فرض ما يناقض الحقيقة كحقيقة أن الروح الموضوعي والمنطقي لا يمكن أن يرضي بهذه الطريقة في العمل ، ومن زاوية المنطق يمكن أن نتبين عددا كبيرا من المتناقضات والأمور غير المعقولة في التوراة (٧١) . لان الوحي يختلط بكل هذه الكتابات ، لكننا لا نملك اليوم إلا النصوص إلى خلفها لنا الكتاب الذين عالجوا

النصوص على سجيتهم وحسب الظروف التي عاشوها والضرورات التي كان عليهم مواجهتها .

وعندما نقارن هذه المعطيات الموضوعية بتلك التي تكشف عنها مقدمات الكتب المقدسة المخصصة للعامة ، ندرك أن هذه المقدمات تسوق الأمور بشكل مختلف . فهي تسكت علي الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب المقدسة كما أنها تحتفظ بغموض يضلل القارئ وتقلل من شأن أمور أخري إلي درجة أنها تعطي فكرة خاطئة عن الواقع الذي حدث فعلا . وهكذا تشوه مقدمات كثير من الكتب المقدسة الحقيقة . بل إنه اذا كانت هناك كتب قد أصابها التعديل برمتها وعدة مرات مثلما حدث لأسفار موسى الخمسة ومع هذا يكتفي كتاب هذه المقدمات فقط بالإشارة إلي أن تفاصيل كثيرة أضيفت بعد تحرير النص ، بعضهم يزج بمناقشات تخص فقرة عديمة الأهمية في هذا السفر أو ذاك ويسكتون للأسف علي أمور حيوية جدا تستحق دراسات طويلة، وإنه لما يؤسف له حقا أن يحتفظ عامة القراء بمعلومات عن التوراة يسمها الخطأ إلي هذا الحد (٧٢).

ويثير الدهشة حقا تنوع ردود الأفعال لدى المعلقين المسيحيين إزاء هذا الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة .

أ) بعضهم يقبل بعض الأخطاء ولا يتردد في مواجهة المسائل الشائكة فيما يكتب .

ب) البعض الآخر يصرف النظر برشاقة عن دعاوى غير مقبولة ويتقيد بالدفاع كلمة كلمة عن النص ويحاول الإقناع عن طريق تصريحات مديحية ، مستعينا في ذلك بحجج كثيرة غير متوقعة في غالب الأحيان ، يأمل بذلك أن يضفي ضباباً من النسيان علي ما يرفضه المنطق .

فمثلا الأب ديفو في مقدمة ترجمته لسفر التكوين يقبل وجود هذه الانتقادات. بل يفيض حتى في البحث عن وجاهتها ، ولكن إعادة بناء أحداث الماضي هو عديم الأهمية في رأيه . ويقول في ملاحظاته إنه

إذا كانت التوراة قد استأنفت ذكريات طوفان واحد مخرب - أو أكثر من واحد- وقع بوادي دجلة والفرات وإنه إذا كان التراث قد ضخم أبعاد كارثة عالمية بأن ذلك لا يهم - إنما جوهر المسألة هو أن الكاتب الديني قد حمل هذه الذكرى بتعاليم أزلية عن عدل ورحمة الله وعن خبث الإنسان والخلاص الممنوح للعادل ، بهذا يبرر لتحول أسطورة شعبية إلى حديث إلهي المستوى ليعرض بعد ذلك علي إيمان البشر ، ويتم هذا ابتداء من اللحظة التي يستخدم فيها كاتب ما الأسطورة باعتبارها تصوير لدرس ديني . إن هذا الموقف المديحي:

١) يبرر كل تعسفات البشر فيما يختص بالأمور الإلهية .

٢) يغطي تعديلات البشر لتأليف نصوص التوارة .

إن كل تعديل يصبح مشروعا طالما كان هناك مرمي ديني . بهذا الشكل تبرر تعديلات كتاب القرن السادس (الكهنوتيين) ذوى الاهتمامات التشريعية التي أدت إلى تلك الروايات الوهمية التي مرت بنا والتي نعرفها . لقد رأي عدد كبير من المعلقين المسيحيين انه من اللباقة أن يشرحوا الأخطاء والأمور غير المعقولة وتناقضات روايات التوارة وذلك بتقديم الاعتذار الذي يقول إن كتاب التوراة كانوا معذورين في تقديم تصريحات ترتبط بعوامل اجتماعية لثقافة أو لعقلية مختلفين ، وذلك ما أدى إلى تعريف " الأنواع الأدبية " الخاصة .

إن إدخال هذا التعبير في جدلية المعلقين الدقيقة تغطي عندئذ كل المصاعب، إن شرح أي تناقض بين نصين يكمن عندئذ في الفرق بين طريقة كل كاتب في التعبير وفي طريقته الأدبية الخاصة ، ولا شك أن الحجة ليست مقبولة لدى الكل فهي تفتقد فعلا الجدية .

برغم ذلك فهي لم تقع بعد تماما في غياهب النسيان في عصرنا ، وسنرى بالنسبة للعهد الجديد كيف يحاول البعض اعتسافا شرح متناقضات صارخة في الأناجيل كما هي في العهد القديم .

وهناك طريقة أخرى في إقناع الناس بما يرفضه المنطق إذا ما

طبق على النص موضوع النزاع ، وهي إحاطة النص المقصود باعتبارات مديحية وبذلك ينحرف انتباه القارئ عن المشكلة الأساسية الخاصة بحقيقة الرواية ليتجه نحو مشاكل أخرى . إن تأملات الكاردينال دانيلو DANIELOU عن الطوفان التي ظهرت بمجلة (الله الحي DIEU VIVANT) تحت عنوان " الطوفان والتعميد والحكم " تنتمي إلي هذه الطريقة في التعبير . يقول دانيلو : " رأي التقليد الكنسي الأقدم في لاهوتية الطوفان صورة للمسيح وللكنسية إنه حدث ذو دلالة عظيمة وحكم يقع علي الأمة البشرية برمتها " . ويستشهد الكاردينال (بوريجين) ORIGENE الذي يذكر في مواعظه عن حزقيال HOMELIES SUR EZECHIEL غرق العالم برمته وإنقاذ السفينة له ، وهو يذكر بعد ذلك قيمة الرقم ٨ الذي يعبر عن عدد الأشخاص الذين أنقذتهم السفينة : (نوح وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث). وهو يأخذ علي عاتقه ما كتب (جوستين) في كتابه (الحوار DIALOGUE) : لقد وهبوا رمز اليوم الثامن الذي فيه ظهر مسيحا مبعوثا من بين الموتى إن نوحا هو الوليد الأول لخلق جديد إنه صورة للمسيح الذي حقق ما يمثله نوح (كذا ؟) . ويتابع المقارنة بين نوح من جانب والذي انقده خشب السفينة والماء الذي يجعلها تطفو ومن جانب آخر ماء التعميد (ماء الطوفان الذي منه تولد بشرية جديدة) وخشب الصليب ، وهو يؤكد علي قيمة هذه الرمزية، ويختتم بالتأكيد علي " الثراء الروحي والعقدي لسر الطوفان" (كذا ؟).

هذه التقريبات المديحية تدعوا إلي كلام كثير . وعلينا أن نذكر مرة أخرى أنها تعلق علي حدث يستحيل الدفاع عن صحته علي المستوى العالمي ومن العصر الذي تقع فيه التوارة . فمع تعليق كتعليق الكاردينال (دانيلو) نعود وراء إلي القرون الوسطي حيث كان النص يقبل كماهو وحيث لم يكن هناك مكان لأي بحث غير تقليدي .

ومع ذلك فإنه مما يبعث علي التشجيع أن نلاحظ أن الفترة السابقة

علي عصر الظلام المفروض قد شهدت مفكرين اتخذوا مواقف منطقية مثل (القديس أوغسطين AUGUSTINE) الذي ينحو في التفكير بطريقة تسبق عصره بشكل فريد (٧٣).

وعلي العكس من ذلك يجتهد المتخصصون في عصرنا في الدفاع عن نص التوارة أمام أي اتهام بالغلط ، ويعطينا الأب ديفو في مقدمته لسفر التكوين الأسباب التي تدعو إلي هذا الدفاع عن النص بأي ثمن حتي ولو كان واضحا أنه غير مقبول تاريخيا أو عمليا. إنه يطلب إلينا ألا ننظر إلي التاريخ في التوراة حسب قواعد النوع التاريخي الذي يمارسه المحدثون وكأن هناك أكثر من طريقة في كتابة التاريخ . إن التاريخ عندما يحكي بشكل غير صحيح يصبح رواية تاريخية وهذا ما يقبله الكل . لكن التاريخ هذا لا يخضع للقواعد المتعارف عليها والتي تتبع من مفاهيمنا . إن المعلق علي التوارة يرفض أي فحص قد تقوم به علوم الجيولوجيا والأبحاث والمعطيات الخاصة بما قبل التاريخ علي روايات التوراة .

إن التوارة كما يقول الأب ديفو لا تنتمي إلي أي من هذه الدراسات العلمية. وإذا أردنا أن نقابلها بمعطيات هذه العلوم . فإننا لن ننتهي إلا إلي تعارض غير حقيقي أو توافق مصطنع " (٧٤).

ويجب أن نلاحظ أن هذه التأملات قد دفع بها المؤلف إزاء ما لا يتفق مطلقا مع المعطيات العلمية في سفر التكوين وخاصة الأحد عشر إصحاحا الأولي منه. ولكن إذا كانت هناك بعض الروايات قد أمكن التحقق منها اليوم ، وعلي وجه خاص بعض الأحداث التي وقعت في عصر الآباء الأولين فإن الكاتب لا يفتقد إلي الاستشهاد بالمعارف الحديثة لمساندة الحقيقة والتوارة . يقول الأب ديفو إن الشكوك التي خيمت علي هذه الروايات يجب أن تخلي المكان أمام الشهادة المؤيدة التي يأتي بها التاريخ أو علم الآثار الشرقيين (٧٥). بمعنى آخر إذا كان العلم مفيدا في توكيد رواية التوارة فلا بأس ، أما إذا دحضها فإن الرجوع إليه غير مقبول .

وللتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق - أي للتوفيق بين نظرية الحقيقة

في التوارة والطابع غير الصحيح لبعض الوقائع الواردة في روايات العهد القديم - اجتهد علماء اللاهوت المعاصرون في مراجعة المفاهيم الكلاسيكية للحقيقة .

إن التذكير بكل هذه المواقف التي اتخذها الكتاب المسيحيون أمام الأخطاء العلمية في نصوص التوارة توضح جيدا الضيق الذي تجره، وتوضح استحالة تعريف موقف منطقي آخر غير ذلك الذي يعترف بالأصل الإنساني لهذه الأخطاء وباستحالة قبولها كجزء من تنزيل إلهي .

هناك جملتان من الوثيقة المسكونية الرابعة والخاصة بالعهد القديم في الفصل الرابع ص ٥٣ تشيران إلي " الشوائب والبطلان " لبعض النصوص وبشكل لا يسمح بأية معارضة . يقول نص الوثيقة : " بالنظر إلي الوضع الإنساني السابق علي الخلاص الذي وضعه المسيح ، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ، ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان . غير أن هذه الكتب تحتوى علي شوائب وشئ من البطلان ، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي. أليس هناك إذن أحسن من كلمتي " الشوائب " و " البطلان " اللتين تنطبقان علي بعض النصوص التي تسمح بالنقد بل بأن تهجر كلية . ومبدأ كهذا مقبول بشكل واضح .

إن هذا النص جزء من تصريح شامل تم التصويت عليه نهائيا بأغلبية ٢٣٤٤ صوتا ضد ٦ أصوات (٧٦).

يقول روبرتسون سميث (W.ROBERTSON SMITH) : " من هذا المنطلق فإني أدعوكم إلي الاهتمام بالديانة القديمة التقليدية التي كانت الشعوب السامية القديمة تعتنقها. وهو أمر يتجاوز مجرد الفضول . بل إن له تأثير مباشرا علي المشكلة الكبرى التي تتمثل في تتبع الأصول الروحانية للتوارة .

ونقدم في هذا الصدد مثالا يصور لكم ما نرمي إليه ، فأنتم تعلمون مدى تركيز الإنجيل والديانة المسيحية علي فكرتي القربان

والكهانة . فكتاب الإنجيل يستندون في جدلهم إلى فكرة القربان والكهانة الشائعة بين اليهود وتتجسد في طقوس الهيكل ، إلا أن شعيرة الهيكل لم تكن في الأصل شيئا جديدا تماما ، ولم تؤد أسفار موسى الخمسة إلي نشأة كهانة وقربان علي أساس مستقل تماما ، وكل ما فعلته هو أنها أعادت صياغة ثوابت من نوع اقدم في ضوء عقيدة روحانية مشتركة بين العبرانيين وجيرانهم الوثنيين في كثير من خصائصها . وكل من يمعن النظر في التوارة يفاجأ بأن اصل القربان وأساسه المنطقي لم يفسر تفسيرا كاملا ، وان القربان يعد جزءا لا يتجزأ من الشعائر الدينية ، وانه لا يعد عقيدة قاصرة علي بني إسرائيل بل انه شعيرة عامة لها اعتبارها خارج دائرة (شعب الله المختار) ، وداخلة علي السوء .

لذا فإننا حين نتطلع الى دراسة عقيدة القربان في الإنجيل نجد أنفسنا نتراجع تدريجيا آلي أن نصل إلي نقطة يتحتم علينا عندها أن نتساءل عن معنى القربان لا بالنسبة للعبرانيين القدماء وحسب بل بالنسبة لدائرة الأمم التي كانوا يمثلون جزءا منها. وتؤدى بنا مثل هذه الاعتبارات إلي نتيجة فحواها أنه لا سبيل إلي فهم أي من الأديان ذات الأصول السامية التي لا يزال لها تأثير هائل علي حياة البشر دون التعمق في الديانة التقليدية السامية الأقدم . وقد يلاحظ في هذا النقاش أني اسلم جدلا بأننا حين نعود إلي اقدم المفاهيم والشعائر الدينية عند العبرانيين نجد أنها تمثل قاسما مشتركا بين مجموعة من الشعوب ذات الأصل الواحد وليست قاصرة علي بني إسرائيل . وسيتضح الدليل علي ذلك جليا في الخاتمة . والحقيقة أن هذا أمر يصعب إنكاره بالنسبة لمن يطالع الإنجيل مطالعة دقيقة . وليس هناك في تاريخ بني إسرائيل القديم ما هو أوضح من أن غالبية الناس وجدوا اكبر الصعوبات في الحفاظ علي خصائصهم الدينية القومية التي تميزهم عن سائر الأقوام التي تحيط بهم ، ولا سبيل إلي فهم تاريخ بني إسرائيل بأسره إذا ما افترضنا أن الوثنية التي كان الأنبياء يقاومونها كانت شيئا غريبا بالنسبة للثوابت الدينية لدى العبرانيين ،

وهذا دليل علي أن الأساس الطبيعي لدين بني إسرائيل كان شديد الشبه بنظيره في عقائد الشعوب المجاورة . ويمكن تقبل النتيجة المترتبة علي هذه النقطة القائمة علي حقائق تاريخ العهد القديم بسهولة لان هناك أراء افتراضية من نوع آخر تؤيدها . فالدين بصورته التقليدية ينتقل من الآباء إلي الأبناء وبالتالي فهو مسألة تتعلق بالعنصر إلي حد بعيد . فالشعوب ذات الأصل الواحد لديها تراث مشترك من المعتقدات والطقوس والمقدسات الدينية والدنيوية وبالتالي فإن الدليل علي وجود تراث مشترك من المعتقدات الدينية بين العبرانيين وجيرانهم يدعم الدليل الذي استقيناه من مصادر أخرى والذي مفاده أن شعب إسرائيل تربطه صلة دم ما بالشعوب الوثنية في سوريا والجزيرة العربية . ويمثل سكان هذه المنطقة بأسرها وحده عرقية متميزة وهذه حقيقة يتم التعبير عنها في الغالب بإطلاق تسمية مشتركة عليهم جميعا وهي (الساميون).(٧٧)

الباب الثالث

التناقض '

أولاً : نقض النص لذاته

الخطيئة الأصلية

قصة شمشون ودليلة

عاهرة الكاهن

مغامرات الملائكة الغرامية على الأرض

ثانياً : نقض النص لأمر خارج عنه

الطريقة الأولى : التناقض الإجمالي

الطريقة الثانية التناقض التحليلي

خلق الكون

سقوط آدم

طوفان نوح

مواجهة العهد القديم بالعلم الحديث

خلق العالم

تاريخ تكوين الكون

تاريخ الطوفان

التناقض هو القول بوجود شئ وعدم وجوده في وقت واحد ، وبمعنى واحد. أو هو اجتماع صفتين مختلفتين في شخص واحد . أو هو اجتماع الضدين في مكان واحد كالظلمات والنور أو الظل والحرور أو الحياة والموت.

وهو في الدراسات النقدية نوعان :

النوع الأول : نقض النص لذاته

١- الخطيئة الأصلية

يقول ليو تاكسل : " ها قد وصلنا إلي المغامرة المدهشة التي وضعت حداً نهائيا لحياة الرغد والنعيم التي عاشها آدم وزوجته في لدن يهوه ، فقد " أنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر ، وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر " (تكوين ٢ ، ٩) ، " وأوصي الرب الإله أدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها ، موتا تموت " (تكوين ٢،٦،١٧)...

نشير قبل كل شئ إلى انه كانت للمواعظ الدينية كثرة من الكتب التعليمية ، التي سميت " التاريخ المقدس " . وقد التزمت تلك الكتب الصمت التام حيال النصوص التوراتية التي تبعث علي الخجل . لقد اعتادوا أن يحدثوا المؤمنين عن " شجرة معرفة الخير والشر " فقط . وسنرى الآن لماذا لا ينطق رجال الكنيسة بكلمة واحد عن " شجرة الحياة " ، وسنسوق لهذا الغرض ، السطر ٢٨ من الإصحاح الثالث، وهو النص الذي لا تذكره الكتب التي تعد لضعيفي الإيمان .

لكننا سنهتم الآن بالثمرة التي قادت الإنسان إلى هوة الخطيئة . ونذكر في هذا السياق أن يوليان ، الفليسوف (١) الذي لا يطيق الكنسيون سماع ذكره ، قد دون عددا من الملاحظات المتعلقة بهذه الشجرة العجيبة ، وكتب فولتير يقول : " إننا نعتقد أنه كان ينبغي

علي السيد الرب أن يأمر الإنسان ، مخلوقه، بأن يأكل من شجرة المعرفة قدر ما يستطيع ، لإنه بما أن الله منحه رأسا تفكر فقد كان من الضروري تعليمه ، وكان أكثر ضرورة إرغامه علي إدراك الخير والشر ، كي يستطيع القيام بالتزاماته علي أكمل وجه ، لذلك كان ذاك التحريم غبيا وقاسيا ، لقد كان أسوأ بألف مرة من منح الإنسان معدة لا تهضم الطعام ".

أما الاستنتاج الآخر الذي يفرض نفسه علينا ، فيتلخص في إخفاء يهوه غرضا معينا ، لإنه في نهاية الأمر سعيد لسقوط آدم في الخطيئة ، وأنا أظن أن آدم كان محقا لو قال له :

– يا عجوزي الطيب : إذا لم أكن مخطئا فإن الخير هو الأمر الحسن ، من الوجهة الأخلاقية ، أي هو ما يرضيك ، أما الشر فهو علي الضد من هذا أي أنه الأمر السيئ أخلاقا ، هو ما لا يعجبك . هل هذا صحيح ؟

– أنت علي حق يا صغيري ..

– إذا امنحني القدرة علي معرفة الشر حتى أستطيع تفاديه ، ثم ما هو مغزى وجود هذه الشجرة هنا ، إذا كان محرما علي أن اقترب منها والمسها؟

ويجيبنا نيابة عن الله ، أولئك الذين يتسترون وراء اسمه ، فيقولون : إن الله وضع الإنسان الذي ولد لتوه في التجربة . لقد أراد أن يرى ما إذا كان آدم سيمتثل لإرادته ويلتزم بذلك التحريم البسيط أم لا بد أنه لا يصعب دحض هذا التأكيد الهزيل ، فاللاهوتيون يؤكدون تأكيدا قاطعا بأن الله يعرف كل شئ ، وان المستقبل مكشوف أمامه كراحة الكف ، وإذا كان الأمر كذلك ، ألم يكن عليه أن يعرف ماذا سيحدث ؟ أفلا يقع كل شئ بإرادته فقط ؟ أليس الله نفسه هو من أراد للإنسان أن يسقط في الخطيئة ؟

وفيما بعد ارتدت هذه الرواية كلها ضد يهوه ، فقد أفادتنا التوراة بأن " الحية " كانت أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : " أحقا قال الله لا تأكلوا من كل شجر الجنة ؟

" فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة : لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالإله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر ، لأنها تعطي المعرفة ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل " (تكوين ٣،١-٦) .

إن أول ما يثير الدهشة في هذه القصة هو أن حديث " الحية " مع المرأة وواقعة الشرح الذي قدمته بلغة جدينا الأولين ، لم يقدمها المؤلف لنا حدثا خارقا عجيبا ، أو رمزا ، فسفر التكوين يقدم الحية حية وحسب . فهي من الزواحف ، كلها مكر واغراء ، وقد أغرت المرأة بعد أن رسمت لها صورة الحياة التي ستحياها إن هي خالفت وصية جدها العجوز ، ولم تستطع جدتنا الشابة مقاومة الاغراء ، فسقطت سقوطا مدويا لا تزال نسمع صداه حتى يومنا هذا ...

لقد وصفت التوراة الحية وصفا بلغت طبيعته درجة جعلت اللاهوتيين المسيحيين يدخلون علي الخرافة التوراتية تصحيحهم الخاص ، بعد أن رأوا أنها بعيدة عن الحقيقة بعدا غير مقبول ، ولكن التصحيح المسيحي بدل ما عرضه سفر التكوين تبديلا كليا يتناقض تماما مع رواية التوراة . فحسب هذا التعديل ، الذي يتساوى مكره ونبله ، أن الشيطان هو الذي أخذ شكل الحية وأغرى زوجة آدم . هكذا حرف اللاهوتيون الأمر وهكذا يعلمونه .

لكن هذا التأويل أكثر من تحريف صريح لكتاب التكوين . أولاً ، ليس في النص كلمة واحدة تجيز مثل هذا التأويل . ثانياً ، بين مؤلفي أسفار العهد القديم ثمة أثنان فقط جاءا على ذكر الشيطان وهما صاحب كتاب أيوب ، الذى قال : أن الشيطان قام في إحدى الأيام ينازع الله في السماء ، وصاحب كتاب طوبيا ، الذي تحدث عن الشيطان زاموداس (٢٣) الذي عشق أمرأة تدعى سارة فخنق أزواجها السبعة . بيد أن هذين الكاتبين لم يظهراً إلا في نهاية

التوارة. ولا نقع فيهما أو فى أي سفر آخر من أسفارها علـى ذكـر للشيطان لوسفير (٣) ، وهو الشيطان الذى يطيب للكنسيين إظهـاره في كل مرة يريدون فيها إضافة مزيد من التوابل والتشويق للخرافات الدينية . أما التوراة فلم تأتنا بأيه قصة عـن الشيطان الـذي قـام ضـد الله فهزمه ميخائيل ، رئيس الملائكة . ولذلك فان هذا وكل ما يخص الشيطان فيها اختلق في زمن لاحق علي كتابة أسفار التوراة .

من جهة أخرى هناك شارحون مضحكون آخرون ، وفلاسفة من اتبـاع مذهب الشك ، الذين يتسـابقون لبلــوغ مسـتوى مبتـذل مـن الرمزية، فجعلوا من " شجرة معرفة الخير والشر " الشهيرة ، شجرة تفـاح ، وقد افترض هؤلاء أن الغرض مـن مشـهد حـوار حـواء والأفعى هو إبلاغنا بأن مدام آدم (٤) لم تكن قد عرفت الحب من قبل وأنها تلقت أول درس فيه من الشيطان الـذي تحـول إلـي أفعـى ليتسنى له بلوغ هدفه بسهوله .

ولكـن مهمـا كـانت هـذه الطرفـة مسلية وهـي ليســت أسـوأ مـن التـأويلات الحسـنة النيـة فـإن علينـا تركهـا لأنهـا نـص حرفـه رجـال الكنيسة . إن علينا أن نأخذ التوراة كما هي . ففي النص الذي نعالجه الآن يظهر الحيوان الذي يسمي حية بعينه ولا حاجة لاقحام شيطان ما في الحدث . أما لمزات العشق المنسوبة إلي الحية فلا وجـود لهـا في هذا النص التوراتي ، والحية الطبيعية الخالصة مـن أي إضافـات أخرى هي المقصودة هنا . وما تجدر إشـارة إليـه أن المؤلف يـرى هذا الحيوان الزاحف بعيني اتباع مختلف الديانات ، فالقدماء اعـتبروا الحيـة حيوانـاً فـي غايـة الخبـث والدهـاء والأذى وقد عبدتهـا بعـض القبائل الأفريقية (٥).

من جهة أخرى نستطيع أن نصـادف الحيـة المتكلمـة فـي مختلـف آداب الشرق، ومن المعروف أيضا أن المثيولوجيـات التـي ازدهـرت في أسيا مليئة بالحيوانات الناطقة . فعند الكلدانيين مثلا كانت السـمكة أوانيس تخرج رأسها من مياه الفرات كل يوم لتلقي مواعظها الطويلة علي الذين يتجمعون عند الشاطئ . وكانت تعطيهم مختلـف النصـائح

والإشارات ، وتعلمهم الغناء والزراعة .
لم تكن الحية التوراتية تحتاج أن يسكنها الشيطان ، وهي علي وجه العموم أقل خبثا بكثير مما حاول أن يصفها سفر التكوين . تتميز قصة هذه " الحية " بسذاجة مفرحة ، إضافة إلي أنها تعج بالتناقضات . فعلي سبيل المثال : ما الذي رمت إليه الحية عندما قالت لحواء " ستكونان كالآلهة " ؟ إذا ثمة كثرة من الآلهة . زد علي هذا أن كلمة " آلهة " تتردد في نصوص توراتية أخرى . وسنرى لاحقا أن الإله اليهودي يهوه لا يعتبر نفسه إلها وحيدا وحدانيا ، ولكن لنبقي الآن مع هذا التعبير الذي وضع شارحي الإنجيل المسيحيين في حلقة مغلقة ، إذ يؤكد هؤلاء ان الزاحفة قصدت بكلمة " آلهة " ، اشارة إلى الملائكة. قال معارضوهم : لم يكن باستطاعة الحية أن تعرف الملائكة ، وهي لم تكن تستطيع ان تعرف " الآلهة " أيضا للسبب نفسه . وهكذا تبقي السذاجة والتضليل سمتين دائمتين للتوراة.
كلا ، لم تكن الحية خبيثة إلي ذلك الحد . فنصائحها مبتورة ناقصة ولو كانت علي قدر واف من الذكاء ، لقالت لجدتنا الأولي :
– كلي من الثمر المحرم ، ثم كلي في اللحظة نفسها من شجرة الحياة ، فثمارها ليست محرمة عليكما.
ويهوه ؟ أليس هو سبب الخطيئة الأول ؟ لماذا وهب الحية نعمة الكلام ؟ فلولا ذلك لما استطاعت ان تتفاهم مع المرآة .
لم تسق لنا التورات الكلمات التي أقنعت بها حواء آدم ليأكل من الثمرة المحرمة ، ولذلك سنحاول سد هذا النقص :
تخيلوا أول امرأة أثارت حية فضولها ، لاريب أنها اقتربت من " شجرة المعرفة " القائمة في وسط الجنة علي مقربة من " شجرة الحياة " ثم رنت إليها طويلا وهي مترددة وقالت لنفسها :
– غني عن القول أن الحية التي تحرشت بي الآن ، ليست جميلة جدا ولكن لها أسلوبا ليس غبيا ، وأنا أرى أنه يجب الأخذ بنصيحتها لأنه من الغباء ألا يعرف المرء شيئا . فأنا أعيش وآدم

كالحبش ، بينما باستطاعتنا أن نكون كالآلهة ، إنها لثمرة مغرية حقا ! ولا يوجد في هذا البستان ما هو إبدع منها . بيد أنني سأكون حزينة جدا لو ظهر أن الحية خدعتني فالحياة هنا رائعة ، وعلي الرغم من رغبتي الشديدة لأكل تفاحة إلا أنه إذا كان الموت هو النتيجة فالأمر في غاية السوء . وأخذت حسناؤها تغدو وتروح قرب الشجرة، بينما الحية مختبئة علي مقربة تتابع حركاتها أولا بأول .

– كلا . قالت حواء في نفسها ، إنه من العبث أن نموت لسبب سخيف كهذا ولا شك في أن العجوز يهوه يخدعنا ، فهو في نهاية المطاف ذو صورة ملؤها الخبث ، ياله من عجوز داهية ! انه يريدنا أن نبقي طيلة الزمان لا نعرف شيئا من الأشياء الرائعة التي يتمتع بها الآلهة ، وليس من غرض لتحذيره لنا سوى إلقاء الرعب في نفسينا ، أنه لا يريدنا أن نعرف كل شئ ، آه من هؤلاء الشيوخ .!

وبعد أن حسمت جدتنا أمرها سحبت أحد مقاعد الجنة إلى تحت الشجرة ثم وقفت عليه وقطفت تفاحة (إننا نقول تفاحة ، علي الرغم من أن التوراة لا تعطينا حقا لمثل هذه التسمية) ، وأخذت تنظر إليه وتتلمظ ، أما الحية فكانت ترى كل شئ والسعادة تغمرها .

أدنت مدام آدم التفاحة من فيها لكنها توقفت لحظة لتتساءل ، وكأن أمرا التبس عليها :

– كيف تؤكل هذه الثمرة يا ترى ؟ بقشرتها أم دونها ؟ آه .. سيان .. فهي يجب أن تؤكل وحسب ، ثم ترددت بعض الشيء لتتساءل ثانية :

– أن نعرف كل شئ أو لا نعرف شيئا ؟ هذه هي المسألة . فعندما ألعب الطميحة مع آدم هذا حسن أم سئ ؟ أنها لأحجية صعبة . هل يجب أن نجز صوف الغنم أم أننا نرتكب إثما عندما نفعل ذلك ؟ يا للهول .. أن رأسي تدور ، ثم تلك العادة التي ركبت آدم وهي أنه يدخل سبابته في انفه هل هذا سلوك جيد أو

شائن ؟ أقسم بأنها ليست حياة تلك التـي نعيشـها ونحن لا نعرف شيئا من هذا كله !
وكانت المرأة قد جمعت شجاعتها كلها الآن وقضمت الثمرة :
– آه ما أطيب طعمها ! ياله من عجوز محتال ! لقد حرم علينـا هذه الثمرة الرائعة ! يقترب آدم وهو يحدث نفسه قائلا :
– من سأمي صدت الآن سمكة شبوط من دجلة ، ولكن بما أننـي نباتي فقد رميتها في الفرات . يلاحظ قرينته :
– ماذا تقضمين عندك يا امرأة ؟
نهضت حواء واقفة على ساقيها الجميلتين وأجابت :
– أوه .. لا تغضب أرجوك إن هذه الثمرة مـن شـجرة .. انهـا.. ها .. ها .. أتعرف أنها من إحدى الشـجرتين اللتيـن فـي وسـط البستان ..
– هذا ما أراه فعلا ، ليأخذك الشـيطان أيتهـا المـرأة ! انهـا ثمـرة تلك الشجرة التـي حرمـت علينـا ثمارهـا ، مـا أشد غبـاؤك أيتها المرآة ! هل نسيتي ما قاله العجوز؟
– أي عجوز ؟ والدنا يهوه ؟ إنه يخلط الأشياء كلها بل يبـدو أنـه هزأ بنا !
– ما الذي تقولينه أيتها الحمقاء ؟
– لقد هددنا بالموت ، أتذكر ؟
– طبعا بل تسري في جسدي قشعريرة الآن .
– ها .. ها.. هيه ، أحمق أنت يا زوجي العزيز ! فتهديده مجرد خدعة وحسب .
– ما هذا اللغو يا حواء ؟ لا بد أنك فقدت عقلك .
– بل هي الحقيقة ، لقد خدعنا العجوز ، فبعد أن أكلـت مـن هـذه الثمرة أصبحت أعرف طائفة من الأشياء .
– هل تعرفين الخير مـن الشـر؟ أتعرفيـن مـا يجب فعلـه ومـا لا يجب فعله ، هل تعرفين كيف ولماذا ؟
– نعم يا عزيزي بدأت أعرف .. لقـد أصبحـت أعرف كـم حبـة

ملح يجب ان توضع في البيضة الواحدة .
– ليس هذا معقولا يا امرأة !
– وأعرف أيضا لماذا تغمض الديكة عينها حين تصيح .
– انك مدهشة حقا ، ولكن أتعرفين لماذا لا تحمل الضفادع ذيولا فوق مؤخراتها ؟
– نعم لقد عرفت هذا اللتو .
– هاتي إذاً .. أخبريني .
– لأن الذيل يعيقها أثناء الجلوس .
– إنك مدهشة حقا!
– وأكثر من هذا ! إنني أعرف أيضا .. أتسمع ؟ إني أعرف أنك ذكي ولم تخني أبدا .
سيطرت على آدم حال من الذهول .
– ألف الشيطان ! أي زوجة عالمة عندي ! في الحقيقة إنني لم أخنها أبدا ولكن لنفرض أنني خنتك فهل هذا سئ أم لا ؟
– إنه سلوك أحمق أيها السيد المحترم ! في غاية الحماقة !
– شدته إليها وأجلسته بجانبها علي المقعد ، وقالت :
– علي العموم يا أدومتي يمكن الآن أن تصبح عالما مثلي ، وفي هذه اللحظة.
– كل من هذه التفاحة !
– هذا ما أريده فعلا يا غاليتي . ولكن ما الفائدة في أن نغدو علماء إذا كنا سنموت اليوم بسبب التفاحة ؟ دعينا نفكر في الأمر يا امرأة : أن نموت بعد ألف عام افضل بكثير ، ولكن أن نكسر رقبتينا الآن فهذا غباء خالص.
– رفعت مدام آدم كتفيها استخفافا ، بينما تابع آدم حديثه :
– يبدو أنك لا تصدقين يا حبيبتي إنني اذكر جيدا كل كلمة قالها الأب يهوه
– لقد تحدثت معه شخصيا ، وكان جديا في كلمة قالها ، وها أنا اعيد علي مسامعك كلامه بالحرف الواحد : " أما شجرة معرفة

الخير والشر لا فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت " .
الأمر واضح يا هذه ، وإذا كنتي أنت في غنى عن جلدك فان جلدي عزيز علي قلبي .
-كم أنت مضحك يا رجل ! انظر هل أنا ميتة ؟
- لا .. ما زلت علي قيد الحياة ، لكن النهار لم ينته بعد .. احذري !
- أخ من عناد الرجال ! وأنت تستطيع ان تفخر يا عزيزى بأنك أكثر عنادا من الحمار ، كم من الوقت احتاج لاقنعك بأن العجوز سخر منا ، لم تتحدث منذ قليل عن العلماء ؟
- نعم لقد فعلت ، وماذا في ذلك ؟
- كيف ؟ أليسوا منبعا أصيلا للحكمة ؟
- بالطبع !
- لكن العلماء بالذات هم الخالدون (٦) .
هذه الحجة جعلت الأمر يلتبس علي الرجل وفي الوقت عينه غدت زوجته أكثر لطفا وأنوثة وتصميما :
- اسعدني يا ابن يهوه وكل من هذه التفاحة ! وعندما تفعل نصبح نحن الاثنان كالآلهة .
- الآلهة ؟
- لا تكثر من الأسئلة أرجوك فهذا ما قالته الحية .
وقرر " أدم " طالما أن الحية تقول :
- حسن ، ها هي التفاحة .
قضم آدم التفاحة بشهية . ومرت دقيقتان من الصمت التام كانت تسمع في أسنانهما حركة النملة ، وفجأة أطلق آدم صيحة مدوية ، لقد دخلته المعرفة.
- يا ألف شيطان ! إننا عاريان ! ما هذه التفاحة !
وضربت حواء كفا بكف وقالت :
- ليس معي مجرد رباط ! وي يا لخجلي !
- لنرتد .. لنرتد .. فلنسرع ونرتدي ...

" فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عاريان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر" (تكوين٣ ،٧).

أرجو من قارئي الكريم أن يلاحظ معي أن أول ملابس بشرية خيطت من أوراق التين وليس من اوراق العنب ، أما مـأثرة زراعة العنب فستنسبها التوراة بما بعد ألي البطريق اليهودي نوح (٧).

بعد أن ستر جدنا عورته وعورة زوجته نظر كا منهما إلى الآخر وقال آدم : لا يبدوا هذا سيئا علي ما أظن .

– الحقيقة أن ورقة التين هذه تليق لي كثيرة .

لاحظت حواء ثم عقبت :

– لكن الاوراق مغبرة بعض الشيء ، إذ يبدو أنهم لم يزيلوا الغبار عنها منذ أن زرع عجوزنا الشجرات . هات الفرشاة يا آدم !

لكن سعادتهما لم تدم طويلا ، فقد " سمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة في وقت برود النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله بين أشجار الجنة " (تكوين ٣ ،٨)

ومرة أخرى نجد أن الآلة التوراتي كائن جسدي تماماً ، فهو يتنزه وقت البرود ، ويتحدث كأي إنسان آخر ، إذاً يقدم سفر التكوين آلهة لنا كما تفعل الخرافات الوثنية . والحقيقة أن مختلف الشعوب القديمة كانت تملك تصورات مماثلة عن الآلهة ككائنات تشبه البشر.

ويتساءل النقاد عن الصورة التي ظهر الله فيها لآدم ، ثم لأولئك الذين كلمهم بفمه ، فيؤكد الكنسيون أنها كانت صورة بشرية، ولم يكن لمثل هذا الآلـه أن يكون غير ذلك قط ، لأن الله " صنع الإنسان على صورته ومثاله " . إذا ما الذي يميز التصور اليهودي لله عن تصور الديانات الأخرى له ، وهي الديانات نفسها التي وصفتها " المسيحية " بالوثنية ؟ فالرومان الذين أخذوا معتقداتهم عن الأغريق لم يتصوروا الآلهة إلا في صورة بشرية ، الأمر الذي يرغمنا على القول : ليس الله هو الذي صنع الإنسان على صورته ومثاله ، بل الإنسان هو الذي تخيل الآلهة على صورته ومثاله . بيد

أننا لن نلح على هذا القرار ، لأنـه إذا سرت إلينـا عدوى مثل هـذه الرؤية نكون قد حجزنا لأنفسنا مكاناً في سعير جهنم . ولكـن رغبتنـا كبيرة لأن نذكر بملاحظـة دونهـا أحد الفلاسـفة (٨) : تقـول هـذه الملاحظة " لو كان للقطط إله ، لنسب إليه صيد الفئران " .

إن مشاهد مثل نزهة يهوه في جنه عدن تبين بوضوح أن الحديث لا يجري هنا عن مجـاز غـامض ، فالقصـة سيقت بأسلوب واقعي صرف . " فنادى الرب الإله آدم ، وقال له " أين أنت ؟(تكوين٣،٩)

لقد ظهر لنا آدم سيداً مسكيناً تاعساً ، مرتبكاً ؛ ثم فقدت زوجتـه حماسها أيضا. وهاهما يحاولان الاختباء ، ولكن أيـن لهمـا أن يختبئـا من وجـه من يـرى كـل شـئ ؟ فصـوت يهوه يحيط بهمـا مـن كـل صوب، كصوت سيد متسلط صـارم يهم بمعاقبـة عبده المشـاكس . وبما أنهما وقعا إذاً ينبغي عليهما الاعتراف .

ولذلك اقتربا من العجوز مطرقين معتذرين ، فقال آدم : " سـمعت صوتك في الجنة ، فخشيت لأني عريان فاختبئت " (كوين ٣ ، ١٠).

وهاهمـا يقفـان أمـام سـيدهما الـذي يقـرأ الغيـب بمنتهـى الدقـة والوضوح والذي كان قد رأى حـادث الحيـة والتفاحـة ، ولكنـه يقف الآن غاضباً كأنه لم يكن يتوقع شيئاً مما حصـل ، أو أن الـذي حـدث لم يكن بإرادته . غير أن التاعسين لم يفطنـا إلـى ذلك كأنهمـا عندمـا كانا بين يديه تسري القشعريرة في جسديهما .

– لم أكن أنا أول من بدأ ، هي التـي أغرتنـي أن أكررهـا ثانيـة ، أقسم بعظمة يهوه ألا أعود إلى مثل هذا ثانية .!

" فقال : من أعلمـك أنـك عريـان ؟ هل أكلـت مـن الشـجرة التـي أوصيتـك أن لا تـأكل منهـا ؟ فقـال آدم : المـرأة التـي جعلتهـا معـي أعطتني من الشجرة فأكلت " (تكويـن ٣،١١–١٢). مـن الواضـح أن آدم يوجه هنا لوماً صريحاً للعجوز : إنـك أنـت إلهـي الـذي أعطينـي هذه المرأة زوجه لي . ألم تكن تعرف من أعطيتني رفيقة لحياتي ؟ " فقال يهوه للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : أغوتني الحيـة فأكلت " (تكوين ٣،١٣).

والآن ينتقل الشيخ إلي اتخاذ قرار العقوبة ، وهو يتحرك وفق نظام معين : من أول من بدأ ، الأفعى ؟ إذا أسمعوا : " لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ؛ على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ؛ واضح عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه " (تكوين ١٤،٣-١٥).

إن هذه العقوبة التي أنزلت بالحية تؤكد تأكيداً قاطعاً أن اللاهوتيين يكذبون بفظاظة عندما يرون الشيطان في هذه الأفعى ، وينسبون إليه غواية المرأة ودفع الجنس البشري إلى هاوية الخطيئة الأصلية . فلو كان الشيطان هو المذنب لنزلت العقوبة به وليس بالحية . ولكن العقوبة لم تنزل إلا بالحية كحيوان و" وحش " من وحوش البرية ، فهل نفترض إذاً أن ذاك المستشار الشرير كان يسعى يوماً ما على قائمتين أو أربع ، ثم سلبه يهوه إياها وأرغمه أن يزحف على بطنه ؟ وإن كان ذلك فعلاً فإن هذه العقوبة غير عادلة ، لأن الحية لم تكن طرفاً في المسألة كلها (ألا يؤكد الكنسيون أن الشيطان أخذ صورة الحية وأغوى المرأة ؟).

لنفترض مثلاً أن أحد المحتالين تنكر يوما في صورة كاهن القرية أو الحي، ثم نفذ عملاً من أعمال الغش والنصب ، فما الذي سيحدث لو ألقى عليه القبض وجئ به إلي المحكمة ؟ هل سيقدم الكاهن للمحاكمة ؟

بالطبع لا .. لأن القصاص يجب أن ينزل بالمذنب الحقيقي .

لذلك حسناً يفعل الكنسيون إذ صرفوا النظر عن حكاية الشيطان الذي أغوى أمنا حواء ، لأنها ليست أكثر من قصة للتسلية لا تصمد أمام أي مستوى من مستويات النقد ، أما إذا أصروا عليها ، فيجب عليهم أن يقروا عندئذ بأن يهوه لم يستطع أن يرى الشيطان في قصة القصاص فأنزله على الحية البريئة وسلبها أطرافها .

ومن الجهة أخرى ، إذا كان صحيحاً أن الناس يشمئزون من الحية ، ويحاولون سحق رأسها إذا صادفوها ، وتسعى هي للدغ

أعقابهم ، فإن هنـاك بنداً من نـص قـرار العقوبـة لا تلتزم الأفـاعي بتنفيذه ، فهي لا تأكل التراب ، ولم تنفذ هذه العقوبة في أي يـوم مـن الأيام ، فهل كان قرار يهـوه مؤقتاً ؟ وإذا كـان الأمـر كذلـك ، كـون التوراة قد سهت عن التنويه إليه ، فهذا أمر غريب .

وثمة سؤال آخر هو : أي حية من الحيات لعبت دور الغوايـة فـي قصتنا هذه ؟ الحفث ؟ البواء ؟ الرقطاء ؟.. فأنواعهـا كثيـرة . ولكـن لنفترض أن الحفث هي التي أغوت مدام آدم ، وأنها استحقت العقـاب العادل هي وذريتها ونوعها كله . بيد أنه لو لم تستطع المـرأة إغـواء الرجل وجره إلي اقتراف الأثم الرهيب لعوقبت ذريتها ونجت ذريته. أما الحيات فلم يأثم منها سوى الحفث ، ومع هذا فـإن أنـواع الحيـات كلها تنوء تحت وطأة العقاب دون وجه حق!

" وقال للمرأة ! تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بـالوجع تلدين أولاداً ، وإلي رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك " (تكوين ١٦،٣).

يتفق شـارحوا التوراة كلهم علـى أن هـذه العقوبـة تنسحب علـى جنس النساء كله حتى نهاية العـالم ، وليس علـى مـدام آدم وحدهـا ، ونحن في المقام الأول فيما لو استطاعت المرأة الأولى مقاومة غواية الحية لها لما ولدت أبناءها في الأوجاع ، على أرجـح تقديـر ، وهـذا يجعلنا نفـترض أن تركيبهـا العضـوي كـان مختلفاً قبل السقوط فـي الخطيئة . وفي اللحظة ، التي نطـق فيهـا يهـوه بحكمـه ، تبـدل ذلـك التركيب تبديلاً جوهرياً . إنها يد إلهية حقاً !

ويجـدر بنـا أن نشـير فـي هـذا السياق إلـي أنـه علـى الرغـم مـن الجبروت الكلـى الـذي يتمتـع اللـه بـه ، إلا أنـه لـم يسـتطع تحقيـق القصاص الذي أنزله بـالجنس الأنثـوي كلـه ، لأن كثيـراً مـن النسـاء يلدن بغير ألم . ثانياً ، ثمة نساء كثيرات جداً لا تخضعـن لأزواجهـن ، بل يقدنهم من أنوفهم !

" وقال لآدم لأنك سمعت لقول أمرتـك وأكلـت مـن الشـجرة التـي أوصيتك قائلاً : لا تأكل منها ، ماعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ؛ وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشـب الحقـل ،

بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي منها أخذت ؛ لأنك تراب تعود " (تكوين ٣،١٧-١٩).

تبرز ثانية هنا الملاحظات التي سقناها أعلاه ، فالعقوبة تطال جنس الرجال كله ، وليس آدم وحده ؛ وهذا ما يتفق فيه اللاهوتيون جميعهم . أما الرهيب في قرار العقوبة فهو البند الذي نزلت بموجبه عقوبة الموت بحق البشر . والحقيقة أن يهوه نسي تحذيره السابق وهو أن من يأكل الثمرة المحرمة يموت في اليوم نفسه ، وقد منح هذا النسيان المذنبين حياة مديدة ، اذ عاش آدم بعد ذلك ٩٣٠ سنة (تكوين ٥،٥) . ولكن لو أن آدم لم يأكل التفاحة لما مات في أي زمن ، ولكنا خالدين معه أيضاً . وإذا كان يهوه كما وصفته التوراة حقاً ، فإنه حسناً فعل إذ أبقى الحية لا تسمع شيئاً ولا تستطيع قول شئ منذ ذلك الوقت وإلا لأثارت الفضائح بالتأكيد . ويجدر بنا أن نلحظ هنا أن الحرمان من نعمة الكلام لم يكن بين العقوبات التي أنزلها العجوز بالحية .

وثمة ملاحظة أخرى تبرز أمامنا بصورة تلقائية ، وهي تلك المتعلقة بالخبز وعرق الجبين ، فعلى الراجح أن الأزمنة البدائية لم تعرف الخبز ، وكان الناس فيها يأكلون ما يقع تحت أيديهم من مواد تؤكل ، ومع هذا فإننا لن نتعنت ، وسنفترض أن يهوه قصد إلي الزمن المتحضر ، لكننا لن ننسي أن نشير قبل ذلك إلي أن الأوساط اليهودية التي ظهرت التوراة فيها ، كانت قد عرفت الخبر بعد انتقال اليهود إلى العيش في المراكز الحضرية وممارسة الأعمال الزراعية . لكن الكنسيين يؤكدون أن التوراة لم تكتب لليهود فقط ، بل هي قانون لسكان الأرض كلها . بيد أن الخبز لا يؤكل إلا في البلدان التي يزرع القمح فيها . فالاسكيمو لا يعرفون الدقيق ، ويعيش كثير من البشر في مناطق من الهند ، وأمريكا ، وأفريقيا الوسطى والجنوبية ، على الثمار ولحوم الطرائد التي يصيدون .

قد يقول قائل : إن يُهوه استخدم كلمة خبز بالمعنى المجازي ، قاصداً في حقيقة الأمر صنوف الطعام كلها ، وإذا كان الأمر هكذا

حقاً ، لماذا لم تشمل العقوبة الناس جميعهم ، لأنه إذا كان الكادحون يعملون حقاً للحصول على لقمة العيش ، وإذا كان ثمة من يرى أنه يدفع كفارة فعلاً ، فإن هذا لا ينسحب على الأغنياء الذين ينعمون بالملايين التي ورثوها ! ورجال الدين المكتنزون هل تتصبب جباههم عرقاً إلا من كثرة الدهن ؟

ويقف السطر الثامن عشر من الإصحاح الثالث موقفاً عدائياً من الإنسان ، لأنه فرض عليه أن يأكل ، إضافة إلى الخبز ، عشب الحقل ، مثله في هذا مثل الحيوانات . فما الذي تعطيه الأرض ؟ شوكاً وحسكاً ! ومع ذلك فقد فات يهوه أن الإنسان يأكل أشياء أخرى كثيرة ، غير العشب والخبز ، فلماذا لا يرسل صواعقه لتدمر المطاعم التي تقدم اللحوم في وجباتها اليومية ؟

لنر معاً ما الذي حدث بعد النطق بالحكم : " ودعا آدم اسم امرأته حواء ، لأنها أم كل حي " (تكوين ٣ ، ٢٠) .

لم يهتم هذا الزوج اللطيف بإعطاء صديقته اسماً ؛ فقد دعاها امرأة وحسب كما هو واضح في السطر ٢٣ من الإصحاح الثاني في سفر التكوين .

وسنرى الآن أن يهوه لم يطرد آدم وحواء من الجنة الأرضية لحظة اكتشافه الجريمة ، كما يدعون ، بل ولما رأى أن ثيابهما المصنوعة من ورق التين خفيفة جعل من نفسه خياطاً و" صنع لآدم وإمرته أقمصة من جلد وألبسهما " (تكوين ٣ ، ٢١). وغني عن القول ، إن صناعة الأردية المذكورة تطلبت قتل حيوانات بريئة لا ذنب لها ، وهذا يعني أن يهوه كان أول قاتل للحيوانات . وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا نلوم أجدادنا لأنهم سعوا إلى استخدام لحوم في غذائهم ؟

ولا ريب أن يهوه لم يكن ليطرد آدم وحواء من الجنة في أى يوم من الأيام لو لم يصادفهما بعض الوقت مرتدين الملابس المصنوعة من ورق التين ويتذكر في اللحظة نفسها " شجرة الحياة " الشهيرة ، التي لم يفطن الرجل والمرأة أن يأكلا من ثمارها. " وقال الرب الإله

: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منـا ، عارفاً الخير والشر ؛ والآن لعله يمد ويأخذ من شجرة الحياة ويـأكل ويحيا إلى الأبد " (تكوين ٢٢،٣) . هذا هو النص الذي تلـتزم كتب تعليم " التـاريخ المقدس " الصمت حياله .

هكذا إذاً ، لقد فات جدينا أن يأكلا من شجرة الحيـاة التـي لـم تكن ثمارها حرمت عليهما ، يا للأبلهين ! فلو خطرت لهما فكرة أن يأكلا منهـا بينمـا يهوه يخيط لهمـا الملابس الجلديـة لحققاً عليـه انتصـار الأزمنة كلها ، ولما كان بمقدوره أن ينفذ فيهما حكمة الصارم .

حقاً أن التوراة كتاب مسل عندما يقرأ بانتباه . إن يهوه ، الإلـة الواحد ، الذي غالباً ما يزل لسانه ويتحدث عن وجود آلهـة أخرى ، لهو دائم الثرثرة بما يجب التزام الصمت حيالـه . إضافـة إلـى هـذا ، يعجز ، وهو الكلي القدرة ، على تنفيذ القرار الـذي اتخذه هـو نفسـه بإعدام آدم وحـواء . تخيلوا لـو كـان جدانـا يتمتعـان بقدر كـاف مـن الفطنـة وحيويـة الـروح ، إذا لأصبحنـا خـالدين علـى الرغـم مـن معارضة يهوه ذلك . ولكنه لابد أن يكون قد هنـأ نفسـه عندمـا تنكر الشجرة اللعينة في الوقت المناسب .

" فـأخرج يهوه مـن جنـة عدن الكيروبيم ولهيـب سـيف متقلـب لحراسة شجرة الحياة " (تكوين ٣ ، ٢٣–٢٤).

إنها قطعاً " شجرة الحياة " البغيضة نفسها ، التي كانت تشغل بـال العجوز " ألوهيم " أكثر مـن أي شـئ أخر ، فينبغـي مـن آدم وحـواء الوصول إليها بأي طريقة كانت ، ومهما كلف الأمر. ولكن أي فكرة وحشية هـي فكرة خلق مثل هذه الشجرة ؟ فيهـوه ، الـذي يـرى المستقبل بوضوح شديد ، كان يعرف ، بالطبع ، أن جدنا الأول سيقع في الأثم ويحكم عليه بالموت ، وأن ذلك الحكم سيمتد ليطـال الجنس البشرى كله ، وفي مثل هذه الحال ، تصبح " شجرة الحياة" عائقاً فـي طريقة . ألم يكن من الأفضل لو لم يزرعها ؟ وذلك الكيروبيم ولهيب السيف المتقلب عند بوابـة جنـه عدن، مـا هذا الهـراء أيضـاً ؟ ألـم يستطع يهوه الكلي القدرة أن يقضي بكلمة واحدة على تلك الشـجرة ،

التي فقد وجودها كل مغزى ؟ ألم يفطن شيخنا إلى هذا أيضاً ؟
والآن فلنسافر معاً بحثاً عن الجنة . بما أن يهوه اهتم بحراسة بوابات جنة عدن واضطر أن يلجأ إلى اتخاذ إجراءات دفاعية بدائية ضد محاولات الإنسان الرامية إلى بلوغ طريق " شجرة الحياة " ، وإذا الجنة الأرضية والشجرة العجيبة موجودتان في مكان ما. وإذا ما بحثنا جيداً في منطقة دجلة والفرات ، ورأينا ملاكاً يحمل سيفاً ملتهباً ويقف حارساً أمام بوابات ما عندئذ نستطيع أن ننادي بأعلى صوت : ها قد وصلنا ! إنها هي ، الجنة التي خلقها يهوه .
ولكن من هو الحارس المزعوم ؟ فالنص اليهودي القديم لسفر التكوين يستخدم كلمة " كيروب " (٩). وهي تعني " ثوراً " وقد اشتقت من كلمة " كاراب " ، أي " يحرس " . لقد أخذ اليهود عن البابليين كثيراً من العادات والتقاليد المتصلة بالدين فصنعوا ثيراناً كبيرة صنعوا منها ما يشبه أبا الهول وحيوانات معقدة وضعوها في معابدهم . وكانت تلك الصور ذات وجه إنساني ووجه ثور ، وكانت لها أجنحة وأرجل بشرية وأطراف ثور . ثم جاء اللاهوتيون المسيحيون وجعلوها " كيروبيم" ، والكيروبيمات عندهم هي ملائكة فتية لا جسد لها ، بل وليس لها شئ سوى رؤوس أطفال ، وأجنحة صغيرة وهي كثيرة جداً في الزخارف الكنسية . وقد لا يتوافق الفارس الذي يحرس مدخل الجنة مع تصور المؤمنين السذج " للكيروبيمات " ، فقد يكون " كيروب " بالمعنى اليهودي القديم لهذه الكلمة ، أي له رأس ذو وجهين ، أحدهما وجه ثور . وهذا ما يساعدنا على التعرف إليه بسهولة ويسر ، أما إذا كان كيروبيما مسيحيا ، لا جسد له ، ولا دين ، فانه سيمسك بالسيف الملتهب بأسنانه وستكون هذه هي العلامة التي تميزه .
أننا شخصيا نميل إلى شكل الحارس الذي له رأس نصفه بشري ونصفه الأخر حيواني ، رأس ثور .
ولم يبق لنا الآن إلا أن ننطلق بحثا عن الجنة ! وحتى إذا لم نستطع أن نصل تلك الأصقاع ، فالرحلة بحد ذاتها ممتعة ، وقد

يتسنى لنا أن نتسكع حول الجنة ، ونحدد موقعها على الخارطة الجغرافية ، التي لا تزال تعاني هذا النقض الجوهري . (٨٧) .

٢- نوح البار ومباركة يهوه ذريته

يقول ليوتاكسل : " لقد أضيف إلى قصه الطوفان مشهدان آخران ممتعان هما: " سكر نوح " و " برج بابل " . وابتداء نوح يكون فلاحا، غرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه واخبر أخويه خارجا ، فاخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتفاهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما " (٩،٢٠-٢٣)

إذن سلك سام ويافث سلوكا محترما يليق بولدين طيبين ، علما بأن أبيهما كان ثملا ، أما حام ، فقد كان سلوكه وقحاً ، ولذلك لم تتأخر اللعنة حتى نزلت عليه ، لكن تعالوا لنرى معا على رأس من نزلت فعلا : " فلما استيقظ زمن الحمل ، أنجبت السيدة منوح ولدا ، غمر مجيؤه حياة والده بفرح عظيم وقد دعاه باسم شمشون . ومنذ صغره اظهر شمشوننا قوة بدنية خارقة ؟ ففي أحد الأيام قتل أسدا ليلهو فقط، وكان ذلك الضاري قد زرع الرعب في المنطقة كلها . ولما شب وغدا رجلا ، أصر هذا الرجل الذي اختاره يهوه ورفعه فوق سائر بنى إسرائيل على الزواج من فلسطينية . وقد باءت بالفشل جميع الجهود التي بذلت لتثنيه عن عزمه . ولم يستطع أحد اقناعه بأن قوانين موسى تمنع بل تحرم الزواج من الوثنيات ، بيد أنه صم أذنيه وأصر على موقفة قائلا : لكل قاعدة استثناء ثم أنفذ رأيه وتزوج الفلسطينية .

في مأدبة الزفاف التي استمرت عدة أيام ، ألقى شمشون أحجية على فتيان عائلة زوجته ، وكان على الطرف الخاسر في اللعبة أن يعطى الطرف الآخر ثلاثين قميصا وثلاثين رداء . وكانت زوجته راغبة في خسارته ليربح أهلها الرهان المغري وقد تمكنت أن تعرف منه حل الأحجية ثم نقلته لهم .

وهكذا وجد العريس نفسه مرغما على دفع الرهان . فقام ومضى إلى عسقلون وافتعل فيها عراكا مع ثلاثين فلسطينيا فقتلهم ونزع عنهم ملابسهم وأدي رهانه بشرف وأمانه دون أن يكلفه الأمر جهدا خاصا ، فهو في نهاية الأمر منذور لله ومختار منه . أما زوجته التي تبين أنها كانت قد أصبحت منذ الأيام الأولى لزواجها تقوده من أنفه ، فقد تعرضت لمفاجأة مذهلة ، فما كاد اليوم السابع لمأدبة العرس ينقضي حتى كان والدها قد زوجها إلى شاب أخر، اقرب أصدقاء ابن منوح إلى قلبه . (١٤) . وبعد أن خسر الرهان ، تجول شمشون في الناحية عدة أيام ثم عاد إلى زوجته ومعه جدى يريد أن يقدمه هدية استرضاء لها . ولكنه قابل حماه عند باب خبائها فمنعه من الدخول إليها قائلا : " ظننت انك بغضتها فزوجتها من صاحبك ، ولكن هذه أختها الصغرى احسن منها . فقال شمشون لهم : أنا برئ من الفلسطينيين الآن إذا أنزلت بهم شرا (١٥ ، ٢-٣) . بعد ذلك بدأ منذور يهوه انتقامه من الشعب الفلسطيني كله ، وهاكم قصة انتقامه الأول :

اصطاد ثلاثمائة ثعلب (بالضبط ثلاث مائة !) " واخذ مشاعل فجعل الثعالب ذنبا إلى ذنب ، وجعل بين كل ذنبين مشعلا ، واوقد المشاعل وأرسلها في زرع الفلسطينيين ، فأحرقت الأكداس والزرع حتى الزيتون (١٥ ، ٤-٥) . هذه الفعلة أثارت غيظ الفلسطينيين ، ولما عرفوا سببه الحقيقي ، احرقوا حما شمشون وابنته وهما حيين اعتقادا منهم بان ذلك سيهدئ من غيظ شمشون . بيد أن شيئا من هذا لم يحدث ، فقد أعلن لهم أن انتقامه من حماه موجه ضد الفلسطينيين كلهم وان ذلك الانتقام بدأ لتوه .

" وضربهم ساقا على فخذ " (٨) ، ولكن التوراة لا تقول أين ومتى وفى أي الظروف وقع ذلك الأمر ، وهل " ضربهم " بمفرده أم بمساعدة يهود ضربت سيقانهم ، لإقامة حمام دم يهودي ، وفى أثناء ذلك كان شمشون يقيم في كهف صخرة عيطم . فجاءه إلى هناك ثلاثة آلاف من قبيلة يهوذا وأشبعوه تقريعا ، ثم اتهموه بأنه جر على

اليهود مصائب جديدة ، فبسببه اجتمع الفلسطينيون وحاصروا اليهود، الذي لا طاقه لهم على قتالهم . فقال لهم :

ولماذا انتم قلقون إذا كانوا يطلبونني أنا ؟ أوثقوني جيدا وسلموني إلى أعدائنا فيرتدون عنكم !

وهذا ما حصل . ففرح الفلسطينيون كثيرا عندما تسلموا الشاب الذي أقض مضاجعهم . ولكنهم ما كادوا يمسكون به حتى قطع قيوده والتقط فك حمار مرمى على جانب الطريق وقتل بـه ألف فلسطيني كانوا يحيطون به . وبعد أن أنهى شمشـون تمرينـه الجسماني هذا ، أحس بالعطش والتعب . ولكن المشهد وقع كله في البرية وليس ثمة بئر على مقربة : " ثم انه عطش جدا فصرخ إلـي الرب وقـال : قد جعلت بيدي عبدك هذا الخلاص العظيم ، والآن أهلك عطشا وأقع في أيدي القلف . فشـق اللـه مـورم الفك فخرجت منـه ميـاه فشرب ورجعت إليه روحه وعاش " (١٥ ، ١٨-١٩)

وأخيرا ، قادت هذه البطـولات شمشـون إلـي كرسـي كبير قضـاة إسرائيل ، فشغله عشرين عاماً . ومن الجدير ذكـره أن شمشـون لـم يظهر تقيداً صارما بالمعايير الأخلاقيـة عندمـا كـان يشـغل المنصب المذكور ، فقد كان منذور يهوه هذا ضيفاً دائما في بيوت الدعـارة ، وهو لم يتبع ذلك السلوك سرا ، بل على مـرأى مـن جميعهم . وفـى أحد الأيام وقع له أمر كاد ينتهي بمأساة لولا أن يهوه كان دائمـا إلـى جانبه لا يفارقه حتى وهـو يتقلب فـوق أجسـاد النسـاء العاريـات فـي بيوت الدعارة والفسق . فقد استمر شمشون مغرما بالفلسطينيات وقـد قاده غرامه بهن إلـى غزة ، وهـى مدينـه فلسـطينية محصنـه تابعـة لاعداء إسرائيل ، و " صـادف هناك امـرأة بغيـا فدخـل عليهـا ، فقيـل لأهل غزة : إن شمشون هنا فأحاطوا بـه وكمنـوا لـه كل الليل عند باب المدينة وسكتوا الليل كله وقالوا : عند ضوء الفجر نقتله ، فرقد شمشون إلى نصف الليل وقام عند نصف الليل فاخذ مصراعـي بـاب المدينة بعضادتيه ، وقلع الباب ومغلاقه وحملـه علـى منكبيـه وصعد بذلك إلى رأس الجبل الذي قبالة حبرون " (١٦/ ١-٣) .

وكأي داعر لا رجاء برجوعه عن غيه ، وقع حبيب يهوه بغرام فلسطينية أخرى من وادي سوريق تدعى دليله ، ولما عرف أعداؤه بغرامه بتلك الحسناء الفاتنة ، جاءوا إليها وعرضوا عليها مبلغا كبيرا من المال لقاء تسليمها شمشون إليهم ، شريطة أن يكون في اشد حالاته ضعفا . فوافقت المرأة على عرضهم ، ومضت إلى غايتها بوضوح لا يخفى على أبله فقد سألت عشيقها مرارا وتكرارا أن يكشف لها سر قوته . فوقع اليهودي في الفخ كأخر أحمق تستطيع أن تتخيل وجوده .

قالت دليله لشمشون : أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لتقهر ؟ فقال لها شمشون : إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف بعد ، فإني أضعف وأصير كواحد من الناس . فدفع إليها أقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تجف بعد ، فشدته بها والكمين رابض عندها في المخدع . ثم قالت : قد دهمك الفلسطينيون يا شمشون ، فقطع الأوتار كما يقطع خيط المشاقة إذا شيط بالنار . ولم يعلم بما قوته . فقالت له دليله : قد خدعتني وكذبتني ، فأخبرني الان، بماذا توثق ؟ فقال لها : إن أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل قط ، فإني أضعف وأصير كواحد من الناس ، فأخذت دليله حبالاً جديدة وشدته بها ، وقالت له : قد دهمك الفلسطينيون يا شمشون ، والكمين رابض في المخدع فقطع الحبال عن ذراعيه كما يقطع الخيط . فقالت دليله لشمشون : إلى متى تخدعني وتكذبني ؟ أخبر بماذا توثق ؟ فقال لها : " إذا أضفرت سبع خصل رأسي من السدى ، فمكنتها بالوتد وقالت له : قد دهمك الفلسطينيون يا شمشون ، فاستيقظ من نومه وقلع وتد النسيج والسدى ، فقالت له : كيف تقول إني أحبك ، وقلبك ليس معي ؟ هذه ثلاث مرات وأنت تخدعني ، ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة ؟ ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم ضاقت نفسه إلى الموت فأطلعها كل ما في قلبه وقال لها : لم يعل رأسي موسى ، لأني ناسك لله من بطن أمي ، فإن حلق رأسي فارقتني قوتي وضعفت وصرت كواحد من الناس وأحست دليله أنه

كاشفها بكل ما في قلبه ، فأرسلت ودعت أقطاب الفلسطينيين وقالت: اصعدوا هذه المرة فإنه قد كاشفني بكل ما في قلبه ، فصعدوا إليها والفضة بأيديهم ، فأضجعته على ركبتيها ودعت رجلاً فحلق سبع خصال رأسه وطفقت تعينه ، ففارقته قوته ، وقالت : قد دهمك الفلسطينيون يا شمشون فاستيقظ من نومه وقال : أخرج كما كنت أصنع كل مرة ، وهو لا يعلم أن الرب قد فارقه . فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا إلى غزة وشدوه بسلسلتين من نحاس ، وكان يطحن في السجن " (١٦ ، ٦-١٢).

بالطبع ، إنه من الصعب جداً تأليف هراء أكثر غباء وسخفاً من هذا اللغو فكل كلمة من كلمات هذه القصة تتضح بالغباء ، وليس فيها ما يسلي حتى الأطفال .

وفي معرض تعليقه علي هذه القصة قال اللورد بولينغبروك : إن فك الحمار الذي ظهر في قصة شمشون قد جاء علي أغلب الظن من فم المؤلف " المقدس " نفسه ، فهذا ليس اكثر من انتحال اخرق ممسوخ للرواية الوثنية لأسطورة هرقل . ومثلها أيضا قصة تقديم ايفجينيا قربانا ، وهي القصة التي ألهمت صاحب قصة يفتاح الجلعادي الذي قدم ابنته فريسة ليهوه . والحقيقة أن اللاهتيون يؤكدون علي أن الميثولوجيا الاغريقية هي التي اقتبست التوراة وحرفتها ، بيد أن هذا التجريح البالغ الذي يتعهده منافقون محترفون تحبطه تواريخ دقيقة أشار اللاهوتيون أنفسهم إلي بعضها .

فهم يقولون مثلا إن صموئيل هو كاتب سفر القضاة ، وقد كتبه في عهد الملك شاول ، ولكن أسطورة هرقل ظهرت عند الاغريق قبل حرب طروادة بزمن طويل ، وهذه الأخيرة وقعت قبل انتخاب شاول ملكا علي الإسرائيليين بأكثر من مائتي عام . زد إلى هذا ، أن الأسطورة الوثنية صيغت بدقة وأحكام وفطنة ، وهو ما لا تتصف به الأسطورة اليهودية . فنهاية هرقل أقل عبثية بكثير من نهاية شمشون. ففي الأسطورة الاغريقية أسرت فتنة أمفالي هرقل إلى درجة نسي معها بطولاته القتالية وحبه الترحال فأقام قرب حبيبته ،

التي اصبح تأثيرها عليه كبيرا جدا ، وفي الوقت الذي كانت فيه ملكة ليديا تتبختر بثياب البطل متسلحة بعصاه الرهيبة كان هذا الأخير عند قدمي هذه الحسناء مرتديا ثيابها ويحاول ان يتعلم حياكة الصوف فيكسر إبرة الحياكة ويتلقى صفعات عشيقته علي مؤخرة رأسه . لكن هذا المشهد يمثل تعبيرا نموذجيا للتأثير الذي يمكن أن تحوزه المرأة الحبيبة علي الرجل العاشق حتى وان كان عظيما ، والمجاز لا يتعدى هنا حدود الممكن أو المعقول .

وإذا كان هرقل قد نسى هيبته وكرامته ، فعلينا أن نقر بان هذا كله حدث في ظل سيادة العلاقات الغرامية بين العاشقين ، فهاهنا يتجولان كل في ملابس الآخر ، ونسيت امفالى موقع مملكتها ، فقادت هرقل إلى أحد الكهوف حيث قضيا ليلتهما بعيدا عن قصرها . وفى أحد الأيام خان هرقل امفالى ووقع في غرام إحدى المقربات منها ، تلت ذلك مغامرات أخرى قام بها هذا البطل الأسطوري . وأخيرا ، أيست ديانيرا من خيانات زوجها التي بدا أنها لن تنتهي ، فأرسلت إليه رداء القنطور، معتبرة إياه طيلسانا قادرا لن يعيد لها زوجها العاق ويجعله يؤدى واجباته الزوجية ، ولكن هرقل لم يستطع أن يتحمل الآلام التي سببتها له العباءة ، ولما لم يستطع أن يحملها قرر أن ينتحر ليضع حداً لآلامه الرهيبة ، فأضرم ناراً عظيمة ورمى بنفسه فيها .

إذا ، الذي لا ريب فيه ، أن قصه شمشون ودليله هي تقليد مسخ لأسطورة هرقل وامفالى . ومع ذلك ، نحن نجيز الاعتقاد بأنه كان باستطاعة " الروح القدس " أن يقدم بطليه في صورة افضل من تلك التي رأيناهما فيها ، فمن الواضح أن شمشون لم يكن يثق بدليله ، وقد كذب عليها مرات ثلاث بصدد المصدر الحقيقي لقوته . وقد اتضح له في كل مرة أن ثقته بدليله يمكن أن تقوده إلى صدام حقيقي مع أعدائه ، ومع ذلك باح لها بحقيقة سر قوته ، وهو اثمن ما يملكه، وهنا بالذات يكمن الهراء واللغو ، هذا إذا لم يكن هذا القاضي اليهودي آخر الحمقى ، ونحن لم نتساءل بعد كيف استطاع شمشون

أن يدير أحجار الرحى الثقيلة في السجن بعد أن فارقته قوته ؟ وبدا أن الأمر يجب أن يكون على الضد من ذلك ، أي أن يبقى شمشون قويا كما كان ، ثم يرغم على تأدية أعمال نسائية ما ، كذلك العمل الذي أداه هرقل . ولكن كلما توغلت في الغابة اعمق ، كلما زادت كثافة الشجر . وكلما تابعت قراءة هذه القصة تكشف لك مزيداً من الحماقات التي لا مبرر لها . فقد عرف الفلسطينيون مصدر قوة شمشون مثلاً ، وفى هذه الحال ، فان ابسط حدود الحذر والحيطة كانت تتطلب منهم قص ضفائره من وقت لآخر ، بيد أن شيئا من هذا لم يحدث ، بل أعطوه فرصة أخرى دن أن ينتابهم أي قلق .

وسرعان ما أقام الفلسطينيون حفلا كبيرا على شرف الإلـة داجون. وجاءوا بشمشون من السجن إلى القصر الذى اجتمع فيه ثلاثة آلاف محتفل من الرجال والنساء ، ثم وضعوه بين العمودين اللذين كان البناء يستند عليهما (!) .

" ثم قبض شمشون على العمودين اللذين في الوسط القائم عليهما البيت ، واتكأ عليهما آخذا أحدهما بيمينه والآخر بشماله ، وقال شمشون : لتمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحنى بشدة ، فسقط البيت على الأقطاب وعلى جميع الشعب الذي في البيت . فكان الموتى الذي قتلهم في موته ، اكثر من الذين قتلهم في حياته"(١٦،٢٩-٣٠)

غنى عن القول ، انه لا ينبغي على المرء أن يكون ميالا إلى الوثنية حتى يعترف بان موت هرقل كان اكثر شاعرية من موت هذا اليهودي الأحمق . أما مقارنة حياة البطلين فتظهر لنا شمشون هزيلا سخيفا قاحلا لا روح فيه . وكيف ترضى بطولاته قلب المؤمن إذا نظرنا إليها من الوجهة الدينية ؟ فحسب التوراة ، لم يهاجم شمشون الفلسطينيين ويحرق حقولهم لان ثورة وطنية اجتاحت قلبه ضد أعداء قومه ومستعبديهم ، ولم يفعل ذلك لينتقم للإله التوراتي الذي رما داجون الفلسطيني تحت قدميه ، بل فعل ما فعله ليرضى نزوة ذاتية دفعته إلى الانتقام من الذين عاشوا بينهم أمتع أيام حياته ، فقد أهين لأن الفلسطينية التي اغرم بها لم تبق زوجة له سوى ستة أيام ،

وأعطيت بعدها زوجه لاقرب اصدقائه . لقد كان ذلك المغوار الابله يطفئ غليله نافثا سموم حقده على الفلسطينيين ، وهو أمر لا صله له بالشعور بالاضطهاد القومي . علاوة على ذلك يبدو أن شمشون كان يحتقر بنات إسرائيل ، ولذلك كان يبحث عن النساء بين الفلسطينيات فقط . ولكن أين يهوه من هنا ؟ فشمشون لا يفكر فيه إلا قدر تفكيره بثلج العام الماضي .

أما هرقل ، فهو بطل إغريقي وطني ، وإذا كنا لا نعترف بأن بطولاته حقيقية ، فيجب علينا أن نأخذ بالحسبان أن قصص بطولاته كانت تنبع من انبل الأحاسيس ، واصدق المشاعر . فبطولات هرقل ليست مجرد تجل فظ للقوة البدنية : لقد استخدم هرقل قوته لنصرة الضعفاء دائما ، وكان يفعل ذلك بطيب خاطر . ففي أيام شبابه صادف هرقل الفضيلة والرذيلة ، وقد اتخذت كل منهما صورة امرأة فاتنة دعته بإلحاح ، فمن اختار ؟ إحداهما برقت في عينيه بألف إغراء قادر كل منها على جذب أي رجل واخضاعه . فلفتت نظره إلى طريق سهل واسع نبتت فيه الورود . بينما دعته الأخرى إلى طريق وعر ضيق وخطر فاختار المحاكمات الذهنية العاقلة ، التي لم تكن تتناسب وصغر سنه فقد أدرك أن الطريق الذي اختاره هو طريق السعادة الحقيقية ، أما الطريق الواسع المزروع بالورود ، فينتهي بالأم داخلية وجدانية.

إذاً فليتلف باباروما وجوقة البطاركة حناجرهم صراخا ، فلن يفلحوا في إقناع أي متنور بأن الوثنية من عمل الشيطان ، ولن يكون بمقدورهم نفي حقيقة أن المجازية الوثنية مفعمة بأخلاقية سامية جداً . لقد أمضى هرقل حياته كلها في محاربة الطغاة والوحوش ، ولا يفعل إلا ما هو خير للبشر فقاتل مختلف ضروب جلادي البشر وأباد أعتى القتلة واللصوص . إن هذه المقارنة تمثل مقتل بطل التوراة . فلكي يفضل المرء شمشون على هرقل يجب أن يكون عبدا للبلاهة الدينية. (٨٠) .

تستغرق القصة في العهد القديم من الفقرة ٢٤ من الإصحاح ١٣

إلى الفقرة ٣١ من الإصحاح ١٦ من سفر القضاء ص ٤٠٤ إلى ص ٤٠٩ . يقول المؤرخ جيمس فريزر : " يبدو شمشون البطل المارد ذا شخصية غريبة بين قضاة إسرائيل الكبار . وقد ذكر الكتاب المقدس أن شمشون كان يشغل منصب قاضي القضاة في بني إسرائيل طيلة عشرين عاما . ولكنه لم يذكر شيئا من احكامه القضائية التي أصدرها وفقا لشخصيته القضائية . وإذا كان لنا أن نصدر حكما على فحوى أحكام شمشون من خلال طبيعة أفعاله فإنه يحق لنا أن نتشكك فيما إذا كان هذا الرجل يعد مفخرة في تاريخ القضاء الإسرائيلي . ذلك أن موهبته كانت اكثر ما تتمثل في أحداث الشغب والعراك وفي إحراق مؤن الذرة التي يختزنها الناس وفي كثرة التردد على بيوت الدعارة ، أي أن شمشون كان يبدو في شخصية الطليق الفاجر اكثر مما كان يبدو في شخصية القاضي والكفء الصارم.

ومن ثم فنحن لن نعالج الان قائمة جافة من الاحكام القانونية ، وانما سنعالج حكايات مغامراته المسلية غير اللائقة في الحب والحرب ، او بالاحري في القرصنة . ذلك أننا اذا قبلنا الحكايات التي دونت عن هذا الطائش الفاجر ، ونحن ملتزمون بها بدون شك ، فإننا نجد أنه لم يقم بحرب نظامية وانما بغارات تقوم علي السلب والذبح ، ولم يفعل هذا بدافع وطني أو دهاء سياسي ، وانما بدافع حقد شخصي صرف يهدف الي الانتقام من هؤلاء الذين أساءوا له ولزوجته وولدهما . فقصته من بدايتها حتى نهايتها هي قصة مغامر أناني مخادع تحركه ثورات عاطفية جامحة لا يكترث بشئ سوى ارضاء نزواته الجنسية الوقتية . ولم يخفف من حدة نذالة هذه الشخصية وابتذالها المألوف سوى تلك القوة الخارقة للعادة والبسالة الطائشة ونمط مقيت من الفاكهة . وقد رفع هذا كله القصة الي نوع من الملحمة الهزلية من النوع الذى كتبة الشاعر الايطالي الكوميدي (أريستو) .

واذا كانت هذه العناصر قد أضفت الجدة علي قصة معارك هذه

الشخصية فانها لم تقلل من احساسنا بالنفور من هذه الشخصية الغريبة المحتالة المتغطرسة ، وبخاصة اذا وضعناها جنب الي جنب مع شخصيات القديسيين والابطال الذين صوروا في معرض التاريخ الاسرائيلي .

وربما تمثلت الحقيقة في أن المبالغة في تصوير شخصية شمشون ترجع الي لمسات مصور القصة أكثر مما ترجع الي الحقيقة التاريخية . اذ من المحتمل ان الحوادث العجيبة المسلية التي رويت عن تاريخ حياة هذه الشخصية السيئة السمعة قد انسابت في غير ضابط بوصفها حكايات شعبية مع تيار التراث الشفاهي ، وهو من نوع الرجال العبريين الذين كانوا يعيشون علي السلب والنهب ، اشتهر بوصفه بطل اسرائيل في كثير من الغزوات التي كان يقوم بها عبر الحدود الي سهول فلسطين الغنية ، بفضل مزاجه الحاد وقوته الخارقة وجسمه القوى ، ذلك لانه ليس هناك سبب مقنع يجعلنا نشك في وجود اساس صلب من الواقع يرتكز عليه هذا التكوين المهلهل الخيالي الذى تشف عنه اسطورة شمشون " (٨١).

٣- عاهرة الكاهن

ينتهي كتاب القضاة بواحدة من الحكايات التي قلما تساهم في رفع مستوى سمعة الشعب الذى اختارة الاله يهوه ، وهي لا تختلف في هذا عن غيرها من القصص التوراتية الاخرى . فقد كان لأحد اللاوين عشيقة وبينما كانا في طريق ماء توقفا في مدينة جبع التي يقطنها بنو بنيامين فنزلا في بيت عجوز مضياف . اذا تعالوا الان لنقرأ النص " المقدس " لهذه الحكاية :

" فلما طاب انسهم اذا رجال المدينة قوم بنو بليعال قد احاطوا بالبيت وطفقوا يقرعون الباب وقالوا للشيخ رب البيت : أخرج الرجل الذى داخل بيتك لنعرفه ، فخرج اليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم : لا يا اخوتي لا تفعلوا شرا بعدما دخل هذا الرجل بيتي ، لاتفعلوا هذه الفاحشة ، هذه ابنتي العذراء وسريته اخرجهما اليكم

فاذلوهما واصنعوا بهما ما يحسن في عيونكم ولا تصنعوا بهذا الرجل هذا الامر الفاحش . فأبي القوم ان يسمعوا لـه فـأخذ الرجل سريته وأخرجها اليهم خارجا فعرفوها وتعللوا بها الليل كله الي الغداة وتركوها عند الفجر ، فجاءت المرأة عند اقبال الصباح وسقطت عند باب البيت حيث كان مولاها وكانت هناك الي النهار فقام مولاها بالغداة وفتح باب البيت وخرج ليذهب في سبيله فإذا بالمرأة سريته مطروحة علي باب البيت ويداها علي التعبة فقال لها : قومي بنا ننطلق فلم تجبه فحملها علي حمارة وقام الرجل وانطلق الي مكانه وأتي بيته وتناول سكينا وأخذ سريته فقطعها مع عظامها اثنتي عشر قطعة وزرعها في جميع تخوم اسرائيل "(١٩،٢٢-٢٩).

يقول بولينغبروك في معرض تعليقه علي هذا المشهد انه نسخة طبق الاصل عن مشهد السدوميين عندما أرادوا اغتصاب الملاكين ثم يقول : إننا نستطيع أن نغفر للشباب الاغريقي المتأنق مشاركته في حفلات التهتك التي يذهب إليها متعطرا فتستيقظ فيه احاسيس تنفر منها النفس البشرية . ولكن ما الذى نستطيع قوله عن اهالي جبعة وهم اكثر اثارة للاشمئزاز من الكلاب وقت السعار ؟ والان حق لنا ان نتساءل : هل يمكننا ان نصادف في غير الكتاب الذى ينسب الي " روح القدس " صورة اشد كراهة من الذى وقع لهذا اللاوى الذى يرجح ان يكون غبار الطريق قد عطي لحيته الكهنوتية وزادها قذارة ومع ذلك اثار شهوة رجال مدينة جبعة كلهم ؟

ويتابع بولينغبروك قائلا : " في قصص التاريخ القديم كلها لا نقع علي ما هو اكثر قباحة من هذا العفن ، فالملاكان اللذان جاءا الي سدوم كانا شابين نضرين مقدسين بل وربما كانا فاتنين ايضا كما هي حال الملائكة كلهم وهو امر من شأنه اثارة شهوة اهل سدوم اما اهل جبعة فقد بلغوا الدرك الاسفل من العهر ".

أما تقطيع جسد المرأة الميتة الي اثنتي عشرة قطعة وارسالها الي قبائل اسرائيل الاثنتي عشرة فهو يمثل سابقة تثير النفور ايضا ، فقد كان ذلك يتطلب ارسال اثنتا عشرة ؟ والي من كان يجب تسليم

القطع الاثنتي عشرة ، طالما أن القبائل كانت تعيش بغير زعماء معترف بهم ؟ ألم يكن بنو اسرائيل كلهم عبيدا عند الفلسطينين ؟.

" فخرج بنو اسرائيل كلهم واجتمعت جماعة الي الرب في المصفاة كرجل واحد من دجان الي بئر سبع وارض جلعاد ووقف وجوه جميع الشعب وكل اسباط اسرائيل في مجتمع شعب الله اربع مائة الف راجل مخترط سيف " (١،٢٠-٢).

لاريب أن قارئي الكريم لا يزال يذكر أن هذا كله يقع بعد موت شمشون مباشرة أي عندما كان اليهود عبيدا للفلسطينيين ، فكيف اجتمعت القبائل إذا ؟ وكيف سمح السادة لعبيدهم أن يجمعوا ذلك العدد الكبير من المسلحين ؟لا تقول التوراة شيئا عن هذا كله بيد أن " الحمامة المقدسة " نسيت الحال المزرية التي كان فيها الشعب الذي اختاره يهوه ، أضف إلى هذا انه كان يجب رفع الشكوى إلى الفلسطينيين أصحاب البلاد ليتخذوا الأجراء اللازم ضد مقترفي تلك الشناعة ، فقد كان ذلك من حق الحكام فقط .

ثم تقييد التوراة بأن ٤٢٦,٧٠٠ مسلح يجب أن يكون تحت إمرة جيش لا يقل عدد مقاتليه عن ثمانمائة ألف مسلح في اقل تقدير . زد الى هذا ، ان كتاب الملوك الاول (١٣ ، ١٩) يؤكد بان الفلسطينيين لم يسمحوا بان يكون عند اليهود حدادا واحدا ، خوفا من ان يصنعوا السيوف والرماح ، فقد كان اليهو يتوجهون الى الفلسطينيين ليشحذوا ادوات العمل .

والسؤال الان ، اين الصدق من الكذب فى هذين النصين ؟ فى اى سطر من هذه السطور كان " الروح القدس " اكثر تعبيرا من سخريته من غباء المؤمنين به ؟

والان ، سنرى اى مجزرة وقعت فى اعقاب الاغتصاب الجماعى لقحبة اللاوى الرسمية ، ففى اجتماع الاربعمائة الف مقاتل روى الكاهن ما وقع له . يا الهى ! اى صوت جبار كان لدى ذلك العجوز الذى استطاع ان يسمع قصته اربعمائة الف مستمع ؟! ..

ولم تترك لنا التوراة مجالا لتوقع ما قاله اللاوى ، فقد ساقت لنا

خطبته كامله . فهو بعد ان اشار الى نزوة الجبعيين القبيحة التى كاد ان يقع هو نفسه ضحيتها ، طالب بالثأر لشرف عاهرته المهدور فقال: " لقد اذلوا سريتى حتى ماتت " . وتجدر الاشارة هنا الى ان الرواية اتهمت رجال مدينة جبعه كلهم بفعل الاغتصاب ، أما فى حديث اللاوى المفجوع ، فقد قالت " الحمامة " : ان " من جميع هذا الشعب ، سبع مائة رجل عسر الايدى ، اولئك الذين يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطؤون " (٢٠ ، ١٦) .

اذا ، لقد استمرت عملية الاغتصاب ، التى قام بها رجال مدينة جبعة ، ليلة كاملة . واذا اعتبرنا ان الذين ارتكبوا الجريمة هو السبعمائة فقط ، واخذنا بالحسبان ان الليل لا يستمر فى فلسطين اكثر من عشر ساعات ، فعلينا ان نقر عندئذ بان هؤلاء الرجال الشبقيين كانوا يفرغون قذائف فجلاتهم فى فرج تلك التاعسة بسرعة مذهلة ! وغنى عن القول بالطبع ، ان المرأة لم تستطع ابداء اى مقاومة ، وسرعان ما تحولت الى كتله هامدة فاقدة كل احساس . ومع ذلك فالمذهل فى الامر هو ان تتحمل عشيقة ذلك الكاهن سبعين رجلا فى الساعة ، اى اقل من دقيقة للرجل الواحد !! وهذا ما يدعو الى الاعتقاد بان الرجال نظموا الامر منذ بدء عملية الاغتصاب ، بحيث سارت الامور وفق نظام معين استغلت فيه كل ثانية . فهل يستطيع احد ألا يرى فى التوراة بعد هذا ، كتاب " العجائب " المذهلة الفريدة من نوعها ؟! ..

فنهض بنو اسرائيل بكرة ونزلوا على جبعة ، وخرج رجال اسرائيل لمحاربة بنيامين ، واصطف بنو اسرائيل للحرب عند جبعه فخرج بنو بنيامين من جبعه ، فاسقطوا من اسرائيل فى ذلك اليوم اثنين وعشرين الف رجل (٢٠ ، ١٩-٢١) .

اننا لا نعجب من وقوف يهوه الى جانب بنو بنيامين التى قامت تدافع عن رجال العهر والفسق ، فهذا دأبه دائما ، انه يساند المجرمين والمغتصبين واللصوص والقوادين وما شابه ....

" فخرج عليهم بنيامين من جبعة فى اليوم الثانى فأسقطوا من بنى

اسرائيل ايضا ثمانية عشر الف رجـل كلهم مخترطو سيف " (٢٥) وبهذا تكون خسـائر الاسرائليين قد بلغت فـي يومـي قتـال ٤٠٠٠٠ رجل ممن يقاتلون فى سبيل الحق . ولكن لا'تتعجل قـارئى الكريـم ، وانتظر معنا نهاية هذا العبث ، فبنو اسـرائيل سينتصرون فـى نهايـة المطاف ، وهذا ما يريح قلوبنا التى يعتصرها الالم لحالهم ، ولكن ما يثير الشجن فى نفوسنا هو ذلك العدد الكبير من القتلـى اليهود الذيـن سقطوا بسيوف أخوتهم !!!

بيد ان القبائل الاسـرائيلية لـم تنتصـر لانهـا ابلـت بـلاء حسنـا فـى الدفاع عن الحق ، بل لان فنحاس بن اليعازر بن هارون رفع صـلاة حارة الى الـرب الإلـه بصـدد هذا الامر . أيعقل ان يكـون فنحـاس بعينه؟! ألم يزل صاحبنا على قيد الحياة ؟ نعم سيدى انـه هـو ! ومـع ذلك لـم تشـر التـوراة اليـه مـن قريـب او بعيـد ، خـلال هذا الزمـن الطويل كله ! .

" وأقبـل مـن قبالـة جبعـه عشـرة الاف رجـل منتخبـون مـن كـل اسرائيل ، فاشتد القتال ، ولم يعلم بنو بنيـامين ان البـلاء قد مسـهم . فهزم الرب بنيامين امام اسرائيل ، وأهلك بنـو اسـرائيل مـن بنيـامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين الفا ومائة ، كلهم مخترطو سيـف فأيقن بنو بنامين بالهزيمة ، وأخرج رجال اسرائيلين بنيامين لانهم اعتمـدوا الكمين الذى أقاموا على جبع "(٣٤ - ٣٦).
عندئذ ولوا الادبار باتجاه الصحراء فتبعتهم جيوش اسـرائيل واحـاط اليهود " ببنى بنيامين " وطاردوهم حتى دعه " وداسوهم على دعـة ، الى مقابل جبعه من جهه مشرق الشمس " وفقد " بنو بنيامين " ثمانية عشر الف رجل فى ذلك الحصار (٤٢-٤٤) ثم اتجه الفارون الـى صخرة الرمون وهناك ابـاد الاسـرائيليون منهم خمسـة الاف أخرى كانو قد ادركوهم فى الطريق واستمرت مطـاردة اسـرائيل لبنيـامين حتى جدعوم . فقتلوا منهم الفا اخرى (٤٥) ولم ينج من بنيـامين فـى تلك الحـرب سـوى سـت مائـة رجـل تحصنـوا فـى صخـرة الرمـون واقاموا هناك اربعة اشهر ، اما الاسـرائيليون فقد عـادوا مـن سـاحة

المعركة الى جبعه وقتلوا كل من لجأ اليها من البشر والحيوانات واضرموا النار فى مدن بنيامين وقراهم كلها ، غير ان ما يلفت النظر فى هذه الرواية هو التشوش الذى يعانى ذهن " الروح القدس " منه ، وقد يكون سبب ذلك كثرة الارواح البشرية التى ابادها دفاعا عن شرف عاهرة الكاهن الرسمية ، فقد افادنا لتوه بأن عدد المقاتلين عند بنيامين ٢٦,٧٠٠ مقاتل ، بمن فيهم مقاتلوا جبعه الاشداء ، ولكن عملية حسابية بسيطة تبين ان بنيامين خسر فى تلك الحرب ٥,٠٠٠ الفا من مقاتليه . ونحن لا نجد تفسيرا لهذا التناقض الا باحد امرين : اما ان يكون بنو بنيامين انجبوا فى اثناء العمليات القتالية فضاعفوا عدد مقاتليهم ، ونكون عندئذ امام " عجيبة " مثيرة حقا ، او ان " الروح القدس " نسى قواعد الجمع الحسابى عندما كان يلقن هذا الاختلاق العجيب ، وهذا ما يجعل من " العجيبة " امرا اكثر اثارة للعجب !

اما الامر الطريف الاخر فى هذه الحكاية فهو ظهور فنحاس ، فيها فقد ظهر هذا الرجل الشهير على مسرح الحدث عندما لم يكن احد ينتظره ، لانه يجب ان يكون فى لدن يهوه . ونحن كما قد اعتقدنا بأنه دفن منذ زمن بعيد الى جانب جده هارون ، او الى جانب والده اليعازر في اقل تقدير ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل ! وذهب حزننا عليه عبثا . فالسطر ٢٨ من الاصحاح ٢٠ فى كتاب القضاة ، لم يترك لنا مجالا للشك او اللبس ، فالحديث يجرى فيه عن " فنحاس بن اليعازر بن هارون " ، وليس عن اى شخص اخر يحمل اسم فنحاس ، ولكن أين المعضلة فى هذه كله ؟ إنه فنحاس ابن اخ موسى، وانتهى الامر هنا . اذا عدوا معى على اصابع ايديكم :

فهذا الرجل هو نفسه فنحاس الذى قرأنا فى مكان آخر انه فى حياة موسى قتل اليهودى زمرى وهو يضاجع الحسناء المديانية كزبى . وكان سفر العدد قد اعطانا وصفا رسميا لتلك المأثرة التى اجترحها فنحاس (عدد ٢٥ ،٧، ١١) ولقد وقع ذلك الحدث فى موآب قبل ان يدخل بنو يعقوب " ارض الميعاد" وقبل عبور الاردن بزمن

طويل . اى ان كثيرا من المياه كـان قد جرى فـى النهر منذ مقتل زمرى حتى مذبحة بنى بنيامين . ومن المفيد ان نتذكـر ان المجزرة وقعت بعد وفاة شمشون ، وهى خاتمة كتاب القضاه .

لا ريب انكم تذكرون معى ان يهوه لم يسمح سوى للجنرال يشوع والسيد كالب بدخول ارض الكنعانيين ، وحرم هذه النعمة على جميـع اليهود الاخريـن مـن الذين خرجـوا مـن مصـر فـى سـن العشرين ، وتقول التوراة ان يشوع عـاش مائةوعشـرة أعـوام ، وإذا حسـبنا الاربعين عاما ، التى قضاها تائها فى الصحراء مع غيره من اليهود، مـع الاعوام العشرين التـى كـانت تشكل سنه لحظـة عبور البحـر الاحمر ، لتبين لنا انه كان فى الستين من عمرة عندما اصبـح خليفـة موسى على اليهود . وهذا يعنى انه حكم اليهود وقادهم خمسين عاما.

والان . كم مضى من الزمـن منذ ان عبر اليهـود نهر الاردن ، وحتى اباده " بنى بنيـامين " ؟ يشـوع حكـم ٥٠ عامـا . وفـى السطر العاشر من الاصحاح الثانى فى سفر القضاه ان جيلا كاملا " نشأ من بعدهم لا يعرف الرب ولا ما صنع لاسرائيل " لنعط هذه الجيل ٢٠ . ثـم جاء اول سقوط لليهود فـى العبودية عند الملك الرافيدينـى ، واستمر ٨ سنوات ، تلاه التحرير وحكم القاضى عثنييل ٤٠ عامـا . وجاءت العبودية الثانية فى عهد الملك عجلون واستمرت ١٨ عاما . ثم رمى نير هذه العبودية بفضل القـاضى اهود الـذى حكم اسـرائيل ٨٠ عامـا . حلت بعدهـا العبوديـة الثالثـة فـى عهـد الملـك يـابين واستمرت ٢٠ عاما . تلاها انتصار دبيورة وبـاراق ، ثـم ٤٠ عامـا مـن السـلام . وظهـر المديـانيون مـن جديد وجلبـوا معهـم العبوديـة الرابعه التى استمرت ٧ سنوات .

فجاء جدعون ومعـه الحريـة من تلك العبودية و ٤٠ عامـا مـن السلام . ثم سقط اليهود تحت النير مرة اخرى ، لكنـه نـير أبيمـالك هذه المرة ، وهـو مـن ابنـاء بلدتهم ، وقد استمر نـيره ٣ سنوات . وحكم القاضى تولع ٢٣ عاماً، تلاه يـائير ٢٢ عامـا ، ثم نزلت بهم العبوديـة السادسـة واستمرت ١٨ عامـا قـام بعدهـا القـاضي التـاعس

يفتاح وحررهم وحكم فيهم ٦ أعوام . بعد ذلك جاءتهم عبودية الفلسطينيين التي استمرت ٤٠ عاما ، بعدئذ ظهر شمشون وبطولاته وقد حكم فيهم ٢٠ عاما وبهذا يكون المجموع ٤٨٠ عاما! وهو الزمن الذى يفصل بين عبور اليهود نهر الاردن ومعهم فنحاس الذى رافق والده اليعازر وشهد وفاة شمشون .

الخلاصة : ان الكاهن فنحاس كان قد بلغ الخمس مائة من العمر عندما طلب الي يهوه الوقوف الي جانب اسرائيل ضد بنيامين لانه دفاع عن السبع مائة الذين أمتهنوا كرامة عاهرة اللاوي وداسوا شرفها!

ولكن لماذا تنسي التوراة الاشارة الي سن الكاهن الاكبر فنحاس ؟ فالدقة هنا ضرورية . يقول المرتابون ان " الروح القدس " خاصم الحساب ونسي التاريخ .. واي تاريخ ؟ انه التاريخ المقدس !

وبعد ان سحقت القبائل الاسرائيلية قبيلة بنيامين ندمت ندما شديدا علي فعلتها وناح اليهود قائلين : " ويل لنا ! لماذا اختفي سبط منا ؟ " لكن تذكروا الست مائة بنيامين الذين تحصنوا في صخرة الرمون . وتساءلوا : لماذا لا يكون هؤلاء البذرة التي تنمو فيها شجرة بنيامين ثانية ؟ ولكنهم تذكروا أنهم كانوا أقسموا منذ بدء العمليات بألا يزوج أي اسرائيلي بناته الي أي رجل من سبط بنيامين وبدأوا البحث عن مخرج . وها هو أحد الفطنين يقوم بينهم ويقدم اقتراحا مفاده أنه لا بد أن تكون هناك عائلات لم تشارك في العمليات العسكرية عند المصفاة ، وهي بالتالي لا علاقة لها بالقسم المذكور . وبعد بحث مضن وجدوا أن يهود مدينة يابيش لم يشاركوا في الاجتماع الذى قرر ابادة " بني بنيامين " وعلي الفور تألفت فرقة من الجلادين كلفت بابادة يهود يابيش الابرياء ، ولم يهنأ لهؤلاء القتلة بال إلا بعد أن ابيدت يابيش ولم يبق منها سوى أربع مائة عذراء سيقت الي صخرة الرمون .

ولكن مائتي بنياميلي بقوا دون زوجات ، أي أن الأزمنة بقيت قائمة . حينئذ تذكر شيوخ اليهود العيد العظيم الذى يقام في مدينة

شيلو علي شرف يهوه ، فأصدروا القرار الحكيم التالي : يسمح " لرجال بني بنيامين " الذين لم يحصلوا علي زوجات أن يختطفوا زوجات لهم من بنات اسرائيل اثناء اقامة المواسم الاحتفالية الدينية ، وهذا ما وقع . ولم تكن امهات الفتيات وآباؤهن راضين بيد أنهم حرموا حق الاحتجاج وعاد بنو بنيامين الي مدنهم وقراهم المهدمة فعمروها من جديد .

لكن النقاد رأوا أن إعادة بناء قبيلة بكاملها بهذه الطريقة أمر غريب بعض الشئ ، إلا أن النقاد قوم كفرة ولذلك لن نعير ملاحظاتهم أي اهتمام .

اثناء الاحتفال بعيد الرب كان " تابوت العهد " موجودا في شيلوه أي ان يهوه نفسه كان هناك ، وبما أنه لم يقذف النار واللهب اللذين يستخدمهما عادة لابادة المجرمين فليس ثمة دليل اكثر قوة علي أنه كان راضيا الرضي كله عن خاطفي الفتيات . وعليه فليصمت النقاد، وليسجدوا للرؤيا الالهية!(٨٢).

٤- الملائكة ومغامرات غرامية علي الارض

يقول المؤرخ ليوتاكسل تحت هذا العنوان : " هاقد وصلنا الي واحد من اكثر أماكن التوراة إثارة للفضول ، وهو المكان الذي اسقطه الكنسيون من كتب تعليم " التاريخ المقدس " معبرين بذلك عن صفاقة متناهية وفن ومهارة في تزوير عقائد الدين . فآباء الكنيسة " المقدسون " يصرخون بأعلي صوت : ان التوراة كتاب " الهي " وانها كتبت تحت اشراف الله مباشرة ولذلك فان مافيها كله حقيقة خالصة وهي تستحق التبجيل كله ، ولكن لماذا لا يمنح رجال الكنيسة المؤمنين فرصة لمعرفتها كلها دون حذف أي سطر من سطورها ؟ فالكتب " المقدسة " يجب ان تؤخذ كما هي ، اما حذف هذا المقطع او ذاك منها لانه يتناقض مع بعض بنود العلوم اللاهوتية التي أعلنت عقائد ايمان فانه ليس أفضل من رميها برمتها ، لأنها لن تبقي بعد

ذلك مقدسة وتغدو مستحقة كل احتقار ، فالكذب في بند ما يشكل قرينة كافية لدحض منشأها الالهي كله .

فما ان يذكر اسم نوح حتي ينتقل أي واعظ ديني الي قصة الطوفان مؤكدا ان شرور الناس اثارت غضب يهوه وارغمته علي ارسال الطوفان ليجرف تياره كل شئ ماعدا عائلة واحدة زعموا ان ربها بقي صالحا نقيا.

لكن التوراة تقول شيئا مختلفا اذ تعرض السبب الحقيقي لاثم البشر في اربعة سطور من الاصحاح السادس في سفر التكوين . ولا أظن أنه يحق للسادة اللاهوتيين التزام الصمت حيال هذا المقطع من كتابهم " المقدس "! واذا كان المقطع المذكور يضعهم في موقف حرج فقد كان ينبغي علي " الروح القدس " ان يرى ذلك مسبقا ويمتنع عن تلفيقه لكاتب سفر التكوين ! العلقم مر طعمه لكن معلمي الكنيسة وكهنتها " المقدسين " كانوا قد شربوه مرة قبل ذلك، ويتمثل هذا العلقم الآن في السطور الأولي من الاصحاح السادس في سفر التكوين حيث نقرأ :

" وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون علي الارض وولد لهم بنات ، أن رأى ابناء الله ان بنات الناس حسنات فاتخذوا لانفسهم زوجات من كل ما اختاروا فقال الرب : لن يظل الانسان مزدريا روحي الي الابد ولانه بشر فلتكن ايامه مائة وعشرين سنة . كان في الارض طغاة في تلك الايام وخاصة منذ الوقت الذى اصبح يدخل فيه بنو الله علي بنات الناس وبعد أن يلدن لهم أولادا : هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم (تكوين ٦،١-٤).

فيما يقص سفر اخنوخ في اصحاحه الثاني تفاصيل قصة عشق الملائكة لبنات البشر: " بما أن عدد الناس زاد كثيرا فقد أصبح عندهم كثير من الفتيات الجميلات ، فأغرم الملائكة بأكثرهن حسنا واقترفوا بسبب ذلك كثيرا من الاثام ، لقد دب الحماس فيهم فقالوا : لننزل الي الارض ولنختر لانفسنا زوجات من بين أجمل فتيات البشر. عندئذ قال لهم سيميازاس ، الذي جعله يهوه أميرا علي المع

الملائكة : أنه لسعي مشكور وأمنية رائعة لكنني أخشى ألا يكون بمقدروكم تحقيقها فأجد نفسي مرغما علي أن أنجب وحدي اطفالا من بنات البشر . فأجابه جميعهم : اننا نقسم علي اننا سنحقق غايتنا ولنكن ملعونين ان نحن أخلفنا واتحدوا بهذا القسم كلهم ، كان عددهم في اول الامر مائتي ملاك وقد وقع هذا في الزمن الذى عاش فيه يارد والد أخنوخ.

وهكذا توجه الملائكة الي الارض معا فصعدوا الي جبل حرمون جبل القسم ، وهذه اسماء زعمائهم العشرين : سيميازاس ، اتاكورث ، اراسينيل ، جوبابينيل ، كورامام ، رامينيل ، سامبسيك، زكينيل ، بالكينيل ، حزاقينيل ، ثارمار ، أمارينيل ، أنا غيماس ، ثاوزانيل ، سامينيل ، سارينياس ، يغمينيل ، ثيرينيل ، يومينيل ، سارينيل . هؤلاء وكثير غيرهم أخذوا لانفسهم زوجات من بنات البشر ، بعد ١١٧٠ عاما من لحظة خلق العالم ، فولد العماليق من تلك الزيجات ......"

اذا ليس ثمة عصيان ضد يهوه ، انما الامر يتلخص في ان عددا من صيادي الحب نزل الي الارض بزعامة الامير سيميازاس ، بحثا عن الحب وحسب ، وسيميازاس هذا ليس لوسفير أو ابليسا . ولكن للتاريخ نقول : ان يهوه أخذ يتململ ضيقا عندما رأى أنه سيبقي وحيدا اذا ما بقي سيل الملائكة العشاق يتدفق الي الارض ، غير أنه كظم غيظه وصبر طويلا . ويعطينا سفر التكوين وكتاب أخنوخ رؤيتين مختلفتين بصدد انفجار غضبه العظيم اذا الامر علي غير ما يرام .

فحسب سفر التكوين ان ملاحقة الملائكة فتيات البشر جعلت هؤلاء في غاية الحساسية ، ونحن نرى في هذا مادة تشغل اللاهوتيين . فبإمكان اللاهوتي أن يقول : اذا كانت اللعبة قد أعجبت فتيات البشر وانهن كن شبقات لا يرتوين فانه كان بمقدور الملائكة وهم كائنات خارقة ان يمنحوهن قدرا خارقا من اللذة الجسدية الحسية الامر الذي كان سيؤدى الي اثارة غيظ بني البشر الذين لا يستطيعون

منافسة الكائنات السماوية في هذا الميدان ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما علاقة يهوه بهذا كله ؟ ألم يوص البشر أن يمثروا ويتكاثروا ؟

بيد أن كتاب اخنوخ يعرض الامر من زاوية أخرى ، فالملائكة غدوا علي الارض آباء سعداء وأخذوا يهتمون بأولادهم وصاروا ذوى مهارات فائقة . فعلموا أبناءهم صقل الحجارة الكريمة والسحر وفن قراءة المستقبل بالاجرام السماوية ، بل وعلموا عشيقاتهم الاسرار العظمي ، وسرعان ما تفوقت عشيقات الملائكة وأولادهن العماليق علي بني البشر الآخرين . واذا كنت تملك فن السحر ، فما الذي يصعب عليك فعله ؟!

وأخذت الأرض تنتحب وامتلأت بصيحات الأسي ، فأثرت " الأم " الأرض في أربعة من الملائكة الأصدقاء ، الذين طلبوا من يهوه وضع حد لتلك المهزلة . وفي الوقت عينه ، نشأ نزاع بين السيد أزازيل - وهو ملاك متزوج من فتاه أنسية - والأمير سيميازاس ، فتلقي هذا الأخير بضع لكمات علي فكيه فقد منصبه علي أثرها ، وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه فأرسل يهوه رافائيل ليقضي علي أزازيل ، وحوصر صاحبنا في أحد الكهوف الواقعة في برية دوديل.

بعد هذه الأحداث رأي يهوه أن الطوفان ضرورة لابد منها لتطهير الأرض من الشرور ، وهي الطريقة الوحيدة التي رآها ناجحة لمنع العماليق من ممارسة السحر علي الأرض ، فأغرقها بالمياه وأغرق معها البشر المساكين الذين عانوا مرارة رذالة العماليق السحرة . لكنه قبل أن ينفذ قراره الرهيب ، استدعى الملائكة الذين نزلوا إلي الأرض ليتسكعوا ويتزوجوا ، وأمرهم بالرجوع عن غيهم ، وبالسلوك سلوك مستقيم والكف عن ممارسة الزنى مع بنات البشر .

ويجب علينا أن نفترض أن الملائكة أصبحوا بلا جنس (ليسوا إناثاً ولا ذكوراً) منذ ذلك الوقت . فلكي يتفادى السيد يهوه وقوع مزيد من العبث في المستقبل ألزمهم ، علي الراجح ، أن يتخلوا عن

أعضائهم التناسلية إلي الأبد ، وهذا بالضبط ما كان يفعله ملوك الشرق بكل رجل يشغل وظيفة في حريمهم. ونحن نري في حذف الكنسيين هذا المقطع من الكتب التي يضعونها لتعليم " التاريخ المقدس " ضرباً من العبث ، لأنهم بهذا حرموا الناس معرفة سبب كون الملائكة مخصيين . (٨٣) ص ٥٠-٦٠ التوراة .

النوع الثاني : نقض النص لأمر خارج عنه

التناقض بين النصوص

في مقدمته عن التناقض يقول نيافة القس الدكتور منيس عبد النور: " أحياناً يبدو شئ من التناقض بين عبارتين في الكتاب المقدس، والسبب في هذا وقوع خطأ أو عدم تدقيق في الترجمة " . ويضيف قائلاً : " لا توجد بين أيدينا نسخ الأسفار المقدسة الأصلية بل النسخ التي نسخت فيما بعد ، فمن المحتمل وقوع بعض هفوات في الهجاء وغيره أثناء النسخ ".

ويقول المفسر المعروف (متي هنري) تعليقاً علي هذا الموضوع: " لا نجد كتاباً مطبوعاً بدون قائمة تصحيح الأخطاء ، ولا تنسب الأخطاء للمؤلف ولا تبخس الكتاب قيمته . والقارئ العادي يدرك القراءة الصحيحة تلقائياً أو يدركها بمقارنة الخطأ بصواب آخر في نفس الكتاب " . ثم يقول : " عجزنا عن حل عقدة لا يعني أن غيرنا سيعجز كذلك ، فعندما نقابل في الكتاب عقدة معقدة نتعب في حلها لا يجوز لنا مطلقاً في حالة كهذه أن نسلم بوجود تناقض حقيقي أمامنا ، ومن المحتمل أن الأجيال المقبلة لا تجد صعوبة في حل ما نراه الآن معقداً وغامضاً " (٨٤).

وإن كان هذا اعتذار رقيق وبأسلوب رشيق ، ولكن موضوع التحقيق هو الأحرى بالتدقيق . فكم من السنين قد مرت علي الكتاب المقدس ؟ ولا يزال - كما هو- يعاني من كثرة الصعوبات التي تواجه المحققين والمعلقين علي مر العصور ، وقد أظهر أخيراً

المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني عام ١٩٦٢-١٩٦٥ م هذه الحقيقة في وثيقته الخاصة والتي جاء فيها : ".. إن هذه الكتب تحتوي علي شوائب وشئ من البطلان ، ومع ذلك فيها شهادة عن تعليم إلهي". وبذلك يكون قد خفف بشدة من هذا التصلب ، وذلك بإدخال تحفظ علي أسفار العهد القديم (٨٥).

يقول موريس بوكاى : " إن معرفة تاريخ النصوص تسمح بتكوين فكرة عن الظروف التي قادت إلي التعديلات النصية عبر القرون ، وإلي التكون البطيء لمجموعها كما نملكه اليوم بأجزاء متعددة محذوفة وأخري مضافة . إن هذه المعلومات تجعل وجود روايات مختلفة عن موضوع واحد وأخطاء تاريخية وأموراً متناقضة وأخري غير معقولة في العهد القديم ، ويستحيل أن تتفق مع المعطيات في كتب كتبت في ظروف كتلك التي تكوّن فيها نص التوراة ؟ (٨٦).

ولعرض الأمور المتناقضة بين ثنايا الكتاب المقدس طريقتان :

الطريقة الأولي : التناقض الإجمالي

م	النص القابل	المكان	النص المقابل	المكان
١	فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل	تكوين ٢/٢	الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا	أشعياء ٢٨/٤٠
٢	لأنك يوم تأكل منها موتا تموت فأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل	تكوين ١٧/٢	أيام آدم التي عاشها تسع منه وثلاثين سنة ومات	تكون ٥/٥
٣	لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانة هو بشر	تكوين ٣/٦	سام ٦٠٠ سنة.ارفكشاد٩٦ ٥ سنة. شالح	تكوين ١٠/١١

	وتكون أيامه مئة وعشرين سنة		٤٣٣ سنة فالح ٢٣٩ سنة	
٤	ندمت على إني جعلت شاول ملكاً	صموئيل (١) ١١/١٥	ليس الله ابن إنسان فيندم	عدد ١٩/٢٣
٥	دخول أثنان أثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى	تكوين ٨/٧	تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى	تكوين ٢/٧
٦	وأخذوا لوطا أبن أخي أبرام	تكوين ١٢/١٤	فلما سمع إبرام أن أخاه سبى واسترجع لوطاً أ	تكوين ١٤/١٤ ١٦/١٤
٧	عيسو تزوج محلة بنت إسماعيل	تكوين ٩/٢٨	إن أبنه إسماعيل أسمها نسمة	٣/٣٦
٨	لأني نظرت الله وجهاً لوجه	تكوين ٣٠/٣٢	لا تدر أن تري وجهي لأن الإنسان لا يراني	خروج ٢٠/٣٣
٩	إن الذين أشتروا يوسف كانوا إسماعيلين	تكوين ٢٥/٣٧	إن الذين أشتروه كانوا مديانيين	تكوين ٣٦/٢٨
١٠	إن الله سيصعد يعقوب من مصر	تكوين ٤/٤٦	ان يعقوب مات في مصر	تكوين ٣٣/٤٩
١١	عدد نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر كان سبعين نفسا		ان عددهم كان خمسة وسبعون نفسا	أعمال ١٤/٧
١٢	يعقوب دفنوه في	تكوين	فنزل يعقوب	أعمال

١٣	عظام يوسف دفنوها فى شكيم فى القبرة التى اشتراها إبراهيم من عفرون الحيثي	يشوع ٣٢/٢٤	بنى يعقوب ومنهم يوسف دفنوا فى الارض التى اشتراها يعقوب.	أعمال ١٦/٧
١٤	أن موسى تزوج من مديانية	خروج ١٢/٢	ان موسى تزوج كوشية من الحبشة	عدد ١/١٢
١٥	اسم حمى وسى رعوئيل	خروج ١٨/٢	اسم حمى موسى يثرون	خروج ١/٣
١٦	واخذ عمرام يوكابد عمته زوجه له	خروج ٢٠/٦	عورة أخت ابيك لا تكشف انها قريبة ابيك	لاويين ١٢/١٨
١٧	انا جعلتك الها لفرعون وهارونأخوك يكو نبيا	خروج ١/٧	هو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها	خروج ١٦/٤
١٨	ان الله اعطى الشريعة فى جبل سيناء	خروج ١١/١٩	ان الله اعطى الشريعة فى جبل حوريب	تثنية ١٠/٤
١٩	ان الله يفتقد ذنوب الاباء فى الابناء فى الجيل الثالث وارابع من مبغضيه	خروج ٥/٢٠	الابن لا يحمل اثم الاب والاب لا يحمل اثم الابن بر البار وشر الشرير	حزقيال ٢٠/١٨

٢٠	اكرم أباك وأمك لكي تطول ايامك على الارض	خروج ١٢/٢٠	ان كان احد يأتى الى ولا يبغض اباه وامه وامرته واولادة واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا	لوقا ٢٦/١٤
٢١	فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليضعوا السبت في اجيالهم عهدا أبديا	خروج ١٦/٣١	فلا يحكم عليكم احد فى أكل او شرب او من جهة عيد هلال أو سبت	كولوس ١٦/٢
٢٢	اما احشاؤه واكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح رائحة سروب للرب	لاويين ٩/١	لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب؟ اتخمت من محروقات وشحم مسمنات بدم عجول ..	اشعياء ١١/١
٢٣	امر بأكل لحم ذبيحة الشكر فى ذات اليوم ولا يبقي منه شئ	لاويين ١٥/٧	يوم تذبحونها تؤكل وفى الغد والفاضل إلى اليوم الثالث يرق	لاويين ٦/١٩
٢٤	ان البكر الذي يفرز للرب لا يقدسه أحد	لاويين ٢/٢٢	إن كل بكر يقدس للرب	تثنية ١٩/١٥
٢٥	خيمة الاجتماع وتابوت العهد	عدد ١٧/٢	إن التابوت كان أمامهم	عدد ٣٣/١٠

	كانت وسط محلة بني اسرائيل		ليلتمس لهم منزلا	
٢٦	ان يكون الكهنة من نسل هارون فقط	عدد ١٠/٣	إن بني داود كانوا كهنة وهم ليسوا من نسل هارون	صموئيل ١٨/٨
٢٧	ان الارض ابتلعت قورح	عدد ٣٣/١٦	إن النار أكلت قورح	مزمور ١/١٠٦ ٨
٢٨	ان الارض فتحن فاها وابعلت كل من كان لقورح	عدد ٣٢/١٦	إن بني قورح لم يموتوا	عدد ١١/١٦
٢٩	ان الادوميين رفضوا مرور بني اسرائيل في ارضهم ورفضوا إعطاءهم طعاما	عدد ١٨/٢٠ قضاة ١٧/١١	إن الأدوميين سمحوا لهم بالمرور وأعطوهم طعاماً	تثنية ٤/٢
٣٠	ان الذين ماتوا بالوباء كانوا ٢٤ ألفا	عدد ٩/١٢٥	إن الذين ماتوا كانوا ٢٣ ألفاً	كورنثوس
٣١	فمتى قربت الى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم لاني لا أعطيك من ارض بني عمون ميراثا لاني لبني لوطا قد أعطيتها ميراثا	تثنية ١٩/٢	وأعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم فكان تخمهم يفريروكل مدن جلعادونصف أرض بني	يشوع ٢٤/١٣ ١٢/١٣

			عمون وضربهم موسى وطردهم	
٣٢	لا تقطع لهم عهدا ولا تسفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته	تثنية ٣/٧	وصاهر سليمان فرعون مصر. وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة	ملوك١ ١/٣ ١/١١
٣٣	ولكن من كل ما تشتهي نفسك تذبح وتأكل لحما في جميع ابوابك النجس والطاهر	تثنية ١٥/١٢	لا تأكل رجسا ما.. لا تشق ظلفا فهى بخسة لكم .. لا تأكلوه إنه بخس لكم وكل دبيب الطير بجس لكم	تثنية ٣/١٤-٢٠
٣٤	لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب	تثنية ٢/٢٣	يهوذا بن يعقوب من ليئة زنا ب شامار أرملة أبنه عير فأنجبت من يهوذا توأمان فارص جد داود وجد يسوع المسيح والثانى زارح بين يهوذا	تكوين ١/٣٨-٣٠ أخبار١ ٤/٢ لوقا ٣١/٣
٣٥	لا يدخل عمونى ولا موأبى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا	تثنية ٣/٢٣	أخذ بوعز راعوث الموآبية فأعطاها الرب عوبيد أبويسى	راعوث ١٣/٤-٢٢

	يدخل منهم احد فى جماعة الرب الى الابد . ووجد فيه أن عمونيا وموأبيا لايدخل	نحميا ١/١٣	أبى داود جد يسوع الناصرى	
٣٦	وعاد محمى غضب الرب عى اسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امضى واحص اسرائيل ويهوذا	صموئيل ٢ل ١/٢٤	ووقف الشيطان ضد اسرائيل وأغوى داود ليحص اسرائيل	اخبار ١ ١/٢١
٣٧	وقتل داود من آرام سبع مائه مركبة وأربعين الف فارس	صموئيل ٢ل ١٨/١٠	وقتل داود منآرام سبعة آلاف مركبة وأرعين آلف راجل	اخبار ١ ١٨/١٩
٣٨	كان لسليمان اربعة الف فارس	أخبار ٢ ٢٥/٩	وكان لسليمان أربعون آلف مذود لخيل مركباته وأثنا عشر آلف فارس	ملوك١ ٢٦/٤
٣٩	فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب	صموئيل ١ل ٦/٣٨	فمات شاول نجيانته .. ولم يسأل الرب فأماته	اختبار ١ ١٢/١٠
٤٠	ليتم القول الذى قاله انالذين	يوحنا ٩/١٨	حفظتهم ولم أهلك منهم أحدا	يوحنا ١٢/١٧

	اعطيتنى لم أهلك منهم احدا		إلا أبن الهلاك ليتم الكتاب	
٤١	لانه ليس انسان لا يخطئ	اخبار ٢ ٣٦/٦	كل هن هو مولود من الله لا يفعل خطية	رسالة يوحنا ١ ٩/٣
٤٢	الله لم يره أحد قط الذى لم يره احد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الا بدية وقال لا تقدر ان ترى وجهى لان الانسان لا يرانى ويعيش أما وجهى فلا يرى	يوحنا ١٨/١ اتيموثاوس ١٦/٦ خروج ٢٠/٣٣ خروج ٢٣/٣٣	يكلم الرب موس وجهاً لوجه. ثم صعد موسى وهارون وبأداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف . قائلاً لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت بنفسي	خروج ١١/٢٣ خروج ١١/٩ تكوين ٣٠/٣٢
٤٣	دعا ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة	تكوين ١/٢٥	وأما بنو قطورة سرية إبراهيم	اخبارا ٣٠/٣٢
٤٤	الملوك الثانى اصحاح ١٨ من فقرة ٢٣ إلى فقرة ٣٤ من اصحاح ١٩ ص ٦١٧ قديم	نفسها تماماً بالنص	إشعياء اصحاح ٣٦ من الفقرة ٨ إلى فقرة ٣٥ اصحاح ٣٧ ص ١٠٣٣ قديم	

٤٥		نفســـــها تمام	إشعياء ٣٨ مـن ١ إلـــى ٣ ص ١٠٣٧ قديم	

الطريقة الثانية : التناقض التحليلي

أولاً : خلق الكون

يقول المـؤرخ جيمس فريزر : " الذين يقرأون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ في خلق الإنسان اللتين تقعان في كل من الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين .

ففي الإصحاح الأول تقرأ كيف أن الله خلق في اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور بل كل الكائنات التي تعيش في الماء أو الهواء وكيف أنه خلق في اليوم السادس كل صنوف الحيوان التي تعيش علي وجه الأرض وأخيراً خلق الإنسان ، الذكر والأنثي كليهما، علي صورته . وفي هذه القصة نستنتج أن الإنسان قد خلق بعد أن خلقت كائنات الأرض جميعها ، كما نتبين أن تقسيم الإنسان قد خلق بعد أن خلقت كائنات الأرض جميعها كما نتبين أن تقسيم الإنسان إلي ذكر وأنثي - وهو التقسيم الذي تختص به الإنسانية - قد تم علي يدي الخالق نفسه . وإن لم يقدم إلينا الكاتب أية معلومات تمكننا من التوفيق بين الخلق الثاني للإنسان ووحدة الخالق .

فإذ تجاوزنا تلك المشكلة الدينية - التي ربما شقت علي الفهم الإنساني - فإننا نتجه إلي مسأله أخري أبسط منها تتصل بالشق التاريخي للخلق . ونتدبر العبارات التي تقول إن الله خلق صنوف الحيوان الدنيا أول الأمر ثم أعقبها بخلق الإنسان . وإن الإنسان قد انقسم إلي ذكر وأنثي ثم خلقهما في آن واحد معاً. وأن كلاً منهما كان يعكس بنفس الدرجة عظمة أصلهما الإلهي .

هذا ما نقرؤه في الإصحاح الأول من سفر التكوين .

فإذا نحن انتقلنا إلي الإصحاح الثاني انتابتنا الحيرة علي نحو ما ، عندما نفاجأ برواية تختلف تماماً عن هذه الرواية الخطيرة . بل أنها لتتناقض معها كل التناقض . إذ نفاجأ فيها بما يثير فينا الدهشة وهو أن الله خلق الإنسان أولاً ثم خلق صنوف الحيوان الدنيا من بعده . أما المرأة فقد خلقها بعد فراغه من كل هذا وشكلها من ضلع انتزعه من الرجل في أثناء نومه كما لو كانت مجرد فكرة خطرت له فيما بعد .

وواضح أن نظام خلق الكائنات من حيث قيمتها معكوس في كلتا الحكايتين.

ففي الحكاية الأولي : يبدأ الإله بعملية خلق السمك ثم يمضي بعد ذلك في خلق الطيور والوحوش حتي ينتهي إلي خلق الرجل والمرأة معاً.

أما في الحكاية الثانية : فهو يبدأ بخلق الرجل - وحده - ويمضي بعد هذا إلي خلق الحيوانات الدنيا ثم يخلق في النهاية المرأة ، التي تشير بوضوح إلي أدني أعمال الصنعة الإلهية .

وليس هناك في الحكاية الثانية أدني إشارة إلي أن كلاً من الرجل والمرأة قد خلق علي صورة الإله . وإنما تحكي لنا الحكاية ببساطة فتقول : " وجعل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية وبعد ذلك أراد الله أن يخفف علي الرجل وحشته إذ كان يتجول دون رفيق في الجنة الجميلة التي كانت قد صنعت من أجله . فخلق الله له في النهاية - وكأنه كان قد يئس من أمره - المرأة من جزء من جسمه لا أهمية وقيمة له لكي تكون زوجاً له . هذا التناقض البين بين القصتين يفسره ببساطة أن القصتين قد أستمدهما الكاتب من مصدرين مختلفين ومستقلين أصلاً. ثم جمع بينهما في كتاب واحد ونقلهما معاً دون أن يجهد نفسه في أن يخفف من حدة التناقض فيهما أو يوائم بينهما.

فقصة الخلق في الإصحاح الأول مستمدة مما يسمونه بالمصدر الكهنوتي الذي ألفه كتاب كهنوتيون في أثناء السبي البابلي أو بعده.

أما قصة الخلق في الإصحاح الثاني فمستمدة مما يسمي بـالمصدر اليهوي الذي ألف قبل المصدر الكهنوتي بمئات السنين ، أي أنه ألف - فيما يبدو - في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد .

والاختلاف بيّن بين وجهات النظر الدينية لدي كل من الكاتبين .

فالكاتب المتـأخر - الكهنوتـي - يصور الإلـه فـي صـورة مجـردة علي نحو ما قد يصوره الإنسان .. وأنه قد خلق الكائنات جميعاً بـأن أمرها في بساطة أن تكون فكانت .

أما الكاتب المتقدم - اليهوي - فقد صور الإله في صورة حسـية ، فهو يتصرف ويتكلم علي نحو ما فعل الإنسان ، وهو يشكل الإنسـان من الطين وفقاً لنموذج معين ، ويزرع جنة ، ويسير فيها عندما يميل الجو إلي البرودة ، ويطلب مـن الرجل والمرأة أن يظهرا مـن بيـن الأشجار التي كانا يختفيان وراءها ، ويصنع لهمـا أرديـة جديـدة مـن الجلد ليرتديانها بدلاً من الغلالات الهزيلة المصنوعة من أوراق التيـن التي اهتدي إليها أول أبوين لكي يخفيا بهما عورتهما خجلاً منها.

فالبسـاطة الجميلـة بـل المـرح فـي القصـــة المتقدمـــة - اليهـوي - تتعارض مع الجدية البالغة في القصة المتأخرة - الكهنوتي - وإن كنا لا نملك إلا أن ندهش لذلك الطـابع الحزيـن المتشـائم الـذي يسـتخفي وراء صور الحياة البهيجة فـي عصـر البـراءة . تلـك الصـورة التـي رسمها لنا الفنان اليهودي الكبير، ولم يستطيع هذا الفنان بعد كل هذا أن يخفي احتقاره الشديد للمرأة ، فتأخر خلقها. فضـلاً علـي الطريقـة الشاذة غير المشرفة التـي خلقـت بهـا بينمـا خلقـت صنـوف الحيـوان بطريقة طبيعية مشرفة لائقة ، وهذا يشير إشارة كافية إلي رأيه فـي حقارة شأن المرأة ، وترتيباً علي هذا فإن كرهه للمرأة – كمـا يمكـن أن نسميه بحق - يضفي علي القصة لـون قاتمـاً ، وذلـك حيـن يعـزو الكاتب محنة الجنس البشري وأحزانـه إلـي سلوك الأم الأولـي الـذي يتسم بالحماقة الساذجة وإلي شهوتها التي أطلقت لها العنان .

ولا تتميـز القصـة المتقدمـة - اليهـوي - عـن أختهـا المتـأخرة - الكهنوتي - بأنها أكثر زخرفة منها فحسـب ، بـل تتميز عنهـا فضـلاً

علي هذا بغنـي عناصرها الفولكلورية . فلقد أبقت علـي ملامـح واضحـة من البساطة البدائية طمسـها الكـاتب الثـاني فـي حـرص " (٨٩).

ثانياً : سقوط آدم

يصور الكاتب اليهودي – عن طريق إلقاء قليل من الضوء ولكن بريشة فنان ماهر – الحياة السعيدة التـي عاشـها الأبـوان الأولان فـي جنة السعادة التي خلقها الرب لهما ليسكنا فيها.

هناك نمت في وفرة كل الأشجار التي تعطي الثمار الطيبة وتسعد العين بمرآها ، وهناك عاشت صنوف الحيوان في وئـام مـع الإنسان ومع بعضها بعضاً . وهناك لم يكن الرجل والمرأة يعرفـان الخجل لأنهما لم يكونا يعرفان العيب ، فقد كان هذا عصر البراءة .

ولكن هذه الحيـاة السعيدة لـم تـدم طويـلاً . إذ سرعان مـا غشـي الغمام ضوء الشمس . وينتقل الكاتب فجأة من قصـة خلـق حـواء وتقديمها لآدم ليحكي لنا قصـة سقوطهما الحزينـة وفقدانهمـا للبراءة وطردهما من جنة عدن وما قدر لهما ونسلهمما مـن بعد مـن العمل والحزن والموت . ففي وسط الجنـة نمت شجرة المعرفـة - معرفـة الخير والشر - التي حرم الرب علي آدم أن يـأكل منهـا ولكـن الحيـة كانت ماكرة كما كانت المرأة ضعيفـة ، ومـن السـهل أن يغرر بهـا فذهبت الحية إلي حواء وأغرتها أن تأكل من الثمار المشئومة وقدمت حواء بدورها الثمار لزوجها فأكلها كذلك . ومـا كـادا يتذوقـان الثمـار حتي تفتحت عيونهما علـي الحقيقـة وأدركـا أنهمـا عاريـان . فـي هـذه اللحظة ولي عصر البراءة إلي غير رجعة . وبعد أن خفت رقدة حر الظهيرة وانتشرت الظلال في ربوع الجنة أخذ الرب يتنزه وسمع آدم والمرأة وقع خطواته وربما سمعا كذلك خفيف الأوراق وهو تتسـاقط تحت قدميه ، إذا كان يمكـن لأوراق الشـجر فـي الجنـة أن تتسـاقط ، فاختبأا بين الأشجار وقد ملأهما الخجل من أن يراهما عاريين فصاح بهما الرب أن يخرجا من خلف الأشـجار . ولمـا علـم مـن الزوجين الخجولين أنهما قد عصيا أمره وأكلا من شـجرة المعرفـة ثـار ثـورة

غضبية ولعن الحية وحكم عليها بأن تزحف علي بطنها وأن تأكل التراب وأن تكون عدو الإنسان إلي الأبد ، ولعن الأرض وقضي عليها أن تنبت الشوك والحسك ، ولعن المرأة وحكم عليها أن تلد أولادها في ألم وأن تكون خاضعة لزوجها ، ولعن الرجل وقضي عليه أن يستخرج خبز يومه من الأرض بعرق جبينه وأن يعود في نهاية حياته إلي التراب كما خلق من التراب . وخفت ثورة غضب الرب بعد أن نطق بهذه اللعنات المتعددة . أما آدم وحواء فقد انسحبا إلي الوراء من خلال الأشجار ، والخزي يشيع في وجهيهما في حين كانت الشمس تختفي شيئاً شيئاً جهة الغرب والظلال تتراكم في الجنة المفقودة (٨٧).

التعليق :

افترض - جيمس فريزر - وجود قصتين أصليتين متميزتين مزج بينهما كاتب سقيم التفكير فأفسدهما ، بل إن هذا الإفتراض يرجحه أكثر من ذلك إعتبار آخر أكثر عمقاً يصور السلوك الألهي في صورة مقبولة ، فهو ينزهه كل التنزيه عما أثير عن حقده وحسده فضلاً علي الجبن وتعمد الأذي تلك الصفات الشائنة التي ظلت بتأثير قصة سفر التكوين بقعة سوداء في حق الصفات الإلهية . ذلك أن الإله وفقاً لهذه القصة قد نفي علي الإنسان امتلاكة للمعرفة والخلود معاً ورغب في أن يستبقي هذه الصفات الطيبة لنفسه وخشي أن يصبح الإنسان مناوئاً لخالقه إذا ما استحوذ علي أحدهما أو كليهما ، الأمر الذي لم يكن من الممكن لرب أن يتقبله بحال من الأحوال . ومن ثم فقد حذر الإنسان - وفقاً لهذه القصة - أن يأكل من شجرة المعرفة ، ولما لم يكترث الإنسان لهذا التحذير طرده الرب من الجنة وأوصد بابها دونه حتي يحول بينه وبين الشجرة الأخري التي إن هو أكل من ثمارها أصبح خالداً . إن الدافع الذي تقدمه القصة دنئ ، كما أن السلوك الذي تنسبه للرب يستحق الإزدراء وفضلاً علي هذا فإن كلاً من هذا الدافع وذلك السلوك يتناقضان مع سلوك الرب إزاء الإنسان في بداية الأمر كما صورته القصة .

قد كان الرب بعيداً كل البعد أن ينفي علي الإنسان شيئاً . بل أنه بذل كل ما في وسعه لكي يجعله سعيداً هانئاً فخلق لهجته رائعة الجمال لينعم بها وخلق له الطيور وصنوف الحيوان ليأتنس بها ، كما خلق له المرأة لتكون له الصفات الإلهية من ناحية أخري . يكون أبعد مدي إذا افترضنا أن الرب شاء أن يتوج عطفه علي الإنسان بمنحه الخلود ، وأن قصده النبيل لم يحبطه سوي مكيدة الحية (٨٨).

ثالثاً: طوفان نوح

يجمع نقاد العهد القديم علي أن أسطوة الطوفان العبرية المدونة في سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين في أصلهما ومتناقضتين تناقضاً جزئياً . وقد مزج المؤلف بين القصتين لكي يكون منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل .

ومع ذلك فقد مزج المؤلف بينهما بطريقة فجة للغاية ، بحيث لا يفوت القارئ ما فيهما من تكرار وتناقض حتي وإن كان القارئ غير مدقق في قراءته . وإحدي روايتي الأسطورة اللتين جمع بينهما المؤلف بطريقة مصطنعة هي مستقاة مما يطلق عليه نقاد العهد القديم " المصدر الكهنوتي PRIESTLY DOCUMENT " أو القانون ، ويشار إليه عادة بالرمز (P) .

أما الرواية الثانية فمستقاة مما يطلقون عليه " المصدر اليهوي IOHOVISTI DOCUMENT " ويشار إليه في العادة بالرمز (J) نسبة للاسم المقدس " يهوه "، وكلا المصدرين يختلف عن الآخر إختلافاً بيناً . وبينما يعد المصدر اليهوي هو الأقدم - كما يرجح النقاد - فإن المصدر الكهنوتي يؤخذ علي أنه أحدث المصادر الأربعة الرئيسية التي جمع بينها لتكوين أسفار العهد القديم الستة الأولي- بإضافة يشوع . ويعتقد الباحثون أن المصدر اليهوي قد كتب في أرض الميعاد في العصور الأولي من الحكم العبري ، أي أنه كتب في القرن الثامن أو التاسع علي وجه الاحتمال . أما المصدر الكهنوتي فيرجع تاريخه إلي ما بعد عام ٥٨٦ ق.م (٩٠).

تتميز العناصر التفصيلية التي تتألف منها قصة الطوفان في سفر التكوين - التي أسهم في كتابتهما كلا الكاتبين اليهوي والكهنوتي - يتميز بعضها عن بعض من حيث اللفظ والمادة . فإذا بدأنا بوجوه الإختلاف الشكلية فإن أول ما يلفت النظر هو :

١- اختلاف إسم الرب في كلا المصدرين ، فهو في المصدر اليهوي " يهوه " وهو في المصدر الكهنوتي " الوهيم " . وكلا الإسمين نقلتها الترجمة الإنجليزية المعتمدة علي التوالي إلي كلمتي " السيد " و " الرب " ، والمترجمون الإنجليز في استبدالهم كلمة " سيد " بكلمة " يهوه " إنما يفعلون فعل اليهود الذين يستبدلون - عندما يقرأون كتابهم المقدس بصوت عال - بكلمة يهوه " أدوناي" أو " السيد " أينما صادفهم أسم " يهوه " مكتوباً في النص. ومن ثم يمكن للقارئ الإنجليزي أن يدعي كقاعدة عامة أنه ما دامت كلمة " السيد " يقصد بها الرب في الرواية الإنجليزية فإن الكلمة البديلة لها في النص العبري المطبوع هي " يهوه ".

أما الكاتب الكهنوتي فإنه يتجنب في قصة الطوفان وفي خلال سفر التكوين - عامة - استخدام اسم " يهوه " ويستبدل به اسم " الوهيم " وهو الاسم المألوف للرب عند العبريين . والسبب الذي دفع الكاتب الكهنوتي إلي هذا هو أن الإسم " يهوه " وفقاً لرأيه هو الإسم الذي أوحي به الرب لـ " موسي " لأول مرة . ومعني هذا أن الرب لم يكن يسمي في العصور الأولي السابقة علي عهد موسي بهذا الاسم .

أما الكاتب اليهوي فلا يتبني من ناحية أخري مثل هذا الرأي فيما يتصل بكون الرب قد أوحي إلي موسي باسم " يهوه " ومن ثم فهو الرب بهذا الاسم في رواياته منذ الخليقة دون أن يساوره شك في هذا الاسم .

٢- إلي جانب هذا الاختلاف اللفظي الجوهري بين المصدرين هناك اختلافات لفظية أخري لا تبدو واضحة في الترجمة الإنجليزية

المعتمدة. فهناك مجموعة من الألفاظ تستخدم في المصدر اليهوي للدلالة علي الذكر والأنثي (فمثلاً عند الفقرة ٢-٩-١٦ من الإصحاح ٧ سفر التكوين " والداخلات دخلت ذكراً وأنثي فى كل ذى جسد كما أمره الله " ، فيقول فيها المصدر اليهوى " الشخص وزوجه ") (٩١).

ومجموعة أخرى تخالفها تماماً تستخدم فى المصدر الكهنوتى نفس الدلالة - ذكر وأنثى- كما أن الكلمات التى تنقلها الترجمة الإنجليزية المعتمدة لكلمة " يخرب " مختلفة في كلا المصدرين (ففى حين يقول المصدر اليهوى " محا " تجدها فى المصدر الكهنوتى " دمر " ، كما فى التكوين ٧/٦ و ١٣/٦ (٩٢)) .

وكذلك الألفاظ التى تنقلها الترجمة الإنجليزية لكلمة (يموت) ففى المصدر اليهوى (مات) وفى المصدر الكهنوتى (جف) و(هلك).

٣- على ان الاختلافات المادية بين الحكايات اليهوية والكهنوتية لا تزال تلفت النظر إلى أكثر من ذلك . وحيث أن هذه الاختلافات تصل فى بعض الحالات إلى حد التناقض القاطع ، فإن إثبات أن هذه الحكايات مستمدة من مصدرين مفصلين يصل إلى حد اليقين.

فالحكاية اليهوية عن الطوفان تميز بين الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة . وبينما أخذ نوح معه فى الفلك سبعاً من كل صنف من صنوف الحيوان النجس . أما الكاتب الكهنوتى فلم يميز بين صنوف الحيوان على هذا النحو بل جعلها تدخل الفلك وهى على قدم المساواة مع بعضها البعض وإن كان قصر عددها بدون تحيز على زوج من كل صف . والسبب فى هذا الاختلاف البين هو أن الكاتب الكهنوتى لم يفرق بين ما هو طاهر من الحيوان وما نجس على أساس أن هذه التفرقة قد أوحى بها الرب لموسى لأول مرة . ومن ثم فإن نوحاً لم يكن يعرفها. أما الكاتب الذى أتعب نفسه بالتفكير فى هذا الموضوع ، فقد أدعى أن التفرقة بين صنوف الحيوان على أساس الطهارة والنجاسة كانت معروفة لدى الجنس البشرى منذ العصور الأولى كما لو كانت هذه التفرقة ترتكز على

أساس طبيعي واضح كل الوضوح ، بحيث لا يخطئها أحد .

٤- ثم إن هناك اختلافاً جوهرياً آخر بين الكاتبين يتعلق بدوام مدة الفيضان. فقد ظلت الأمطار تهطل في قصة الكاتب اليهوي مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم ظل نوح في فلكه بعد ذلك مدة ثلاثة أسابيع قبل أن ينحسر الماء بمقدار يمكنه من الرسو بسفينته . ووفقاً لهذا الحساب فإن الفيضان يكون قد دام واحد وستين يوماً . أما في الحكاية الكهنوتية فقد أخذ الطوفان يهطل مدة مائة وخمسين يوماً وبعدها أخذت المياه في الانخفاض . أما مدة الطوفان في العموم فقد استغرقت اثنى عشر شهراً وعشرة أيام .

وحيث أن الشهور العبرية كانت شهوراً قمرية ، فإن الأثني عشر شهراً تقدر بـ ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وإذا أضفنا إلى هذا الرقم عشرة أيام أخرى فإن المدة تكون حينئذ سنة شمسية كاملة أي ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً.

وحيث أن الكاتب قد حسب مدة الفيضان بما يساوي سنة شمسية ، فإنه يمكننا أن ندعي ونحن مطمئنون أن هذا الكاتب قد عاش في الزمن الذي استطاع فيه اليهود أن يصححوا الخطأ في التقويم القمري عن طريق مراقبتهم للشمس .

٥- وأخيراً فإن الكاتب اليهوي يحكي عن بناء نوح للهيكل وتقديمه الضحية للرب شكراً له على انقاذه من الطوفان ، في حين أن الكاتب الكهنوتي لا يذكر شيئاً عن أن بناء الهيكل . كما أن تقديم الضحية من قبل رجل عادي مثل نوح يعد عملاً غير لائق لم يحدث من قبل . كما يعد تعدياً كبيراً على حقوق رجال الدين لم يفكر الكاتب الكهنوتي لحظة في أن ينسبة إلى الشيخ المبجل .

وبناء على ذلك فإن الموازنة بين الحكايات اليهوية والكهنوتية تؤكد بصورة واضحة النتيجة التي توصل إليها النقاد ، وهي أنهما كانا في الأصل مستقلين وأن الحكاية اليهوية تعد أقدم بحق من الحكايات الكهنوتية . ،

على أنه من الواضح أن الكاتب اليهوي كان يجهل قانون المكان

المقدس الواحد الذى يحرم تقديم الضحية فى أى مكان غير أورشليم. ولما كان هذا القانون قد أعلنه الملك (يوشا) لأول مرة ونفذ عام ٦٣٢ق.م فإنه يترتب على هذا أن المصدر اليهوى قد ألف قبل هذا التاريخ بزمن يحتمل أن يكون طويلاً وهذا السبب نفسه يؤكد أن المصدر الكهنوتى قد ألف بعد هذا التاريخ بزمن ليس بقصير فيما يبدو . حيث أن الكاتب يعترف ضمناً بقانون المكان المقدس الواحد في الوقت الذي رفض فيه أن ينسب إلى نوح عملاً يخالفه.

ويترتب على هذا أنه بينما يكشف الكاتب اليهوى عن لون بعينه من البساطة القديمة ، حيث أرجع بكل بساطة النظم الدينية في عصره وطبيعة هذا العصر إلى عصور الحياة الأولى ، فإن الكاتب الكهنوتى يكشف عن إنعكاسات عصر متأخر تحددت فيه نظرية فى التطور الدينى طبقها الكاتب الكهنوتى على التاريخ تطبيقاً دقيقاً (٩٣).

٦- في سفر التكوين الإصحاح ٦ فقرة ٣ يقرر قبل الطوفان بقليل أن عمر الإنسان يحدد بـ ١٢٠ سنة فيقول : ".. وتكون أيامه مائة وعشرين سنة.." ومع ذلك يلاحظ فيما بعد فى نفس سفر التكوين ١١ الفقرات من ١٠ إلى ٣٢ أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ إلي ٦٠٠ سنة. إن التناقض بين هاتين العبارتين واضح وتعليله بسيط . فالعبارة الأولي نص يهوى يعود تاريخه إلى القرن العاشر قبل الميلاد ، أما العبارة الثانية فى سفر التكوين فهى من نص قريب تاريخياً إلى القرن السادس قبل الميلاد فى التراث الكهنوتى الذى هو أصل هذه الأسباب التى تبدو شديدة الدقة فى إحصاء الأعمار بنفس القدر الذى تبدو به غير معقولة إذا أخذناها كتله (١) .

الحقيقة أن هذه الاصحاحات الثلاثة ٦-٧-٨ من سفر التكوين والمكرسة لرواية الطوفان فيها تناقضات صارخة ، وتعلل هذه المتناقضات بوجود مصدرين مختلفين متميزين بشكل جلى ، وهذين المصدرين يشكلان تجميعاً متنافراً بحيث أننا ننتقل من مصدر لآخر فى الرواية ١٧ مرة وذلك خلال ١٠٠ سطر تقريباً .

مقطع كهنوتي يشير إلى أن نوحاً قد أخذ زوجاً من كل نوع . مقطع يهوى يحدد أن الله أمره بأخذ ٧ من كل نوع . مقطع يهوى يشير الى ان عامل الطوفان هو ماء المطر فقط . مقطع كهنوتي يشير الى أن سبب الطوفان ماء مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية . مدة الطوفان فى الرواية اليهوية ٤٠ يوماً فيضانا . ومدة الطوفان فى الرواية الكهنوتية ١٥٠ يوماً . الرواية اليهوية لا تحدد تاريخ وحياة نوح وقت الطوفان . الرواية الكهنوتية تحدد بأن حياة نوح وقته ٦٠٠ سنة وقبل إبراهيم بـ ٣٩٢ .

ولكن كل الكائنات الحية أعدمت على الأرض - حسب الرواية - حيث قرر الله تدمير البشر مع كل المخلوقات الحية الاخرى وعم الفساد والهلاك ، فكيف يمكن اعادة بناء البشرية نفسها في ثلاثة قرون من نوح وأولاده وزوجاتهم حتى ميلاد ابراهيم الذى وجد هذه المجتمعات الكثيرة والحضارات البابلية والمصرية والكنعانية في هذه المدة المحدودة من الزمن . إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص آية معقولية أو مصدقية (٩٤).

مواجهة العهد القديم بالعلم الحديث

علينا أن نؤكد أننا عندما نتحدث هنا عن حقائق العلم فإننا نعنى بها كل ما قد ثبت منها بشكل نهائي . وان هذا الاعتبار يقضي باستبعاد كل نظريات الشرح والتبرير التي تفيد في عصر ما لشرح ظاهرة ، ولكنها قد تلغي بعد ذلك تاركة المكان لنظريات أخرى أكثر ملاءمة للتطور العلمي .

إن ما أعنيه هنا هو تلك الامور التي لا يمكن الرجوع عنها والتي ثبتت بشكل كاف بحيث يمكن استخدامها دون خوف الوقوع في مخاطرة الخطأ . حتى وإن يكن العلم قد أتي فيها بمعطيات غير كاملة تماما فإن مثل هذه النظريات تستبعد ايضا من الدراسة .

وعلي سبيل المثال فإننا نجهل التاريخ التقريبي لظهور الانسان علي الأرض غير أنه قد اكتشفت آثار لأعمال بشرية نستطيع وضع

تاريخها فيما قبل الالف العاشرة من التاريخ المسيحي دون أن يكون هناك أي مكان للشك. وعليه فإننا لا نستطيع علميا قبول صحة نص سفر التكوين الذى يعطي انسابا وتواريخ تحدد أصل الانسان (خلق آدم) بحوالي ٣٧ قرنا قبل المسيح .

وربما استطاع العلم في المستقبل أن يحدد لذلك تواريخ فوق تقديراتنا الحالية . غير أننا نستطيع ان نطمئن الي انه لن يمكن ابدا اثبات ان الانسان قد ظهر علي الأرض منذ ٥٧٦٠ سنة كما يقول التاريخ العبري في سنة ١٩٩٩م. وبناء علي ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان علي الأرض غير صحيحة.

هذه المواجهة مع العلم لا تتناول أيه قضية دينية بالمعنى الحقيقي للكلمة . فليس للعلم مثلا أن يقدم أي شرح لكيفية ظهور الله لموسي أو أن يحل اللغز الذي يحيط بمجئ المسيح علي الأرض دون أن يكون له أب جسدي (بيولوجي).

ولذلك فإن الكتب المقدسة لا تقدم أي تعليل مادى لأمور من هذا النوع وإن الدراسة التي نقدمها الآن تختص بما تنبئنا به الكتب المقدسة فيما يتعلق بالظاهرات الطبيعية المتنوعة الكثيرة والتي تحيطها تلك الكتب بقليل أو كثير من التعليقات والشروح . ولا بد من ملاحظة أن الوحي القرآني غني جدا في تعدد هذه المواضع وذلك علي خلاف ندرتها في العهدين القديم والجديد .

بالنسبة للعهد القديم لم تكن هناك حاجة للذهاب الي ابعد من سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا.

وأما بالنسبة للعهد الجديد فما تكاد نفتح الصفحة الأولى منه حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ، ونعنى بها شجرة أنساب يسوع المسيح . ذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل واضح وجلي نص إنجيل لوقا LUC . وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع معارف العلوم الحديثة الخاصة بقدم الإنسان الأول علي الأرض .

غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة وتلك التي لا يحتملها التصديق وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم الحديث ، لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ، ولا تقع المسئولية فيها إلا علي البشر . ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية للكتاب المقدس ، وما نصيب الخيال والهوى في عملية نسخها وتحريرها ؟ أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت علي تلك الكتب المقدسة ؟

إن ما يصدمنا حقا في أيامنا هذه أن نرى المتخصصين في دراسة نصوص الكتاب المقدس يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة أو يكشفون عن بعض نقاط الضعف ليحاولوا بعد ذلك التستر عليها مستعينين في ذلك ببهلوانيات جدلية (٩٥) حاذقة غارقة في الرومانسية الحالمة .

في سفر التكوين توجد أكثر المتناقضات وضوحا مع العلم الحديث، وتخص هذه التناقضات ثلاث نقاط جوهرية :

أولا : خلق العالم ومراحله

ثانياً : تاريخ ظهور الإنسان علي الأرض

ثالثاً : رواية الطوفان (٩٦)

أولاً : خلق العالم

لقد تناول المؤرخ جيمس فريزر قصة الخلق من جهتيها الدينية والتاريخية وعزا الاختلاف والتناقض فيها إلي وجود مصدرين مزج بينهما مؤلف سفر التكوين بطريقة فجة للغاية .

وفي المقابل نجد الطبيب والمؤرخ الفرنسي موريس بوكييه قد تبنى قصة الخلق هذه ، ومن خلال الاصحاح الأول من سفر التكوين ، من جهة المعايير والحقائق العلمية الحديثة الثابتة فيقول : " يلاحظ الأب ديفو أن سفر التكوين يبدأ بروايتين عن الخلق كل منهما موضوعة الي جانب الأخرى . ومن وجهة نظر دراسة اتفاق هذين النصين مع المعطيات الحديثة فلا بد من دراسة كل منهما منفصلا

عن الآخر .
الرواية الكهنوتية عن الخلق تحتل الأيات الأولي من الاصحاح الأول والآيات الأولي من الاصحاح الثاني ..
أنها بناء يتكون من أخطاء من وجة النظر العلمية ولا بد من نقدها فقرة فقرة ، والنص الذي نقدمه هنا هو نص ترجمة فرنسية لمدرسة الكتاب المقدس بالقدس .
١- " روح إله يرف علي المياه " ، الإشارة الي المياة في تلك المرحلة أمر رمزى صرف ، وربما كان ترجمة لاسطورة. نعم هناك ما يسمح بالاعتقاد بوجود كتلة غازية في المرحلة الاولي لتكون الكون لكن القول بوجود الماء في تلك المرحلة خطأ .
٢- " ليكن نور فكان النور ورأى الله أن النور حسن وفصل بين النور والظلمات ودعا الله النور نهارا والظلمات ليلا وكان مساء وكان صباح اليوم الأول " ، إن الضوء يقطع الكون نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم ، ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة حيث أن أنوار السموات لا تذكر في سفر التكوين الا في الاية ١٤ باعتبارها مما خلق الله في اليوم الرابع : " ليفصل بين النهار والليل " ، وذلك صحيح تماما . ولكن من غير المنطقي أن تذكر النتيجة الفعلية – أي النور - في اليوم الأول علي حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور في اليوم الرابع ، يضاف الي ذلك أن وضع الليل والنهار في اليوم الاول هو أمر مجازى صرف . فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم واحد غير معقولين الا بعد وجود الارض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها أي الشمس والتي هي وسيلة النور.
٣- " ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصل بين مياه ومياه وكان كذلك فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح اليوم الثاني " ، أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالها إلي طبقتين بواسطة الجلد . إن صورة انقسام المياه هذه الي كتلتين غير مقبولة علميا.

٤- " لتنبت الأرض خضرة عشبا يحمل بذرا كجنسه وشجرا يعطي ثمرا من جنسة وبذرا .. وكان مساء وكان صباح اليوم الثالث"، ان يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس - التي تظهر كما يقول سفر التكوين نفسه في اليوم الرابع - وأن ينتظم تعاقب الليل والنهار ، فذلك ما لا يمكن مطلقا القول به لعدم وجود الشمس حتى هذه اللحظة .

٥- " لتكن انوار في جلد السماء ... وكان كذلك وعمل الله المنيرين العظميين .. والنجوم .. وكان مساء وكان نهار اليوم الرابع"، النقد الوحيد الذي يمكن إقامته علي هذه العبارة هو المكان الذى تحتله في مجموع الرواية . إن الارض والقمر كما نعرف قد نبعا من نجمهما الاصلي أي الشمس ووضع الشمس والقمر بعد خلق الارض يناقض المعلومات الاساسية عن تشكل عناصر النظام الشمسي .

٦- " وقال الله ولتعج المياه بعجيج الكائنات الحية ولتطير طيور فوق الارض وعلي وجه جلد السماء وكان كذلك وخلق الله كبار ثعابين البحر وكل الكائنات الحية التي تنزلق وتعج في البحار كل بحسب جنسه وكل ذي جناح بحسب جنسه ورأى الله ذلك أنه حسن وباركها الله قائلا أثمري وأملئ البحار وليتكاثر الطير علي الارض وكان ليل وكان نهار اليوم الخامس " ، وتحتوى هذه الفقرة علي مزاعم لا يمكن قبولها . يقول سفر التكوين بظهور عالم الحيوان أولا بداية من حيوانات البحر والطيور. الواقع أن رواية التوراة تقول إنه في اليوم التالي كما سنرى في الايات التالية اسكنت الارض بالحيوانات ، ولا شك ان اصل الحياة مائي وابتداء من هذا احتل عالم الحيوان الارض ، والحياة المائية ليست مناخ الحيوانات ولا موطن للطيور خاصة فئة من الزواحف تسمي PSEUDO-SUCHIENS كانت تعيش في العصر الثاني حيث جاءت الطيور فيما يعتقد وهناك كثير من السمات البيولوجية المشتركة بين هاتين الفئتين التي تسمح بهذا الاستنتاج . ولكن سفر التكوين لا يشير الي

الحيوانات الارضية الا في اليوم السادس وبعد ظهور الطيور . إذن فنظام ظهور الحيوانات الارضية والطيور هذا غير مقبول ، والمنطق الفعلي يصدق العلم .

٧- " وقال الله لتخرج الارض الكائنات الحية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش كجنسها " ، وكان كذلك عمل الله الوحوش كجنسها والدبابات كجنسها وكل دبابات الارض كجنسها ورأى الله انه حسن وقال الله لنعمل الانسان علي صورتنا كشبهنا ويتسلطوا (كذا) علي سمك البحر وعلي طيور السماء وعلي البهائم وعلي كل الوحوش والدبابات التي تزحف علي الارض . وفي وصف تمام الخلق يعدد الكاتب كل المخلوقات الحية غير المذكورة سابقا ويشير الي الاقوات المختلفة الموضوعة تحت تصرف الناس والحيوانات . وكما نرى فإن الخطأ يكمن في وضع ظهور الحيوانات الارضية بعد ظهور الطيور . ولكن ظهور الانسان علي الارض محدد بشكل صحيح بعد ظهور الفئات الاخرى من الكائنات الحية .

٨- تنتهي رواية التوراة عن الخلق بالأيات الثلاثة الأولي من الاصحاح الثاني " فأكملت السماء والارض بكل جندها (كذا) وفرغ الله في اليوم السابع عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله للخلق " ، هذه مبادئ السموات والارض حين خلقت . وتتطلب رواية اليوم السابع هذه التعليقات :

معنى الكلمات

والنص هو نص ترجمة مدرسة الكتاب المقدس بالقدس . كلمة (جند) تعنى هنا حشد الكائنات المخلوقة ، كلمة(استراح IICHOME) فتلك طريقة مدير مدرسة الكتاب بالقدس في ترجمة الكلمة العبرية (شباط) والتي تعنى ذلك علي وجه الدقة . ومن هنا جاء يوم الراحة عند اليهود (يوم السبت) وواضح ان هذه الراحة التي يفترض ان الله قد أخذها بعد ان عمل ستة ايام هي اسطورة ولكن لها تعليل . اذ

لا يعجب نسيان ان رواية الخلق المدروسة هنا تأتي من النص الذى يسمي (بالكهنوتي) الذي كتبه الكهنة او الكتبة ، وهم الوريثون الروحيون لحزقيال نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد . ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق (اليهوية) و(الألوهيمية) واعادوا صياغتهما علي مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التي كتب الاب ديفو عنها قائلا ان طابعها التشريعي كان جوهريا وقد أعطينا عاليه لمحة عن ذلك .

علي حين لا يشير النص اليهوى الذي يسبق النص الكهنوتي بعدة قرون الي راحة الله الذي تعب من عمله طيلة الاسبوع فإن الكاتب الكهنوتي يدخلها في روايته . إنه يقسم روايته الي ايام بالمعنى الدقيق لايام الاسبوع ، وهو يضع محور الرواية علي راحة السبت التي يعللها أمام المؤمنين مؤكدا علي هذا بقوله إن الله هو أول من احترمها وابتدأ من هذه الضرورة العملية انتقاد رواية الخلق بمنطق ديني ظاهر .وإن كان هذا بشكل تسمح معطيات العلم بوصفة بالوهم.

ان ادراج مراحل الخلق المتعاقبة في اطار اسبوع هذا الادراج الذى اراده الكاتب الكهنوتي بهدف الحث علي الطاعة الدينية لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية .

فمعروف تماما في ايامنا ان تشكل الكون والارض قد تم علي مراحل تمتد علي فترات زمنية شديدة الطول لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبا ، وحتى اذا كانت الرواية تنتهي مساء اليوم السادس ولا تحتوى علي اشارة الي اليوم السابع (يوم الراحة) الذى استراح فيه الله ، وحتى اذا كان مسموحا لنا أن نعتبر أن المقصود فعلا هو فترات غير محددة وليس اياما بالمعنى الحقيقي فإن النص الكهنوني يظل غير مقبول ، حيث ان تعاقب الاحداث فيه يناقض المعلومات العلمية الاصلية . وهكذا اذن تبدو الرواية الكهنوتية للخلق كبناء خيالي مبتكر كان يهدف الي شئ آخر غير التعريف بالحقيقة (٩٧).

الرواية اليهوية عن الخلق - ايضا هذه الرواية ترجع الي تاريخ

أكثر قدما من الأولي بحوالي ثلاثة قرون وهي رواية قصيرة جدا – هذه الرواية التي أضيفت اليها فيما بعد الرواية الكهنوتية ، هل كانت علي هذا القدر من القصد؟ لا يستطيع احد ان يقول ما اذا كان النص اليهودي قد قطع عبر الازمنة ولا يستطيع احد ان يقول ما اذا كانت السطور القليلة التي في حوزتنا تمثل فعلا كل ما كان يمكن ان يحتوى عليه اقدم نص للتوارة عن الخلق .

ان الرواية اليهوية لا تشير الي تشكل الارض بشكل واضح وخاصة الي تشكل السماء ، انه يدع للفهم الضمنى انه عند خلق الله للانسان لم تكن هناك نباتات ارضية (فلم يكن المطر قد نزل بعد) هذا برغم ان المياة الاتية من الغمق كانت تغطي سطح الارض . وتؤكد هذا البقية التالية للنص : " زرع الله بستانا في نفس الوقت الذى خلق فيه الانسان " ، وهكذا يظهر عالم النبات في نفس وقت ظهور الانسان علي الارض ، وهذا علميا خطأ فقد ظهر الانسان علي الارض حين كانت الارض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات وان كنا لا نستطيع ان نقول كم من ملايين السنوات قد مرت بين الحدثين، ذلك هو الانتقاد الوحيد الذى يمكن توجيهه الي النص اليهودي للخلق . ففيما لا يحدد في الزمن لحظة خلق الانسان بالنسبة الي تشكل العالم وتشكل الارض – هذا الذي يضعه النص الكهنوتي في نفس اسبوع الخلق – فإنه يفلت من انتقاد خطير كان يوجه لهذا الاخير .

ثانياً : تاريخ تكون الكون

التقويم اليهودي مؤسساً بالتوافق مع معطيات العهد القديم يحدد هذين التاريخين بدقة . إن عام ١٩٩٩ الميلادى يتفق مع عام ٥٧٦٠ منذ خلق العالم بحسب الرواية العبرية ، ولكي نكون أكثر قربا من الحقيقة لنقل ان خلق العالم بحسب هذا التقدير العبرى يحدد تقريبا بـ ٣٧ قرنا قبل ميلاد المسيح (٩٨).

١- من آدم إلي إبراهيم :

يقدم سفر التكوين في انسابه بالاصحاحات ٤-٥-١١-٢١-٢٥

معطيات غاية في الدقة عن كل اسلاف ابراهيم من صلب مباشر منذ آدم، وهو بهذا يسمح بتحديد تواريخ ميلاد ووفاة كل سلف بالنسبة إلي خلق آدم حسب المعطيات المأخوذة كلها من النص الكهنوتي لسفر التكوين . وهو النص الوحيد في التوراة الذي يعطي تحديدات من هذا النوع . ومنه يستنتج أن ابراهيم - كما تقول التوراة - قد رأى النور في العام ١٩٤٨ من ميلاد آدم ، وقد مات ابراهيم في العام ٢١٢٣ من ميلاد آدم .

ماذا يعلمنا العلم الحديث ؟ عسيرة هنا الاجابة عما يتعلق بتكوين الكون وكل ما يمكن ترقيمه هو عصر تكون النظام الشمسي الذي يمكن تحديده زمنيا بتقريب مرضٍ ، ويقدر الزمن الذي يفصلنا عن تكون النظام الشمسي بـ أربع مليارات ونصف مليار من السنوات .

وبهذا نقيس الهامش الذي يفصل الواقع الثابت اليوم عن المعطيات المستخرجة من العهد القديم (٩٩) .

٢- من إبراهيم إلي العصر المسيحي

لا تعطى التوراة عن هذه الفترة أية معلومات حسابية من شانها ان تقود الى تقويما دقيقة كتلك التى يعطيها سفر التكوين عن اسلاف ابراهيم . ولكى نقدر الزمن الذى يفصل بين ابراهيم والمسيح علينا ان نستعين بمصادر اخرى.

ويحدد حاليا عصر ابراهيم بحوالى ١٨ قرنا قبل الميلاد وبهامش خطأ صغير . وهذه المعطية المؤلفة من اشارات سفر التكوين عن الفترة الزمنية التى تفصل بين ابراهيم وادم تقود الى تحديد تاريخ هذا الاخير بحوالى ٣٨ قرنا قبل المسيح .

وهذا التقدير خاطئ بلا اى جدل ، وخطوه يأتى من الغلط الذى تحتويه التوراة عن المدة بين آدم وابراهيم التى يعتمد عليها التراث اليهودى دائما لتحديد تقويمه . ونستطيع فى عصرنا ان نعارض الحماة التقليديين لحقيقة التوراة باستحالة اتفاق المعطيات الحديثة مع هذه التقديرات الوهمية التى عملها الكهنة اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد . لقرون طويلة استخدمت هذه التقديرات كقاعدة لتحديد

احداث العصر القديم بالنسبة للمسيح . اما فيما يخص تاريخ ظهور الانسان على الارض فالمعطيات العلمية الحديثة تسمح بتعريفة بأبعد من حد غير دقيق فقط . نستطيع ان نقتنع بان الانسان كان يوجد على الارض بطاقة ذكائه وعمله الذى تجعله يختلف عن كائنات حية تبدو مقاربة له تشريحيا فى فترة لاحقة على تاريخ يمكن تقديره . ولكن لا احد يستطيع ان يحدد بشكل دقيق تاريخ ظهوره . ومع ذلك فيمكن ان نؤكد اليوم وجود اطلال لانسانية مفكرة وعاملة ويحسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين . ويعود هذا التاريخ التقريبي علي نموذج إنسان ما قبل التاريخ الذي اعتبر أكثر النماذج قربا للنموذج Neo-anthropiens (انسان كرومانيون- Cromagnon) . ولا شك ان هناك اكتشافات اخرى لبقايا يبدو أنها انسانية قد تمت في نقاط عديدة عيل الارض وهي تخص انماطا اقل تطورا paleo-anthropiens ويقدر حجم قدمها بوحدات من مئات ألوف السنين . ولكن هل هم حقا بشر حقيقيون ؟! علي أية حال فالمعطيات دقيقة بشكل كاف فيما يخص (انسان كرومانيون) وذلك يسمح بوضعهم أبعد بكثير من العصر الذي يحدده سفر التكوين لاوائل البشر . هناك اذن استحالة اتفاق واضحة بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الحسابية لسفر التكوين الخاصة بظهور الانسان على الارض وبين اكثر المعارف تأسيسا فى عصرنا (١٠٠).

ثالثا : الطوفان

مع مامر معالجته من نواحى التناقض فى روايتى الطوفان اليهوية والكهنوتية يحدد الطبيب الفرنسى موريس بوكييه : " .. اكثر من ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق رواية الطوفان العبرية مع المعاريف الحديثة " . ويبرهن على ذلك بقوله : " والواقع ان عصر ابراهيم يحدد بالسنوات ١٨٠٠-١٨٥٠ ق.م تقريبا " . فاذا كان الطوفان قد حدث قبل ٢٩٢ سنه من ابراهيم - كما توحى بذلك رواية سفر التكوين فى الانساب - فان الطوفان يقع فى القرن ٢١-

٢٢ ق.م وذلك العصر الذى كانت ظهرت من قبله نقاط مختلفة من الارض حضارات ومجتمعات انتقلت اطلالها للاجيال التى تلتها . والمعارف التاريخية الحديثة تسمح بتأكيد هذه الحقيقة ، على سبيل المثال : فى هذه الفترة بالنسبة لمصر هى التى تسبق الدولة والوسطى (٢١٠٠ ق.م) ، وهذا بالتقريب هو تاريخ الفترة الوسطي الأولي قبل الاسرة الحادية عشرة . وبالنسبة لبابل كانت فىهذه الفترة أسرة أور الثالثة .

ومن المعروف جيدا انه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات او غيرها وبالتالى فلم يحدث اى اعدام جماعى يخص البشرية برمتها او قل يعم المخلوقات الحية مع البشر كما تقول التوراة .

وبعد فلا يمكن اعتبار ان روايات التوراة الثلاثة تصف للانسان امورا تتفق مع الحقيقة . واذا أردنا ان نكون موضوعين فلابد ان نقبل ان هذه النصوص التى وصلت الينا لا تمثل تعبير الحقيقة (١٠١) .

أين لغة الوحي المقدسة ؟

لقد تم ترجمة الكتاب المقدس الى ألفى لغة من اللغات الحية المختلفة الموجودة بالعالم وباللهجات القبلية المحلية . ولقد طبعوا بالفعل ونشروا الكتاب المقدس للعرب وحدهم فى ١٥ كتاب مقدس يختلف كل واحد منهم عن الاخر فى لهجته ولغته بمختلف لهجات العرب وهى بالترتيب الاتى كما هو واضح بالصورة الضوئية :

١- اللغة العربية للعرب الناطقين باللغة العربية الفصحى عام ١٨٧١م .
٢- اللهجة العبرية لليهود العرب عام ١٨٩٢م .
٣- اللهجة التونسية للعرب فى تونس عام ١٩٠٣م .
٤- اللهجة السريانية لبعض العرب فى سوريا عام ١٩٢٧م .
٥- اللهجة العربية الجزائرية لبعض العرب بالجزائر عام ١٩٣٠م .
٦- لهجة اخرى جزائرية عامية لبعض العرب بالجزائر وتونس عام

١٩٣٣م.
٧- لهجة عربية مصرية لبعض العرب فى مصر عام ١٩٤٠م
٨- لهجة عبرية اخرى ليهود المغرب العربى عام ١٩٣٢م .
٩- لهجة عربية ملطية لاهل جزيرة مالطا عام ١٨٧٢م .
١٠- لهجة عربية مغربية عامية فى المغرب عام ١٩٣٢م .
١١- لهجة عبرية مغاربية لبعض العرب فى المغرب عام ١٩٢٠م .
١٢- لهجة عربية فلسطينية عام ١٩٤٦م .
١٣- لهجة عربية سودانية (لكم تصبح ليكم) لجنوب السودان عام ١٩٥٥م .
١٤- طبعة مطبوعة بحروف لاتينية لواحدة من اللهجات عام ١٩٢٧م .
١٥- طبعة مطبوعة بحروف عربية ذات رسم خاص لبعض انحاء تونس عام ١٩١١م (١٠٢) .

وان كانت النصوص المقدمة تعلمنا ان الرب قال لنفسه او لمجمعه السماوى : لنهبط الى الارض ونبلبل لغتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا او عند ذاك هبط الرب وبلبل لغتهم وفرقهم على وجه الارض ، ومن ثم أطلقوا على هذا المكان بابل ومعناه البلبلة لان الرب قد بلبل فيه لغات الناس جميعا . فبأي لغة نزل الوحى الشريف على موسى بن عمران ؟! وبأى لغة نزل على يسوع المسيح عليهما السلام ؟!

أيا كانت الاجابة ، فلماذا أعتيض عن لغة الوحى المعصوم بلغات غيرها ؟! فاذا كان قد تم - وقد حدث - فهل لهذه التراجم نفس القداسة التى للغة الام ؟! ان هناك ٢٠٠٠ اسم مختلف لكلمة واحدة بالعربية هي " المعزى " : بالانجليزية Comfores وباليونانية باراكليتوس Paraclet بالزولية يمثوكوزيزى و بالافريقية نزوستركما ... الخ .

ان قداسة اللفظ ليست ذاتية وانما قداسته مستمدة من نزول الروح القدس به. والباس الالفاظ ثوب القداسة مهمة لا يملكها احد من

البشر . فلاهم مصدرها بداية لا ولاهم مأواها نهاية ، فاللفظ المقدس يملكنا ولا نملكه .

اختلاف النص فى التراجم

١- الفقرة ١٤ الاصحاح ٢٢ التكوين
فى الترجمة العربية سنة ١٨١١م : " اسمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله زائره " فى الترجمة العبيرة سنه ١٨٤٤م " دعا اسم ذلك الموضع الرب يرى " وفى الترجمة العربية سنه ١٩٢٢ " فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهو يراه حتى انه يقال اليوم فى جبل الرب يرى " .

٢- الفقرة ٢٠ الاصحاح ٣١ التكوين .
فى الترجمة العربية سنه ١٦٢٥م و ١٨٤٤م " فكتم يعقوب أمره عن حميه" وفى الترجمة باللغة الاردية سنة ١٨٢٥م " فكتم يعقوب امره عن لابان " وفى الترجمة العربية سنه ١٩٢٢ " وخدع يعقوب قلب لابان الارامى" .

٣-الفقرة ١٠ الاصحاح ٤٩ التكوين .
فى الترجمة العربية سنه ١٦٢٥ و ١٨٤٤م " فلا يزول القضيب من يهودا والمدبر من فخذه حتى يجئ الذى له الكل وإياه تنتظر الامم ، فلفظة " الذى له الكل " ترجمة لفظ شيلوه . وفى الترجمة العربية ١٨١١م " فلا يزول القضيب من يهودا والرسم من تحت امرة الى ان يجئ الذى هو له واليه يجتمع الشعوب " . فلفظة " الذى هو له " ترجمة لفظ شيلوه . وفى الترجمة العربية ١٩٩٢م " لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب ". وفى الترجمة اللاتينية " الذى سيرسل ". وفى الترجمة الاردية " شيلا " .

٤- الفقرة ١٤ الاصحاح ٣ الخروج .
فى الترجمة العربية سفه ١٦٢٥ و ١٨٤٤م " فقال الله لموسى أهيه أشر أهيه " وفى الترجمة العربية اسنه ١٨١١م " قال له الازلى الذى

لا يزال " وفى الترجمة العربية سنه ١٩٩٢م " فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه"

٥- الفقرة ١٥ الاصحاح ١٧ الخروج .

فى الترجمة العربيـة سنه ١٦٢٥ و ١٨٤٤م " فـابتنى موسى مذبحـا ودعا اسم الرب عظمتى " وفى الترجمة العربية سنه ١٨١١م " وبنى مذبحا وسماه الله علمى " وفى الترجمة العربيـة سنه ١٩٩٢ " فبنـى موس مذبحا ودعا اسمه يهوه ني " .

٦ - الفقرة ٣٤ الاصحاح ٣٠ الخروج .

فى الترجمة العربية سنه ١٦٢٥ و ١٨٤٤م " من ميعه فائقة "
وفى الترجمة العربية سنه ١٨١١م " من الملك الخالص "
وفى الترجة العربيى سني ١٩٢٢م " ميعة واظفارا وقنة عطرة "

٧ - فى الفقرة ٥ الاصحاح ٣٤ تثنية .

فى الترجمة العربية سنه ١٦٢٥ و ١٨٤٤م " فمات هناك موسى عبد الرب" . وفى الترجمـة العربيـة سـنه ١٨١١م " فمـات هنـاك موسـى رسول الله "

٨- الفقرة ١٣ الاصحاح ١٠ يشوع .

فى الترجمة العربية سنه ١٨٤٤م " اليس هذا مكتوبا فى سفر الابرار " ، وفى الترجمة العربيـة سـنه ١٨١١م " اليـه هـو مكتوبـا فـى سفر المستقيم " ، وفـى الترجمـة العربيـة سنه ١٩٩٢م " .. .. فـى سـفر ياشـر " ، وفـي الترجمـة الفارسـية سـنه ١٨٣م " .. .. فـي سـفر ياصـار"، وفى الترجمة الاردية سنه ١٨٢٥ " .. .. فى سفر ياشا " .

٩ - الفقرة ١-٢ الاصحاح ٨ أشعياء .

فى الترجمة العربية سنه ١٨٤٤م " وقـال لـى الـرب خذ لـك مدرجـا عظيما أكتب فيه بكتاب انسان انتهب مستعجلا اسلب سريعا . ادع اسمه اغنم بسرعة وانهب عـاجلا " وفـى الترجمـة العربيـة سـنه ١٨١١م " وقـال لـى الـرب خذ لـك مدرجـا صحيحـا صحيفـة جديـدة كبيرة واكتب فيها بكتابة إنسان حاد ليضع نهب الغنائم لانـه حضـر . ادع اسمه اغنم بسرعة وانهبوا تجده .

١٠- الفقرة ١٤ الاصحاح ١١ متى .
فى الترجمة العربية سنه ١٨١١م و ١٨٤٤م " فان اردتم ان تقبلوه فهو ايليا المزمع ان يأتى " وفى الترجمة العربية سنه ١٨١٦م " فان اردتم ان تقبلوه فهذا هو المزمع بالاتيان " وفى الترجمة العربية سنه ١٩٩٢ " وان اردتم ان تقبلوا بهذا هو ايليا المزمع ان يأتى " .
١١-الفقرة الاولى الاصحاح ٤ يوحنا .
فى الترجمة العربية سنه ١٨١١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤م " لما علم يسوع " . وفى الترجمة العربية سنه ١٨١٦ و ١٨٦٠م " لما علم الرب " ، وفى الترجمة العربية سنة ١٩٩٢ " فلما علم الرب " .
١٢- الفقرة ٢ الاصحاح ٥ يوحنا .
فى الترجمة العربية سنة ١٨٤٤م " تسمى بالعبرانية بيت صدا " ، وفى الترجمة العربية سنة ١٨٦٠م و ١٩٩٢م " يقال لها بالعبرانية بيت حسدا " . وفى الترجمة العربية سنه ١٨١١م " تسمى بالعبرانية بيت حصدا "
١٣- أخر رسالة بولس الاولى الى اهل كونثوس الاصحاح ١٦ فقرة ٢١ فى الترجمة العربية سنة ١٨١٦م " الا ومن لا يجب ربنا المسيح فليكن ملعونا مارن أتى " وفى الترجمة العربية ١٨٤٤م " ومن لا يحب ربنا يسوع المسيح فليكن محروما ماران أتى " وفى الترجمة العربية ١٨١١م " من لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن مفرورا مارن أتى أي للرب قد جاء وفى الترجمة العربية سنه ١٩٩٢م " ان كان احد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما ماران اثا " .
١٤- مزمور ٤٠ فقرة ٦ .
فى النسخة العبرانية " فتحت أذني " وفى النسخة اليونانية " قد هيأت لي جسدا " وفى النسخة العربية " أدني فتحت " .
١٥- مزمور ١٠٥ فقرة ٢٨ .
فى النسخة العبرانية " هم ما عصوا قوله " وفى النسخة اليونانية " هم عصوا قوله " وفى النسخة العربية " ولم يعصوا كلامه " .

وبعد فهذه نماذج من مقابلة التراجم بعضها بعضا وهى من اساليب التناقض الممتعه لمن تخصص فيها وافرد لها دراسة مستقلة.

يقول أ.د ابراهيم خليل فليبس : " أقول ويقول كبار اللاهوتيين المعاصرين بالرغم من البصمات البشرية الفادحة من زيادة وحذف ومن تغيير وتبديل . ومن اسقاط واقحام فى اسفار الكتاب المقدس فإنه لا زالت اجزاء برمتها على حالتها الاولى فلم تصب ببصمات بشرية على الاطلاق . ظلت أصلية لبرهان ساطع على قطع من التوراة الأصلية . وقطع من مقالات المسيح عيسي ابن مريم الأصلية وهى الانجليل الأصلي

نعم فالكتاب المقدس المتداول الان على اختلاف الترجمات فى عصرنا هذا. وامامى نسخة للترجمة العربية البيروتية - الطبعة الثامننة - عام ١٩٣٦م بمعرفة جمعية التوراة الامريكية المنشأة عام ١٨١٦م بنيويورك - لازال يشمل اجزاء هامة ووحيدة للتوراة والانجيل الحقيقيين . وهى كثير والحمد لله . حتى ان كل من يؤمن بالله وبرسوله المسيح عيسي ابن مريم ويتبع الكتاب المقدس تماما فى حالته الراهنة . فان الكتاب المقدس بما يشمله من اجزاء أصلية سيقوده إلى الاسلام ولا ريب (١٠٣) .

وعليــــه ..

لا يمكن اعتبار ان روايات التوراة الثلاث - اليهوية والأوهيمية والكهنوتية - تصف للانسان امورا تتفق مع الحقيقة . واذا اردنا ان نكون موضوعيين فلا بد ان نقبل ان هذه النصوص التى وصلت الينا لا تمثل تعبير الحقيقة . هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة ؟

الواقع انه من غير الممكن تصور فكرة إله يعلم الناس بالاستعانة بأوهام .. بل بأوهام متناقضة . وطبيعي أن يثير ذلك افتراض وجود تحريف بواسطة البشر - إما فى الاقوال المتوارثة والتى انتقلت شفهيا من جيل لاخر او فى النصوص بعد تحديد هذه الاقوال

المتوارثة - وعندما نعرف ان مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الاقل مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون . فكيف ندهش حين نجد فيه امورا غير معقولة او روايات يستحيل ان تتفق مع واقع الاشياء. وذلك منذ ان سمح تقدم المعارف العلمية البشرية - ان لم يكن بمعرفة كل شئ فعلى الاقل بامتلاك معرفة كافية عن بعض الاحداث - تسمح هذه المعارف بإقامة الحكم على درجة اتفاق الروايات القديمة بهذه المعرفة فأي شئ اكثر منطقية إذن من الاكتفاء بهذا التفسير لأخطاء نصوص التوراة تلك التى لا تضع الا الانسان موضع النقاش ؟ إذن :

١- قليل من الموضوعات التى تعالجها العهد القديم تسمح بالمقابلة مع معطيات العلوم الحديثة .

٢- إن التوراة تحتوى على أخطاء ذات طابع تاريخي . فهم يكتبون التاريخ حسب مقتضيات الحال وبما يتلائم معهم كشعب مختار يختلف عن شعوب الأميين .

٣- هناك عدد كبير من المتناقضات والأمور غير المعقولة او المقبولة التى لا يمكن ان تقبل تفسير منطقيا وتاريخيا وعلميا قد توصل اليها أشهر النقاد المحدثين فيما يختص بتأليف اسفار العهد القديم المختلفة وتاريخها وأحداثها .

٤- ان التعديلات المختلفة والاضافات اللاحقة الى النص نفسه كالتعليقات التى اضيفت استدلاليا ثم دخلت فيما بعد على النص عند نسخه مره أخرى .

٥- لا يجب ان نأخذ النص مأخذا حرفيا (١٠٤) .

٦- ان موسى عليه السلام لم يكتب هذه الاسفار التى يطلق عليها اليهود والنصارى انها التوراة وينسبونها الى النبى موسى .

٧- ان مؤلف هذه الاسفار شخص عاش بعد موسى بأزمان طويلة جدا .

٨- ان موسى عليه السلام قد كتب سفرا مختلفا عن هذه الاسفار المشهورة .

٩- ان سفر موسى كان فى حجمه اقل بكثير من الاسفار الخمسة المتداولة .
١٠- جامع الاسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة مختلطة وليس عن طريق الوحى ثم نسبها الفريسيون الى موسى زورا وافتراءً .

يقول المؤرخ ليوتاكسل فى كتابه " التوراة كتاب مقدس .. او جمع من الاساطير " :
١-ان الاسفار الخمسة واسفار يشوع وراعوث وصموئيل والملوك ليس صحيحة (١٠٥) .
٢-كاتب سطور التوراة كان فريسة الجهل التام بشؤون الفلك (ص٩) والتوراة ضعيفة جدا في علم الحساب وهنا مقتلها (ص١٥٦)
٣- تنطوى التوراة على نصوص لا تحتاج اى فهل بل قل انها عصبية على كل فهم (ص٩) ان ليئه انجبت سته ابناء وفى المرة السبعين انجبت ابنتها دينة ونحن نعرف عدد السنوات التى قضاها يعقوب في بيت خاله لابان ففى اثناء نزاعه معه قال يعقوب لخالة " لقد خدمتك اربع عشر سنه بابنتيك وست سنين بغنمك "(تكوين ٤١/٣١) اذا يجب ان يكون ابنه البكر رأوبين قد ولد في العام الثامن فقط واذا تذكرنا ان ليئة لم تلد خلال عامين فى اقل تقدير (لقد اعارت يعقوب جاريتها زلفا طيلة العامين اللذين توقفت فيهما عن الولادة) فيجب ان نفترض ان ولادة دينة جاءت فى العام السادس لاقامة يعقوب فى دار لابان اذا لم تكن الطفلة قد تجاوزت الرابعة من عمرها بعد عندما تلاك يعقوب ديار خاله ورحل الى ارض الكنعانيين وفور وصول يعقوب الى اض الكنعانين وقع فى حب دينة ابى شكيم والتى بالكاد تجاوزت الرابعة من عمرها (ص١٣٦) .
كما ان شمعون ولادى ابنا يعقوب اللذان يزعم مؤلف التوراة انهما ارتكبا المجزرة البشعة فى بني حمور وابنه شكيم وشعبهما ونهب بنو يعقوب المدينة واخذوا البقر والغنم والحمير وكل ما فى

المدينة وما فى الصحراء وسلبوا جميع ثروتهم وكا أطفالهم ونسائهم وبيوتهم (تكوين ٢٥/٣٥) . كانا لا يزالان غلامين بالكاد احدهما فى العاشرة من عمره والاخر فى الحادية عشرة عندما اباد ذكور المدينة بكاملها ونسائها هل يدهشكم هذا ؟!

ان صحت الرواية لا شك انه يكون سلوك وحشي دنئ غادر وخسيس هذا اذا تحدثنا بلغة المتحضرين لا بلغة التوراة فقد ظهر ان ابناء يعقوب وناسه هم مجرد قطاع طرق لا ذمه لهم ولا عهد . فقد قدم اهل البلاد بلادهم لهم ومدوا يد الصداقة والتآخي والعيش بسلام. ولكن شعب يهوه المختار غدر بهم كما يغدر اللصوص العابرون فليس ثمه قاتل اكثر غدرا وسفاله وتعطشاً للدماء من ابناء اسرائيل ! (ص١٣٨) .

٤- النصوص التوراتية تبعث على الخجل (ص٥٠) .

٥- الخرافات التوراتية بعيدة عن الحقيقة بعدا غير مقبول والتصحيح المسيحى بدل ما عرضة سفر التكوين تبديلا كليا يتناقض مع رواية التوارة (ص٢٣) .

٦- الإله التوراتي كان جسدي تماما فهو يتنزه وقت البرود ويصارع ويحارب كأي إنسان (ص٣١) كما انه دائم الثرثرة (ص٣٨) والإله التوراتي يتصف بسرعة نسيانه لاقوالة (ص٧٢) والإله التوراتي يصنع وينفخ ويسير ويأكل ايضا ويهضم ما يأكله و ...... بل وهو ليس منيعا على الضيق الذى يسببه القيظ (ص٩٢) ولا يطيق رائحة البراز البشري لانه الرب .

٧- ان التوراة كتاب مسل عندما يقرأ بانتباه (ص٣٨) .

٨- الخارطه الجغرافية التوراتيـة لا تـزال تعانى النقص الجوهرى (ص٤٠،١٠٨) .

٩- الملائكة التوراتية تلاحق وتعشق الفتيات الجميلات من بنات البشر ويقترفوا كثيرا من الاثام فولدوا العماليق من تلك الزيجات (ص٥٨) .

١٠- مؤلف كتاب التكوين يصف ما حدث وما قيل بين يهوه

وابراهيم بدقة تجعل القارئ يحسب ان المؤلـف كـان موجودا ويرى كل شئ بأم عينيه . وعلـى ى حـال امـا ان وحيـا هبط عليـه او انـه كذاب خارق (ص٩١) قصه ابراهيم ولوط مجرد اختـلاق هدف بـه مؤلف اخرق جاهل دون المؤلف باذعـان ورضـى مختلـف ضـروب الشـائنات والسـابقات الشنيعة دون ان يلقـى بـالا لتناقضهـا الصريـح وتشويشها بل وعجزها الفيزيائى العادي (ص١٠٨) .

١١- مـن عجـائب التـوراة كثرت الارجـام المغلقـة وانجـاب العـاقر المسنة (ص١٠٩)

١٢- الحديث الغريب عن الفضة الرائجـة بين التجـار ولكـن الثـابت تاريخيـا ان ارض كنعـان لـم تعرف سك النقود فـى زمـن ابراهيـم (ص١١٤) .

١٣- سفر التكوين يصـف ابراهيـم - وحاشـاه - بـالكذب والقـواد والبنحيل يبيـع جسد زوجتـه وصـاحب سلوك وحشـي خسيس يتسم بالنذالة ويثير الاشمئزاز تجاه اسماعيل الطفل وهاجر أمه (ص١١١)

١٤- اما ان تكون قصه اسحاق ورفقة وعيسو ويعقوب مجرد هـراء سخيف والروح القدس ملهم التـوراة مجـرد كـذاب يخـدع المؤمنين بأمثله مـن أمثـال هذا التخريـف الاحمق مؤكدا بذلك انـه يمكـن ان يروى للمؤمنين السـذج كـل مـا يخطـر علـي بـال او ان هـذه القصـة صحيحة كلها وعندئذ يمثل يهوه - إله الشعب المختـار - امامنـا كـأى مغفل عادى لان احدا لم يرغمـة علـى ربط بركتـه ببركـة أبلـه مثل اسحق الذى خدعه يعقوب دون عناء يذكر ونحن هنا امام فعل جنائي فأي محكمة تدين يعقوب بجرم التزوير والكذب كما تدين والدته رفقة كشريكة وجرضه على ارتكاب الجرم مع سبق الاصـرار والتصميم (ص١٢٦) فقد خدع أخاه عيسوا وأباه اسحق بـل وخـدع يهوه نفسـه (ص١٢٨) كما ان يعقوب لم يصمد فى وجه الإله يهـو فحسـب جبل صـارعـه وانتصـر عليـه ايضـا بغض النظـر عن انـه خلـع لـه حقـه (١٣٥) .

١٥- القدرات المرتبطة بقصة ثامار وشناعاتها كلها تؤلـف جـزءا لا

يتجزأ من الكتاب المقدس والكنيسة لا تدحضها على الرغم من انحطاطها والاشمئزاز الذى تثيره فى النفس. اليس غريبا ان تقبل ثامار ان تصبح مجرد قحبه لوالد زوجها بعد ان فشلت فى زواجين متتاليين ؟ اولا يبدو غريب ايضا ان يدفعها هذا الفشل ايضا الى رفع ساقيها تحت حميها انتقاما منه لانه نسى ان يزوجها ابنه الثالث ؟ كما انه من غير المعقول ان يجرأ يهوذا ويأمر بحرق كنته - زوجه ابنيه - الحامل بغاء حسب ظنه وهو فى ارض كنعان التى لا يملك شيئا فيها ؟ والامر الاشد غرابة هو ان ينفذ امرة للتو وتضرم نار العقاب وكأنه قاضي فى تلك الارض الغريبة (ص١٤٦) .

١٦- لايمثل كتاب اللاويين أي اضافة لأنه لا يحتوي من المشاهد إلا مشهد تكريس هارون وأبنائه كهنة وقصة ناداب وأبيهود . وكتاب اللاويين هو من حيث الجوهر تعداداً وطويل ومسمل لمختلف ضروب القرابين والطقوس اليهوية ويعرض فيه المؤلف "المقدس" رؤيته عن الكنهوت والحيوانات الطاهرة والنجسة ويولي الأهتمام لمرض البرص والمصابين به فيتألف لدينا من هذا كله كما مبلبلا من التعليمات الغريبة المتناقضة التي لا يمكن أن تقرأ بغير ملل قاتل (ص ١٨٧).

١٧- إن ما يلفت الانتباه في العقوبات التوارتية أنها كلها جسدية ليس فيها عقوبة روحية واحدة بالإضافة إلي أن العهد القديم لا يأتي على ذكر جهنم أو المطهر في أي فصل من فصوله لقد أهتم يهوه بأمكنة تبرز يهوده ولكنه لم يهتم بأرواحهم قط ففي أي من أسفار التوراة لا تقع تعبير خلود الروح القدس (ص ٢٠٧).

١٨- تؤكد الكنيسة المسيحية والكنسية اليهودية على حد سواء أن الأسفار الخمسة هي من تأليف موسى ، ويجب ألا يظن أحداً بأن أحداً غير صهر الكائن يثرون كتبها وإذا ما سولت لأحد نفسه وأعتقد غير ذلك فسيجد نفسه مطروداً خارج ملة الكنيسة لأن اللاهوتيين يؤكدون بعناد الحمير على ان موسى هو من كب تلك الأسفار كلخاً من أول سطر فيها إلى أخر كلمة من كلماتها وأن ط الروح القدس

الحمامة" هـو مـن لقنـه ايهـا كلمـة كلمـة وإن موسـى مـان مقدس لـم يستطع أن يتركنا بمثل هذه البساطة لذلك كرس فاتـه ودفنـه ويصـف لنا حزن اليود لموتـه بـل ولـم ينس أن يمدحْ نفسـه ببعض الكلمـات "فمات هناك موسى عبد الـرب فـي أرض مـوآب حسـب قـول الـرب ودفنه في الجواء في أرض موأب مقبل بي ففور ولـم يعـرف إنسـان قبره إلى هذا اليوم فبكى بنو إسرائيل موسى.. ولم يقـم بعد نبـى فـي إسرائيل مثل موسـى الـذى عرفـة الـرب وجهاً لوجـه" (٣٤٥-١٠). غنى عن القول إن أى قارئ أخـر لـهذه السـطور سيؤكد علـى ان لا علاقة لموسى بكتابتها قط . (ص ٢٠٩) .

بهذا يتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم

العهـد الجديـد

الباب الأول

الأناجيل

حياة المسيح
مقدمة الأناجيل
انجيل متى
انجيل مرقس
انجيل لوقا
انجيل يوحنا
بولس الرسول
نقد أعمال الرسل والرسائل

كلمة العهد TESTAMENT تعني الميثاق . وكلمة الجديد مأخوذة من قول بولس إلى العبرانيين فقرة ١٥ الإصحاح ٩ : " ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذا صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي " ، وهي في مقابل العهد العتيق أو العهد القديم .يقول بولس في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس فقرة ١٤ الاصحاح ٣ :" بل أغلظت أذهانهم لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف الذي يبطل في المسيح " .

والعهد الجديد مؤلف من قسمين : الانجيل ، والرسل . كما أن العهد القديم مؤلف من قسمين أيضاً : الشريعة ، والأنبياء.

وكلمة الإنجيل معربة عن الكلمة اليونانية " إفانجيليون " ، ومعناها " البشارة " أو " الخبر السار " (١) .

محتوى العهد الجديد

يتكون العهد الجديد من عدد من الأناجيل والرسائل قسمها إلى إصحاحات الأسقف كانتر بري عام ١٢٠٠ م ، وقسمها إلى فقرات (آيات) مرقمة الناشر روبرت ستيفنون عام ١٥٥١م بباريس (٢)

رقم السفر	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات	رقم السفر	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات
١	إنجيل متى	٢٨	١٥	الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس	٦
٢	إنجيل مرقس	١٦	١٦	الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس	٤

إنجيل لوقا	٢٤	١٧	الرسالة إلى تيطس	٣
إنجيل يوحنا	٢١	١٨	الرسالة إلى فليمون	١
أعمال الرسل	٢٨	١٩	الرسالة إلى العبرانيين	١٣
الرسالة إلى أهل رومية	١٦	٢٠	رسالة يعقوب	٥
الرسالةالأولى إلى أهل كورنثوس	١٦	٢١	رسالة بطرس الأولى	٥
الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس	١٣	٢٢	رسالة بطرس الثانية	٣
الرسالة إلى أهل غلاطية	٦	٢٣	رسالة يوحنا الأولى	٥
الرسالة إلى أهل أفسس	٦	٢٤	رسالة يوحنا الثانية	١
الرسالة إلى أهل فيلبي	٤	٢٥	رسالة يوحنا الثالثة	١
الرسالة إلى أهل كولوس	٤	٢٦	رسلة يهوذا	١
الرسالةالأولى إلى أهل تسالونيكي	٥	٢٧	رؤيا يوحنا	٢٢
الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	٣			

إعتـذار

يقول ادوارد جيبسون " EDWAARD GIBBON'S " في كتابه:

' DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE " B1. P.P 231

" مهما كان هذا البحث نافعاً وطريفاً فإنه تكتنفه صعوبتـان . فـإن مواد التاريخ الكنسي الهزيلة الضئيلة المشكوك فيها . لا نكاد نستطيع معها أن نبدد الغيوم الحالكة التي تتلبد في سـماء العصـر الأول للكنيسة . وكثيراً ما يضطرنا قانون التجرد والنزاهة العظيم إلى الكشف عن مثالب المعلمين غير الملهمين والمؤمنين بالإنجيل . وقد يبدو للمراقب المستهين أن أخطاءهم تلقي ظلاً على العقيدة التي يقرؤها .

ولكن خزي المسيحي النقي ، والظفر الكاذب للكافر، لابد أن ينقضيا حالماً يتذكر :

١- من أنزل الوحي الإلهي.

٢- إلى من أنزل هذا الوحي.

وقد ينصرف عالم اللاهوت إلى المهمة الحبيبة السارة ، مهمة وصف الديانة كما نزلت من السماء ترفل في حلل الطهر والنقاوة ، ولكن هناك واجباً أشد حزناً وكآبة ملقى على عاتق المؤرخ . إن عليه أن يميط اللثام عن الخليط المحتوم من الخطأ والفساد اللذين علقا بالديانة في إقامتها الطويلة على الأرض بين جماعة ضعيفة منحلة من البشر .

حياة المسيح

كثيرة هي الكتابات التي تناولت حياة السيد المسيح وتنوعت فيها الآراء واختلفت عليها الأقـلام . وإن كـانت قـد توحـدت فـي موضوعاتها فقد تضاربت في مشاربها ، ولا نملك إزاء الكم الضخم من تعليقات النقاد والمؤرخين والمعلقين إلا أن نستعرض كافة الإتجاهات ونتناول معظم الكتابات إثراء للموضوع – على ضخامته – وتحديداً للأقوال – على كثرتها – سواء من جهة حياته التاريخية

أو من جهتيها الروحية واللاهوتية ، مادامت تصب في معين واحد ألا وهو حياة وتعاليم سيدنا المسيح .

يقول هـ. ج. ولز : " ليست مهمتنا أن نكتب عن يسوع من الناحية اللاهوتية بل من وجهة التاريخ ، وليست عنايتنا موجهة إلى أهمية حياته الروحية واللاهوتية بل إلى تأثيراتها على حياة الناس السياسية واليومية ، أي بوصفه بشراً على نحو ما يفعل المصور تماماً حيث يلتزم - حين يصوره – إظهاره في صورة البشر.

وسنعالج الوثائق التي تدون أعماله وتعاليمه على أنها وثائق بشرية عادية. فإذا سطع ضياء **الألوهية** من خلال تلاوتنا لها فلن نعينه ، وأيضاً لن نحجبه إننا سننظر إليه كما بدا .

ويكاد يكون المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن شخصية يسوع محصوراً في الأناجيل الأربعة GOSPELS ، وكلها كانت بالتأكيد موجودة بعد وفاته ببضع عشرات من السنين ، ومن الإشارات إلى حياته في رسائل EPISTLES الدعاة المسيحيين الأوائل .

ويقول أ.د شارل جنيبير رئيس قسم تاريخ الأديان بباريس : " إذا ما نظرنا في غير تحزب إلى نشأة المسيحية وتطورها تاركين جانباً كل ما يتعلق بعلمي اللاهوت وما وراء الطبيعة ، وجدنا في هذه النشأة وذلك التطور ظاهرة تاريخية جماعية يمكن تحليلها فيما يلي :

ظهر بإقليم الجليل خلال حكم الامبراطور (تيبر يوسي) شخص يدعى يسوع الناصري وصار يتحدث ويعمل حديث وعمل الرسل اليهود معلناً قرب قيامة مملكة الله (يوم القيامة) وناصحاً الناس بالخير حتى يجدوا لأنفسهم إلى هذه المملكة سبيلا . وأنشأ في هذه المملكة مكاناً وجمع من حوله بعض الأنصار المخلصين . ولكن (٣) لا تقدم إلينا النصوص الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير عيسى الخاص بمبادىء رسالته وبصفات شخصية ومدى دوره الذي لعبه ، إلا أننا لابد أن نقر واقعاً واضحاً للعيان هو أنه لم ينجح في دعوته ، وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التي نسبها إلى نفسه ولم يسيروا على نهج الأخلاق التي أراد أن يوحى بها إليهم . لقد

راقبوا مروره بينهم خلال الفترة الوجيزة التي اتيح له أن يظهر بها إليهم – ويجب ألا نعتمد هنا في حسابنا لحياة عيسى كنبي على التقديرات التي يوحى بها الإنجيل الرابع - مرقس – والتي بمقتضاها تكون حياته العامة قد امتدت ٣ سنوات. إن فترة الدعوة في حياة عيسى اقتصرت بالتأكيد على بضعة أشهر أو حتى بضعة أسابيع ، والتقديرات الدقيقة غير متوافرة – لقد راقبوه في شيء من الفضول أو من اللامبالاة ولكنهم لم يتبعوه . ولعله قد جذب إلى دعوته بضع مئات من أهل الجليل السذج ، فالاناجيل عندما تصف لنا جماهير الشعب وهي تقتفي خطاه في تلهف وتنصت إلى أحاديثه في إعجاب بالغ ، هذه الأناجيل لا تنسينا ما ترسمه صفحاتها الأخرى من قسوة قلوب اليهود وتعنتهم الشديد . والواقع ان عيسى نفسه قد يئس من محاولة اقناعهم ، واسباب اخفاقه واضحة للعيان ، فهو لم يتحدث الى الشعب باللغة - الثورية - التى كانوا ينتظرونها منه، فلم يكن زعيما وطنيا ثوريا وانما معلماً إلهياً (٤)

إنه لم يؤسس شيئا ، لم يأت بدين جديد ، ولا حتى بأى طقس جديد من طقوس العبادة . لم يأت الا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التى لم يزعم قط أنه ينبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها . واعتمدت تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه إلا أنه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاصة . ويجدر الاشارة إلى أن هذه الطريقة الخاصة نفسها قد لا تكون أصلية لديه بل لعله أخذها من غيره من سابقيه . أما أن ننسب إليه إرادة تأسيس كنيسة.. كنيسة تكون كنيسته هو .. كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها .. كنيسة يمهد لها فتح الارض جميعاً ، فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي . ولن نتعدى الحق إن اضفنا أن كل ذلك لا يمكن إعتباره إلا تحريفاً لفكرته ، وأنهُ لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء ، ولكن ماذا كان يبقي منه إذن إن نحن استثنينا بعض

الحكم الاخلاقية – وهي لاشك مفيدة – ولكنها أقل أصالة مما توصف به عادة ، ولم نتعرض لذكرى فضائله الرقيقة ولسحر شخصيته ؟ ماذا كان يبقى لنا من عيسى ؟ إن المنطق يجيب عن هذا التساؤل إجابة صريحة : لا شيء (٥).

لا مناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الاصحاب كانوا يمتازون بخيال دافق يزيد على الحد . إذ أن المنطق وواقع الأحوال كانا ينبئان في صراحة بأنهم لن يلاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه أستاذهم ، وبأنهم لابد سائرون إلى مثل ما سار إليه من مصير محتوم . لم يؤمن اليهود بعيسى في اثناء حياته فكيف يتعلقون به الآن وقد تجمعت الدلائل على أنه غرر حتى بنفسه ، فلم يستطع النجاة يوم التعذيب ، بل مات يائساً والناس تنظر إليه بعدما تنكر له أو سلمه لليهود أقرب المقربين إليه ولم يبكه إلا أمه وأمه وحدها ! أيقولون إنه قد بعث ؟ ولكن من هم الشهود على ذلك ؟ إنهم هم الاتباع فحسب . فما أضعفه من برهان (٦) !!

مرت دعوة أصحاب عيسى في عبورها من ربوع فلسطين إلى أراضي المهجر بأدوار غاية في التسلسل وكأنها أدوار حتمية لا مرد لها .

ولم يكن أصحاب عيسى هم السبب في هذا النشاط ، بل لم يكن يدور في خلدهم تدبيره ، فلما علموا بنتائجه بعثوا إلى انطاكية برسول مؤتمن يدعى " برنابا " ليدرس هذا الموقف الذي يبدوا أنه أثار لديهم الشكوك والقلق ، غير أن حماس الاتباع الجدد لم يلبث أن انتقل إلى برنابا نفسه الذي رأى في ظاهرة إنتشار الدعوة نفحة إلهية فوقف كل جهوده في إخلاص عميق لمواصلة هذه المبادأة المثمرة في مجال العمل التبشيري (٧).

وخلاصة القول أنه لم يتبق لدينا أى معلومات يمكن الاعتماد عليها عن حياة رجل الجليل وتلاميذه سوى الفصول الأولى من مجموعة أعمال الرسل ، وحتى هذه الفصول لم تصل إلينا إلا في نسخة تختلف كثيراً وبصورة تدعو إلى الشك عن النص الأول . إن

هذا الصمت ليدعو إلى الاعتقاد بأنهم لم يقوموا بأعمال خارقة والمرجح أنهم لم يكونوا ليستطيعوا ذلك (٨).

يقول هـ. ج. ولز : " وإذا نحن جردنا هذه القصة من الإضافات العسيرة وجدنا أنفسنا إزاء كائن مكتمل الإنسانية موفور الجد مرهف العاطفة والحساسية عرضة للغضب السريع ، يعلم الناس مباديء جديدة بسيطة عميقة هي أبوة الرب العامة المحبة ومجيء مملكة السماء . وغنى عن البيان أنه كان شخصاً ذا جاذبية شخصية بالغة القوة (٩).

مقدمة الأناجيل

أولاً متى كتبت الأسفار والرسائل المسيحية ؟ يقول دكتور فريدرك كلفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك في كتابه (الاناجيل أصلها وتطورها) ص٢٠-٢١ : " تحدد المراجع المختلفة تواريخ مختلفة من المحتمل أن تكون قد كتبت فيها الأسفار والرسائل المسيحية المختلفة . وفيما يلي بيان يمثل وجهة النظر الشائعة حول توقيت كتابة هذه الكتب التي أندرج أغلبها بين دفتي العهد الجديد القانوني :

م	تاريخ الكتابة	اسم الكتاب	التصنيف
١	٥٠	الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي	أغلب رسائل بولس
٢	٥١-٥٥	الرسالة إلى أهل غلاطية	أغلب رسائل بولس
٣	٥٥	الرسالة الأولىوالثانية إلى أهل كورنثوس	أغلب رسائل بولس
٤	٥٦	الرسالة إلى أهل رومية	أغلب رسائل بولس
٥	٥٩- ٦١	السرسالة إلى أهل فيلبي- الرسالة إلى	أغلب رسائل بولس

	فليمون- الرسالة إلى أهل كولوسى- من المحتمل كذلك الرسالة، إلى أهل أفسس	
٦٨	انجيل مرقس	الاناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل
٩٠	انجيل لوقا	الاناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل
٩٥	أعمال الرسل	الاناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل
٩٥- ١١٢	انجيل متى	الاناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل
٩٥	رؤيا يوحنا	الاناجيل المتشابهة وسفر أعمال الرسل
حوالى ٩٥	الرسالة إلى العبرانيين، رسالة بطرس الأولى، رسالة يهوذا، رسالة يعقوب	مجموعة رسائل كاثوليكية
٩٦- ٩٨	رسالة كليمنت الأولى	
١٠٠	الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس- الرسالة إلى تيطس	رسائل رعوية
١٠٠- ١٢٥	انجيل يوحنا- رسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة	كتب ضد الغنوسطية
١١٠- ١١٥	رسائل اجناتيوس- رسالة بوليكارب	كتب ضد الغنوسطية
١٣٥	رسالة برنابا- تعاليم	كتب رسولية

متأخرة	الأثني عشر رسولاً		
كتب رسولية متأخرة	رسالة بطرس الثانية	١٥٠	١٧
كتب رسولية متأخرة	تحديد قانونية الاناجيل الأربعة- رسالة كليمنت الثانية	حوالى١٥٠	١٨

" ولا يهدف هذا الجدول كما يقول فريدرك كلفتن جرانت إلى التحديد النهائي لتواريخ هذه الكتب ، حيث أنا نجد في أحوال كثيرة أن هذه التواريخ أما غير مؤكدة أو أنها تقريبية فقط " .

ويقول MAURICE BUCAILLE : " يخطيء من يعتقد أن الأناجيل شكلت بمجرد تحريرها الكتب المقدسة الاساسية للمسيحية الوليدة ، وانه قد اعتمد عليها مثلما كان يعتمد على العهد القديم .

لقد كانت السلطة السائدة في ذلك الوقت هي للتراث الشفهي الذي كان ينقل أقوال المسيح وتعاليم التلاميذ .

ان اول الكتابات المتداولة وأول ما ساد منها قبل الأناجيل هو رسائل بولس. الم تكن قد كتبت قبل- الأناجيل- بعشرات من السنوات ؟

ولقد رأينا انه قبل عام ١٤٠م لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية ، على عكس ما يكتبه بعض المعلقين حتى اليوم ، بل يجب انتظار عام ١٧٠م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنسياً .

في تلك العصور المسيحية الأولى كان تداول كثير من الكتابات عن المسيح ، غير أنه لم يعتد بها ككتابات جديرة بصفة الصحة . كما أوصت الكنيسة بإخفائها ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة (APOCRYPHES). ولقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها كانت تتمتع بُـالتقدير العام - على ما تقول لنا الترجمة المسكونية - ومن هذه الأناجيل رسالة القديس برنابا (DIDACHE DE

BARNABE) . ولكن هناك نصوصاً أخرى قد استبعدت بشكل اكثر عنفاً ولـم يتبق منها إلا بعض أجزاء . ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد اخفيت عن انظار المؤمنين . برغم ذلك فهناك من المؤلفات – مثل اناجيل الناصريين واناجيل العبرانيين واناجيل المصريين التي عرفت بفضل تنويهات آباء الكنيسة – ما كان يشبه عن قرب الأناجيل المعترف بها كنسياً .

ونفس الأمر ينطبق على انجيل توما وانجيل برنابا .

لقد قادت وفرة الروايات عن المسيح الكنيسة في مرحلة انتظامها إلى اجراء استبعاد لكثير من المؤلفات . وربما كان ما حذف ١٠٠ إنجيل . لقد احتفظ فقط بأربعة من الاناجيل لتدخل في قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتي تشكل ما يسمى بـالكتب المعترف بها كنسياً (١٠).

تقول المقدمة الحديثة للكتاب المقدس ط٨٩ دار المشرق– بيروت : " يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفراً مختلفة الحجم وضعت كلها باليونانية . ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي . فقد نالت الكتابات التي تؤلفه رويداً رويداً منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشأن في استعمالها ما لنصوص العهد القديم . التي عدها المسيحيون زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحد . إن تأليف تلك الاسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة واحدة أديا إلى تطوير معقد . والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة دون تحول حسن التفهم لذلك الأدب . فلابد لنا اليوم من النظر إليه في البيئة التي نشأ فيها وإلى انتشاره في أول أمره ، فلا غنى لكل مدخل إلى العهد الجديد – مهما كان مختصراً – عن البحث في الأحوال التي حملت المسيحيين الأولين على إعدام مجموعة جديدة لأسفار مقدسة . ولاغنى بعد ذلك عن البحث كيف إن تلك النصوص وقد نسخت ثم نسخت مراراً ومن غير إنقطاع ، ولاغنى له في الوقت نفسه عن أن يشرح كيف يمكن

ضبط النص بعدما طرأ عليه من إختلاف في الروايات في أثناء النسخ . قد يسأل المرء نفسه : ما الذي دعا المسيحيين الأوائل إلى أن يفكروا في إحداث مجموعة جديدة لأسفار مقدسة ؟ ثم في تحقيق تلك المجموعة لتكمل المجموعة التي يقال لها الشريعة والأنبياء ؟

إجيب بأنه كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحي الجيل الأول في العهد القديم فيما اجمعوا على تسميته " الرب " ، وكان لهذين المرجعين قيمة القياس في أمور الدين . ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة ، أما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل فلقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدة طويلة . ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠م قد تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة .

فليس هناك قبل أول القرن الثاني (٢ بط ١٦/٣) أي شهادة تثبت أن هذه النصوص كانت تعد أسفاراً مقدسة لها من الشأن ما للكتاب المقدس .

ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً كما يظهر شأن رسائل بولس . أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها .

ولكنه يكاد أن يكون من العسير كل مرة الجزم هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين يدي هؤلاء الكتبة ؟! أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي ؟!

مهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت ان الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة . ولا يذكر أن لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم . فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وان لها صفة ما يلزم . وقد جرى الاعتراف بتلك ألصفة على نحو تدرجي . وإبتدأ نحو السنة ١٥٠ عهد حاسم لتكوين قانون العهد الجديد.

في منتصف القرن الثاني دفع مارسيون (MARCION) بصرامة السلطات الكنسية إلى إتخاذ موقف . كان خصماً لدوداً لليهود - واليهودية - وكان يرفض كل أسفار العهد القديم وكان يرفض الكتابات اللاحقة على المسيح ذات الارتباط الوثيق بالعهد القديم أو التراث اليهودي المسيحي . ولم يعترف مارسيون إلا بإنجيل لوقا وبكتابات بولس . وحكمت الكنيسة على مارسيون بالهرطقة ووضعت في القائمة الرسمية كل رسائل بولس ولكن مع الأناجيل الأخرى لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا وألحقت به أيضاً بعض الكتب الأخرى مثل " أعمال الرسل" ، ومع ذلك فالقائمة الرسمية تنوعت مع الزمن في هذه القرون الأولى من العصر المسيحي . وهناك مؤلفات اعتبرت فيما بعد معدومة القيمة (المزورة) كانت تحتل مكاناً مؤقتاً في هذه القائمة الرسمية على حين كانت هناك كتابات أخرى محتواة في القائمة الحالية للعهد الجديد مستبعدة في ذلك العصر. لقد دام التردد حتى مجمعين (هيبون) عام ٣٩٣م و(قرطاجنة) عام ٣٩٧م ، ولكن الأناجيل الأربعة كانت دائماً موجودة بهذه القائمة ولا نستطيع إلا أن نأسف مع الأب (بومار) BOISMARD على إختفاء كم ضخم من الكتب التي اعتبرتها الكنيسة (مزورة) ، فقد كان لها أهمية تاريخية .

الواقع أن الأب (بومار) يعطيها مكاناً في كتابه " الأناجيل الأربعة المتوافقة "(SYNOPSE DES QUATRE EVANGILES) إلى جانب الأناجيل الرسمية. ويلاحظ ان هذه الكتب كانت موجودة بالمكتبات حتى نهاية القرن الرابع الميلادي .

لقد شهد هذا القرن عصراً من التنظيم الجاد . وإلى هذا العصر ترجع أقدم المخطوطات الكاملة للأناجيل (١١).

هناك ملاحظات تعرضها " مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد EDITIONS DU CERF ET LES BERGERS ET LES MAGES EDITEURS PARIS المنشورة عام ١٩٧٢م وتستحق ان تذكر على الفور ، كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هي نتيجة عمل جماعي تضافر له

أكثر من ١٠٠ متخصص من الكاثوليك والبروتستانت .

إن هذه الأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد لم تعرفها أي كنسية إلا في عصر متأخر ، برغم أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني . وحسب الترجمة المسكونية فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل في نحو منتصف القرن الثاني . ولكن يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الإستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتّاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي إعتماداً على الذاكرة. وفي تعليقات هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقرأ القارىء أنه لا توجد على أية حال أي شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م. وهذه الدعوة تناقض تماماً ما كتب (أ. تريكو) A . TRICOT في تعليقاته على ترجمته للعهد الجديد حيث يقول : " ومنذ وقت مبكر جداً – منذ بداية القرن الثاني – إستقر العرف على إستخدام الكلمة " إنجيل" للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين (السامري ٨٩– ١٦٨م) في نحو عام ١٥٠ يسميها أيضاً " مذكرات الرسل" MEMOIRES DES APOTRES ، ومما يؤسف له أن مثل هذه المزاعم تكرر كثيراً بحيث إن عامة الجمهور لا يعرف إلا معلومات خاطئة عن التاريخ الذي تم فيه جمع الأناجيل . إن الأناجيل لم تكن كلاً واحداً إلا بعد اكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح ولم يتم هذا في وقت مبكر جداً كما يقال . والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠م تقريباً التاريخ الذي اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسي .

أيضا فإن دعوى (أغوسطين) التي تصف كتّاب الأناجيل بالرسل لم تعد مقبولة اليوم ، كما سنرى ذلك ، أما فيما يتعلق بتاريخ تحرير الأناجيل فيؤكد (أ. تريكو) أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠م ، وليس هذا مقبولاً ، ربما بإستثناء إنجيل مرقس . إذن فهذا المعلق يحاول بعد معلقين آخرين أن يقدم محرري الأناجيل على أنهم رسل أو رفاق للمسيح . وهو بهذا يقدم تواريخ التحرير إلى

فترة تقارب كثيراً فترة حياة المسيح .

أما فيما يتعلق بـ (يوحنـا) الذي جعلـه (أ. تريكـو) يعيش إلـى مـا يقرب من عام ١٠٠م. فقد اعتـاد المسيحيون صورتـه التـي تصـوره دائماً على قرب شديد من المسيح في ظـروف رسمية (مثـل أيقونـة العشاء الأخير الشهيرة) ولكـن مـن العسير حقـاً التـأكيد بأنـه - هـو- كاتب الأنجيل الذي يحمل إسمه .

إن الرسول يوحنا مثل متـى فـي نظـر أ. تريكـو ومعلقيـن آخريـن وهو الشاهد الكفء المعترف به على الأمور التي سردها. على حين لا يتمسك غالبية المعلقين بالفرض القائل بأنه هو الذي حرر الأنجيـل الرابع.

وإذا كان من العسير إعتبار هذه الأناجيل الأربعة مذكرات لرسل أو رفاق المسيح فما هو أصلها إذن ؟!

يقول أ. كولمان O.CULMANN في كتابه العهد الجديدLES PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE ,1967 : " إن المبشـرين لـم يكونـوا إلا متحدثين بإسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتـت التـراث الشـفهي. فقد بقي الأنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط أو بالكاد . ولكن التراث الشفهي قد نقل أساساً أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشـرون كل علـى طريقتـه وبحسـب شـخصيته الخاصـة وإهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذ الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسـيح وربـط الروايـات بصيغ أسلوبية غامضة مثل (وبعد هذا) ومثل (وما إن) وهكذا . وبالاختصـار في إطار الأنـاجيل المتوافقـة EVANGILES SYNOPIQUES كل هذا أدبـي الطـابع وليـس لـه أسـاس تـاريخي . ويستأنف الكـاتب فيقول : ويجب ملاحظـة أن إحتياجـات التبشـير والتعليم والممارسـة الدينية هى التى دعت الجماعة الاولـى الـى تثبيـت هـذا التـراث عن حياة المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح ، كـان التلاميـذ يوضحـون حقـائق الإيمـان الـذي يحضـون عليـه بسـرد أحـداث حيـاة المسيح . وإن مواعظهـم هـي التـي خلفـت ظـروف تثبيـت هـذه

الروايات. أما أقوال المسيح فقد انتقلت بشكل خاص عبر تعليم الكنيسة الأولى الديني .

أعد المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني عام١٩٦٢ و١٩٦٥م دستوره العقائدي عن التنزيل ، واستطاع المجمع أن يعلن بشأن العهد القديم : " أن الأسفار التي تكونه تحتوي على شوائب وشيئاً من البطلان " . ولكنه لم يصغ أي تحفظات مثل هذه بالنسبة للأناجيل . بل على العكس قالت الوثيقة : " لا يغفل على أي إنسان أن من بين كل الكتب المقدسة بل حتى كتب العهد الجديد كان هناك ما يتمتع بحق بالإمتياز مثل الأناجيل بإعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودروس الكلمة المجسدة أي منقذنا . فدائماً وفي كل مكان حفظت الكنيسة وما زالت الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة . والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر المسيح . فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم وبتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان. ونعني بها الأنجيل المربع حسب متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

إن كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين أن هذه الأناجيل الأربعة – التي تؤكد تاريخيتها دون أي تردد – تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدي وإلى أن رفع إلى السماء . إن الكتاب الدينيين إذن يؤلفون الأناجيل الأربعة بشكل يسمح بإعطائنا دائماً عن المسيح أموراً حقيقية ومخلصة " .

هذا إذاً تأكيد بلا أدنى غموض على أمانة نقل الأناجيل لأفعال وأقوال المسيح . وهنا لا يرى القارىء أي إتفاق بين دعوى دستور المجمع المسكوني والدعاوي التالية :

١– يرى الأب كاينتجست KANNENGIESSET الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس في كتابه (الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان) أنه لم يعد واجباً الأخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح في الأناجيل ، فهي كتابات ظريفة أو خصامية يذكر كتابها أقوال جماعة كل منهم

عن المسيح .
٢- تقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد ط ١٩٧٢ أن الأناجيل إذا هي نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط'وتستجيب لإحتياجات الكنائس وتعبر عن فكر ما عن الكتاب المقدس ، وتعدل من الأخطاء ، بل ترد بهذا على حجج الخصوم . وبهذا جمع المبشرون وحرروا كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي (١٢).
٣- يقول هـ. ج. ولز في كتابه (معالم تاريخ البشرية) ج٣ ص٦٩٢: " من الحقائق الثابتة أن ما تحويه الأناجيل من مجموعة الأخبار والتأكيدات اللاهوتية التي تؤلف المبادىء المسيحية الطقوسية لا يقوم إلا على سند محدود جداً . إذ لا يوجد في هذه الكتب - كما قد يرى القارىء بنفسه - ما يدعم ويؤيد كثيراً من تلك المبادىء التي يرى معلمو المسيحية على اختلاف نحلهم أنها ضرورية بوجه عام للخلاص . فإن سندها من الأناجيل غالباً ما يكون سنداً غير مباشر ومعتمداً على الإشارة .

ولابد إذا من تصيد ذلك السند وإقامة الحجة عليه بالبحث والمجادلة . وفيما عدا بعض فقرات تدور حولها المنازعات يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسر فيها مبادىء الكفارة والفداء أو حض فيها إتباعه على تقديم القرابين أو تناول سر مقدس ، وهي أعباء وظيفة رجال الكهنوت . وسنرى من فورنا كيف مزق الشقاق حول مسألة الثالوث فيما بعد العالم المسيحي بأسره . وليس هناك من دليل واضح على أن حواريي المسيح أعتقنوا ذلك المبدأ . كذلك لا يبرز المسيح دعواه أنه المسيح ، ولا يضفي على اشتراكه مع الله في الربوبية أى ثوب بارز .

ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضفيه لو أنه كان يراه أمراً في الدرجة الأولى من الأهمية . ومن أشد ما يحير اللب قوله : " حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح " متى ٢٠/١٦ . فمن العسير أن يفهم الإنسان السر في هذا المنع إذا

فرضنا أنه كان يعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص . كما أن الكثير مما هو من أخص خصائص المسيحية في العبادة والطقوس لقى منه إغضاءً تاماً.

لقد بلغ من جرأة الكتّاب المتشككين ان انكروا إمكان أن يسمى يسوع مسيحياً على الأطلاق . ويجب على كل قارىء أن يلجأ إلى مرشديه الدينيين ليستضيء بهديهم في هذه الثغرات الخارقة في تعاليمه . ونحن هاهنا ملزمون بأن نذكر تلك الثغرات لما تولد عنها من صعوبات ومنازعات . كما أننا مضطرون أيضاً ألا نتوسع فيها.

١- يقول المؤرخ الألماني البرت شفايتزر في كتابه (البحث عن يسوع التاريخي THE QUEST OF THE HSTORY JESUS) ، الترجمة الإنجليزية ١٩١٠م : " إن الدراسة التاريخية العلمية للعهد الجديد تفضي بصاحبها بقدر من الشك أكبر منه من اليقين .. وينبغي أن نكون على إستعداد لأن نكشف أن المعرفة التاريخية بشخصية يسوع وحياته لن تكون مساعداً للدين. وإنما هي بالأحرى إساءة إليه (١٣)

ويقول REV. T. G. TUCKER : " .. وهكذا فإنتاج الأناجيل إنما تعكس بكل وضوح آراء الكتاب لسد إحتياجات المجتمع الفعلية الذين كتب من أجلهم .. لقد استخدمت العبارات التقليدية والطقوس ولكن لم يكن هناك أى تردد في التغيير أو الإضافة أو إسقاط مالا يتناسب وهدف الكتاب " .

٣- يقول البروفيسور دوملو الاستاذ بجامعة كمبردج فى موسوعته الشهيرة في تفسير الكتاب المقدس : " إن الناسخ في بعض الاحيان قد يضع في النص مالم يكن فيه ، ولكن مايظنه إنه لابد أن يتضمنه . فهو قد يثق بذاكرة مترددة أو يجعل النص يتطابق مع وجهات نظر المدرسة التى ينتمى إليها . وفضلاً عن ذلك فإن الإضافات إلى النصوص والاقتباسات عن الآباء المسيحيين حوالى أربعة ألف نسخة من العهد الجديد باللغة اليونانية كانت معروفة وظلت باقية ، ونتيجةً لذلك كله فكان لابد من إختلاف القراءات ، وهذا الإختلاف جدير بالإعتبار (١٦) .

" وواضح تماما أن تصريح المجمع المسكوني ، وهذه المواقف التي إتخذت منذ عهد قريب يضعنا بين دعاوى متناقضة ، إذ لايمكن التوفيق بين تصريح الفاتيكان الذى يقول : " اننا نجد فى الأناجيل نقلا أميناً لافعال وأقوال المسيح " ، وبين وجودُ متناقضات فى هذه النصوص وأمور غير معقولة وإستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأمور تم التحقق من صحتها. وعلى العكس من ذلك فإذا نظر القارى الي الاناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعي التراث الشفهى المنتمى الي مختلف الجماعات، واذا نظر إليها القارى على أنها كتابات ظريفة أو خصامية والثغرات الخارقة فى تعاليمه ، والصعوبات والمنازعات وسندها المحدود جداً، ووجود الشك أكبر من اليقين فيما تحويه ، والتغيير أو الإضافات أو إسقاط مالا يناسب الكاتب أو الاقتباسات ، وغير ذلك فإن القاري لن يدهش عندما يجد فى الاناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الإنسان فى مثل هذه الظروف . قد يكون جامعو النصوص هؤلاء مخلصين تماما بالرغم من أنهم يسردون أموراً لايشكون فى عدم صحتها عندما يقدمون لنا روايات تتناقض مع روايات كتاب آخرين أو عندما يقدمون روايات عن حياة المسيح بحسب نظرة مختلفة تماما عن نظرة الخصم ، وذلك لأسباب تتعلق بالتنافس الدينى (١٤) بين جماعة وأخرى .

فى تجربة ميدانية ثرية ومثيرة إكتسبها الأب (روجى) R.P.ROGUMET من خلال سنوات طويلة قضاها في الرد على قراء الأناجيل في جريدة أسبوعية كاثوليكية سجلها في مقدمة كتابه (مقدمة إلى الاناجيل 1973 INITIATION QA L,EVANGILE) ، هذه التجربة سمحت له أن يدرك مدى أهمية الاضطراب الذى يشعر به قراء الاناجيل، ولاحظ أن طلبات الشرح التى يبعث بها محدوثوه الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية شديدة التنوع تنصب على نصوص يراها القراء مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة . إذن ليس هناك شك فى أن قراءة النصوص الكاملة

للاناجيل قادرة على إثارة إضطراب عميق لدى المسيحين ، وهذه ملاحظة قريبه العهد من نشر كتاب الأب روجى عام ١٩٧٣ . وفي عصور ليست بعيدة تماما كانت أغلبية المسيحيين لاتعرف من الأناجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ . إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوى إلا علي مقاطع مختارة من الأناجيل ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله . وبعد فترة طويلة أدركت لماذا لم يكن يعطينا مدرسونا واجبات ترجمة من الكتب المقدسة المسيحية !. كان يمكن أن تقودنا هذه الكتب الي أن نطرح على اساتذتنا أسئلة يكون الرد عليها محرجاً . هذه المكتشفات التى ينتهى إليها امرؤ ذو روح نقدية عند قراءة الاناجيل بأكملها قد قادت الكنيسة الى التدخل لمساعدة القراء للتغلب على حيراتهم .

كثير من المسيحيين يحتاجون إلى تعلم قراءة الاناجيل – على حد قول الأب روجى - وسواء اختلف المرء أو اتفق مع تلك التفاسير فإن جدارة الكاتب كبيرة حقاً في مواجهة المشاكل الحارجة . لكن مما يؤسف له أن الأمر ليس كذلك دائما فيما يختص بكثير من الكتابات الخاصة بالتنزيل المسيحي .

ففي منشورات التوراة الموجهة للانتشار الواسع نجد أن الملاحظات الأولية تعرض في غالب الاحيان مجموعة من الاعتبارات تنحو إلى إقناع القاريء بأن الأناجيل لاتطرح بتاتا مشاكل تتعلق بشخصية كتاب الاسفار وبصحة النصوص وبالطابع الحقيقي لهذه الروايات . وعلى حين توجد كثير من المجاهيل بالنسبة لكتاب لم نتأكد من هويتهم فإننا نجد كثيراً من التحديات فى هذا النوع من الملاحظات التي كثيراً ماتقدم ماليس إلا مجرد فرض على أمر يقيني ، مؤكدة أن هذا المبشر أو ذاك كان شاهداً عياناً لأحداث محدودة ، على حين تدعى دراسات متخصصة عكس ذلك . إن المسئولين يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص ، يريدون إيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهى . على حين أثبت

المتخصصون أن هذه النصوص قد أصابتها تعديلات كثيرة . ويتحدثون هنا وهناك عن بعض مصاعب التفسير ولكنهم يغضون النظر عن المتناقضات أو الأخطاء الصارخة التي كثيراً ماتتجنب أو تختنق بحجج مديحية بارعة . وإنه لمما يروع القارىء هذا الحال من الأمور الذي يبين بجلاء الطابع الخداع لهذه التعليقات - المسكنة. إن الاعتبارات المدروسة هنا ستدهش القراء الذين لم يحيطوا علماً بعد بهذه المشكلات . يقول الأب روجي في ص ١٨٧ : " إن المشكلة هنا كما في كثير من المشاكل المشابهة لاتبدو غير قابلة للحل إلا اذا أخذ المرء بحرفية دعاوى الكتاب المقدس ونسى دلالاتها الدينية . ليس المقصود هو حل واقع الأمور برمزية مائعة ، وإنما المقصود هو البحث عن النية الدينية لدى هؤلاء الذين يكشفون لنا الاسرار بتقديم أمور محسوسة وعلامات خاصة بالجذور المادية لعقلنا " .

إن أهمية عبارة الأب روجي تكمن في اعترافه بوجود حالات كثيرة مشابهة لمسألة الصعود في الأناجيل . وإذن فيجب التعرض للمشكلة بشكل شامل ومن جذورها وبمنتهى الموضوعية .

يبدو أن من الحكمة إذن البحث عن توضيحات في دراسةالظروف التي كتبت الأناجيل في ظلها ، وفي دراسة المناخ الذي كان سائدا في ذلك العصر. إن توضيح التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالاعتماد على التراث الشفهي وتوضيح التحريفات التي حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا، كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لايدركها العقل. بل قد تذهب في بعض الاحيان الى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التي اثبتها اليوم التقدم العلمي.

مثل هذه الملاحظات تدل على مدى مساهمة الانسان في عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذي أصابها بعد ذلك.

ها نحن أولاء أذن بعيدون تماماً عن المواقف التقليدية التي كان يؤكدها بالتبجيل والتأكيد مجمع الفاتيكان الثاني عام١٩٦٥ بالكاد

والتي تستأنفها الكتب الحديثة الموجهة لعامه المؤمنين. ولكن الحقيقة لابد أن تخرج للي النور شيئاً فشيئاً وليس من السهل إدراكها ، فثقيل حقاً وزن التقاليد الموروثة التي دوفع عنها بشراسة . واذا أردنا أن نتحرر من هذا الثقل فيجب الأخذ بالمشكلة من القاعدة ، أي أن ندرس أولا الظروف التي سادت ميلاد المسيحية(١٥).

مؤلفو الأناجيل

في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٤٦ يقول الناقد اليهودي الفليسوف باروخ سبينوزا : " يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي لكتب الانبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة ، أعنى سيرة مؤلف كل كتاب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي اليها ، ومن هو ؟ وفى أي مناسبة كتب كتابه ؟ وفى أي وقت؟ ولمن ؟ وبأي لغة كتبه ؟ كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب علي حدة ، كيف جمع أولا ؟ وما الأيدي التي تناولته ؟وكم نسخة مختلفة معروفة عن النص ؟ ومن الذين فرزوا ادراجه في الكتاب المقدس ؟ وأخيرا كيف جمعت جميع الكتب المقننة – القانونية المعترف بها كنسياً – في مجموعة واحدة ؟ أقول إن الفحص التاريخي يجب أن يتضمن كل هذا ، فمن ألزم اللزوميات أن نعرف سيرة المؤلفين وأخلاقهم والهدف الذي كانوا يرمون إليه هذا ، بالإضافة إلى أننا نستطيع أن نفسر بسهولة أكثر أقوال إنسان ما ، إذا إزدادت معرفتنا بعبقريته الخاصة وطبيعة تكوينه الذهني .. ولكى نعلم أيضا إن كانت هناك يد آثمة قامت بتحريف النص أو في حالة كونه غير محرف ، إن كانت قد تسربت إليه بعض الأخطاء - يجب أن نعلم كل هذا حتى لا نسير كالعميان فيسهل وقوعنا في الخطأ ، وحتي لا نسلم الا بما كان يقينا لا يتطرق إليه الشك .

ماهي شخصية متى..؟

لنقل صراحة أنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد تلاميذ يسوع المسيح.. وبرغم ذلك يقدمه أ. تريكو على أنه كذلك في تعليقه على ترجمة العهد الجديد عام ١٩٦٠م ، ويقول مجيباً :

إسمه متى.. وإسمه قبل ذلك (ليفي) ، وكان عشاراً أو جابياً بمكتب الجمارك أو جابياً بضرائب مرور كفر ناحوم ، عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلاميذه . ذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين عام ٢١٠م (ORIGIN) وجيروم (JEROME) عام ٣٩٢م وإيبغان .

ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا اليوم . يقول أ. د. جون فنتون في النص (٩/٩) : " وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية أسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه " . لقد ذكره المؤلف نفسه في هذه الفقرة ، أو بالأحرى فإنه دعاه شخص يدعى متى ، على الرغم من أن ربط شخصيته بهذا التلميذ إنما هي بالتأكيد محض خيال (١٦) . وهناك نقطة لا جدال فيها وهي أن هذا الكاتب اليهودي للإنجيل - متى – مفردات كتابه فلسطينية وتحرير الكتابة يوناني . يقول أ. كولمان : إن الكاتب – أي متى – يخاطب أناساً وإن كانوا يتحدثون اليونانية فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الأرامية . أما بالنسبة للمعلقين على الترجمة المسكونية فإن أصل هذا الأنجيل عندهم يبدو كما سيلي بقدر غالب أن أنجيل متى قد كتب بسوريا وربما بأنطاكية !! أو بفنيقيا ، ففي هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود.

ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متى نفسه:

١. الكاتب معروف بمهنته.

٢. الكاتب متبحراً في الكتب المقدسة خاصة التراث اليهودي .

٣. يعرف بل ويحترم رؤساء شعبه اليهود .

٤. أستاذاً في فن التدريس والإفهام .
٥. يتفق جيداً مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية.
٦. معلم حاذق يخرج من كنزه جديداً وقديماً .

وتلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم – والذي يطلق عليه مرقس ولوقا إسم (ليفي).

يقول فيليبس J. B. PHILLIPS في كتابه:THE GOSPELS TRANSLATED INTO MODEM ENGLISH" : " تنسب الأعراف القديمة هذه البشارة إلى الحواري متى ولكن الأغلبية العظمى من العلماء يرفضون هذا الرأى اليوم ، والكاتب الذي ما زلنا نسميه متى – تسهيلاً للأمور – قد اعتمد على مصادر غامضة . وهذه المصادر الغامضة التي ربما كانت مجموعة من الأعراف والتراث الشعبي الشفوي. لقد اعتمد كلية على النقل عن انجيل مرقس (١٧) .

يضيف صاحب كتاب الغفران : " دون انجيل متى باللغة اليونانية في إنطاكية حوالي ٩٠ م ، واعتمد المؤلف في تصنيفه على الأقل على وثيقتين فقدتا وهما ANDURMARCUS ، ولا يوجد عالم متحرر يعتبر هذا الأنجيل من أعمال متى رسول يسوع المسيح . فإذا كان متى قد صنف شيئاً فإنه يكون من الوثيقة (= GERMAN QUELLE SOURCE) ، وهي وثيقة باللغة الآرامية مفقودة كانت بين يدى مدوني الأناجيل مترجمة إلى اللغة اليونانية . وهذه الوثيقة فقط مع إعتبارات التحرر الذي مارسه المؤلف المجهول لهذا الأنجيل مع المصادر الأصلية (١٨) .

وكتب C.L. CADOUX : " وبإختبار دقيق في المعالجة نكشف عن النقول التي نقلها من انجيل مرقس توضح بأنه سمح لنفسه بحرية مطلقة في تدوين مادته وتنسيقها إلى درجة اعتبرها الحق الأمجد للمعلم العظيم . وبنفس الإتجاه يمكن رؤيته في مواضع أخرى عندما يستخدم الوثيقة[Q] أو يوجد مادة خاصة لنفسه. لذلك فإن أى شيء سيصبح بكل دقة غريباً على متى ، يمكن قبوله كمسألة تاريخية مع الحذر الشديد . ويميل العلماء النقاد إلى القول بأن هذا الأنجيل من

تأليف أتباع متى وليس من أقوال العشار – متى – نفسه (١٩).

الأنجيل الأول.. لماذا؟

إن أول ما دون من الأناجيل هو أنجيل مرقس ، وقد كتب بمدينة روما بعد ٤٠ سنة من صعود المسيح ، ومع ذلك فإن لإنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد . وهي مكانة لها ما يبررها:

١- هذا الأنجيل إمتداد للعهد القديم بشكل ما، فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ البشرية، ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود . ويبدأ بشجرة نسب المسيح . ومتى يجعل المسيح ينتسب إلى إبراهيم عن طريق داود . وأياً كان الأمر فقد كانت نية متى واضحة في أن يعطي بنسب المسيح المنحى العام للكتابة .

٢- إن متى يتابع نفس هذه الفكرة وذلك بتوضيحه الدائم لموقف المسيح إزاء القانون اليهودي ومبادئه العريضة من صلاة وزكاة وصوم . يقول أ. د. فريدك كلفتن جرانت في كتابه الاناجيل ص١٤٠ : " مؤلف انجيل متى يهودي ولا شك ، وهو يختلف عن مرقس الذي لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلا. كما أنه يختلف عن لوقا الذي يفهم الهيود جيداً ولا يعرف حسن إيمانهم وقوته. إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعتهم كرجل يهودى المولد " .

٣- وربما كان هذا الإنجيل متصلاً بعوامل ذات صفة سياسية ، فالإحتلال الروماني لفلسطين يحمي بالطبع رغبة البلد المحتل في وقوع الاستقلال . ولذا فهو يدعوا الله إلى التدخل في صالح الشعب الذي اختاره من بين الشعوب مثلما فعل ذلك مرات كثيرة عبر التاريخ اليهودي.

وإذا كان الغرض الذي يبتغيه (متى) هو هداية اليهود فإنه يعتمد

أكثر من غيره من التلاميذ على المعجزات التي تعزي إلى المسيح . ويحرص حرصاً شديداً – يدعو إلى الريبة – على أن يثبت أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص المسيح (٢٠).

أهم صفات إنجيل متى

يتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى قد كتب إنجيله إعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ، ولكن روايته تختلف وفي نقاط جوهرية :

١- استخدم متى بشكل واسع إنجيل مرقس الذي لم يكن أحد تلاميذ المسيح (أ.كولمان) .

٢- يتصرف متى بحرية خطيرة مع النصوص خاصة فيما يتعلق بنسب المسيح في بداية إنجيله.

٣- ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها ، مثلما فعل برواية قيامة المسيح – كما سنرى – (الأب كانينجسر) .

٤- نية متى جديرة بالاجلال ، حيث يدخل بطريقته الخاصة إلى مؤلفه المكتوب معطية قديمة من التراث الشفهي . هذا إخراج تمثيلي جديد بفيلم كفيلم " المسيح نجماً سينمائياً CHRIST –JESUS - SUPERSTAR " وهذا الحكم على (متى) صادر من عالم لاهوتي مبرز وهو الأب كانينجسر الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس .

٥- خيال- متى- الواسع في سرده للأحداث كالتي تواكب موت المسيح ، يقول : " وإذا حجاب الهيكل قد إنشق إلى إثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين " (٣٧/٥١ -٥٣) . ليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل في الأناجيل الأخرى، ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيين أن تقوم عند موت المسيح (أى قبل يوم السبت كما

تقول الأناجيل) وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى (أي غداة السبت حسب نفس المصادر).

٦- يتميز إنجيل (متى) بعدم معقولية لا جدال فيها من بين كل الأقوال التي وضعها كتابها على لسان المسيح نفسه . فمثلاً يسرد (متى) حادثة آية يونس (يونان النبي) في الإصحاح ١٢ الفقرات من ٣٨-٤٠ ص٢٢ جديد حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطي له آية إلا آية يونان النبي ، ولأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ولكن متى ومعه لوقا ومرقس يحددون موت ودفن المسيح بما قبل يوم السبت بيوم . وهذا يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام كما في النص اليوناني (TREIS EMERAS) . المعلقون على الأناجيل يسكتون في غالب الأحيان أمام هذا الحدث . ومع ذلك فالأب روجي يبرز هذا الأمر غير المعقول ، ويلاحظ أن المسيح لم يبقى بالقبر إلا ثلاثة أيام منها يوم كامل فقط وليلتين . غير أنه يضيف قائلاً التعبير جامد ولا يدل علي شيء آخر إلا ثلاثة أيام . وأنه فما يحزن حقاً أن نلاحظ أن المعلقين ينزلون إلى إستخدام مثل هذه الحجج التي لا تقول شيئاً إيجابياً على حين يشفى العقل الايحاء بأن مثل هذه الكبيرة ربما تكون قد صدرت عن أخطاء أحد نساخ النص . (وسوف نفرد لهذه المسئلة مساحة كافية).

٧- بالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة فإن ما يتميز به إنجيل متى أولا وقبل كل شيء هو أنه إنجيل طائفة يهودية - مسيحية بسبيل مخالفة اليهودية مع الأحتفاظ بخط العهد القديم .

٨- ومن جهة نظر تاريخ اليهودية المسيحية فلإنجيل متى أهمية كبرى(٢٢).

٩- إن كلا من بولس الهلليني ومتى المبشر اليهودي له وجهة

نظر تخالف الآخر تماماً فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه (د. فريدرك كلفتن جرانت)

١٠- توقع نهاية العالم سريعاً ، فهو قد توقع أن تأتي نهاية العالم في أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد اكملوا التبشير بالإنجيل في مدن إسرائيل(١٠/٢٣) وقبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح الذين استمعوا إلى تعاليمه (١٦/٢٨) وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح وتلاميذه قد فنى ومات (٢٤/٣٤) ، ومن الواضح أن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه متى.

ثم يقول جون فنتون عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا في كتابه تفسير إنجيل متى : " إذا كان القارىء يقبل على إنجيل متى وهو يتوقع أن يجد سرداً تاريخياً دقيقاً لحياة يسوع فلسوف يصاب بخيبة الأمل " (٢٣)

مرقس.. وإنجيله

إن مرقس كان يهودياً لاوياً ، وهو تلميذ لبطرس وصنف إنجيله بطلب من أهالي روما . وكان مرقس ينكر ألوهية المسيح ، هذا ما ذكره بطرس قرماج في كتابه مروج الأخبار في تراجم الأبرار طبعة بيروت ١٨٨٠م ، وكتب أ. كولمان إنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح ، وكتب الأب روجي إن مرقس كاتب غير حاذق وهو أكثر المبشرين ابتذالاً فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية .

فيما يصفه الطبيب والمؤرخ الفرنسى موريس بوكييه فى دراسته للكتب المقدسة ص٨٧ : " مرقس هذا الكتاب الغث ". إن فقر المعلومات الخاصة – بشخصية مرقس – قادت المعلقين على الترجمة المسكونية إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية على أنها عناصر ذات قيمة ، ومنها أن مرقس هو المبشر الوحيد الذي سرد في روايته عن آلام المسيح حادثة شاب كان يلبس إزاراً على عربة وترك الإزار وهرب عُرياناً وعندما شرعوا في الأمساك به إستنتجوا أن هذا الشاب قد يكون مرقس . لكن هذه الحجة غير حاسمة بل

حتى نص مرقس لا يشير إلى أى مؤلف للإنجيل (٢٤).

مواصفات الإنجيل

هو أقصر الأناجيل الأربعة وهو أيضاً أقدمها (٢٥) . إن أول مادون من الأناجيل هو انجيل مرقس. يقول د. دنيس إريك نينهام أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة " بليكان " لتفسير الإنجيل في كتابه تفسير إنجيل مرقس : " سوف يتحقق القراء من أن الإنجيل قد كتب أولاً باليد واستمرت هذه الطريقة اليدوية تستخدم لقرون طويلة في إنتاج نسخ منه . ولقد زحفت تغييرات تعذر إجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد . ومن بين مئات المخطوطات للإنجيل مرقس والتي عاشت إلى الآن فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً " .

وكتب في مدينة روما على الأقل ٤٠ سنة بعد ما يدعى بصلب يسوع : " والإنجيل الذي بين أيدينا اليوم يعتبر نسخة منقحة ومزيدة عن نسخة (URNARCUS (٢٦) ، تلك الوثيقة التي يتحدث عنها بابياس PAPIAS وهو من قدامى الكتبة المسيحيين قائلاً في كتاب THE ANTI - NICENE FATHERS ، الذي ألفه ROBERTS AND DONALDSON (ص ١٥٤-١٥٥) المجلد الأول :

" إعتاد يوحنا الشيخ ELDERJOHN أن يقول إذ أصبح مرقس ترجماناً لبطرس دوّن بكل تدقيق كل ما تذكره . ولم يكن مع هذا بنفس الترتيب المضبوط ما رواه عن أقوال وأفعال يسوع المسيح. ذلك بالتبعية كما قلت التصق ببطرس الذي أخذ يصوغ تعاليم يسوع المسيح لتوائم حاجة المستمعين وليس بعمل رواية وثيقة الصلة بيسوع وعن يسوع ولإحاديثه. يقول دكتور كادوكس Dr. G.J. CAKOUX أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة أكسفورد NACKEMAL PROFESSOR يوجز إستنتاجاته عن علماء الكتاب المقدس البارزين بشأن طبيعة وتصنيف هذا الإنجيل قائلاً : كتب إنجيل مرقس بعد استشهاد بطرس عام ٦٥ م وفي فترة من الزمان كان مرقس الذي لم يكن ذاته تلميذاً ليسوع المسيح . وفي وضوح لم يكن متاحاً له

الالتصاق بتلاميذ المسيح الذين يمكن بمعلوماتهم مراجعة روايته. هذه الأحوال في تصنيف هذا الإنجيل ووجوده بذاته جنباً إلى جنب العديد من العلامات الدقيقة وإعداد معينة من علامات الجهل وعدم الدقة . يقول (بابياس) أسقف هيرابوليس (١١٠م) من رجال القرن الثاني : في الواقع أن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته . لأن مرقس لم يكن قد سمع بيسوع ولا كان تابعاً شخصياً له . لكنه في مرحلة متأخرة كما قلت أنا (بابياس) من قبل قد تبع بطرس الذي اعتاد التوفيق بين تعاليم يسوع والمطالب..

يقول القس الدكتور منيس عبد النور.. ومع أنه يوجد بعض اختلاف في أمور جزئية .. قال (ايريناوس) أسقف ليون من رجال القرن الثاني(١٧٠م) إن مرقس تلميذ بطرس وكاتب سيرته ، كتب بعد موت بطرس وبولس الأشياء التي وعظ بها بطرس . وقال (باسينج) موافقاً لايريناوس إن مرقس كتب إنجيله في سنة ٦٦ فثبت أن مرقس لم يكتب الإنجيل الذي يحمل أسمه أما القول إن بطرس كتب هذا الإنجيل فضعيف لا يعتد به (٢٧).

مآخذ ومثالب

١- يظهر النص نفسه عيباً رئيسياً أولياً لاجدال فيه ، فلقد حرر الانجيل دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للاحداث ، فيضع في بداية روايته حكاية الصيادين الاربعة الذين يدعوهم المسيح لان يتبعوه علي حين لايعرفوه (١/١٦-٢٠).

٢- يضاف الى ذلك أن هذا المبشر يبرز افتقاداً كاملاً للمعقولية كما يقول الأب روجي ، إن مرقص كاتب غير حاذق وهو اكثر المبشرين ابتذالاً فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية . ويدعم الأب روجي ملاحظته بذكر فقرة تسرد تكون الاثني عشر تلميذاً (٣/١٣-١٦).

٣- إن انجيل مرقس يتناقض مع انجيلي متى و لوقا خاصة فيما

يخص بعض الأحداث مثل حكاية يونان النبي وأكثر من ذلك الآيات التي يعطيها المسيح للبشر في أثناء بعثته هذه الرواية بسرد مرقس لم تعد الحكاية قابلة للتصديق (٨/١١-١٢) . " فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح وليسوقوه إلي فخ طلبوا منه آية من السماء تنهد المسيح بعمق وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية..؟ الحق اقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليمضي الى الضفة الأخرى " . و لاشك في أن هذا تأكيد من المسيح نفسه بأنه ليس في نيته القيام بأي فعل قد يبدوغير طبيعى . وعليه فالمعلقون علي الترجمة المسكونية عندما يتعجبون من إعلان لوقا بأن المسيح لن يعطى إلا آية واحدة يونان النبي (لوقا١١/٢٩)، يحكمون في الوقت نفسه بوجود مفارقة بين قول مرقس (بأنه لن يكون لهذا الجيل آية) وبين المعجزات التي يقدمها المسيح نفسه كآيات (لوقا ٧/٢١) . " وفي تلك الساعة شفي كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين. فأجاب يسوع وقال لهما أذهبا أخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما إن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون " ص١٠٤ جديد .

وآية (مرقس ١١/٢٠) " وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الاصول ، فتذكر بطرس وقال له ياسيدى انظر التينة التي لعنتها قد يبست . فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله .. لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم ". ص ٧٧ جديد.

٤- خاتمة إنجيل مرقس الاصحاح ١٦ مؤلف مضاف أو مفقود من بقية الاناجيل المتوافقة.

اذا كان انجيل مرقس معترفا به كلية كإنجيل كنسي فإن هذا لايقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته الاصحاح ١٦ الفقرات من ٩ إلي ٢٠ كمؤلف مضاف ، وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح كما وإن هذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين

كاملتين للاناجيل المعروفتين باسمي" CODEX SINAITICUS VODEX VATICANUS " اللذين يرجع تاريخهما إلي القرن الرابع .

ويقول أ. كولمان في هذا الشأن: " أضافة مخطوطات يونانية أقرب عهدا وبعض نصوص أخري إلي هذا الموضع خاتمة عن ظهور المسيح لاتنتسب إلى مرقس وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى " . والواقع أن روايات هذه الخاتمه المضافة كثيرة . ففى النصوص نجد تارة رواية طويلة وتارة نجد رواية قصيرة – تحتوي الترجمة المسكونية على الروايتين الطويلة والقصيرة – وتارة الرواية الطويلة مع حاشية وتارة أخرى الروايتين معا.

ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بما يلي :

لابد أنه قد حدث حذف للأيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي - أو عند النشر علي العامة – لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته، ولا متي ولا لوقا ولا يوحنا بالأحرى قد عرفوا هذا الجزء المفقود . مع ذلك فقد كانت الفجوة لاتحتمل .

وبعد ذلك بكثير وبعد أن جرت بين الايدى الكتابات المتشابة لـ متي ولوقا ويوحنا تم توليف خاتمة محترمة لمرقس ، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا وهناك لدي المبشرين الآخرين .

ومن السهل الاستدلال على قطع هذه الفزورة بالتفصيل في خاتمة انجيل مرقس (١٦/٩–٢٠) حيث ذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها النوع الأدبي الخاص بالحديث الانجيلى حتى أعتاب القرن الثاني..

يعلق المؤرخ موريس بوكييه فيقول : " ياله من اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر علي النصوص المقدسة .. ياله من اعتراف ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير" (٢٨) .

وقال ايرونيموس جيروم إن بعض العلماء يشكون في أن مرقس كتب الإصحاح ١٦. وقال غيره إن مرقص (١٦/٩–٢٠) دخيل علي النص (٢٩).

أولا من هو لوقا ؟

هل هو الطبيب الذي يذكره بولس في رسائله ؟ أم هو شاهد عيان لحياة وآلام يسوع المسيح؟

هل هو يهودي أم هو أممي ؟

لقد اراد بعضهم التعرف علي هويتـه فـي شخصية الطبيب الذي يحمل اسم لوقا ، والـذي يذكره بولـس فـي بعض رسـائله، كمـا فـي ثيموتـاوس ٤/١١ " لوقـا وحده معـي " ، وكمـا فـى كولـوس ٤/١٤ " لوقا الطبيب الحبيب " .

وتاكيدا لمهنة الطب نلاحظ في الترجمة المسكونية أن بعضهـم قد رأي ذلك بسبب دقة وصف المرض . وهذا تقرير مبالغ فيه تمامـا ، فلوقا لا يعطى أوصافا من هذا النوع اذا شئنا الدقة ، والمفردات التي يستخدمها هي مفردات أي انسـان مثقف فـي هـذا العصـر. لقد كـان هناك لوقا ما قد رافق بولس في رحلاته فهل هو نفس الشخص ؟ إن أ. كولمان يعتقد ذلك ويصفه بأنه كاتب حوليات . كما أنه أديب وثني آمن بالمسيحية . ولوقـا فـي نظـر الأب كاتينجسر وهو فـي نظـر GOSEPHUS: NTIQUITES: " اكبر الظن أن لوقا نفسه كـان أمميا وانـه كان صديقا لبولس ، وهو ايضا مؤلف سفر اعمال الرسل ".

فيما ينبهنا لوقا عن نفسـه فـي ديباجتـه الموجهـة مـن أجل فخامـة (ثاوفيلس) ومن المحتمل أن يكون من كبـار موظفـي الامبراطوريـه الرومانية إلا انه – بعد الأخرين الذين أنشأوا قصصا عن المسيح – سينشيء بدوره حكايـة عن نفس الاحداث مستخدما هذه القصص ومعلومـات شـهود العيـان ، وذلـك يعنـي انـه ليـس واحـدا منهـم ، وبالاضافة الى المعلومات الأتية من مواعظ التلاميذ مع إعمـال قـواه العقلية في الأمور الدينية كما يقول د. منيس عبد النـور. وكمـا يقول ايرينـاوس " إن الأشياء التى تعلمهـا لوقـا مـن الرسل أبلغهـا إلينـا " . وكما يقال ايرونيموس (جيروم) " لم يكن بولس المصدر الوحيد للوقـا والحقيقة هى أن الرسول بولس لم يكن من صحابة المسيح بل تعلم

الانجيل منه ومن الرسل الآخرين " (٣٠).

المقصود إذن أنه كتاب منهجى . ويقدم لوقا له بمايلى : " اذا كـان كثيرون قد أخذوا بتاليف قصة فى الاحداث التي وقعت كما نقلها إلينا اذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالي إليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به " . من السطور الأولى يستطيع القارىء أن يميز ما يفضل لوقا عن مرقص هذا الكاتب الغث الذي تحدثناعن انجيله . إن انجيل لوقا عمل أدبي لا يجادل ، كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلو من حواش الكلام .

ويتضح من هذه المقدمة جملة أمور لابد من التسليم بها وهى :

١- إن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس . وان هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما تتوفر لها إمكانيات الكتابة من وقت ومعلومات .

٢- إن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصي بحت ، بغية ان تصل المعلومات التي علم بها إلى ثاوفيلس . ولم يدع الرجل فى رسالته انه كتبها بالهام أو مسوقاً من الروح القدس بل نتيجة لاجتهاده الشخصي لانه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

٣- يقرر لوقا أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف اناجيل – ولا نعلم كم عدد هؤلاء الكثيرون ، أو من هم ؟

٤- يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه لكنه كتب رسالة عن المسيح إلى ثاوفيلس بناء على المعلومات التي تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا فى خدمته .

يقول المؤرخ فريدريك جرانت (F. C. GMANT) :

" لم نخطر بمن يكون ثاوفيلس هذا ، قد يمكن افتراضه موظفاً رومانيا ربما في إحدى مدن المقاطعات التي ليس من الضروري أن تكون روما أو حتى في ايطاليا . كذلك لم نخطر بمن أولئك الكثيرون الذين أخذوا في تأليف قصص مماثلة . إن لوقا لم يكن مؤرخا فقط لكنه كان شاعراً أيضا".

ويقول إيزنست هونش : " يجب أن يكون لدي الانسان روح

الشاعر حتى يستطيع أن يفهم كتابة لوقا . ولاريب في انه يوجد شعر كثير في التعاليم الانجيلية القديمة ، لكن يسوع كان شاعراً كذلك " (٣١).

مواصفات الإنجيل

أولاً : يشير أ. كولمان إلى أن لوقا أديب وثني آمن بالمسيحية واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مباشرة. فلوقا يحذف من روايته اكثر الآيات اليهودية عند مرقص. ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود. وعلاقاته طيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود. هذا على حين يقول متى في إنجيله إن المسيح طلب من حوارييه أن يتجنبوا السامريين "أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى ١٠/٥) ص١٧ جديد . وهذا مثال جلي بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية. وهم يفعلون ذلك لاشك بإقتناع مخلص. فإنهم يعطوننا عن أقوال المسيح الرواية التي تتكيف مع وجهات نظر الطوائف التي ينتمون إليها. كيف يمكن إذن أمام أمور جلية كهذه إنكار أن الأناجيل ليست كتابات خصامية أو كتابات ظرفية كما قيل أعلاه؟! إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متى وإنجيل لوقا يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن.

ثانياً: يذكر أ. كولمان في كتابه " العهد الجديد" ص١٨ روايات من إنجيل لوقا لا توجد في الأناجيل الأخرى . وليس المقصود نقاطاً تفصيلية فمثلاً :

١–إن الروايات عن طفولة المسيح في إنجيل لوقا خاصة بهذا الإنجيل . وإنجيل متى يقص طفولة المسيح بشكل يختلف عن إنجيل لوقا . أما إنجيل مرقص فإنه لا يقول كلمة عنها .

٢–يعطي كل من متى ولوقا للمسيح أنساباً مختلفة. والتناقض بينهما هام. وعدم المعقولية كبيرة من وجهة نظر العلمية. بحيث يجدر

تخصيص فصل خاص لهذا الموضوع .

ثالثاً: إن رسالة المسيح مسرودة بشكل مختلف وفي نقاط كثيرة لدى كل من لوقا ومتى ومرقس . وسوف أبين ذلك تفصيلياً.

رابعاً: تأسيس سر القربان المقدس يخضع لتنوعات كثيرة من لوقا إلى المبشرين الآخرين. يقول الأب روجي في كتابه" مقدمة إلى الإنجيل" ص٧٥ إن الكلمات التي يسوق بها إنجيل لوقا سر القربان المقدس تختلف عن تلك التي نجدها في إنجيل متى وفي إنجيل مرقس. والصيغة التي ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التي يذكرها بولس. (راجع لوقا ١٩/٢٢- ٢٤، متى٢٦/٢٦- ٢٩، مرقس ٢٢/١٤-٢٤، ١كورنثة١١/٢٣-٢٥).

خامساً: لوقا في إنجيله يصدر عن صعود المسيح قولاً يناقض ما يقوله في سفر أعمال الرسل- التي سلم المتخصصون بأنه كاتبها وهي جزء متمم للعهد الجديد- إنه يحدد في إنجيله تاريخ صعود المسيح بيوم الفصح. فيما يحدده في أعمال الرسل بأربعين يوماً بعد يوم الفصح. وإننا لنعرف إلى أى تعليقات غريبة قاد هذا التناقض المفسرين المسيحيين. غير أن المعلقين- الذين تهمهم الموضوعية مضطرون للإعتراف- مثلما فعل المعلقون على الترجمة المسكونية عموماً بأن الإهتمام الأول- لدى لوقا- ليس هو وصف الأمور في دقتها المادية .

إن الأب كاتينجسر يقارن روايات أعمال الرسل وهي من تأليف هذا اللوقا نفسه. مع روايات أمور مماثلة عند بولس عن المسيح بعد قيامه. ويقدم الرأى التالي عن لوقا فيقول " لوقا هو اكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافاً في الحس وأكثرهم ميلاً للأدب.إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي(٣٥).

سادساً: إن لوقا استخدم على الأقل ثلاث وثائق مفقودة. أثنان منها مطابقة لما استخدمه متى في تدوين إنجيله. والثالث وثيقة من خصوصياته. ولعلها التي أشار إليها في مفتتح إنجيله قائلاً كما سلمها إلينا..(٣٦).

سابعاً: أراد لوقا أن يقدم إنجيله لوجهة نظر تعاليم بولس مما جعله يتصرف بحرية مطلقة مع مصادره بأكثر مما تصرف به كاتب إنجيل متى " THE SYNOPSTIC GOSPELS " (٣٧).

ثامناً: الإنسان يستطيع أن يجد ٣٥٠ سنداً من ٦٦١ سنداً مقتبساً في إنجيل لوقا تكاد تكون هي بنصها من إنجيل مرقس كما يقول FINKELATEIN L. AKIBA . ويبدو أن لوقا قد أخذ هذه النصوص عن القديس متى ؟أوأن لوقا ومتى قد أخذاها عن أصل مشترك لم نعثر عليه بعد (٣٨).

تاسعاً: يقول جورج بروفورد كيرد "G.B.CAIRD" عميد كلية اللاهوت المتحدة بكندا يعاني نص إنجيل لوقا من التغيرات التي تعاني منها الكتب الأخرى للعهد الجديد. إلا أن النص الغربي للإنجيل وسفر أعمال الرسل يعاني من اختلافات مثيرة بالإضافة أو الحذف عما في النصوص الأخرى لذات الإنجيل مثل النص السكندري " البيزنطي"

عاشراً: لاحظ كيرد إن إنجيل لوقا يحتوي على ١١ فقرة ذكرها لوقا مرتين في موضوعين مختلفين من الإنجيل ولعشرة منها نظيرها في مرقس.

يوحنا.. وإنجيله

من هوالمؤلف؟!

يقول جون مارش (JOHN MARSH) من كان هذا اليوحنا؟ الذي قيل أنه المؤلف؟ أين عاش؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله؟ أى المصادر كان يعتمد عليها؟ متى كتب مصنفه؟ حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها توجد أحكام متباينة أحياناً تقرر تأكيدات قوية ومع ذلك فإن أيا منها لا يرقى إلى مرتبة التوكيد، وبعد أن نفرغ كل ما في جعبتنا نجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحقيق أى شيء اكثر من الإحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا ويعتقد كاتب هذه السطور– جون مارش– أنه ليس من المستحيل الإعتقاد أنه خلال

السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا من الممكن أن يكون يوحنا مرقس (خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ الأثنى عشر) وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو اكثر من الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع أختص بها طائفته الخاصة التي كانت تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان.

ويجيب PAAR MONRICE BUCAILLE : المسألة موضع نقاش كثير!! وقد طرحت آراء شديدة التنوع في هذا الشأن . ففي حين يرى أ. تريكو والأب روجي: أن إنجيل يوحنا في نظرهما هو كتاب لشاهد معاين. وأن المؤلف هو يوحنا أخو جاك بن زبيدي الصياد. وهو من التلاميذ الأثنى عشر. وكان يحبه المسيح. ويوحنا هو المبشر الذي تعرف عنه تفاصيل كثيرة وتصوره الأيقونات الشعبية واقفاً بجوار المسيح مثلما كان عند العشاء الأخير قبل الآلآم. فمن ذا الذي يتخيل أن إنجيل يوحنا ليس من تأليف الحواري الذي صوره المنتشرة إلى هذا الحد لدى العامة(٣٩)!!

ويضيف أستاذ علم اللاهوت وراعي الكنيسة الإنجيلية بأسيوط إبراهيم فليبس في كتابه الغفران ص١٨ : دون إنجيل يوحنا في أفسس أو قريب منها ما بين عامي ١١٠م و١١٥م من العصر المسيحي كتبه كاتب مجهول . وقد كان ضد الساميين ويميل إلى إبراز شعب اليهود بأنهم أعداء يسوع المسيح. ولا يوجد عالم من العلماء المتحررين من يعتبر هذا الإنجيل من أعمال يوحنا بن زبيدي الذي قد مات شنقاً بواسطة أغريباس الأول عام ٤٤ م بمدة طويلة سابقة لتاريخ تدوين الإنجيل الرابع وذلك وفقاً لكتابات وأقوال أ.هـ تشارلز والفريد لويزي وروبرت إيزلر وعلماء آخرين فضلاً عن ذلك فإن علماء الكتاب المقدس العصريين يرتابون في أصليته. وليس فقط في وجهات نظر الكاتب المعبر عنه في هذا الإنجيل. بل أنهم في

شك من أن واضع الإنجيل هو الرسول يوحنا كما في :JOSEPHS-WARS ' تقول دائرة المعارف البريطانية أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة أثنين من الحواريين بعضهما لبعض. وهما القديسان يوحنا الحقيقي ومتى. وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه التلميذ الذي يحبه المسيح . فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا التلميذ . ووضعت أسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا الرسول يقيناً.

ولا يخرج هذا الإنجيل عن كونه مثلاً لبعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه. وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا– ولو بأوهى رابطة– ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني باحواري يوحنا الصياد الجليل. فإن أعمالهم تضيعه عليهم سدى لخبطهم على غير هدى وقد صدق على هذه الشهادة ٥٠٠ عالم لاهوتي أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية بدائرة المعارف البريطانية. كما صدق عليها ٥٠٠ عالم آخرون في جمعية دار المعارف الكبرى بباريس(٤٠).

تقول دائرة المعارف الفرنسية (لاروس القرن العشرين) إنه ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد. ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة (٤١).

وإن كان أ. كولمان لا يتخذ موقفاً خاصاً– سلباً أو إيجاباً – بهذا الموضوع في كتابه " العهد الجديد " ، فإن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس تقول : " إن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الرسول" وإن كان ذلك إحتمالاً غير مستبعد برغم كل شيء. ولكن كل شيء يدفع الأعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى اكثر من كاتب واحد. فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا إليه :

أولاً: الإصحاح ٢١ كاملاً .

ثانيــاً: بعــض الحواشــي(٤و٢ و٤و١و٤٤و٧و٣٧ب و١١و٢و١٩و٣٥).

ثالثاً: ما يختص بالمرأة الزانية في الإصحاح (٥٣،٧ إلى ١١،٨) فالكل يتفق على الإعتراف بأن هذا النص مجهول الأصل. وإن إنتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسياً.

رابعاً: يقول أ. كولمان الفقرة من ١٩ إلى ٣٥ تبدو وكأنها إمضاء لشاهد معاين. وهو الامضاء الوحيد الصريح في كل إنجيل يوحنا. ولكن المعلقين يعتقدون أنها فقرة مضافة ولا شك. ويعتقد أ. كولمان أن الاضافات اللاحقة واضحة في هذا الإنجيل مثل الإصحاح ٢ وهي من عمل أحد التلاميذ. وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل نفسه.

ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون ، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع تشير هي وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الإنجيل.

فيما يشير لوقا في إنجيله إلى وجود يوحنا الرسول والمبشر كما يقول التراث. إن انتماء هذه الرواية من إنجيل يوحنا إلى الإصحاح ٢١ والذي يتفق الجميع على أنه إضافة لاحقة. يسهل علينا تصور أن ذكر يوحنا في رواية لوقا قد دفع المؤلف إلى ضم اسم يوحنا بشكل مصطنع إلى الإنجيل الرابع. ولهذا الغرض لم يتردد معدل النص الإنجيلي في تحويل حدث وقع في حياة المسيح إلى رواية حدثت بعد حياته(٤٤).

الاختلافات والفروق

الامور التي تتنافر مع الإناجيل الثلاثة الأخرى صارخة(٤٥) ولذلك فإن أناجيل مرقس ومتى ولوقا يطلق عليها الأناجيل المتطابقة أو المتوافقة "QUATRES EVANGILES SYOPŠE DES" وذلك لأنها تدرجت تدويناً على مصادر واحدة من وثائق صارت مفقودة وتشتمل

على الكثير من المسائل المشتركة (٤٢).

كتب كادوكس في كتابه حياة المسيح C.J.CADOUX : THE LIFE OF JESUS" إن الاحاديث في الإنجيل الرابع تختلف إختلافاً كثيراً عن تلك التي وردت في الأناجيل المتطابقة. وشبيه للغاية شروحات الانجيل الرابع ذاته. ذلك بأنه لا يمكن أن تكون التعاليم والشروحات متساوية!! كوثائق يعول عليها بأنها أقوال فاه بها يسوع المسيح. ففي الازمنة القديمة لا يمتنع صدق كلمة بكلمة. كما يحدث اليوم. وإن التفويض للأقوال الوهمية هي سمات تاريخية. وإن خير المؤرخين من عملوا في مزاولة التأليف وتخصيص مثل هذه الاحاديث بنفس النمط (ص ١٦) .

تقول دائرة المعارف الأمريكية: ENCYCLOPEDIA AMERICANA :
إن إنجيل يوحنا الذي انتسب صواباً أو خطأ إلى التلميذ الذي كان يسوع يحبه، يعتبر الإنجيل المحبوب للكثيرين بيد أن العلماء يجادلون فيه باعتباره جزءاًمن مشكلة يوحنا ولهذا الجدل أسباب قوية منها :

١- وجود تضارب صارخ بينه وبين الأناجيل الثلاثة المتشابهة، فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس للتسلسل التاريخي للأحداث فتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسي لرسالة يسوع بينما يقرر انجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت المركز الرئيسي .

٢- هناك مشكلة الاصحاح الاخير رقم ٢١ من الانجيل ، إن القارىء العادي يستطيع ان يرى أن الانجيل ينتهي بانسجام تام بانتهاء الاصحاح العشرين الذى يقول " واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا أمنتم حياة باسمة ". إن هذا الاعلان يبين بوضوح الفرض الذى كتب من أجلة هذا الكتاب. بعد ذلك يأتي الاصحاح الاخير الذي يخبرنا ان يسوع ظهر كرب اقيم من الأموات إلى خمسة تلاميذ واثنين آخرين غامضين وانه أرشدهم إلى صيد السمك بمعجزة وانه قال البطرس أرع خرافي. ثم تأتي فقرة تشير مبكراً الي استشهاد يوحنا (٢١/٢٣) وكذلك تعليق مبهم يقول هذا هو التلميذ الذي جاء من طريق الجماعة

التي تشير إلى نفسها بكلمة نحن نعلم . وفى حقيقة الأمر فإن هؤلاء يصعب تحديدهم (٤٣).

٣- لاهوت يسوع المسيح وأزليته مؤكدة في هذا الانجيل وحده ، بالرغم من أن يسوع المسيح لم يدع ذلك شخصياً . ففى مفتتح هذا الانجيل وفى الاعداد الأولى من بدء الاصحاح الأول يقدم كاتب الانجيل دعوي بأن " اللوغوس الالهي" THE LOGOS DIWINE" وهي (الأمر أو الكلمة أو العهد أو الخير أو العقل الألهي الذى خلق العالم) قد تجسد في يسوع المسيح (٤٤).

٤- القيمة التاريخية لروايات يوحنا موضوع نزاع كبير.

٥- يعترف أ. كولمان بأن ليوحنا مرامي لاهوتية تختلف عن مرامي المبشرين الأخرين.

٦- كثيراً مايمط الكاتب السطور ويضع على لسان المسيح ما أنزله عليه الروح القدس نفسه- وكأنه شاهد عيان علي الحدث المروي.

٧- لايجب أن ندهش عندما لاتجد فى انجيل يوحنا كل ما تحتوى عليه روايات الاناجيل الأخري. والترجمة المسكونية للعهد الجديد تذكر عدداً من حالات هذا النوع فى ص ٢٨٢. وقد اعتذر عن هذا النقص يوحنا نفسه فقال فى الاصحاح ٢٠ فقرة ٢٠ ص ١٨٧ جديد: " وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب"

٨- أكثر ما يثير الدهشة هو وجود بعض الثغرات غير المعقولة وبعضها معقول بالكاد. كتلك التي تخص رواية تأسيس القربان القدس. إذ كيف يمكن تصور- يوحنا- أن المبشر المفكر المتأمل بكل معني الكلمه (يوحنا) لا يتحدث عن الحدث الرئيسي في الديانة المسيحية. والذي سيصبح ركنا من أهم أركان الطقوس الكنيسيه وهو القداس؟! الحادث فعلاً أن يوحنا يكتفي فقط في سرده لهذا العشاء الأخير الذي يسبق الآلآم بوصف غسل أقدام التلاميذ والتنبؤ بخيانة يهوذا الاسخريوطي وبإنكار بطرس الرسول؟!

٩- وعلي العكس من هذا ففي انجيل يوحنا روايات غير واردة

في الاناجيل الأخرى . والترجمة المسكونية تشير الي هذه الروايات في ص ٢٨٣. ولكن كيف لا ندهش عندما نجد في انجيل يوحنا رواية عن المسيح لتلاميذته على بحيرة طبرية وذلك بعد أن قام من الأموات (الاصحاح ٢١/١-١٤). وليست هذه الرواية إلا نقلاً مع كثير من التفاصيل الإضافية لمعجزة الصيد حكاها لوقا (٥/١-١١) ولكن كحادثة وقعت فى حياة المسيح لابعد حياته كما يقول يوحنا.

١٠- هناك اختلافات على جانب كبير من الاهمية بين انجيل يوحنا والاناجيل الثلاثة المتوافقة (متى ولوقا ومرقس) وهو اختلاف خاص بالفترة الزمنية لبعثة المسيح اذ يحددها مرقس ومتي ولوقا بعام واحد . أما بالنسبة لانجيل يوحنا فإنها تمتد إلي اكثر من عامين كما يشير أ. كولمان.

أما الترجمة المسكونية فهى تصرح عن هذا الموضوع بمايلي:

علي حين تحدثنا الاناجيل الثلاثة المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل تتبعها مسيرة نحو الناصرة (JUDEE) تمتد قليلاً أو تقصر. ثم يليها أخيراً المكوث فترة قصيرة بالقدس فإن يوحنا علي العكس . يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلي أخري. ويتحدث عن مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة JUDEE وبالقدس علي وجه خاص (إصحاح ١ من ١٩:٥١) ص ١٤٥ (إصحاح ٢ من ١٣:٣-٣٦) ص ١٤٨ (إصحاح ٥-١:٤٧) ص ١٥٣ (إصحاح ١٤-٢٠:٣١) ص ١٧٦ ويشير إلي احتفالاتفصحية متعددة (٢-١٣) (٥-١) (٦-٤) (١١-٥٥) وهو بهذا يوحي بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين.

١١- يختلف في ترتيب الموضوعات والروايات والخطب.

١٢- يختلف في اختيار الموضوعات والروايات والخطب.

١٣- به اختلافات اسلوبية.

١٤- به اختلافات جغرافية.

١٥- به اختلافات خاصة بالتعاقب الزمني للأحداث.

١٦- يحتوي علي اختلاف في الآفاق اللاهوتيه.

١٧- أقوال المسيح تساق بشكل مختلف لدي كل من يوحنا

والمبشرين الآخرين - وينوه الأب روجي في هـذا الشـأن - إلـي أنـه علي حين تسوق الاناجيل الثلاثة المتوافقة أقوال المسيح في أسلوب قارع يقارب كثيراً الاسلوب الشفهي فإن كل شيء يخضع عند يوحنـا إلى التأمل الى درجة أننا نتساءل أحيانا ما اذا كان المسيح هو الذي مازال يتحدث ، أم ان اقواله تمتط بشكل غير محسوس بتأثير تأملات هذا المبشر.. " .

يعطي الأب روجي صورة معبرة عن هذا الانجيل الرابـع فـي مقدمته الي الانجيل وبعد أن علق علـى الانـاجيل الأخـري فقـال "إنـه عالم آخر" والواقع أنه كتاب مختلف تماما (٤٥).

يقول دنيس إريك نينهام (D. E. Nineham) استاذ علم اللاهوت بجامعـة لنـدن "إن المجمـوع الكلـي للأحـداث هـي الجـزء الجديـر بالاعتبار . إن الحقيقة التي لابد ان تكون لاسـباب لابـد ان تكـون قـد وضحت الأن- هي ان الاناجيل ليست قصة حياة يسوع ومـن النـادر ان تمدنا هذه الاناجيل با لاساسيات التي يستطيع بها الناس أن يكتبـوا مثل هذه القصة " (٤٦).

بولس .. الرسول

" .. فلما أذن له وقف بولس على الدرج و أشار بيده الي الشـعب. فصـار سـكوت عظيـم. فنـادي باللغـة العبرانيـة قـائلا أيهـا الرجـال.. الأخوة و الأباء.. اسمعوا احتجاجي الأن لديكم. فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانيـة أعطـوا سكوتا أحـري . فقـال أنـا رجـل يهـودي ولدت في طرسوس كليكية ولكن ربيت فـي هـذه المدينـة مؤدبـا عنـد رجلي عمالائيل علي تحقيق النـاموس الأبوي وكنت غيوراً لله . كمـا أنتم جميعكم اليوم وأضطهدت هذا الطريق حتـي المـوت. مقيـداً ومسلماً إلي السجون رجالاً ونساء. وكما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميـع المشـيخة.." (اصحـاح ٢١- ٢٢ فقـرة ٤٠- ٥) ص ٢٣٢ جديد.

هكذا عرفنـا بولـس بنفسـه فهـو : بولـس بـن كيسـاي البنيـاميني

الروماني ، واسمه اليهودي شاعول . ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس في سيلفيا . وكان الابن الوحيد لرجل تاجر ثري . وعندما شب ابنه أرسله إلي أورشليم ليدرس علي يد الحاخام اليهودي عمالائيل واسمه جماليل حفيد الحاخام الكبير هليل بمدرسة من المع المدارس اليهودية في ذلك العصر وتدرج في الدراسات الدينية إلي أبعد حدودها. وبعد أن أتم بولس دراساته عاد إلي طرسوس حيث نشأ ليعمل مع أبية ويدرس القانون ويبشر بتعاليم القانون اليهودي.

يقول هـ.ج. ولز في كتابه معالم تاريخ الانسانية "وكان متبحراً في لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية. وكانت لغته الاغريقية ولكنها غير مرضية فهو لم يستخدم لغة اثينا. بل اغريقية الاسكندرية بيد أنه استخدمها بقوة وطلاقة. ينعتها البروفسير (جلبرت موراى) بأنها بالغة الجودة. وكان صاحب نظرية دينية ومعلماً يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصري بزمن طويل. ولم يوفق كاتب هذه السطور– ولز– إلي العثور علي أي بحث في آراء بولس الدينية قبل أن يصبح من اتباع يسوع.

وإنا نكاد نتخبط في نفس الظلمات حول تعاليم عمالائيل. كذلك لسنا ندري ما هي التعاليم غير اليهودية التي درسها ومن الراجح جداً أنه تأثر بالمثرائية فهو يستعمل في رسائله المتنوعة عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية(٥٢) (مثيرا اسم الاله الفارسي الذي اشتهر أمره في الامبراطورية الرومانية بأنه إلهاً شمسياً يحتفل بمولده في يوم ٢٥ ديسمبر أي موعد الانقلاب الشتوي) وبعد أن ثارت الاضطرابات في أورشليم أخذ اتباع يسوع يتجمعون سراً لنشر تعاليم يسوع فذهب بولس علي الفور الي أورشليم وكان منظماً ذكياً. فقد نظم قواته ضد أتباع يسوع المتفرقين واضطدهم بقسوة وطاردهم من أورشليم حتى السامرة "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم علي الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل•– حمل رجال اتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة– وأما شاعول فكان يسطو علي الكنيسة وهو يدخل البيوت

ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم الي السجن" (أعمال ٨ ص ٢٠٢ جديد) ثم قال بمطاردتهم إلى مدينة دمشق. وقد عقد العزم على القضاء عليهم.

التحول الفجائي

" فحدث لي وانا ذاهب ومتقرب الي دمشق انه نحو نصف النهار بغته أبرق حولى من السماء نور عظيم. فسقطت علي الارض وسمعت صوتا قائلا: شاعول لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت ياسيد. فقال لي أنا يسوع الناصري الذي انت تضطهده والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. فقلت ماذا أفعل يارب. فقال لي الرب قم اذهب الي دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل .. ثم إن حنانيا رجلاً تقياً حسب الناموس مشهوداً له من جميع اليهود السكان. أتي الي ووقف وقال لي أيها شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرت إليه. فقال إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتا من فمه. لانك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت . الآن لماذا تتواني؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعيا باسم الرب.. (اعمال اصحاح ٢٢ ص ٢٣٣).

" .. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح. إن هذا ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون. وقالوا ليس هذا هو الذي اهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلي هنا لهذا ليسوقهم موثقين الي رؤساء الكهنة.." (اعمال اصحاح ٩ ص ٢٠٦).

يقول هـ. ج. ولز في كتابه معالم تاريخ البشرية ج٣ ص٧٠٧ ".. بيد اننا يجب إن نرجع القاريء الي اعمال الرسل ورسائل بولس ليحصل علي بيان واضح عن رسالة بولس وتعاليمه. كان رجلاً هائل الطاقة والنشاط وقد علم الناس في أورشليم و انطاكية واثينا وكورنثوس وافيسوس وروما. ويحتمل ايضا انه انحدر إلى اسبانيا".

رأى بولس بعد ثلاث سنوات من رؤيا طريق دمشق أن يصعد إلى القدس. ولكنه لم يجد في مجتمع التلاميذ سوى نظرات الحذر والتشكك. ولولا القديس برنابا لما استطع حتى الاتصال بهذا المجتمع. فقد اعجب برنابا بحماسة بولس وقوة يقينه فسار به إلى بطرس ويعقوب اللذين رأيا استقباله والاعتراف برسالته. ومنذ ذلك الحين ولاشك يفترق عن التلاميذ في الأمور الخاصة بعيسى. أى أنه كان يتعلق بصورة المسيحية التي رسمها الهيلنيسيون.

وتروى لنا أعمال الرسل إصحاح ٢٩/٩ أن العروض التي قدمها لأرائه في معابد القدس معابد اليهود والتي كان يرتادها الهيلينسيون أثارت ضجة كبرى اضطر بولس بسببها إلى الإسراع في مغادرة المدينة. وارتحل إلى الشام وإلى سيليفيا أى انطاكية وطرسوس حيث جاء إليه القديس برنابا بعدما رأى من أمر المسيحية في انطاكيا. وما كشفه له هذا من آفاق المستقبل بالنسبة إلى العقيدة الجديدة في العالم اليوناني. ويرجع الفضل إلى برنابا في إقناع بولس بأن يقوم بنشر كلمة عيسى الطيبة في أرجاء العالم.بأن يبدأ من أجل ذلك السلطات الرومانية في القدس.

فكان يرتحل من بلدة إلي أخرى ولا يقيم إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة. كما كان يحدث في بعض البيوت الخاصة فإذا نجح في دعوته أقام بالمكان بضعة أشهر كما فعل بالنسبة إلى كورنثيا. أو عاد إليه بعد حين كما بالنسبة إلى أفسوس. وفي أثناء ذلك كله كان يكتب رسائله إلى سائر الكنائس التي غرسها في نشاط يزداد أو يقل حسب أهميتها. تقول نصوص أعمال الرسل إصحاح ١١ ثم خرج برنابا إلى طرطوس ليطلب شاول. ولما وجده جاء به إلى انطاكية فحدث إنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً ويقول الإصحاح ١٥ .. أما بولس وبرنابا فأقاما في انطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضاً. بكلمة الرب. ثم بعد أيام قال

Vero euangelio di iesu chiamato christo
nouo profeta mandato da dio al mōdo
secondo la descritione di barna
ba apostolo sua

Barnaba apostolo di iesu nazareno chiama
to christo • a tutti quelli che habitano sopra la
terra pace e consolatione desidera • charissimi
il grande e admirabile dio questi giorni pas
sati cia uisitati per il suo proffeta iesu christo
• in grande misericordia di dotrina e miracu
li per la qualle chossa molti inganati da satana
sotto pretesto di pieta predichano empiissima do
trina • chiamando iesu fiolo di dio repudian
do la circoncisione pato di dio in sempiterno
e concedendo ogni cibo inmondo fra quali e
paulo e ingannato del quale non senza dolo
re io ne parlo • per la qual chossa ui scriuo
quella uerita la quale ho ueduta e sentita
nella conuersatione chio ho conuersato con ie
su a cio che • siate salui e non siate inganati

إنجيل برنابا والجزء العلوى هو "الإنجيل الصحيح لي
سى المسيح ، نبى جديد مرسل من الله إلى العالم بحـ
رواية برنابا رسوله"

بولس لبرنابا لنرجع نتفقد اخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس. وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما بمقلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. برنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص.. وأما بولس فاختار سيلا وخرج..

وأحداث القصة تجدها في ص٣٠٥ جديد (غلاطية ١-٢-٣)

يقول هـ.ج ولز : وليست طريقة وفاته بمعروفه على وجه التحقيق. ولكن يقال إنه قتل في روما إبان حكم (نيرون) فقد شب حريق عظيم أتى على قسم كبير من روما. فاتهمت الطائفة الجديدة بأنها تسببت في ذلك الحريق(٥٤).

الشعب الثالث

بين اللحظة التي غادر فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني أى طيلة اكثر من قرن. كانت هناك معركة بين اتجاهين أى بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية - أهل الغرب - وبين المسيحية اليهودية - أهل القدس– ولم يحل الاتجاه الأول محل الثاني أى لم تنتصر المسيحية البولسية على المسيحية اليهودية إلا بشكل شديد التدرج يقول هـ.ج. ولز (ص٧٠٥ ج١ معالم تاريخ البشرية) والناصريون الأول– وهو الأسم الذي كان يطلق على اتباع يسوع– يتخبطون منذ البداية في غمرات الحيرة العظيمة. إذ يتنازعهم أمران:

١–تعاليم يسوع من ناحية.

٢–ما استحدثه التلاميذ من ناحية أخرى.

لقد اقاموا من بعده زمانا عاملين بسنته في قهر النفس التام فجعلوا بضاعتهم مشاعاً بينهم. ولم يتخذوا رابطة تربطهم إلا الحب ومع ذلك فإنهم أسسوا عقيدتهم على الاقاصيص التي كانت تدور حول قيامته وصعوده السحري الخلاب وحول عودته الموعودة. وقل منهم من

كان يفهم أن التبرؤ من النفس ونبذها هو جزاؤها بعينه وأنه هو نفسه مملكة السماء وكانوا يعدون ذلك التبرؤ قرباناً يخولهم جزاء من القوة والسيادة عندما تحدث العودة الثانية عما قليل. وانعشت هذه الآمال المباديء النصرانية وشدت أزرها. فأخذت تنتشر إنتشاراً بالغ السرعة في أرجاء بلاد اليهودية وسوريا .

وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من العصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية وهو شاءول الطرسوسي أو بولس ويظهر أن شاءول هو أسمه اليهودي وأن بولس هو أسمه الروماني. وكانصاحب نظرية دينية(٥٦).

في مقال للكاردينال دانيلو DANIELOU نشرة في ديسمبر ١٩٦٧ بمجلة دراسات ETUDES تحت عنوان " رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية- المسيحية " يضع فيه خطوط تاريخ المسيحية في سياق يختلف تماماً عن ذلك الذي تقول به المعلومات الموجهة لعامة الجمهور فيقول: كونت مجموعة من التلاميذ الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها. ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة من الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم نظام خاص إذ يحلهم مجمع القدس المسكوني عام ٤٩م من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية. ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل- بزعامة برنابا الرسول- وانفصلت هذه المجموعة تمتماً عن بولس. بل اكثر من ذلك فقد اصطدم بولس واليهود المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (وتعرف بأحداث انطاكية عام ٤٩م).

فالطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أموراً بالية في نظر بولس حتى بالنسبة لليهود أنفسهم ، فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي والديني الى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود . أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهوداً مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن . وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو وتتهمه بتواطؤ تكتيكي . ففي مقدمة الأنجيل الصحيح

ليسوع المسمى بالمسيح :

" برنابا رسول يسوع الناصري المسمى بالمسيح. يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاءً. أيها الاعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الايام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى. مبشرين بتعليم شديد الكفر. داعين المسيح ابن الله. ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً. مجوزين كل لحم نجس. الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا اتكلم عنه إلا مع الأسى. وهو السبب الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته اثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله. وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما اكتبه لتخلصوا خلاصا أبدياً " .

ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى ٧٠م غالبية الكنيسة. وكان بولس منعزلاً في ذلك الوقت عنهم. وكان رئيس هذه الجماعة جاك JACQUES قريب المسيح وكان معه في البداية بطرس ثم يوحنا. ويمكن اعتبار جاك كعمود اليهودية المسيحية أمام المسيحية البوليسية.

إن أسرة المسيح مكانة كبيرة في هذه اليهودية المسيحية بالقدس. وقد خلف سيميون (SIMEON) جاك وهو ابن عم كاليوبا إبن عم المسيح (؟!).

ولم تكن اليهودية المسيحية سائدة فقط بالقدس طيلة القرن الأول للكنيسة. فقد تطورت البعثه فيما يبدو في كل مكان قبل البعثة البولسية. وذلك هو ما يوضح الاشارة الدائمه في رسائل بولس إلي صراع ما. إنهم نفس الاعداء الذين قابلهم حيثما ذهب بغلاطية وكورنثة وكولوس وروما وانطاكيا وفي عام ٧٠ م كانت الجماعتان المتنافستان في أوج صراعهما. وكانت السيادة في ذلك الوقت لليهود المسيحيين بالقدس ولكن الموقف انقلب تماما بسبب حرب السبعين وسقوط القدس.

ويشرح الكاردينال دانيلو اسباب هذا الانهيار كمايلي:
لما كان اليهود منبوذيين في الامبراطورية - الرومانية – فقد نجا المسيحيون الي الانفصال عنهم عندئذ ساد المسيحيون والهللينستكيون ، لقد حاز بولس علي النصر بعد وفاته وبهذا انفصلت المسيحية البولسية اجتماعيا وسياسياً عن اليهودية المسيحية لتكون ما يعرف بالشعب الثالث.

واذا كان بولس اكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش.

واذا كان قد اعتبر خائناً لفكر يسوع المسيح كما وصفته بذلك اسرة المسيح والتلاميذ الذين بقوا بالقدس حول (جاك).

فذلك لانه كون المسيحية البوليسية علي حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حولة لنشر تعاليمه.

وبانقطاع اليهود المسيحين عن الكنيسة الكبري التي تحررت تدريجيا من روابطها اليهودية سرعان ما قنوا في الغرب.

ولكن يمكن إقتفاء آثارهم من القرن الثالث إلي القرن الرابع بالمشرق. وخاصة في فلسطين والجزيرة العربية وما وراء الاردن وسوريا وما بين النهرين.

وقد امتص الاسلام بعضهم وهو جزئياً وريث لهم. وتحالف البعض الأخر مع أورثوزكيسة الكنيسة الكبري مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية سامية وهناك شيء منهم مازال متشبثاً بالكنيستين الاثيوبية والكلدانية".

ويقول الأب كانينجسر "وبرغم أن اليهود المسيحيين قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ كانينجسر فقد ظل الحديث عنهم جارياً ولكن تحت اسم المتهودين (JUDAISQANTS) (٥٤).

مبادىء أضيفت إلي تعاليم يسوع

يقول هـ. ج. ولز تحت هذا العنوان : " إن قصة البدايات الأولي للمسيحية انما هي قصة الكفاح بين التعاليم الحقة ليسوع الناصري وبين التحديدات التي فرضها والاطنابات والزيادات التي أضافها

والمسائل التي أساء فهمها أولئك الرجال البسطاء الذين أحبوه وساروا في أثره من الجليل.

وتقدم إلينا الاناجيل واعمال الرسل سجلاً مرقعاً غير متوازن ولكن في جملته سجل تام الامانة في تصوير تلك الايام الأولى.

.. فمن الواضح تماماً أن تعاليم يسوع الناصري تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذي ابتدأ بظهور الانبيياء العبرانيين وهي لم تكن كهنوتية. ولم يكن لها معبد مقدس حبساً عليها ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس وكان قربانها الوحيد قلباً كسيراً خاشعاً. وكانت الهيئة الوحيدة فيما هي هيئة من الوعاظ وكان رأس ما لديها من عمل هو الموعظة(٥٥).

ويقول أ. د شارل جينيبير ".. ولكن في مقتبل القرن الثاني تظهر لنا الديانة المسيحية في ثوب دين مستقل يدرك اصحابه تماما انفصاله عن اليهودية المسيحية بل أنها قد ابتعدت كثيراً عن التعاليم التي جاء بها يسوع وتلاميذه.." (٥٦)

ويضيف قائلاً فهناك بعض المفاهيم الجوهرية لدي المجتمع الأول نجدها غريبة أومجهولة أو غير ذات شأن لدي القديس بولس.

أما المفاهيم التي عرفت له فهو لم يختلقها اختلاقاً ولكن قام بتطويرها وتنميتها و لابد من القول بأنه أخذها من مصادر أخري غير المجتمع المسيحي الذي أسسه التلاميذ أنفسهم. و لابد لنا من الاعتقاد بأنه وجد هذه المصادر في مجتمع من المجتمعات الهيلينسية وأغلب الظن أن هذا المجتمع كان مجتمع انطاكيا.. (٥٧).

ويضيفH. G. WELLS "يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً الي يسوع فسر فيها مباديء الكفارة والفداء أو حض فيها اتباعه علي تقديم القرابين أو تناول سر مقدس (SARAMENT) وهي أعباء وظيفة رجال الكهنوت وسنري من فورنا كيف مزق الشقاق حول مسألة الثالوث فيما بعد. العالم المسيحي بأسره. وليس هناك من دليل واضح علي أن حواريي المسيح اعتنقوا ذلك المبدأ. كذلك لايبرز هو دعواه أنه (المسيح) ولا يضفي علي اشتراكه مع الله في الربوبية أي ثوب

بارز ربما أحسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفيه لو أنه كان يـراه أمـراً في الدرجة الأولي من الأهمية. ومن أشد ما يحير اللب قوله " حينئذ أوصي تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح" (متي ١٦/٢٠) إذا فرضنا أنه كان بعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص.

ثم إن مراعاة طقس السبت اليهودي . وهو الذي استبدلوا به الأحد الميثراتي.

ظاهرة هامة عند كثير من النحل المسيحية، على أن يسوع لم يرع السبت متعمداً وقال أنه خلق السبت من أجل الإنسان ولم يخلق الإنسان لأجل السبت. وهو لم يفه بكلمة واحدة عن عبادة أمه مريم في صورة إيزيس مليكة السماء. كما أن الكثير مما هو من أخص خصائص المسيحية في العبادة والطقوس لقى منه إغضاءاً تاماً.

ولقد بلغ من جرأة الكتاب المتشككين أن أنكروا إمكان أن يسمى يسوع مسيحياً على الأطلاق. ويجب على كل قارىء أن يلجأ إلى مرشديه الدينيين ليستضيء بهديهم في هذه الثغرات الخارقة في تعاليمه. ونحن ها هنا ملزمون بأن نذكر تلك الثغرات لما تولد عنها من صعوبات ومنازعات. كما أننا مضطرون أيضاً الا نتوسع فيها. إن مبدأ مملكة السماء الذي كان رأس تعاليم يسوع. والذي يلعب دوراً ضئيلاً جداً في العقائد المسيحية. إنما هو ولا مراء من أشد المباديء الثورية التي قدر لها أن تحرك الفكر الإنساني وتغيره. فلا غرو إذن أن عالم ذلك الزمان فاته ان يدرك مغزاها الكامل. وتراجع يائساً مرتاعاً ناكصاً عن أية درجة من الفهم لتحدياتها الهائلة لعادات الجنس البشري ونظمه الراسخة. ولا عجب أن المسيحي الحديث والتلاميذ الجدد المترددين ينقلبون من فورهم إلى الفكرات المألوفة القديمة فكرات المعابد والهيكل والآلهة الشرسة ومرعيات الاسترضاء والكاهن المتكرس والبركات السحرية. ولم تلبث رعاية القوم لهذه الامور. أن انتكست بهم ثانية إلى الحياة القديمة المألوفة الأثيرة حياة الاحقاد والارباح والمنافسة والاستكبار (٥٨). وكذلك أيضاً نستطيع أن نلحظ عشرات المواضع التي ازدري فيها تلك

الفضيلة الاثيرة لدى المستمسكين بالشكليات وأعني رعاية السبت وغيره(٥٩).

ويغشى الغموض التام شطراً كبيراً من تاريخ المسيحيين في القرنين الأولين من الحقبة المسيحية. فمع أنهم انتشروا في كل أرجاء العالم. فإننا لا نعرف إلا القليل النادر عن فكراتهم أو طقوسهم وطرائقهم أثناء ذلك الزمان. ولم تكن لهم حتى حينذاك عقائد مستقرة. إذ لا شك أنه كانت هناك اختلافات محلية كبيرة في معتقداتهم ونظمهم غير المتكيفة إبان ذلك العصر.

وفي أثناء ذلك الأمد غير المحدد كان يحدث فيما يبدو قدر جسيم من ضرب بعينه من الثيوكرازيا- أى التوحيد والمطابقة بين الآلهة المختلفة- بين النحلة المسيحية والعقيدة المثرائية التي تكاد تضارعها في سعة انتشارها بين سواد الشعب ونحلة سيرابيس إيزيس حورس. ويبدو أن المسيحيين اقتبسوا من الأولى- المثرائية- يوم الاحد بوصفه يومهم الاكبر للتعبد بدلاً من يوم السبت اليهودي. كما استعاروا فكرة الاكثار من استعمال الشموع في الحفلات الدينية. وأسطورة أداء العبادة بواسطة الرعاة- أعن القسس- كما اقتبسوا فيما يرجح تلك الفكرات أو العبارات التي لا تزال تمتاز بها إلى يومنا هذا بعض الشيع والتي تتكلم عن " الاغتسال في دم" المسيح. وعن كون المسيح تضحية بالدم. ذلك أنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلباً لا يكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق. فتصوير يسوع في صورة المريق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بعداً عن الدقة. ونحن إن تذكرنا أنه لقى التعذيب والتنكيل وأنه ألبس تاجاً من الأشواك. وإن جنبه قد طعن بحربة. فإننا لا نزال أبعد ما نكون عن نبع يفيض دماً. بيد أن المثرائية وكانت تتركز حول بعض الخفايا التي عفى عليها اليوم النسيان. نتخيل مثرا وهو يضحي بعجل مقدس خير. ويلوح أن جميع المقاصير المقدسة المثرائية تزدان بصورة لمثرا وهو يذبح ذلك العجل الذي ينزف دمه نزفاً عظيماً من جرح في جنبه.

ومن ذلك الدم نشأت حياة جديدة . على أن ما أسهمت به نحلة الاسكندرية في الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدراً أو يكاد. إذ كان طبيعياً أن يجد المسيحيون في شخصية (حورس) شبيهاً مرشداً لهم فيما يبذلون من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا. وقد كان الانتقال من هذا إلى المطابقة بين شخصية مريم وايزيس ثم السمو بها مرتبة شبه مقدسة خطوة طبيعية جداً كذلك. وكان طبيعياً كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي. الطرائق العملية للديانات الشائعة في ذلك الزمان. فإتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزي الخاص بالكهنة المصريين. لأن ذلك كان يبدو الطريقة المثلى لتمييز القسس . وتتابعت البدع واحدة إثر الأخرى، وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الثورية الاصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحت تلك الاضافات المألوفة. ولو أن أحد النصارى المخلصين ممن عرف واتبع معلمه الأشعث الضاوي من السفر في وهج الشمس اللافح بالجليل اعيد فجاء إلى هذا العالم ثم زار مثلاً قداساً في كنيسة القديس بطرس بروما. فلسنا بحاجة إلى تصوير ما يحل به من دهشة كبرى عندما يعلم أن القربان الموجود على المذبح ما هو إلا معلمه يسوع المصلوب(٦٠) يقول أ.د. شارل جينيبير ص ١٤٨ من كتابه المسيحية : " إن المسيحية في مقتبل القرن الثاني. تظهر لنا في ثوب دين مستقل. يدرك أصحابه تماماً انفصاله عن اليهودية- المسيحية وإن كانت عناصره لم تزل بعيدة عن الانسجام. كما لم تخرج طقوسه وتنظيماته عن الطور البدائي.

وكانت هذه المسيحية. منذ ذلك الوقت. قد ابتعدت كثيراً عن الافكار التي جاء بها عيسى والحواريون. ويضيف في ص٦٢ قائلاً... إنه لم يؤسس شيئاً.لم يأت بدين جديد ولا حتى طقس جديد من طقوس العبادة. لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار للديانة اليهودية تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها. واعتمدت تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها هو. كما آمن بها سائر مواطنيه. إلا

أنه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاصة. ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الطريقة الخاصة نفسها قد لا اكون أصلية لديه. بل لعله أخذها من غيره من سابقيه أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة.. كنيسة تكون كنيسته هو.. كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها. كنيسة يمهد لها فتح الارض جميعاً. فهذا قول لا يقره واقع الاحداث ولا صريح التسلسل التاريخي.. إن المسيح لم ينشيء الكنيسة ولم يردها ولعل هذه القضية اكثر الامور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس النصوص الإنجيلية في غير ما تحيز– بل اننا نؤكد أيضاً أن الفرض العكسي لا يمكن أن يوجد له سند تاريخي مقبول ولم يستطع رجال اللاهوت – بكل ما أوتوا من براعة – حيال ذلك فعل شيئاً . ومهما بلغ من فقر معلوماتنا عن تعاليم المسيح. فإنها لتبدوا لنا في مجملها كرد فعل ضد التعصب الضيق الأفق للشريعة الموسوية لدى اليهود وضد شعائرهم التي تزيد في صرامتها عن الحد المعقول. إن عيسى كان يترقب حلول مملكة الله الوشيك ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقه كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوى لأتباعه. ثم إن عيسى كان يهودياً خاضعاً تمام الخضوع لشريعة بنى إسرائيل الدينية. وإن عارضها ظاهرياً في سبيل توسيع مداركها فعلياً حسب ما ظن أنه روحها الحقة.

لهذا كله لابد لنا من الإيقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما نسميه بـ " الكنيسة " (ص١٦٦).. ولن نتعدى الحق إن اضفنا أن كل ذلك لا يمكن إلا إعتباراً تحريفاً فلفكرته وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء. ولكن ماذا كان يبقى منه إذن. إن نحن استثنينا بعض الحكم الاخلاقية.

وهي لاشك مفيدة ولكنها أقل أصالة مما توصف به عادة ولم نتعرض لذكرى فضائله الرقيقة. ولسحر شخصيته العظيمة؟

.. ماذا كان يبقى لنا من عيسى؟! إن المنطق يجيب عن هذا التساؤل إجابة صريحة؟ لا شيء.. .. إلا أن تتابع الاحداث بعد ذلك بدأ وكأنه لا يساير المنطق (ص٦٢ من كتاب المسيحية).

آراء وتعاليم بولس

لاغرابة أن نري الحواريين الاثني عشر– وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسي وظلوا علي يهوديتهم المسيحية العميقة – يستنكفون كثيراً من مثل النتائج التي توصل اليها بولس. ويبدون أمامها تردداً قوياً. إلا نه فرضها عليهم فرضاً. إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمداً علي تحليل أوجه النجاح التي لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولي في ربوع آسيا الصغري. ثم إن مجتمع القدس كان يظن أن روحاً إلهية تسير الحواري الثالث عشر فيما يقوم به من أعمال وكان هذا المجتمع فقيراً. وكانت كنائس بولس تضم احياناً في اتباعها أثرياء القوم وكرامهم. وكان الحواري بولس خبيراً بأساليب حثهم علي مساعدة الكنيسة الأم– بالقدس.

كان بولس يفترق عن التلاميذ في الأمور الخاصة بيسوع التي تناقلها النقاد والمؤرخون في كتاباتهم:

١– انه كان يتعلق بصورة المسيحية التي رسمها الهيلينستيون والتي كانت أوسع في أبعادها من صورتها– البسيطة– لدي التلاميذ وتروي لنا أعمال الرسل (٢٩/٩) أن العروض التي قدمها لأرائه في معابد القدس (معابد اليهود) التي كان يرتادها الهيلينسيتون أثارت ضجة كبري اضطر بسببها إلي الاسراع في مغادرة المدينة (ص١٣١ المسيحية).

٢– آراء بولس الدينية قبل أن يصبح من اتباع يسوع كانت اساساً لأرائه الجديدة ولم تزد عن كونها قاعدة انطلق لهذه الأراء. كما أن اسلوب تعبيرها وطريقتها اسبغت بالتحقيق علي مباديء بولس الجديدة لونا خاصاً.

حتي قال رينان "إن بولس لم يغير سوي موضوع تعصبه" فلم يكن بولس هو المخترع الفرد لكل هذا. بل إن الكنائس الهيلينستيه السابقه له ومن قبلها جماعات اليهود النازعين الي التأليف والغنوصة قد مهدت جميعاً لعمله..،وأنشأت الموضوعات الاساسية التي دار حولها تفكير بولس (ص١٤١– ١٢٧ المسيحية).

٣- من الراجح جداً أنه تأثر بالمثرائية. فهو يستعمل عبارات قريبة الشبه بالعبارات المثرائية والتي تنسب إلي الإله الفارسي (ميثرا).
٤- ذهنه كان مشبعاً بفكرة لاتبدو قط بارزة قوية فيما نقل يسوع من أقوال وتعاليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة. فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الانسانية. أما ما عمله بولس فهو الديانة القديمة. ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الإله. وكان يسوع في نظره حمل عيد الفصح. تلك الضحية البشرية المأثورة. المبرأة من كل عيب ودنس. التي تتعقب في إصرار ديانات الشعوب البيضاء الداكنة. (وسوف يكون لهذا الموضوع مساحة كافية ضمن المنهج المقارن).
٥- أصبحت الديانه المسيحية أكثر تسامحاً مع الملكية الخاصة وأصبح في وسع الديانة أن تقبل نصارى أغنياء دون الاصرار علي جعل ثرواتهم مشاعاً لكل الناس. وهذه مخالفة صريحة لتعاليم يسوع ومبادئه الاصلية في الجليل والقدس..

يقول المؤرخ الانجليزي H. G. WELLS " ولم يقتصر يسوع علي كيل الضربات للوطنية ولروابط الولاء العائلي بأسم أبوة الله العامة وأخوة الجنس البشري أجمع. بل إن من الواضح أن تعاليمه كانت تستنكر كل ماركب عليه النظام الاقتصادي من تدرجات ومراتب وكل ثروة خاصة وكل منفعة شخصية. فالناس جميعاً ينتمون إلي الملكوت. وكل ممتلكاتهم تنتمي إلي الملكوت.

والحياة الصالحة البرة لكل الناس. الحياة البرة الوحيدة. إنما هي في خدمة إرادة الله بكل ما لدينا من عدة وبكل ما نملك من كيان.

ولطالما شهّر بالثروة الخاصة مرة بعد مرة. كما ذم مدخرات الافراد وعمل الاحتياطات في حياتهم الخاصة ففي انجيل مرقس الاصحاح ١٠ من فقرة ٢١ إلى ٢٥".. فنظر إليه يسوع وأحبه وقال له يعوزك شيء واحد. اذهب بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب. فأغتم على القول

ومضى حزيناً لأنه كـان ذا أموال كثيرة. فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت اللـه. فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم يا بنى ما أعسر دخول المتكلين على الاموال إلى ملكوت الله. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله "ص٧٥ جديد ".

٦- أقر القديس بولس نظام الرق بل وأوصاهم بخدمة اسيادهم حيث يقول أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح. لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب. (ص٣١٨ جديد الرسالة إلى أهل أفسس الاصحاح ٦ فقرة ٥-٦)

٧- اقترح بولس نظام خاص لأى طائفة من الوثنيين تنضم إلى الديانة الجديدة. فهو يحلهم من الطهارة ومن الختان بل ومن تطبيق الاركان اليهودية المسيحية وعندما رفض هذا التنازل اليهود المسيحيون قال بولس ".. لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان " غلاطية ٢/٩ وقال " لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان.. " غلاطية ٥/٦.

٨- كما اعفائهم من مراعاة الراحة يوم السبت والطهارة وديانة المعبد وكل هذه التعاليم أموراً بالية في نظر بولس لا للوثنيين بل حتى بالنسبة لليهود أنفسهم ويجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي والديني من اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود.

يقول أ.د شارل جينيبيرفي ص١٣٣ من كتابه المسيحية : " كان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم. فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح. بل بأن هذا المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد. وأذعن الأثنى عشر لبولس- مرة أخرى- فتقبلوا فكرة إعفاء الاتباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود

وكان المعنى الضمني لهذا الاجراء التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفع الأولى إلى أن تصبح ديناً متميزاً (٦٧).
لقد خاطب يسوع الجموع والتلاميذ في آخر مواجهة عامة قائلاً على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه لكن حسب اعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون (متى ٢٣/١-٣).
٩- ليست هناك مجازفة كبيرة إذا قلنا أنه لولا جو الصراع الذي نشب بين الطوائف والتي ولدت بسبب انشقاق بولس على التلاميذ لما حصلنا على هذه الكتابات الخصامية والأناجيل والرسائل التي في حوزتنا اليوم (ص٧٣ دراسة الكتب المقدسة).
١٠- من الجلي أنه أدرك الشيء الكثير من روح يسوع ومبدئه الخاص بالميلاد الجديد. بيد أنه أدخل هذه الفكرة في صرح لاهوتي بنظام يتسم بشديد البراعة والخفاء. لا تبرح فتنته إلى اليوم تستهوي العقول فكرياً بصفة رسمية (ص٧٦٠ ج٣ ولز).
١١- تخبرنا (أعمال الرسل) أن المكان الذي تم فيه تحول بولس إلى المسيحية كان على طريق دمشق وأن دمشق كانت مركز نشاطه الأول- ولا يضيرنا تصديق أو تكذيب روايتها في هذا- فالأمر الذي يهمنا هو ملاحظة أنه لم يتدرب على التبشير بالمسيحية في القدس أو على أيدي التلاميذ الأثنى عشر. وأنه لم يعد نفسه تابعاً لهم. لقد ايقن أن يسوع نفسه المسيح الممجد قد نصبه مبشراً بإرادته الخاصة فهو لذلك يرفض أن يشكك أحد في هذا التشريف. كما يشعر بأنه في غير ما حاجة إلى إرشاد أو نصح من بشر أياً كان بما في ذلك الاتباع الأثنى عشر. ولنذكر هنا تصريحاته المترفعة الواردة في الرسالة إلى أهل غلاطية (١/١٠) هل أنا أبشر الإنسان أو الله؟ أوهل أريد أن يعجب بي الإنسان؟ لو أني ظللت إلى الآن موضوع إعجاب الإنسان لما كنت خادماً للمسيح أؤكد لكم إذن يا أخوتي ان الإنجيل الذي ابشر به ليس من الإنسان. فإني لم اتعلمه من الإنسان بل ألهمه إياي عيسى المصلوب.. الشيء الذي يبدو غير قابل للجدل إذن هو أن تطور

بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس.. وأن مذهبه لم ينشأ من الاتصال بالتلاميذ الأثنى عشر.

ولم يخرج الكاتب الألماني (هايتمولير) عن جادة الحق عندما كتب في مقال عن بولس وعلاقاته بعيسى إن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول. ولكن الأثر انتقل إليه بواسطة حلقة أخرى من حلقات سلسلة المتوارثات التي يمكن ربطها كما يلي:

عيسى- المسيحي الأول- المسيحية الهيلينستية- بولس

(ص١١٢ و ١٣٠ جينيبير)

١٢- من جوهر التعاليم المسيحية اقتصر بولس على مجموعة بسيطة من الجمل. وترجع أن بولس كان على علم بأهمها قبل رؤياه الحاسمة. ولذلك لم يجد عنتاً في القيام فوراً بتدريس ما أصبح يؤمن به. ولكنه يسهل علينا أن ندرك الحافز الذي دفع بأهل القدس إلى التحفظ فيما يتعلق بحقيقة ما أدعاه من رسالة. وإلى عدم الإقتناع في يسر بحديثه الواثق عن يسوع وكأنه عرفه مثلما عرفوه وأقام بجواره مثلما أقاموا. وهو الذي لم يحظ من ذلك بشيء فلما رأى في أعقاب سنوات ثلاث أن يصعد إلى القدس.

لم يجد في مجتمع التلاميذ المحدود بها سوى نظرات الحذر والتشكك. ولولا برنابا لما استطاع حتى الاتصال بهذا المجتمع (ص ١٣١ جينيبير).

١٣- كان يعتمد إعتماداً دائماً على الترجمة اليونانية للتوراة المعروفة باسم "السبعينية" وغالب الظن أنه كان يقرأ أيضاً الأصل العبري. ولكننا لا نجزم بذلك. وتلك الملاحظة على الأخص تدعونا إلى الاعتقاد بأنه لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس. ولكن في إحدى المدارس اليهودية بالمهجر (الهيلينستية) ومجموعة أعمال الرسل (٣/٢٢) تقول على لسان بولس إنه ربي على اعتاب جماليل أى بالقدس في مدرسة حفيد العالم الكبير هليل. أننا لا نثق كثيراً في هذا الإدعاء بل نعتقد أنه يبعد بنا عن الحقيقة(ص١٠٨ جينيبير).

١٤- يتضح من خلال رسائل بولس روح مؤلف أخذ الكثير من

الفريسيين في تكوينه الفكري فهو يعشق الجدل ويمتاز بالبصيرة النافذة المدققة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين أو هدمها كما نراه يهاجم الشريعة اليهودية بنفس الأساليب التي استخدمها من قبل في الدفاع عنها(ص١٠٦ جنيبير).

١٥- لقد عاش بولس في وسط أشبع بأفكار الرواقيين وبلاغتهم وهذا مثال لتأثير البيئة التي عاش فيها سنى طفولته وشبابه الأول- على الأقل- وهذا المثل ينير جوانب المثل الأول ويتم توضيح السبل التي بواسطتها تلقي يهودي من يهود المهجر هو بولس بطريقة لا شعورية مفاهيم الأسرار والفلسفة الرواقية فثبت في أعماق فكره وكانت لها ثمار لم يتبينها هو نفسه إلا بعد ذلك بسنين كثيرة. وهذا عنصر هام من المعلومات الملازمة للتعرف على ذلك التطور الغامض في سيرة بولس الدينية (ص١٠٦ جينيبير).

١٦- كان سباقاً إلى قبول فكرة انفصال المسيحية عن اليهودية (ص١٤٤ جينيبير) واعتبار العقيدة الموسوية مشروع مؤقت قصد به أن يستمر حتى قدوم المسيح الذي سيعلم الناس أمور العقيدة والعبادة في أسلوب أقرب إلى الكمال بدلاً من شريعة موسىالمنتهية(ص٢٣٧ ج١ جيبون) برغم تصريح المسيح فيما مضى بأنه لن يبدل من هذه الشريعة حرفاً.

١٧- كان بولس على معرفة بالمباديء الأولى في الفلسفة الرواقية وبالوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين مع ترجيحنا أنه لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسي الفلسفة الرواقية. فقد كفاه أنه عاش سن شبابه في هذا الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة هؤلاء الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي(ص٨٩ جينيبير).

١٨- إن بولس لم يلتق بعيسى مدة حياته. لذلك لم يكن تأملاته عن شخص الأستاذ وتعاليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع. كما كان الحال بالنسبة إلى الأثنى عشر من التلاميذ الذين بدعوا بالدعوة مع يسوع(ص٩١ جينيبير).

١٩- يجب أن نشير إلى الصفات التي تميز بها بولس والتي كانت من أساليب نجاحه: فالروح الحماسية الوثابة والمنطق البين المدرب على المناقشة ثم من التفكير العلمي الحي والعزيمة التي لا تقهر والتي تفرض فرضاً رسالة صاحبها وآراءه. وعبقرية بولس في التفكير الديني لا جدال فيها. غير أننا إذا بحثنا هذا التفكير لديه وجدنا أنه ينطوي على آراءه ومدركات كلها من وحي عبقريته الخاصة بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة- غير التلاميذ الأثنى عشر- وإن كان له هو الفضل في التعبير عنها ونقلها إلينا على غرار ما فعله فيلون الاسكندري في مؤلفاته التي انتظمت بين دفتيها جهود كثيرة لسابقيه من مفكري اليهود. والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى المعروفة تكشف لنا النقاب عن مزيج من ١- دعوة الأثنى عشر الأساسية ٢- الأفكار اليهودية ٣- المفاهيم الوثنية اليونانية ٤- الذكريات الإنجيلية ٥- الأساطير الدينية الشرقية(ص٩١ جينيبير). وعلينا أن ندرس هذه المسألة فهي تتعلق بالأسس الأولى لأخطر جدال يثيره تاريخ العقائد المسيحية. وهو الجدال حول تطور هذه العقائد من دعوة عيسى إلى دين يستهدف خلاص البشر أجمع- لا خراف بيت إسرائيل الضالة فقط. كما نادى بذلك يسوع الناصري.

٢٠- عقيدة بولس في رسالة ودور السيد المسيح والتي يذهب فيها إلى نوع من التصوير للمصير الإنساني وخلاص البشر. ثم يرمز إلى الإيمان والأطمئنان المرتبطين بـ (السيد الالهي) الذي يشفع للإنسان عند (الاله الأعظم) بعد أن ارتضى هذا (السيد الإلهي) لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالإنسان حتى يصبح بنو البشر قرابين إليه لدرجة تسمح لهم بالإتحاد معه فيكون في ذلك طريق نجاتهم حتى يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره (ص١٠٠ جينيبير) .

فمن الثابت تاريخياً أن بولس تدرج في نشأته الأولى بين احضان بنية مشبعة تماماً بفكرة (النجاة) هذه. القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يبعث. ويشاركه اتباعه في مصيره. إذ يتحدون به ليس

بالإيمان المطمئن القوي فحسب ولكن أيضاً بالطقوس الرمزية الفعّالة.

٢١- إن بولس قد اتصل بيهود طرسوس المنحرفين عن الشريعة اليهودية والذين استسلموا لتيارات التفاعل بين الأديان. والذي دعا إلى تطوير الأمل القومي في الانتصار – وهو حلول مملكة الله- نحو مذهب (النجاة) مع أن بولس كان يكرههم كل الكراهية إلا أنه لم يكن ليتجاهلهم بل قد تأثر بهم في شبابه. إن ذلك كان العنصر الأساسي أو البذرة الأولى في تطور عقيدته(ص١٠٥ جينيبير).

٢٢- كان في وضع يلائم تحقيق عمله كل الملاءمة. فقد جمع بين مميزات ثلاث جعلت منه أقدر الناس على القيام بهذا الدور. كان يونانياً وكان يهودياً وكان رومانياً. أى أنه أشرب في بيئة طرسوس شيئاً من الروح الأغريقية بطريقة تكاد تكون لا شعورية. وعاش فى وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل الله- عقل- منقذ- منطق- روح- ضمير فلم تكن الكلمات غريبة عليه بعد ذلك. ولم يكن بولس يجهل الأمل في حياة تعقب الموت ولا ليعمى عن المظاهر الأساسية للوسائل المستخدمة من أجل تحقيقها. والروح اليونانية ليست العنصر الأول في شخصية بولس لأنه كان يهودياً قبل أن يكون يونانياً إلا أنه كان يهودياً في مدينة طرسوس. فقد جمع بولس بين اليهودية واليونانية ثم أضاف إليها ميزة ثالثة غالية هي تمتعه بالجنسية الرومانية وكانت تلك الميزة ذات نفع كبير متعدد الجوانب فكانت تحميه من الأنزلاق إلى تعصب يهود فلسطين القومي وكانت تدعوه إلى العالمية في التفكير والعمل ثم كانت هي السبب الذي اتخذه ليرتفع بالأمل إلى مرتبة الأديان الإنسانية(ص١٠٨ جينيبير).

٢٣- كون بولس الديانة المسيحية على حساب أسرة المسيح وتلاميذه الذين جمعهم المسيح بنفسه من حوله لنشر تعاليمه لذا اعتبر خائناً لفكر المسيح كما وصفته بذلك أسرة المسيح والتلاميذ. وبولس لم يكن قد عرف المسيح في حياته كما عرفوه. ومع هذا فقد برر

لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر لـه. ومن المسموح به أن نتساءل ما كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس(ص٧٣ دراسة الكتب المقدسة).
٢٤- عندما صرح بولس واتباعه بأن يسوع اكثر من إنسان وأنه إله فإنهم قد فتحوا ميداناً هائلاً من الجدل فهل كان يسوع رباً؟! أم أن الرب خلقه؟! هل هو والرب سواء؟! أو هو منفصل عن الرب؟! وليس من مهمة المؤرخ أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة. بيد أنه مضطر أن يدونها وأن يلحظ كم هي أسئلة لم يكن منها بد- بسبب ذلك السلطان الهائل الذي كان لها على كل ما تلا ذلك من حياة البشرية في بلاد الغرب- حتى إذا وافى القرن الرابع من الحقبة المسيحية وجدنا المجتمعات المسيحية بأسرها في حالة من الهياج والسخط بسبب الجدل الملتوي الخداع حول طبيعة الله. على أن الكاتب الحالي (هـ.ج.ولز) لا يسعه إلا أن يعالجها دون أدنى رهبة ولا سخرية وهو يرى من واجبه أن يعترف أنها تبدو له كأنما هي غليان مدمر تهدر مراجله في العقل البشري وتفيض منه الكوارث الوبيلة وأنها لا تتسق بتاتاً مع تعاليم يسوع البسيطة الصريحة المحفوظة لنا في الأناجيل. ولم يعد اعتناق المذهب التقليدي السليم(الارثوذكس) شرطاً لازماً للحصول على الوظيفة المسيحية فحسب بل مزاولة التجارة بين المسيحيين والحصول على المعونة المسيحية كذلك. فإن التمسك بنقطة صغيرة من نقاط المباديء الدينية أو التزحزح عنها قد يكون معناه ثراء الرجل أو ادقاعه. ومن العسير أن يقرأ الإنسان الكتابات الباقية من ذلك الزمان دون أن يشعر باستبداد الأحقاد والمنافسات والتفيهقات بالرجال الذين مزقوا المسيحية إرباً.. إرباً.. من أجل هذه التفصيلات اللاهوتية الدقيقة (ص٧٠٤ ج٣ ولز).
٢٥- وأخيراً علينا أن نؤكد وأن نكرر التأكيد بأن بولس لم يكن هو المخترع الفرد لكل هذا وبأن الكنائس الهيلينستية السابقة له ومن قبلها جماعات اليهود النازعين إلى التأليف والغنوصة قد مهدت لعمله

وأنشأت الموضوعات الأساسية التي دار حولها تفكيره. ولهذا فمن المبالغ فيه القول بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية. أما المؤسسون الحقيقيون للمسيحية فهم هؤلاء الرجال الذين أقاموا كنيسة انطاكيه(ص١٤١ جينيبير) وأعمال الرسل (١٩/١١) تشير إلى إقامة بعض الطوائف من الذين اعتنقوا دين عيسى بين الجاليات اليهودية بفينيقيا وقبرص وانطاكيه ولاتدين هذا الطوائف بشيء لبولس. كذلك لم يكن له أى فضل في تأسيس الكنيسة الأولى بروما(ص١١٢ جينيبير).

وبعد.. فمن اللحظة التي غادر فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني أى طيلة اكثر من قرن كانت هناك معركة بين اتجاهين أى بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسيه وبين المسيحية اليهودية. ولم يحل الاتجاه الأول محل الثاني ولم تنتصر المسيحية البولسيه على المسيحية اليهودية إلا بشكل شديد التدرج وإذا كان بولس اكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش. وإذا كان قد اعتبر خائناً لفكر المسيح وتصفه بالعدو وتتهمه بتواطؤ تكتيكي كما وصفته بذلك اسرة المسيح والتلاميذ الذين بقوا بالقدس حول جاك JACQUES فذلك لأنه قد كون المسيحية– الجديدة– على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله. وبرغم أن المسيحيين اليهود قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ فقد ظل الحديث عنهم جارياً ولكن تحت اسم JUDAISANTS.أى المستهودين (ص٧١– ٧٤ دراسة الكتب المقدسة).

نقد أعمال الرسل والرسائل

يقول شارل جينيبير رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس .. في كتاب المسيحية ص١١٠– ١١٣ " اتصل بولس بأشخاص معينين قدموا إليه صورة معينة لشخصية عيسى ولدعوته وأنه اتخذ هذه الصورة المعينة أساساً لما أسماه بـ"إنجيله" فهل اكتفى بنقل ما أخذه عنهم في رسائله وأحاديثه؟! أو طورّه حسب ما رأى وأحس وقدر؟! وإن أخذنا بالرأى الثاني فما أبعاد التطوير الذي أدخله على الصورة

الأولى؟! إنه من العسير علينا أن نجيب عن هذه التساؤلات في شيء من الدقة ولكننا نستطيع على الأقل أن نحصر مجالاتها وأن نصل إلى بعض الاحتمالات ولم يعد في الإمكان اليوم أن نحدد تلك الصلات التي قامت بين بولس وبين اتباع المسيح قبلَ الأزمة التي جعلت من الأول اكثر المؤمنين حماساً.

ولقد ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حول التأكد من أن بولس (رأى) عيسى والقضية التي ثبتت لنا على أى حال هي أنه (لم يعرفه) وإن النصوص التي تحوز اكبر قدر من الثقة في هذا المجال وهي رسائل بولس نفسه تقدمه لنا على أنه كان من مضطهدي كنيسة الله قبل أن تحدث معجزة طريق دمشق وإن تفاصيل ما ترويه لنا (أعمال الرسل [٥٨/٧ و١/٨-٣ و١/٩-٢]) عن عنفه في الشر لتبعث على الشك ويبدو لنا من المرجح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجيء عن هذه العداوة الشديدة في صورة براقة. ولكنه بقى من الثابت لدينا أنه بدأ حياته بالكراهية لهؤلاء الحمقى الذين اتبعوا رجل الجليل المصلوب. وأنه أوضح لهم كراهيته هذه بالقول والعمل قدر ما استطاع. إنه يكره هذا المجتمع المسيحي الأول ولكنه يتصل به ويتعرف عليه. فقد يحكم بالحماقة على إيمان هؤلاء الرجال الذين كانوا محل اضطهاده ويرى هزالاً شديداً في آمالهم.

ولكن عوامل أخرى تتفاعل في الوقت نفسه بصورة غامضة في أعماق فكره فتقارن بين بدع أهل الجليل وإدعاءاتهم وبين مزاعم دعاة الإتجاهات التأليفية- من وثنيين أو يهود- في طرسوس أو في انطاكية تلك المزاعم التي لم يصدق بها اكثر مما صدق بدعوة أصحاب عيسى. ولسوف ينبثق النور بالنسبة إليه من المقارنة ومن التقريب ثم من تأويله للأمر على أساس تقويمه للدين اليهودي.

ولم يكن بولس حقاً بالرجل الذي يكتفي بأن يتلقى الأمور في سلبية. وليس هناك من شك في أن الإنجيل الذي قال به مدين له بالكثير من الإلهامات الخاصة ومن الإيحاءات التي تبعث عن طريقة تأديته لرسالته. وسوف نوضح ذلك فيما بعد. ومع ذلك قد تلقى أشياء

يعترف بها ويقرها وإن ما تلقاه لهو رصيد عقيدته وإيمانه. تلقاه من هؤلاء الذين صاغوه- ولو بغير إدراك منهم للأمر- في الصورة التي استطاعت أن تؤثر فيه وتسطير عليه وهو ما سوف يعمل بدوره في نشاط لا يقهر على التبشيرية ونشره مع الإفاضة في شرحه دين بكل معنى الكلمة دين خلاص دين عالمي ثم يصف نصوص أعمال الرسل بأنها نصوص مشكوك فيها ويعلق على تعميد بطرس الجندي كورنيليوس من الفصل العاشر من أعمال الرسل فيقول ولا نجد مغزى تاريخياً آخر للفصل المذكور هذا إذا فرضنا أن القصة التي يرويها تخرج بعض الشيء عن حدود الأساطير وقد شك أناس من قبل في أمرها.

وفي كتابه كتابات مقدسة يقول جنتر لانسز كوفسكي أستاذ تاريخ العقائد بجامعة هيدلبرج الألمانية في ص٣١-٣٧ يعتبر سفر أعمال الرسل ملحقاً للإنجيل الثالث أو بتعبير آخر فإنه يُكون الجزء الثاني من رواية لوقا. وتجد هذا السفر- مثل الأناجيل- لا يهتم بالتاريخ. فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ وبيان كيفية تكوين الكنيسة الأولى وتوسع إرساليات التبشير المسيحية بعيداً إلى روما. كذلك نجد هذا الكتاب يهاجم الوثنية. وتكون الرسائل التي كتبها بولس من السجن مجموعة قائمة بذاتها فهي تتكون من رسائله إلى أهل فليبي وأهل كولوس وأهل أفسس وفليمون هذا ولا تزال حقيقة مؤلف الرسالة إلى أهل أفسس موضع جدل. وأما الرسالة إلى العبرانيين التي تعتبر رسالة تعاليم أضيفت إلى الأسفار القانونية كأحدى الرسائل البوليسية فقد أصبح من المؤكد الآن أن بولس لم يكتبها. كذلك نجد من بين مجموعة الرسائل التي تعرف باسم ما بعد بولس. أن الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس لم يكتبها بولس.

يقول H.G.WELLS في كتابه: THE OUTINE OF HISTORY BEINDG: A PLAIN OF KIFE AND MANKIND. : "ومن الحقائق اللاهوتية التي تؤلف المباديء المسيحية الطقوسية لا يقوم إلا علي سند محدود جداً. اذ لا يوجد في هذه الكتب كما قد يري القاريء بنفسه. ما يدعم ويؤيد كثيراً من تلك المباديء التي يري معلمو المسيحية علي اختلاف نحلهم انها ضرورية بوجه عام للخلاص. فإن سندها من الأناجيل غالبا ما يكون سنداً غير مباشر ومعتمداً علي الاشارة ولابد إذن من تصيد ذلك السند تصيداً وإقامة الحجة عليه بالبحث والمجادلة فيما عدا بعض فقرات تدور حولها المنازعات.

ويقول MAURICE BUCILLE لقد تصدي آباء الكنيسة في عصرهم لمشكلة المصادر بطريقة ساذجة. ففي القرون الأولي من العصر المسيحي لم يكن المصدر إلا الانجيل الذي تضعه المخطوطات الكاملة علي رأسها أي انجيل متي فقط. وكانت مشكلة المصادر تطرح إزاء انجيلي مرقس ولوقا حيث كان انجيل يوحنا يشكل حالة منفصلة. كان القديس أو غسطين يعد انجيل مرقس. وهو الانجيل الثاني في الترتيب التقليدي لتقديم الاناجيل. مستلهما من انجيل متي وإنه قد لخصه وإن انجيل لوقا وهو الثالث في ترتيب المخطوطات المؤلفة قد استعان بمعطيات كل من الأول والثاني وتوحي بذلك فاتحته التي تحدثنا عنها.

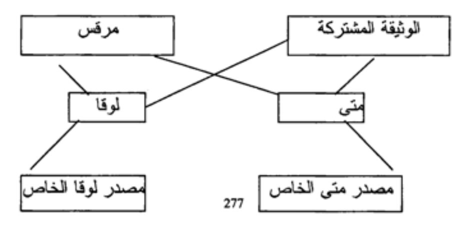
كان مفسرو هذا العصر يستطيعون مثلنا أن يقيموا درجة إتفاق النصوص وأن يجدوا عدداً كبيراً من الآيات المشتركة بين اثنين أو ثلاثة من مخطوطات الأناجيل المتوافقة. وفي عصرنا يحسب المعلقون علي الترجمة المسكونية عدد هذه الآيات تقريباً كما يلي:

آيات مشتركة بين ثلاثة أناجيل متي ومرقس ولوقا ٣٣٠ آية. آيات مشتركة بين انجيلي مرقس ومتي ١٧٨ آية. آيات مشتركة بين انجيلي مرقس ولوقا ١٠٠ آية. آيات مشتركة بين انجيلي متي ولوقا ٢٣٠ آية. هذا علي حين أن الآيات الخاصة بكل من المبشرين

الثلاثة الأولين هي ٣٣٠ آيه بالنسبة لمتي و٥٣ آية بالنسبة لمرقس و ٥٠٠ آية بالنسبة للوقا. ومن عصر آباء الكنيسة وحتي نهاية القرن الثامن عشر مر ١٥٠٠ عام دون إثارة أي مشكلة جديدة مهما كانت عن مصادر المبشرين و كان هناك امتثال للتراث. وفي العصر الحديث فقط وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية علي طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية مع الاعتماد علي المعلومات التي وجدها عند الأخرين. عندئذ علق الباحثون اهمية كبيرة علي جمع مواد الرواية في التراث الشفهي للطوائف الاصلية من ناحية. وفي مصدر مكتوب آرامي مشترك لم يعثر عليه من ناحية أخري. وقد كان يمكن لهذا المصدر المكتوب أن يشكل كتلة صماء أو أن يتكون من مقتطفات كثيرة لرويات شتي ربما تكون قد خدمت كل مبشر في تشييد نصه الاصلي. ومنذ قرن تقريبا. قادت ابحاث اكثر تعمقاً الي نظريات اكثر دقة ازدادت تعقداً بمرور الزمن.

أ. **نظرية مصدري هولتزمان** (HOITZMANN)

هى أول النظريات الحديثة سنة ١٨٦٣م. وحسب هذه النظرية- كما يحدد أ. كولمان والترجمة المسكونية فإن متى ولوقا قد استلهما مرقس من ناحية. ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى. يضاف إلى هذا أن كلاً من المبشرين الأولين كان يملك تحت حوزته مصدراً خاصاً. وقد أدى هذا إلى الرسم البياني التالي:



نقد أ. كولمان هذا البيان في النقاط التالية:

١-ليس مؤلف مرقس الذي استخدمه لوقا ومتى هو إنجيل مرقس. إنما هو مؤلف سابق على مرقس.

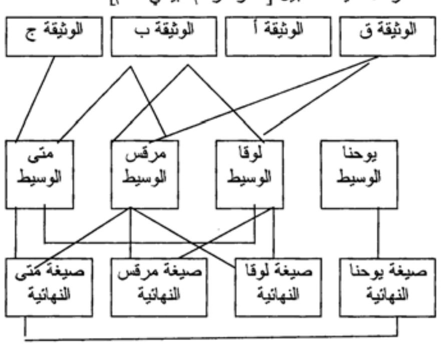
٢- لا يعطي هذا أهمية كافية للتراث الشفهي. ويبدو أنه رئيسي لأنه- وهو وحده- قد حفظ طيلة ٣٠ أو ٤٠ سنة أقوال المسيح والروايات الخاصة ببعثته. وحيث أن كل مبشر لم يكن إلا المتحدث باسم الطائفة المسيحية التي ثبتت التراث الشفهي. بهذا نصل إلى فكرة أن الأناجيل- كما هي في حوزتنا اليوم - قد أعطت صدى لما كانت الطوائف المسيحية البدائية تعرف عن حياة ورسالة المسيح ولمعتقداتهم ومفاهيمهم اللاهوتية التي تحدث المبشرون باسمها.

ب - نظرية المصدرين

-أحدث ابحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الاناجيل قد أوضحت وجود عملية اكثر تعقيداً من تشكل النصوص. إذ تنوه طبعة الاناجيل الاربعة المتوافقة للأبين بينوا وبومارBENOIT ET. BOISMARD الاستاذين بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢-١٩٧٣) تنوه بشكل خاص إلي تطور النصوص علي مراحل متعددة بالتوازي مع تطور التراث. ويجر هذا إلي نتائج يعرضها الاب (بينوا) بهذه الألفاظ في تقديمه للجزء الذي قام به الاب (بومار) من الكتاب المشار إليه يقول : " إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلاً. وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم ان هذا القول للمسيح او هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره لم تقل مثلما نقرأ اليوم، وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا

إلينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات. إن هؤلاء الذين لم يعتادوا هذا النوع من البحث التاريخي يجدون هنا مصدراً ممكناً للاندهاش بل حتي للاستنكار" إن هذه اللمسات وتلك التعديلات التي مارسها هؤلاء الذين نقلوا إلينا النصوص قد إنجزت بطريقة يعطيناالأب (بومار) عنها رسما بيانياً شديد التعقيد هو بسط للنظرية المسماة " نظرية المصدرين " ، وقد وضع هذا الرسم بعد عمل من الفحص ومن مقارنة النصوص يستحيل تلخيصه.

واذا أراد القاريء المهتم الحصول علي تفاصيل اكثر فعليه أن يرجع الي الكتاب الاصلي. وقد نشر بباريس بدار نشر " EDITIONS DU CERF " . هناك أربع وثائق اساسية هي أ. ب. ج. ق. تمثل المصادر الاصلية للاناجيل [انظر الرسم البياني العام]:



إن نتائج هذا البحث الخاص بالكتاب المقدس علي أهمية بالغة. فهي تثبت أن نصوص الاناجيل. التي لها تاريخ تتمتع أيضا- حسب تعبير الأب بومار- "بتاريخ ما قبل التاريخ PRE-HISTOIRE " أي انها قد خضعت قبل ظهور الصيغ النهائية. لتعديلات وذلك في مرحلة الوثائق الوسيطة.(٩١)

وفي ص ٥٢٣ ج ٢ (ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA 1960)

"إن القول بأن متي ولوقا استخدما انجيل مرقس أصبح علي وجه العموم سلماً به. ولكن بجانب انجيل مرقس فلا بد انها قد استخدما وثيقة أخري اصبح يشار اليها الأن بالحرف (Q) ويرمز هذا الحرف الي المصدر QUELLE الالماني- ومن هذين المصدرين (انجيل مرقس و Q) استمد الكاتبان (متي ولوقا) اساس روايتهما عن يوحنا المعمدان وتجربة يسوع وموعظة الجبل رقصة غلام قائد المائة وبعض الامثال وبعض الاقوال عن نهاية العالم. اننا لا نعلم ما هي الاشياء التي اغفل ذكرها هذا المصدر (Q) كما اننا لا نعرف خواصه و محتوياته التي انفرد بها ولم ير فيها كل من متي ولوقا ما يناسبه لكي نضيفها إلي انجيله.

من اجل ذلك فاننا لا نستطيع إن نخاطر بتحديد قيمته التاريخية وللاهوتيه "

ويقول(Gunter Lanczkowski)

"هناك مصادر اخري نقل عنا كتبة الاناجيل مثل المصدر (M) وعنه نقل فيما متي المادة التي انفرد بذكرها"

فيما يري (G, B. Caimd) ان المصدر (L) استقي منه لوقا المادة التي انفرد بها وهي تبلغ نصف الانجيل (٩٢)

"بهذا يتضح علي سبيل المثال. أن حكاية معروفة جيداً وقعت في حياة المسيح وهي حكاية الصيد تقدم في انجيل لوقا باعتبارها حدثاً وقع في حياة المسيح. علي حين يقدمها يوحنا كحادثة وقعت بعد قيامة المسيح.

ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نتلقي كلمة المسيح بقراءة الإنجيل. والأب (بينوا) يتوجه لقاريء الانجيل ويحذره من هذا. ويقدم تعويضاً قائلاً "اذا كان عليه أن يتخلي في اكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر فإنه يسمع صوت الكنيسة ويركن إليها ركونه لمفسر خول إليه أن يفسر السيد الذي يحدثنا اليوم في مجده بعد أن تحدث علي أرضنا".

كيف يمكن التوفيق بين هذه الملاحظة الصريحة عن عدم صحة بعض النصوص وبين عبارة الدستور العقائدي عن التنزيل الإلهي التي صوت عليها مجمع الفاتيكان الثاني ١٩٦٢-١٩٦٥م وهذا يؤكد لنا- علي العكس- بأمانة نقل اقوال المسيح.

تقول هذه العبارة "هذه الاناجيل الأربعة التي تؤكد الكنيسة تاريخيتها دون تردد.

تنقل بشكل أمين فعلاً أقول وافعال المسيح ابن الله طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدي والي أن رفع الي السماء "ويظهر بوضوح تام أن عمل مدرسة الكتاب المقدس بالقدس يأتي إلي دعاوى المجمع الفاتيكانى بتكذيب صارم (٩٣)."

لقد كانت النتيجة الحتمية لتعدد المصادر هو التناقضات والمتعارضات والتي سوف نتكلم عنها بلا لإيجاز أو إسهاب.

الباب الثاني

المنهج المقارن
بين المسيحية والوثنية البدائية

الثالوث المقدس

مريم العذراء أم الإله

الجداول التوضيحية المقارنة

يقول ALLAN G. WIDGERY في كتابه THE INTERPRETATIONS OF GHISTORY : " تقدم المسيحية التاريخ في صورة ضرب من الدراما المسرحية. الفصل الأول في المسرحية هو سقوط آدم بما أعقبه من استمرار الخطيئة التي هي تباعد ذرية آدم عن الله. والفصل الثاني هو دخول الله في التاريخ متجسداً في صورة بشرية في يسوع المسيح. وتضمن هذا الفصل ما يلي:

١- تأسيسه الكنيسة المسيحية بجمعه التلاميذ و بتأثيره الشخصي واسلوب حياته وتعاليمه.

٢-تخليصه البشرية بوفاته علي الصليب.

٣-بعثه وصعوده الي السماء معطياً البشر تأكيداً بخلودهم.

الفصل الثالث هو تبشير العالم بالانجيل تبشيراً مضي علي اتساع نطاق الكنيسة المسيحية ولا يزال هذا الفصل مستمراً.

الفصل الرابع والنهائي فهو عودة المسيح للمرة الثانية الي العالم جالباً معه يوم الحساب (٩٤)."

يقول المؤرخ ارنولد توينبي في صـ ١٠ جـ١ في كتابه تاريخ البشرية "أما وقد عرف التاريخ علي أنه سلسلة من الأحداث التي أدت الى سيطرة الغرب. فقد اصبح من الممكن تحديده بدقة.

فالإسرائيليون القدامى وأحفاد اليهود قد أسهموا ولا ريب في التاريخ علي الأقل الي سنة ٧٠ للميلاد. ذلك بأن تاريخهم كان مقدمة لتاريخ المسيحية كاثوليكية وبروتستانتيه علي السواء وهذه هي ديانة الغرب. وإسهام اغارقة العصر الهليني كانت قد استخدمت في صياغة اللاهوت المسيحي.

ولم يقتصر الأمر علي الفلسفة بل إن ما كان عند الهيلنيين من أدب وفنون ومرثية وعمارة كانت منذ النهضة مصدر وحي لثقافة الغرب الحديثة- فاليهود والاغارقة اندمجوا في الامبراطورية الرومانية. وهذه كانت الرحم السياسي للمسيحية(٩٥).. ويضيف في صـ ٢٨٨ جـ١ "فالمسيحية المنتصرة ورثت عن سابقتها اليهودية التوحيد المتزمت. لكن المسيحية خرجت عن التوحيد اليهودي بأنها ابتلعت وتمثلت الديانات المنافسة المقهورة والتي كانت بأجمعها ديانات لا يهودية.. فبعد أن قضي الاسكندر علي الامبراطورية الفارسية قام سباق بين الديانات المتنافسة كي تصبح الديانة العالمية للمشرق ومثل هذا الأمر حدث في حوض البحر المتوسط بكامله لما توحد سياسياً تحت حكم الامبراطورية الرومانية. وقد نجحت المسيحية في هذه المنافسة وذلك باتباعها سبيلاً كانت له سابقة في اللاهوت المصري الفرعوني. كان المصريون يعتقدون بأن الفرعون حين وفاته كانت واحدة من أرواحه وهي الروح التي يمكن أن تعتزل الارواح الاخري تصعد إلي السماء وهناك كانت تلتهم بقية الآلهة التي كانت تلتهم بقية الآلة التي كانت القادمة الجديدة تجدها مستقرة هناك.. واذ يلتهم الفرعون هذه الآلة المنافسة فإنه يستولي علي قوتها. وقد استولت المسيحية علي قدرات منافساتها وذلك بتقليد العمل الاسطوري للفرعون الصاعد. فالتهمت المسيحية الآلهة والالهات السورية والمصرية والاناضولية والهيلنيية ومن ثم فقد انتقلت قوي هذه الالهة و الالهات اليها وأصبحت قوة لها.

وفي السباق للاستيلاء علي دور الأم كان هناك علي الأقل خمس طالبات هن اللواتي تقدمن لذلك. وهذه كانت (إيزيس) المصرية

و(سيبيل) الفريجية و(أرطميس) الافسية و(ديمترا) الاليوزينية وآلهة متجسدة في مريم زوج النجار الجليلي وقد كسبت مريم السباق إذ اتخذت شخصية إيزيس المتهلينة وصورتها وصفاتها(٩٦).

ثم يضيف المؤرخ توينبى ولم تكن إيزيس الزوجة الوفية فحسب بكل كانت الأم الحنون أيضا وقد ربت إبنها حورس كي يصبح حاميا ومخلصا للأوزيريس الذي تعود إليه الحياة.

وفي السباق الذي قام في المشرق خارج حدود مصر للحصول علي دور الأبن لم يكن لحورس مجال ليجاري يسوع بن مريم. إن أقدم ما وصل إلينا من أخبار يسوع هي الاعمال التي دونها اتباعه المتحمسون الذين كانوا قد قبلوا العقيدة بأن يسوع مثل الفراعنة لم يكن له أب انسان بل إنه ولد لأمه من آله وفي حالة يسوع لم يكن الاله (رع المصري) بل الله كان واسطة الله روحه ذلك بأن صفات الله مثل صفات (اهورامزدا) قد أصبحت آلهة صغيرة كل منها لها شخصيتها الخاصة بها وذلك لتخفيف التزمت الروحي للتوحيد وبحسب ما ورد في الكتب المقدسة المسيحية فقد رفض يسوع نفسه فكرة الألوهية بالنسبة إليه في أي معني كانت. وعلي الأقل في قولين له مدونين يرمي يسوع الي القول بأنه لا يستوي مع الله في الهوية إلا انه يمكن أن يكون إلها بالمعني الهندوكي. في كونه إنساناً قضي نهائيا علي ذاته EGO ومن ثم فقد نزع جانباالنقاب الذي يغطي في أكثر الرجال الحقيقة الروحية المطلقة اساساً لجميع المظاهر. وهي تشع انوارها بالشكل والحين حينما ينزع هذا النقاب المعيق الذي يدور حول التمركز النفسي الفردي.. .. يسوع ابن مريم والله أب يسوع يطغيان علي مريم بالذات بموجب اللاهوات الرسمي للكنيسة.

وقد يبدو للوهلة الأولي كما لو أن إيزيس قد تراجعت عن مكانتها إذ اتخذت صورة مريم. لإن إيزيس كانت قد خلفت زوجها وإبنها وراءها في مصر لما بدأت رحلتها عبر العالم الهليني. ومع ذلك فان مريم والدة الاله (ثيوتوكوس) هي في القسم الاكبر من العالم المسيحي غير الانجيلي (البروتستانتي) آلهة في كل شيء إلا في الاسم وفي هذا التفرع حافظت إيزيس علي قدرتها التي كانت لها زمن ما قبل المسيحية.

وفي مجال التنافس علي دور البذرة التي تموت وتعود الي الحياة. خرج أوزيريس المصري بسبب تحنيطه كما خرج أتيس الاناضولي بسبب خصيه لنفسه وتموز السومري- الأكدي كان قد انحدر مع بقية اجزاء مجمع الآلهة السومري- الأكدي باستثناء النجميات. وكان ثمة سباق عنيف بين أدونيس السوري وديونيسوس وكوري الاليوزيني وباخوس. ولكن حتي في هذا السباق كان يسوع هو المجلي. فقد اعتقد بعض اتباعه انهم رأوه حياً في اليوم الثالث بعد يوم صلبه. ثم ظهر لهم في عدد من المناسبات التالية فلما كتب القديس بولس رسالته الأولي إلي أهل كوزنثوس كان الطقس الديني المميز للجماعة المسيحية قد أصبح أكل جسد المسيح وشرب دمه في بدائل نباتية الخبز والخمر. وقد استقرت الصيغة اللفظية للطقس الديني. فلا ديونيسوس أو أدونيس كسب دور الله الميت والمحي. بل يسوع الذى كسب ذلك وهذا بالأضافة الي انتصاراته الأخري. لقد كان ليسوع منافسون أشد شيكمة في دور المخلص. ولكن اعنف جهاد بذله كان اقتناص دور الأله المتجسد. فقد كان المخلصان المنافسان ليسوع هما حورس المصري الذيْ انتصر علي خاله (سيت) ومثرا الايراني إلا

ان حياته كانت قصيرة فقد بدأ حظه في القرن الأول للميلاد. وفي القرن الرابع كان مثرًا يحارب في معركة خاسرة ضد يسوع.

وقد تنافس مثرا ويسوع في تشددهما في المطالب الأخلاقية التي فرضاها علي المؤمنين بهما. لكن مثرا كان في وضع اضعف في أمرين حاسمين.

الأمر الأول فبدل أن يكون مثرا مضحياً وضحية بريئة كان قاتلا شريراً (إلا اذا كان الثور الذي قتله مثرا بالمصادفة هو شبه لمثرا بالذات).

والأمر الثاني هو أن مثرا كان يكره النساء ولم يكفه انه كان بدون ام وانه كان أعزب. بل إن عبادته علي خلاف عبادة دوليخينوس وعلي خلاف المسيحية كانت تقبل الذكور فقط. كان يسوع اعزب مثل مثرا. لكن يسوع كان له أم مثال ايزيس وقد كان حتي في أضيق دائرة من اتباعه نساء مقدسات ومن ثم فقد كان هناك مجال للنساء في حياة الكنيسة المسيحية.

وقد اصبح يسوع لامثرا مخلّص شعوب البحر المتوسط. لقد رغبوا في أن يكون المخلص كائنا بشرياً مثلهم ورغبوا أيضا في أن يكون المخلص البشري ممثلاً للاكثرية البشرية التي لا امتيازات لها. والتي أسهمت إلي درجة قصوي في الآلام التي هي أمر مشترك فيه العموم. والانسان الذي كسب هذا الدور كان علي ما يبدو نجاراً لا حول له لا ملكاً بادي القوة.

ولما قبل الملك بطليموس الأول لقب "مخلص" الذي أطلقه عليه الروديون لاشك انه كان سيدهش لو أن أحداً تنبأ له ان هذا اللقب سيرثه صانع يمكن ان يكون متحرراً من واحد من رعاياه

الاسيويين. وكان أشد الادوار مدعاة للمنافسة ذلك الدور المتعلق بالآله المتجسد. والنموذج السابق للأله المتجسد هو الفرعون كما قد كان الامبراطور الروماني فرعوناً إضافة الي كونه المدبر الأول للدولة وهكذا فإن جميع الاباطرة علي التوالي كان كل واحد منهم الوريث الشرعي للآله المتجسد المصري.

وفي المقابل كان من المستحيل علي المسيحيين ان يقوموا بالطقوس المتعلقة بعبادة الامبراطور دون ان يكون في عملهم هذا رفض ضمني بأن آله المسيحين ليس هو الاله الحقيقي الوحيد.

ان المسيحية كما أوضحها القديس بولس نجحت في التغلب علي الديانات الاقليمية المنافسة لها بأن امتصتها ولو ان ثمن ذلك كان التخفيف قليلا من الوجدانية التي ورثتها عن اليهودية. ففي المسيحية كما شرحها القديس بولس. كما

كما كان الحال في زرواستريه المجوسي رفعت صفات الله الحق الوحيد الي درجة التساوي في المظهر مع الآله فأصبح يسوع الآله المتجسد بالمعني ذاته كما كان الفرعون والقيصر وراما وكريشنا وباعتبارها "أم الله" اصبحت أم يسوع الإنسانة آلهة في الواقع. والإمبراطوريات المدنية- التي خلفت امبراطورية الاسكندر علي أيدي خلفاته بطليموس وسلوقس وليزماخوس- والتي كانت قد انطفأ ذكرها عادت إلي الظهور علي أنها بطريركيات كهنوتيه مسيحية وكان الماضي اليهودي للمسيحية عائقاً للاهوتيين والمبشرين المسيحيين فلم يكن باستطاعة المسيحية أن تعيش وتسمح لغيرها أيضا بالعيش.

كان عليها اما أن تقضي علي منافساتها أو أن تمتصها. وكان مثل

هذا الامتصاص يجب أن يتم بشكل خفي. ومع ذلك فقد امتصت المسيحية اكثر مما دمرت. ففي واقع الامر كانت وسيلتها في نشر مبادئها أقرب إلي اساليب الماهايانية مما يحبذ ممثلوها الرسميون أن يعترفوا به (٩٧).

وقد كانت نتيجة المنافسه بين الاديان المحلية للاستيلاء علي القلوب والعقول في المنطقة الواسعة ظهور ثلاث ديانات جديدة الهندوكية والبوذية الما هانية والمسيحيية علي ما فسرها القديس بولس. وكانت هذه الديانات الثلاثة تشبه الواحدة منها الأخري في انها تعبدية.

فالهندوكيون كانوا يؤمنون بالالهين شيفا وفشنو. والبوذيون الماهايانيون كانوا مؤمنين بالبوديساتفات الذين لم يكونوا آلهة رسمياً بل مرشحين لان يكونوا بوذات وكان المسيحيون يؤمنون با لله وبيسوع وهو بالنسبة الي المسيحيين الهي الطبيعة وبأم يسوع التي كانت قد اصبحت آلهة تقريباً لما اطلق عليها والدة الآله وبأم (ثيوتوكوس) كانت سبل العبادة تختلف لكن الروح واحدة.

إن نشوء هذه الديانات التعبدية وتأليه البوديساتفات ويسوع ومريم كانت اعراضا تدل علي الحاجة الي العون المستمد من كائن بشري علوي (سوبرمان) (٩٨).

ويقول أ. د شارل جينيبير رئيس قسم تاريخ الاديان بجامعة باريس فى كتابه المسيحية صـ ٩١-١٠٣ "النظرة الأولي الي الحياة في الشرق الأسيوي تبيين ان عدداً معينا من الألهة كان يحتل مكان الصدارة فيها خلال العهد الأول لقيام المسيحية وكانت بين هذه الآلهة أوجه شبه لا تحصي الي درجة انها امتزجت وتوحدت في فينيقيا ثم

تموز في بلاد العراق ومردوك في ربوع ما بين النهرين وأوزيريس في مصر وعلينا أيضا اذا أردنا الانصاف ان نذكر الإله الفارس ميثرا الذي بدأت شهرته في تلك العصور بين رحاب الامبراطورية الرومانية (ومثرا هو آله ايراني كان زرواستر قد انزله الي منزلة الشياطين الا انه هاجر من ايران الي آسية الصغرى وكمهاجر ثبت الوهتيه متحالفاً مع الشمس والنجوم التي تملك الحظوظ وقد كان ارتفاع اسهم مثرا مثل دوليخينوس يهود الي اهتمام الجيش الرومان فقد حمل الجنود مثرا من الفرات الي نابن وسلوى في بريطانية) وكان القوم يرتحلون من اقليم الي آخر ينقلون معهم عباداتهم وعقائدهم الدينيه بل وينشرونها في كثير من الاحيان خارج موطنهم ذلك انهم كانوا يلقون اينما حلوا في هذا العالم الآسيوي المتقارب مظاهر ومشاغل دينية شبيهة بتلك التي نشئوا عليها. والتي عبروا عنها في صورة اسطورية واحدة وأرادوا تمجيدها بطقوس متقاربة كل التقارب في غالب الأمر وكانت هذه القرابة سبباً في تسهيل المبادلات الكثيرة بين أصولها وفي الإسراع بالتداخل والتفاعل النشيط بين عناصرها فأصبحت تتسم بطابع عائلي قوي وإن ظلت هناك اختلافات باتنة بين القصص الإلهية التي تعتمد عليها. وقد نزع تيار الامتزاج هذا بين الأديان الذي يعرف بالتأليف الديني الشرقي الى استخلاص بعض التصورات الهامة والشعائرالاساسية من ثنايا السيل الدافق لتفاصيل العقائد والطقوس التي تلاقت فيه وتفاعلت.

إن الخاصية التي تثير الانتباه اكبر من كل الخصائص الأخري لآلهة المنطقة– منذ دراسة تاريخهم الاسطوري– لهي تلك التي بمقتضاها يموتون في مؤسم معين من السنة ثم يبعثون بعد ذلك في

موسم آخر. فيشعلون في نفوس المؤمنين بهم مشاعر الاسي العميق. ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التي تكاد تصل الي حد الجنون. ونلاحظ أن هؤلاء الآلهة ليسوا في حد ذاتهم بالآلهة العظماء البالغين في العظمة بل انهم يشبهون البشر من قريب في الكثير من أحوالهم. لقد ثارت مناقشات كثيرة مطولة. حول أصل هذه الآلهة المختلفة وحول مبدأ ورموز الاساطير التي يمثلونها. والجدل ينحصر اليوم بين نظرتين فحسب- وإن كانت الواحدة منها لا تلغي الاخري - فإما القول بالآلهة " الشمسية " وإما التفسير بـ " المواسم الزراعية " وعلي هذا النهج يمكن القول بأن بعض الآلهة- التي ذكرناها- كانت في الاصل آلهه " كوكبية " وكان بعضها الآخر ينتمي الي فصيلة " آلهة الزراعة " . والظاهر أن ميثرا كان الهاً شمسياً لذلك احتفل بمولده في ٢٥ ديسمبر أي في موعد الانقلاب الشتوي. ويبدو أن أزويريس كان إلها قمرياً أما تموز فهو من آلهة الزراعة وهكذا الحال بالنسبة الى أودنيس وبالنسبة الى اغلب هؤلاء الالهة الذين يموتون ثم يبعثون فالعلاقة الواضحة بين حياة الشمس وحياة الارض تفسر لنا في يسر كيف تحول أرباب الزراعة الي ارباب للكواكب. وعلي أي حال فإننا نلاحظ أيضا أن أغلبهم علي رابطة وثيقة بإلهة أم و هكذا نجد الأم الكبري سيبيل في اسطورة أتيس وأفروديت بالنسبة الي أدونيس واشتار مع تموز وإيزيس مع أوزيريس. لذلك جمع الناس في العبادة بين هؤلاء الارباب وبين هاتيك الشخصيات الإلهية النسائيه.

وتطورت اسطورة موت وبعث الإله هذه بتطور الشعور الديني ونكتفي بإثبات الصورة النهائية التي وصلت الينا وفيما يلي الخطوات المختلفة التي يسيرها الإله- في مخيلة الناس اذ ذاك للقيام بهذا

الدور: يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الانسـان ثم يموت كما يتعذب الإنسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد. واتباعه يمثلون رمزاً ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة السعادة في ديار الخلد الإلهية منذ ذلك اليوم الذي بعث فيه حقيقه في الماضي السحيق. فمشكلة " النجاة " إذن بالنسبة الى بني البشر بعد أن شاركهم الآله في ظروفهم الإنسانية بعذابه ثم بموته تتلخص في الوصول إلى اعمق أعماق المشاركة المصيرية حتى تنتهي بهم إلى البعث والحياة الأخرى في ديار السعادة الإلهية اللانهائية. والسبيل إلى ذلك وجدوه في نوع من الطقوس المسرحية التي تنحو نحواً باطنياً فيفرض في المؤمن أنه يشارك في الذات الإلهية بواسطة سلسة من المراسم الدينية توصف بالفعالية . إنه يمر رمزياً بمختلف مراحل التجارب التي مر بها الإله وبهذه الوحدة مع الإله التي تغير كيانه الخاص يضمن الإنسان أن يصير إلى مصير الإله نفسه. أي أن الخلود ينتظره بعد عن الحياة الدنيا بعد الموت وكان مصير " المنقذ الإلهي" مصيره في آن واحد مثالاً وضماناً لحياة المؤمن. ونحن لا نعلم على وجه التحديد كيف كانت الوحدة تتم بين المؤمن والمنقذ الإلهي في عبادات مختلف الآلهة المنقذين. ولكننا على يقين من أن هذه الوحدة كانت هي الهدف في سائر تلك العبادات من وراء الطقوس التي نخص منها بالذكر طقسين يثيران الأنتباه عند أول وهلة وهما: التعميد بالدم ومأدبة القربان. ولكن مع بداية العصر المسيحي أثرت تيارات دينية وفكرية يصعب علينا تمييز معالمها وتحديدها على شعائر التضحية بالثور فطورتها في نهاية الأمر إلى وسيلة فعالة

لكسب الخلود في الحياة الأخرى حياة السعادة وموجز تفسير هذا المذهب أن الحفرة تمثل مملكة الأموات وإذا ما نزل إليها المريد فكأنه مات.. والثور الضحية هو أتيس أما دماؤه فتمثل جوهر حياته الإلهية ينزف منه فيتلقاه المريد ويتشربه ويمتزج به حتى إذا خرج من الحفرة عد مولوداً من جديد فسقى اللبن كما يسقى الوليد ولكنه لم يولد من جديد بشراً كما كان بل هو قد تشرب بذات الإله في جوهره وأصبح بدوره- حسب أدوار السر المقدس- إلهاً هو نفسه أتيس. وتقدم له الفروض على هذا الإعتبار ثم عليه بعد ذلك أن يتحد مع الإلهة (سيبيل) كما فعلاً أتيس زوجها في سيرته الإلهية. وبهذا يضمن المؤمن لفترة طويلة مشاركته في مصير أتيس بالموت الذي لا مناص منه ثم بالبعث في ديار السعادة والخلود مع الألهة.

إن الكثير من ديانات هؤلاء الآلهة المنقذين الشفعاء- أمثال ميثرا وبعل السوري وسيبيل وغيرهم- كان يجدد الاتحاد المنجي المترتب على الشعائر والطقوس المذكورة أو يدعمه ويقويه بواسطة مآدب خاصة يتناول المؤمنون الطعام فيها جماعة على موائد الإله. ولا نشك في أن هذه المآدب الدينية لم تكن في كثير من الأحيان إلا تعبيراً عن التآخي بين المؤمنين ورمزاً بحتاً لذلك ثم يظنون أنهم بذلك توحدوا مع الإله نفسه وشاركوه في جوهره وصفاته وإننا للأسف لا نملك إلا القليل من المعلومات التفصيلية عن هذه المآدب الدينية وعن طقوسها وألوان الأطعمة التي كانت تقدم فيها وإن كان مغزاها العام واضحاً كل الوضوح إنها تعني بالنسبة إلى المؤمنين طعامهم الإله نفسه وتشربهم بجوهره المنجي.

هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه بين هذه الطقوس

والشعائر المختلفة- وإن كانت النظرة إليها عاجلة سطحية- وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحيين؟!

إن كبار رجال الكنيسة من القديس بولس إلى القديس أوغسطين أى من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلادي- لم يتجاهلوا هذا التشابه وهناك من الشواهد عدد وفير يدل على شدة اهتمامهم به فضلاً عن الاساطير الجوهرية والمراسيم الدينية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة. كانت سابقة في تلك الديانات على مولد المسيحية. وكانت تجد العديد من التطبيقات في العبادات المنتشرة بالعالم اليوناني إبان العهد الذي عاش فيه القديس بولس.

ولنذكر القارىء بأن الأمر لا يتعلق بطقوس وشعائر معينة فحسب. إنه يذهب إلى مدى أبعد من ذلك يذهب إلى نوع من التصوير للمصير الإنساني ولخلاص البشر. ثم يرمز إلى الإيمان والأطمئنان المرتبطين بـ " السيد المسيح" الذي يشفع للإنسان عند الإله الأعظم. بعد أن أرتضى هذا " السيد المسيح " لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالإنسان. حتى يصبح بنو البشر قريبين اليه لدرجة تسمح لهم بالاتحاد معه فيكون في ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره وتلك هي بالذات عقيدة القديس بولس في رسالة السيد المسيح ولم تكن بالعقيدة الغريبة علي الناس.

علينا أن نتساءل الآن هل كانت عبادات أخري ذات أسرار بطرسوس موطن بولس في بداية قيام المسيحية غير "بعل طرز" إله الزراعة قديماً و "ساندان" إله الخصوبة؟! اننا نرجع ذلك بسبب موقع المدينة علي مفترق طُرق التجارة. تلك الطرق التي كان الناس

ينقلون بين اطرافها الافكار والمعتقدات الي جانب السلع والبضائع. وإننا لنعلم الي جانب ذلك ان العنصر الرئيسي في نمو "الاسرار" هو النزعات التأليفية التي تخلط أو تمزج أو تزاوج بين الآلهة ذوي الصفات أو الوظائف المتشابهة تلك النزعة التي قد ظهرت في طرسوس بوضوح منذ زمن بعيد" (١٠٠). يقول القس المسلم ابراهيم فليبس في صـ ١٢٥ و ١٢٩ من كتابه (محمد) لقد كشف القناع عن هذه الحقائق السير (آرثر فندلاى) في كتابه (صخرة الحق) في ص ٤٥ فذكر ١٦ إلها ملكاً مخلصاً عرفوا قبل مجيء المسيح وهؤلاء ايضا ماتوا لأجل خطايا العالم وسمي كل واحد منهم إلهاً مخلصاً واعطى لقب المسيح وهذه هي اسماؤهم:

١-	الإله اوزوريس	مصر	١٧٠٠ ق.م
٢-	الإله بعل	بابل	١٢٠٠ ق.م
٣-	الإله اتيس	فرجيا	١١٧٠ ق.م
٤-	الإله ثاموث	طوريا	١١٦٠ ق.م
٥-	الإله ديونسيوس	اليونان	١١٠٠ ق.م
٦-	الإله كرشنا	الهند	١٠٠٠ ق.م
٧-	الإله هيوس	اوربا	٨٣٤ق.م
٨-	الإله اندرا	التبت	٧٢٥ ق.م
٩-	الإله بابي	اسيا	٧٢٥ ق.م
١٠-	الإله لياو	نيبال	٦٢٢ ق.م
١١-	الإله السنتيس	فيريا	٦٠٠ ق.م
١٢-	الإله كويكس لكوت	المكسيك	٥٨٧ ق.م
١٣-	الإله وتيبا	ترفانسكور	٥٥٢ ق.م
١٤-	الإله برومثيوس	اليونان	٥٤٧ ق.م
١٥-	الإله كورينوس	روما	٥٠٦ ق م
١٦-	الإله مذرا (مثرا)	الفرس	٤٠٠ق.م

ويسترسل السير آرثر فندلاى في ص ٧٦ فيقول : اكتشف لوح أثرية في بابل تثبت أن إلههم بعل كان يتصف بنفس الصفات التي الحقت بعيسي فيما بعد. وعقد مقارنة بين ما في المبادئ البابلية ومثيلتها من المبادئ المسيحيةبينها على النحو التالي :

المبادىء البابلية من اللوحة الأثرية		المبادىء المسيحية من إصحاحي ٢٧و٢٨ متي	
١	اخذ الإله يعمل اسيراً	١	اخذ عيسي اسيراً
٢	حوكم بعل في قاعة المحكمة	٢	حوكم عيسى في قاعة بيلاطس
٣	ضرب بعل	٣	جلد عيسي
٤	اخذ بعل إلى الجبل	٤	اخذ عيسى إلى الجمجمة
٥	اطلق سراح مجرم واخذ معه مجرمان	٥	اطلق سراح مجرم (بارباس) واخذ معه مجرمان
٦	بعد اخذ بعل تهدمت المدينة	٦	بعد موت عيسى تحطم الهيكل
٧	اخذت ملابس بعل	٧	اقتسم الجنود ملابسه واقترعوا علي لباسه
٨	ذهب بعل إلى الجبل واختفى من الحياة	٨	خرج عيسى من القبر وذهب إلى عالم الأموات
٩	ذهبت إمراة تبكي عند القبر	٩	ذهبت مريم المجدلية تبكي علي قبر عيسى
١٠	عاد بعل إلى الحياة ثانية	١٠	ارتفع عيسى من القبر حياً

وفي كتابه " الغفران " يقول القس المسلم إبراهيم فليبس راع الكنيسة الانجيلية واستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط : "هذ

وقد ظهر في الآونة الاخيرة بلبنان كتاب " المسيح في الفكر الاسلامي الحديث وفي المسيحية " تأليف الدكتور منير خوام ، وتصدي الاستاذ محمد طاهر التنيري في كُتابه " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " عام ١٩٢٤ تصدي لهم بالحكمة والقدرة علي تنكيرهم بالمصادر الأصلية لما آلت دعوة المسيح عيسي من انهيار وانزلقات في ديانات الخلاص المنتشرة وقتئذ وقبل مجمع نيقية عام ٣٢٥ فتناول ديانات كونفوسيوس وبوذا وتاوو ومثيرا وزرادشت وأزوريس وديانات الاغريق والرومان والمكسيك وعرضها عرضا مع مقابلتها بالنصرانية وانتهي الي جدولة الكونفوشيوسيه والبوذية مع النصرانية.." ومن القضايا التي عالجها:

١- الثالوث المقدس

يقول DOANE في كتابه

: BIBLE MYTHS AND THEIR PAALLELSIN OTHER RELIGION P.172"

"البوذيون الذين هم اكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلها مثلث الاقانيم يسمونه "فو" و "متي" و "دوا" هذا هو الثالوث المقدس ويقولون الثالثون النقي "فو" ويصورنه في هياكلهم بشكل الاصنام التي وجدت في الهند ويقولون أيضا "فو" واحد ذو ثلاثة اشكال ويوجد في أحد المعابد المختصة ببوتالا في منشوريا تمثال فو مثلث الاقانيم" ويقول FABER في كتابهORIGIN OF HEATHEN LDOLATRY "شيعة تاوو" يعبدون إلها مثلث الاقانيم واساس تعليم فلسفته أن "تاوو" وهو العقل الابدي انبثق منه واحد ومن هذا

الواحد انبثق تان ومن الثاني ثـالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شـيء وهذا القول بـالتوليد "والانبثـاق أدهش العلامـة موريــس MAURICE " لأن قائله وثني " .

ووجه الدهشة والاستغراب انه في عام ٨٦٩م إيتعد مجمع مسكوني بمدينـة القسطنطينية لبحث مسألة الاسقف "فوسيوس" التي تقول بأن الروح القدس منبثق من الآب. وقد قرر المجمع أن الروح القـدس منبثـق مـن الآب والآبـن كمـا قـرر عـزل "فوسيوس" وحرمانه واعتباره هرطوقياً وتمضـي عشر سنوات وفي عـام ٨٧٩ ينعقد مجمع بمدينـة القسطنطينية ويقرر عودة الاسـقف "فوسـيوس ويقــرر بطــلان قــررات مجمــع ٨٦٩م بالقسطنطينية ويقرر ان الروح القدس منبثق من الآب فقط.

وانشقت كنيسة القسطنطينية منشئة الكنيسة الارثوذكسية ومن ثم أصبحت الكنيسة كنيستين الروم الارثوذكس في الشرق (القسطنطينية) والروم الكاثوليك في الغرب (روما).

ويقـول BONWICK فـي كتابـه EGYPTIEN BELIEF AND MODERN THOUGHT : " وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانـة المصريين القدمـاء هـي قولهم بلاهوت الكلمـة. وأن كـل شـيء بواسـطتها وانها- أي الكلمة- منبثقـة مـن اللـه وأنهـا اللـه. وكـان افلاطـون الفيلسوف الاغريقي عارفاً بهذه العقيدة الوثنيهـة وكذلك أرسطو وغيرهما. وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين ولـم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولـون هـذا القـول ويعتقـدون هـذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام".

٢- مريم العذراء " والدة الاله "

وأما قول النصاري عن مريم العذراء أنها والدة الإله مثل والدات الآلهة- علي ما ذكرناه- حتي انهم ينشدون الاناشيد تعظيماً لها ويتضرعون اليها في أيام مخصوصة يسمونها "الايام المريمية" ويلقبونها "ملكة السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمة وصاحبة المجد علي الارض وفي السماء" وما شاكل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه وجاء في انجيل لوقا الاصحاح الأول فقرة ٢٨" فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها والرب معك. مباركة أنت في النساء "وجاء في الطبعة اليسوعية الكاثوليكية" فلما دخل اليها الملاك قال السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة انت في النساء "وقد صار القول بأنها والدة الإله في مجمع أفسس المسكوني عام ٤٣١ بعد المسيح.

يقول DOANE في كتابه "خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخري" كما نجد عند الوثنيين والدات الآلهه يعظمونهم ويلقبونهم بألقاب التمجيد والتفخيم كذلك نجد عند النصاري والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب الوثنييون والدات آلهتهم تؤكد تلك الرسوم التي يصورونها وهي محتضنة ولدها المسيح-الإله- فانها مثل الرسوم التي يصور الوثنيون بها والدات آلهتهم تماما".

وقد مر بك طائفة من هذه الرسوم يمكنك أن تقابلها بما هو موجود للآن عند النصاري من الصور والتماثيل مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين آلهة الوثنيين مثل "بوذا وكرشنة" وغيرهما وبين عيسى المسيح إله النصاري و أيضا فإن الصينيين يضعون صورة الإله "شينمو" إلههم في أحسن محل من البيت

ويجللونها بغطاء من الحرير كما يفعل اكثر النصاري بصورة العذراء ويبنون الهياكل على اسمها مثل "هيكل والدة الإله متسوبو" كما يبني النصاري كنائسهم "كنيسة السيدة" و "كنيسة العذراء". وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيزيس أو والدة المخلص حورس بأسماء عديدة منها السيدة وملكة السماء ونجمة البحر ووالدة الاله والشفيعة والعذراء. ويصورونها واقفة علي الهلال يحيط بها عشرة نجوم. كما يصور النصاري مريم العذراء واقفة علي الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة. غير ان تصويرهم سابق لتصوير النصاري للعذراء بقرون طويلة. ويعلل القديس "إبيفانوس" عبادة المصريين القدماء للعذراء "أم الإله ايزيس" أو "والدة المخلص حورس" بقوله "لا ريب قد جاءهم وحي منذ القديم عن العذراء وحبلها".

ويقول BONWICK في كتابه "اعتقاد المصريين" "ص ١٤٣" لقد جاء في كتاب للنصاري قديم العهد اسمه "سفر أخبار الاسكندرية" "مانصه" انظروا كيف يمثل المصريون ولادة العذراء ثم ولادة ابنها وهذا عين ما يقوله النصاري بخصوص ولادة المسيح مع ان الحين بين القصتين مديد جداً" وعيد دخول المسيح الي الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في ٢ شباط إجلالا وتعظيماً "تايت" وهو ذات اليوم الذي يحتفل فيه النصاري أيضاً.

كما أن أهالي بابل وأشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصورها وعلي يدها ولدها الإله وإسم هذه اعذراء "ميليتا" واسم ابنها المخلص "تموز" ويلقبه بالوسيط والمخلص كما هو الحال عند النصاري تماماً. وكان يُوجد في جزيرة قبرص هيكل اسمه "هيكل

العذراء ميتليا" وهو أعظم الهياكل التي كانت في عصر اليونانيين إبان مجدهم.

يقول أرنولد توينبي في صـ٢١ ج٢ "فالكنيسة المسيحية كانت قد سبقت" الكنيسة- المضادة" الافلاطونية في أنها تمثلت الآلهة المتوسطية (بحراً) كان يسوع قد أصبح من قبل إرفيوس وسرابيس و "الشمس التي لا تقهر" وكانت مريم قد أصبحت إيزيس" والدة الآله" (ويضيف في صـ ٢٨٩ جـ١) وفي السباق للاستيلاء علي دور الأم كان هناك علي الأقل خمس طالبات هن اللواتي تقدمن لذلك وهذه كانت إيزيس المصرية وسيبيل الفريجية وأرطميس الأفسية وديمترا الاليوزينية وآلهة متجسدة في مريم زوج النجار الجليلي وقد كسبت مريم السباق اذا اتخذت شخصية إيزيس المتهلينة وصورتها وصفاتها(١٠٢) وقد سبق قول المؤرخ ارنولد توينبي و أ.د شارل جينيبير فيما أغني عن اعادته فتأمله.

يقول H.G.WELLS "علي أن يسوع لم يفه بكلمة واحدة عن عبادة أمه مريم في صورة إيزيس مليكة السماء. كما أن الكثير مما هو من أخص خصائص المسيحية في العبادة والطقوس لقي منه إغضاءاً تاماً. لقد بلغ من جرأة الكتّاب المتشككين أن أنكروا إمكان أن يسمي يسوع مسيحياً علي الاطلاق"(١٠٣)

وكذلك ما جاء عن ولادة "مرها والدة الاله" (ياخوص) عند الرومان يشابه تمام المشابهة ما جاء في انجيل "متي" (١٨/١-٢٥) وقد فسر القديس جيروم اسم "مرها" "باسم" "مريم" وكانوا يلقبونها "آلهة البحر" ويلقبون مريم والدة المسيح الآن "نجمة البحر" وكان اليونانيون يدعون والدة الإله العذراء "جولو" (ملكة السماء) ويعبدونها

معتقدين أنها حارسة النساء من المهد الي اللحد كما تعتقد النصاري اليوم بمريم العذراء.

ونكتفي بهذا القدر ونتأمل الجداول الآتية المأخوذة من المصادر الآتية:

١–داون " خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى".
٢– موريس " تاريخ الهند "
٣– " فشنوبورراما " ترجمة للإنجليزية/ ويلسن.
٤– ويليام " الهند ".
٥– الكونت امبرلى " تحليل العقائد الدينية".
٦– هاردي " خرافات البوذية".
٧– بيل " تاريخ بوذا".
٨– مولر " تاريخ آداب اللغة السنسكرينية القديمة".

الجداول التوضيحية للمقارنة

وهي مقابلة النص الصريح بين كرشنة وبوذا ويسوع المسيح وهي مقابلة ما يقوله الهنود والوثنيون عن كرشنة وعن بوذا بما تقوله المجامع المسكونية المقدسة عن يسوع المسيح :

الموضوع (العقيدة)	أقوال الهنود الوثنيين عن كرشنه ابن الله	أقوال الهنود الوثنيين عن ابن الله	أقوال المسيحيين في يسوع ابن الله
عقيدة النبوة الإلهية	كرشنه: (هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله ، والأقنوم الثاني من	بوذا: هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله. والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو	يسوع المسيح: هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله. والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو

	الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس.	الأب والإبن والروخ القدس. ,	الأب والإبن والروح القدس.
١- مولده	ولد كرشنه من العذراء ديفاكي التي اختارها الأب لأبنه بسبب طهارتها وعفتها. (دوان صفحة Doane(٢٧٨	ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل (أوليمس، ديانة الهنود الوثنيين. صفحات ٨٢، ١٠٨)	ولد يسوع من العذراء مريم التي أختارها الله الأب لأبنه بسبب طهارتها وعفتها. (إنجيل مريم، الإصحاح السابع) ولد يسوع من العذراء مريم من غير مضاجعه رجل أنظر (متى ١:١٨، لوقا ١: ٣٤- ٣٨)
٢-بشارة الملاك بالإبن القدوس	قد مجّد الملائكة ديفاكي والدة كرشنه ابن الله وقالوا" يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة" (تاريخ الهند. المجلد الثاني. صفحات ٣١٧، ٣٦٧)	كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا. (ديوان. صفحة ٢٨٩) بنصون. صفحة Bunsen(١٠،٢٥	" فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء" (لوقا ١: ٢٨) "وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥)
٣-ظهور نجمة في السماء.	عرف الناس ولادة كرشنه من نجمة الذي ظهر في السماء(تاريخ الهندالمجلد الثاني صفحات ٣١٧، ٣٦٧)	وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم المسيح.(ديوان. صفحة ٣٩٠)	"أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمة في المشرق واتينا لنسجد له". (متى ٢: ٢).

٤- تسابيح الملائكة للمولود (ابن الله)	" لما وُلد كرشنه سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره. وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة" Vishnu Purama (فشنويوراما. صفحة ٥٠٢).	" لما وُلد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين: وُلد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرة والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ويهب البصر للعمي". (ديوان. صفحة ٢٩٠)	" وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام. وبالناس المسرة". (إنجيل لوقا ٢: ١٣، ١٤)
٥-عند الولادة لم يكن له موضع. مع أنه من سلالة ملوكانية	كان كرشنه من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر (ديوان. صفحة Doane(٢٧٩	ويصلون نسب كوتوما بوذا من أبيه " صدودانا" في أناس كلهم من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا وهو على زعمهم أول ملك صار في الدنيا. والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب " بيورازا " البرهمي توجد في أنسابه كثير من الأسماء والحوادث غير أنه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية ادخلوا فيها أسماء قبائل واخترعوا أسماء تمكنهم من إعلاء نسب حكيمهم	كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه " ملك اليهود" ولكنه ولد في حال الذل والفقر بغار. فأضجعته في مزود بقر انظر (متى ٢: ٢، لوقا ٢: ٧) (ديوان. صفحة ٢٧٩ Doane ويقول دوان Doaneفي صفحة ٢٩١: "ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين كلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم أبي البشر. وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالته مذكورة في التوراة كتاب اليهود وليس بالامكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضاً ويظهر لنا أن

		عدا اعتبارهم إياه إلها" (ديوان.صفحة ٢٩١ Doane) لما نزل بوذا من مقعد الأرواح وحلّ في جسد العذراء مايا صار حملها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة.(بنصون، الملاك المسيح صفحة ٢٠ Bunsen (دوان. صفحة ٢٩٠ Doane	المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد بها إعلاء نسب حكيمهم علاوة على قولهم بألوهيته" انظر (متى ١: ١- ١٧، لوقا ٣: ٢٣- ٣٨) وقابل مع أخبار الأيام الأول ٣: ٥- ١٩) مع أن المسيح ينفي نسبه إلى داود (لوقا ٢٠: ٤١- ٤٢)
٦- لما وُلد كرشنه أضيء الغار وكذلك يسوع.	لما وُلد كرشنه أضيء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور مجد. (دوان. صفحة ٢٧٩ Doane		لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيى بلمعانه عينتي القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار (انجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢ العدد ١٣) لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة. (دوان. صفحة ٢٩٠ Doane بنصون صفحة ٢٠ Bunsen الكونت إمبرلي، تحليل العقائد الدينية، صفحة ٤٢٤ Amberly

٧- يكلم الناس في المهد	ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها. (تاريخ الهند/ المجلد الثاني/ صفحة ٣١١)	لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعاً (كتاب هردي المدعو العقائد البوذية صفحتي ١٤٥، ١٤٦)	وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل : "يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك وقد أتيت لأخلص العالم" (إنجيل الطفولة الإصحاح الأول العدد ٢،٣)
٨-عرفه الحكماء وآمنوا به وقدموا له هدايا.	وآمن الناس بكرشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب. (كتاب الديانة الشرقية صفحة ٥٠٠ وكتاب الديانات القديمة المجلد الثاني صفحة ٣٥٣)	وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حيّاه الناس ودعوه إله الآلهة وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة (دوان. صفحة ٢٩٠ Doane	وآمن الناس بيسوع المسيح واعترفوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر (متى ٢: ٢) وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر (إنجيل متى ٢: ١-١١)
٩- وباركه رجل بارتقي	وسمع نبي الهنود "نارد" بمولد الطفل الإلهي كرشنه فذهب وزاره في "كوكول" وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد. (تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧)	ولد بوذا بن العذراء مايا التي حلّ فيها الروح القدس يوم ٢٥ كانون الأول الذي صار يحتفل به من عام إلى عام يوم عيد الميلاد. (بنص صفحة ١٠ Bunsen	وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزيه إسرائيل والروح القدس كان عليه.. أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك..." (لوقا ٢: ٢٥- ٣٠)
١- الملك يريد	وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنه		وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي

الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنه" (دوان. صفحة ٢٨٠ Doane		وطلب قتله وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في تلك الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح (متى ٢: ١٦)
وسمع ناندا خطيب ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبي وأمه واهرب بهما إلى كاكول واقطع نهر جمنه لأن الملك طالب إهلاكه. (كتاب فشنوبورانا الفصل الثالث)		وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طلب اهلاكه (متى ٢: ١٣، ١٤) واسم المدينة التي هاجر إليها الطفل يسوع المسيح في مصر لماترك اليهودية هي المطرية ويقال أنه عمل فيها آيات وقوات عديدة. (المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين وكذلك كتاب سفاري المدعو الرحلات المصرية. المجلد الأول صفحة ١٣٩)
واسم المدينة التى ولد فيها كرشنه "مطرا" وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم		واسم المدينة التي تربى فيها يسوع المسيح " الناصرة" وفيها صنع معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل

	والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنه أنه ابن الله وأنه الله الى يومنا هذا. (تاريخ الهند المجلد الثانى صفحة ٣١٧ والتنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص٢٥٩)		(يوحنا ٢: ١- ١٧) (متى ٤: ٢٣- ٢٥)
١- ولادة يحيى قبل ولادة يسوع وولادة راما قبل ظهور كرشنه	كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنه فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى فاتشا ملك البلاد اهلاك القديس راما والقديس كرشنا أيضا(تاريخ الهند المجلد الثانى صفحة٣١٦)		وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس في اهلاك يوحنا كما سعى في اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح. (إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الأصحاح السادس) (إنجيل متى ١٤: ٣- ١٢، إنجيل يوحنا ١: ١٩- ٣٦).
١- يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبه (متى ٧: ٢٩) رشنا.. بوذا..	ربى كرشنه بين الرعاة ولما جيء به إلى مطرا كان فى احتياج عظيم للتعليم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى	لما أرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد ادهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة	أرسل يسوع المسيح وهو صبى عند المعلم داخوس كي يعلمه. فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل- ألف- فقال الرب يسوع أخبرني أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول الباء. فهدد المعلم يسوع

المسائل العلمية السنسكريتيه الدقيقة. (دوان صفحة ٢٨٠ Doane (تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٢١)	والعرافة. ولما صار عمره اثنى عشرة سنه دخل الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه. (هاردى.العقائد البوذية) (بنصون.الملاك المسيح ص٣٧)د (تاريخ الديانة البوذية صفحة٦٧-٦٩)	بالضرب. فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحية والحروف المثناه والتي لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب أى بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب. (إنجيل الطفولة ٢٠: ١-٨) (إنجيل لوقا ٢: ٤٦-٤٧) قال أستاذه داخيوس لأبيه يوسف "لقد أتيتني بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم" (أنجيل الطفولة ٢٠: ١١)
	لما عزم بوذا على السياحة قصد التعب والتنسك وظهر عليه - مارا - أي الشيطان كي يجربه،وقال مارا لبوذا لا تسرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبة أيام تصير ملك الدنيا.فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عني.ولما ترك مارا تجربة بوذا أمطرت	لما شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. فأجابه يسوع وقال اذهب ياشيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. ثم تركه الشيطان وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه. (متى ٤: ١٠، ١١، لوقا ٤:٨، ١٣- ١٥)

	السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه(دوان صفحة ٢٩٢) وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا. (بنص، كتاب الملاك المسيح صفحة ٤٥) (بل Beal تاريخ البوذية صفحة ١٧٧)	ويوحنا عمّد يسوع في نهر الأردن وكانت روح حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حلَّ بالعذراء مريم فهو الأب والإبن والروح القدس. (متى ٣: ١٣- ١٧)
وكان كرشنه خير الناس خُلقاً وخَلقاً وعلّم بالاخلاص ونصح. وهو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة وودرعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت. (موريس وليمس، دين الهنود صفحة ١٤٤)		كان يسوع خير الناس خلقاً وعلم بالإخلاص وغيره وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية مثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم ظهر لنا بالناسوت. (إنجيل يوحنا ١٣: ١-١١)
كرشنه هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت		يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسراره

بالناسوت (الحلول الإلهي على الإنسان)	سر من أسراره العجيبة الإلهية. كرشنه الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته.	.	العظيمة الإلهية. (ثيموثاوس أولى ٣: ١٦) يسوع المسيح الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى (فيلبي ٢: ٥- ١١، كولوسي ١: ١٥- ١٧)
١٩- التجلي	وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنا وأضاء وجهه كالشمس مجد العلى اجتمع في إله الآلهة. فأحنى أرجونا رأسه تذللاً ومهابة وتكتف تواضعاً وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وأني أرجو رحمتك يارب الأرباب فعد وأظهر على في ناستوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت. (موريس وليمس ، دين الهنود. صفحة ٢١٥)	ولما كان بوذا على الأرض في أواخر أيامه بدأت هيئته وهو إذ ذاك على جبل "بندافا" في "سيلان" ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل إكليل، ويقولون أن جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبدل في هيئته قالوا ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم. (بنص،الملاك المسيح صفحة ٤٥) (بيل، تاريخ البوذية صفحة ١٧٧) (دوان، صفحة ٢٩٣ Doane	وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئة قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج.. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قاعل هذا هو أبني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا. ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا. فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده. (إنجيل متى ١٧: ١- ٨) (إنجيل لوقا ٩: ٢٨- ٣٦)
٢٠- نور العلم	قال كرشنه "أنا النور الكائن في		" ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو نور العالم

	الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس فيّ ظلمة". Wiliam. Hinduism P.213		من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يوحنا ٨: ١٢)
٢١- الموت والصعود إلى السماء		لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي بقوة إلهية). وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض. (بنص، الملاك المسيح صفحة ٤٩) (دوان، صفحة ٢٩٣ Doabe	لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية أى بقوة إلهية. وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض. (إنجيل متى ٢٨: ١- ٧) (إنجيل لوقا ٢٤: ١- ١٢، ٢٤: ٥٠، ٥١) (أعمال الرسل ١: ١- ١٢)
٢٢- المجيء الثاني والدينونة		ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.وسيدين بوذا الأموات (دوان صفحة ٢٩٣ Doane	ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها. وسيدين يسوع الأموات.(متى ١٦ : ٢٧، ٢٨، يوحنا ٥: ٢٢، ٢٣)

يقول H.G. wells في كتابه " معالم تاريخ الإنسانية " ج٣ ص٢٠٠' " من الضروري أن نستلف نظر القاريء إلى الفروق العميقة بير سيحية نيقيا هذه التامة للتطور وبين تعاليم يسوع الناصري. فإر مسيحيين جميعاً يعتقدون أن الأولى تنطوي على الثانية وتحتويه حتواء تاماً. على أن هذه مسألة تخرج عن مجالنا فمن الواضح تمامه

أن تعاليم يسوع الناصري تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذي إبتداء بظهور الأنبياء العبرانيين. وهي لم تكن كهنوتيه. ولم يكن لها معبد مقدس حبساً عليها ولا هيكل. ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس وكان قربانها قلباً كسيراً خاشعاً وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعاظ وكان رأس ما لديها من عمل هو الموعظة بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين- وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأناجيل كنواة لها-كانت في صلبها (ديانة كهنوتيه) من طراز مألوف للناس من قبل منذ آلاف السنين وكان المذبح مركز طقوسها المنمقة والعمل الجوهرى فى العبادة فيها هو القربان بقربة قسيس متكرس للقداس. ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من الشمامسة والقساوسة والأساقفة. ولئن اتشحت المسيحية بأردية خارجية تشابه نحل (سيرابيس) أو (آمون) أو (بعل مردك) مشابهة غير عادية فلابد لنا من تذكر أنه حتى كهانتها نفسها كانت لها مظاهر جديدة بأعيانها. فأنها لم يكن لديها في أى مكان أى صورة مجسدة شبه قدسية للرب. ولم يكن هناك معبد رئيسي يحوى الرب. وذلك لأن الرب موجود في كل مكان ولم يكن هناك قدس أقداس. وكانت مذابحها المنبثة في كل مكان موجهة كلها إلى الثالوث العام الذي لا يرى. والمسيحية حتى في أقدم مظاهرها كانت تحوى شيئاً جديداً " ويقول في ص٧٠٩ ج٣ : " على أن ما اسهمت به نحلة الاسكندرية في الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدراً أو يكاد. إذ كان طبيعياً أن يجد المسيحيون في شخصية (حورس) شبيهاً مرشداً لهم فيما يبذلون من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا. وقد كان الأنتقال من هذا إلى المطابقة بين شخصية مريم وايزيس ثم السمو

أن دفنت التعاليم الثورية الأصلية بطريقة تكاد تكـون غير محسوسـة تحت تلك (الإضافات المألوفة) ويقول أ.د شارل جينيبير " ولعله من العسير أحيانـا أن نرجع فـي كل تـأكيد لونــا مــن ألــوان الطقـوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه. إلا أنه لا مجال للشك فـي أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا نجدهـا كاملـة فـي احتفالاتهـا وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع عندما دعت الضـرورة إلـى القضـاء علـى بعض التقـاليد القديمـة الصلبـة وكـانت سـلطة رجـال الكنيسـة تعمل علـى دعم ذلك الحق ألا وهو التصرف فـي القــوة السـحرية للطقوس التــي سـميت بــ" الأسـرار القدسـية" ص ١٦٠ المسيحية.

،

الباب الثالث

التناقض

نسب المسيح
دراسة نقدية للنصوص
طبيعة المسيح
عيسى ليس إله
عيد الفصح
روايات الآلآم
تأسيس القربان المقدس
صعود المسيح
الملائكة والشيطان
التناقض الإجمالي
الأبوكريفا
أسماء الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل
انجيل برنابا

يقول "MAURICE BUCAILLE" : يحتوي كل من الأناجيل الأربعة على عدد هام من الروايات التي تسرد أحداثاً قد تكون مذكورة في إنجيل واحد فقط أو في عدة أناجيل أو فيها كلها. فإذا كانت مذكورة في إنجيل واحد فقط. فإنها تطرح مشاكل هامة وعلى هذا ففي حالة ما يكون الحدث بعيد المرمى فإن القارىء يدهش أن مبشراً واحداً فقط قد ذكره؟! - دون الثلاثة الباقين- وعلى سبيل المثال صعود المسيح إلى السماء إلى يوم القيامة.

يضاف الى ذلك ان كثيراً من الاحداث مسرودة بشكل مختلف وأحياناً بشكل مختلف جداً لدى اثنين أو أكثر من المبشرين. وكثيراً ما يدهش المسيحيون عندما يكتشفون وجود هذه المتناقضات بين الأناجيل. فقد كرر على مسمعهم وبكثير من التأكيد أن كتاب الأناجيل كانوا شهودا معاينين للأحداث التي أخبروا بها. ولقد أشرنا في الفصول السابقة إلى بعض هذه الأمور غير المعقولة وهذه المتناقضات المثيرة للبلبلة ولكن ما يشكل بوجه خاص موضوع الروايات المتضاربة أو المتناقضة هو الأحداث الأخيرة التي طبعت حياة المسيح والتي تلت آلامه(١٠٤).

فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعه واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعني بها شجرة أنساب المسيح. وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا. وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض. غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة وتلك

التي لا يحتملها التصديق. وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله. ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية؟! وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها؟! أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص؟! أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على الكتب المقدسة؟!

إن ما يصدمنا حقاً في أيامنا هذه أن نرى المتخصصين في دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض مع الحقائق العلمية الثابته. أو يكشفون عن بعض نقاط الضعف ليحاولوا بعد ذلك التستر عليها مستعينين في ذلك ببهلوانيات جدلية.

وقدمنا في هذا الكتاب أمثلة لاستخدام بعض كبار المفسرين لصيغ براقة دفاعاً عن إنجيل متى ويوحنا ومدحاً لهما. وإن استخدام هذه الوسائل للتستر على تناقض أو على أمر بعيد التصديق مما يسمونه " صعوبة" "استحياء" قد كان ناجحاً في كثير من الأحيان. وهذا ما يفسر لنا كيف أن كثيراً من المسيحيين ظلوا يجهلون نقاط الضعف الخطيرة في كثير من المقاطع في العهد القديم وفي الأناجيل(١٠٥).

إن قراءة النصوص (الكاملة) للأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين. وهذه ملاحظة قريبة العهد فقد نشر في كتاب:" INITIATION AL' EVANGILE" للأب روجي " R.P. ROGUET" عام ١٩٧٣م وهو يلاحظ أن طلبات الشرح التي يبعث بها محدثوه الذين ينتمون إلى أوساط إجتماعية وثقافية شديدة التنوع. تنصب على نصوص يراها القراء (مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة (١٠٦). على حين اثبت المتخصصون أن هذه النصوص

قد أصابتها تعديلات كثيرة. ويتحدثون هنا وهناك عن بعض مصاعب التفسير ولكنهم يغضون النظر عن المتناقضات البينة التي تقفز إلى عيني من يتأمل. إن الأمور غير المعقولة أو المتناقضات أو الأخطاء الصارخة كثيراً ما تتجنب أو تخنق بحجج مديحية بارعة. وإنه لمما يروع القاريء هذا الحال من الأمور الذي يبين بجلاء الطابع الخداع لهذه التعليقات.

إن الاعتبارات المدروسة هنا ستدهش ولا شك القراء الذين لم يحيطوا علماً بعد بهذه المشكلات. ولذا وقبل أن ندخل في صميم الموضوع آمل أن أوضح غرضي من الآن وذلك بمثال يبدو لي أنه يبرهن تماماً على ما نقول: لا إنجيل متى ولا إنجيل يوحنا يتحدثان عن صعود المسيح. أما إنجيل لوقا فإنه يحدده بيوم القيامة في إنجيله. وبعد ٤٠ يوماً في أعمال الرسل (التي يقال إنه كاتبها).

أما فيما يخص مرقس فإنه يشير إليه دون تحديد تاريخه. وذلك في خاتمة إنجيله التي تعتبر حالياً غير صحيحة. وعلى ذلك فليس لصعود المسيح- مع أهميته البالغة- أى قاعدة كتابية متينة برغم ذلك فإن المعلقين يتعرضون لهذه المسألة الهامة بإستخفاف- غريب- لا يصدق.

مثلاً أ. تريكو A. TRICOT لا يكرس مقالاً عن الصعود في كتابه " المعاجم الصغيرة للعهد الجديد " طبعة كرامبون CRAMPON ، وهو كتاب واسع الانتشار (DESCLEE ET CIE,1960) ، أما طبعة " الاناجيل الاربعة المتوافقة " التي قام بها الأبوان " بينوا " و " بولمار " الاستاذان بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس طبعة ١٩٧٢م ج٢ ص ٤٥١- ٤٥٢. فإنها تعلمنا أن التناقض عند لوقا بين إنجيله وأعمال

الرسل يرجع إلى " حيلة أدبية " وليفهم من يفهم..

أما الأب روجي فإنه على ما يبدو لم يخضع لإغراء مثل هذه الحجة فيقول في كتابه " مقدمة إلى الإنجيل " طبعة ١٩٧٣م ص ١٨٧" إن المشكلة هنا كما في كثير من المشاكل المشابهة لا تبدو غير قابلة للحل إلا إذا أخذ المرء بحرفية دعاوي الكتاب المقدس ونسى دلالتها الدينية.

إن أهمية عبارة الأب روجي تكمن في إعترافه بوجود " حالات كثيرة مشابهة" لمسألة الصعود في الأناجيل واذن فيجب التعرض للمشكلة بشكل شامل ومن جذورها وبمنتهى الموضوعية- لا بالصيغ المديحية البارعة- بل بتوضيح التحريفات التي حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا. كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل بل قد تذهب في بعض الأحيان- إن لم يكن في كثير من الأحيان- إلى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التي أثبتها اليوم التقدم العلمي.

مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان في عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذي أصابها بعد ذلك (١٠٧) لقد كانت النتيجة الحتمية لذلك هو التناقضات التي نسوق أمثلة عليها:

نسب المسيح البيولوجي

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوي عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية وبالإتفاق مع المعطيات العلمية الحديثة. ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة وهي مشاكل تحرج جداً المعلقين المسيحيين. فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو نتاج للخيال الإنساني.

ولقد ألهم الخيال الإنساني كتاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن الثالث ق.م في موضوع إنسان البشر الأول. والخيال الإنساني ألهم لوقا ومتى بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكتابان من العهد القديم.

وها هي نصوص هذا النسب حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد:

نسب المسيح قبل داود

حسب إنجيل متى :

(متى لا يذكر أي اسم قبل إبراهيم) ١- إبراهيم ٢- إسحق ٣- يعقوب ٤- يهوذا ٥- فارص ٦- حصرون ٧- آدم ٨- عمينا داب ٩- نعشون ١٠- سليمان ١١- بوعز ١٢- عبيد ١٣- يسى ١٤- داود ١٥- سليمان ١٦- رحبعام ١٧- أبيا ١٨- أسا ١٩- بوشافاط ٢٠- بورام ٢١- عزيا ٢٢- بوتام ٢٣- أجاز ٢٤- حزقيا ٢٥- منسى ٢٦- أمون ٢٧- يوشيا ٢٨- يكنيا (النفي (النفي إلى بابل) ٢٩- شالتئيل ٣٠- زربابل ٣١- أبيهود ٣٢- أليلقيم ٣٣- عازور ٣٤- صادوق ٣٥- أكيم ٣٦- اليهود ٣٧- ألعازار ٣٨- متان ٣٩- يعقوب ٤٠- يوسف ٤١- عيسى

حسب إنجيل لوقا :

١- آدم ٢- شيث ٣- أندش ٤- قينان ٥- مهلئيل ٦- يارد ٧- أخنوخ ٨- متوشالح ٩- لامك ١٠- نوح ١١- سام ١٢- أرفكشاد ١٣- قينان ١٤- شالح ١٥- عابر ١٦- فالج ١٧- راعو ١٨- سروح ١٩- ناحور ٢٠- تارح ٢١- إبراهيم ٢٢- إسحاق ٢٣- يعقوب ٢٤- يهوذا ٢٥- فارص ٢٦- حصرون ٢٧- عرني ٢٨- أدمني ٢٩- عمينا داب ٣٠- نحشون ٣١- شالح ٣٢- برعز ٣٣- عوبيد ٣٤- يسى ٣٥-،داود ٣٦- ناثان ٣٧- متاثا ٣٨- منا ٣٩- مليا ٤٠- ألياقيم ٤١- يونان ٤٢- يوسف ٤٣- يهوذا ٤٤- شمعون

٤٥- لاوى ٤٦- متات ٤٧- يوريوم ٤٨- عازر ٤٩- بوسى ٥٠- عير ٥١- المودام ٥٢- قوسام ٥٣- آدى ٥٤- ملكى ٥٥- نيرى ٥٦- شالتئيل ٥٧- زربابل ٥٨- ريسا ٥٩- يوحنا ٦٠- يهوذا ٦١- يوسف ٦٢- شمعى ٦٣- متتيا ٦٤- مآت ٦٥- نجاى ٦٦- حسلى ٦٧- ناحوم ٦٨- عاموس ٦٩- متتيا ٧٠- يوسف ٧١- ينا ٧٢- ملكى ٧٣- لاوى ٧٤- متات ٧٥- عالى ٧٦- يوسف ٧٧- عيسى

بداية الأناجيل- كالقرآن الكريم- تعطينا نفس المعطيات عن أصول السيد المسيح البيولوجية. إن نمو المسيح في رحم أمه مريم قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات الحية. فالبويضة التي أنتجها مبيض المرأة (مريم) لم تحتج للإلتقاء بحيوان منوى يأتي من الرجل ليشكل جنيناً ثم طفلاً قابلاً للحياة.

إن الظاهرة التي تؤدي إلى ميلاد الكائن الحي دون تدخل من العنصر المخصب الذكري تسمى بالتلقيح الذاتي PARTHENOGENESE وبادىء ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالسيد المسيح عليه السلام. ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسباً وهو وحيد أمه مريم. وليس له أب بالمعنى البيولوجي فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة أمه عيسى بن مريم بنت عمرام العذراء. أما المسيح فهو حالة خاصة. فقد كانت مريم أماً عذراء وقد احتفظت بعذريتها ولم تلد أطفالاً غير المسيح عيسى بن مريم.

إن المسيح إستثناء بيولوجي (الأناجيل تذكر أحياناً إخوة وآخوات المسيح كما في إنجيل متى ٤٦/١٣- ٥٠ وفي ٥٤- ٥٨ وكما في إنجيل مرقس ١/٦- ٦ وكما في يوحنا ٣/٧ وفى ١٢/٢. والكلمتان اليونانيتان المستخدمتان للتعبير عن إخوة وآخوات هما ADELPHOI و

ADELPHAI وتعنيان بالفعل إخوة وآخوات بالمعنى البيولوجي النسبي الحقيقي– وهذه بالتأكيد ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامي وتعنيان أقرباء دون زيادة وربما كان المقصود أيضاً هو أولاد العمة أو أولاد الخالة) .

ويقول أ.د جون فنتون عميد كلية اللاهوت بإنجلترا في كتابه تفسير إنجيل متى ص٤٠ " ولقد ذكر كل من متى ولوقا تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف هو أبوه الشرعي والسبب في ذلك هو أن متى قد أعتقد بأن يسوع قد جاء من نسل داود في نفس الوقت حمل به من الروح القدس. وهو لذلك يبين لنا أن يوسف الذي تزوج مريم كان أبناً لداود (٢٠/١) وأن يسوع قد حبل به قبل أن يجتمعا (١٨/١) وبناء على هذا فقد اصبح يوسف هو الأب الشرعي ليسوع وكان يسوع بذلك أبناً لداود حمل به بمعجزة "

أ.د جورج بردفوردكيرد عميد كلية اللاهوت المتحدة بكندا في كتابه تفسير إنجيل لوقا ص ٣٠ "ان يوسف يشار له دائماً باعتباره أباً ليسوع وعن طريق يوسف إنحدر من داود.

لقد تعود اليهود دائماً على فكرة الأبوة الشرعية لذ أن التشريع المذكور فى سفر التثنية (٣٥/ ٥) والذى يجبر أخو المتوفى من غير ذرية على الزواج من أرملة أخيه كان يقضي بأن يرد النسب الشرعي للطفل إلى زوج أمه الأول بدلاً من نسبته إلى أبيه الحقيقي (وهو زوجها الثاني).

هذا الحكم يطبق فى الاحوال الاسرية المعادية ولكن حالة مريم كانت بالتأكيد حالة تختلف تماماً مما حدا بأحبار اليهود أن يقولوا بأن يسوع مولود من زانية– قبحهم الله ولعنهم– فقد كتب الربى شمعون

بن عزاى (R. Shimeon bnn Azzai) فــى (Norman geisler: Christian Apologetics, p. 325)

"لقد وجدت سجل مواليد بأورشليم مدوناً به:ان هذا الشخص نغل مولود من زانية" فيما يقول الربى اليعازر (Rabbi Eliezar) فى

(J.N.D. Anderson: Christianity: The witness of History, p. 21)

لقد تنبأ بلعام ورأى انه سيقوم رجل مولود من امراة ويحـاول أن يزعم نفسه الهاً ويجر العالم كله الى الضلال.. وسيحتال ويدعى أنـه يرحل ثم يعود فى النهاية"

ثم يضيف الاستاذ حسنى الاطير فى كتابه "سر مريم" صـ ١٢١ وقد عرض لهذه القصــة اوريجـانوس (origen) المؤلـف المسيحى العظيم المولود سنة ١٨٥م والمتوفى سنة ٢٥٤م فى كتابه "البحث الصحيح" رداً على الفيلسوف اليونـانى (كلسوس) الذى قـال ان مريم عندمـا حبلت به طردها النجار الذى كانت مخطوبة لـه لانهـا اتهمت بالزنـا وانها ولدت طفلاً لعسكر رومانى يدعى (بانتيرا) Panthera وان يسوع قد ولد فى قرية يهودية معروفة من امرأة فقيرة فى تلك البلاد كـانت تحصل على معيشـتها من الغزل وطردهـا زوجهـا النجـار لاتهامهـا بالزنا وبعـد أن طردهـا زوجهـا هـامت علـى وجهها وقتـاً مـا ولـدت يسوع فــى خزى وعـار وهو طفل غير شرعى واذا استؤجر فـى مصر كخادم بسبب فقره واذ حصل على قوة لاجراء المعجزات تلـك القوة التى يفتخر بها المصريون عاد الـى وطنـه منتفخـاً جداً بسببها وبواسطتها أعلن انه اله.. انه اخترع موضوع ميلاده من عذراء.



العنوان من الكتاب المقدس Bible بحسب الطبعة
رة عام ١٥٢١ م والمجلد الأول فيها يحتوي على

العصر الأول	العصر الثاني	العصر الثالث
١-إبراهيم	١-سليمان (من	١'-شألتئيل
٢-إسحق	التي لأوريا) (١)	٢- زربابل
٣-يعقوب	٢- رحبعام	٣- أبيهود
٤-يهوذا (١) (ولد)	٣- أبيا	٤- الياقيم
٥-فارص (٢)	٤- آسا	٥- عازور
(وزارح من ثامار	٥- يهوشافاط	٦- صادوق
(١)	٦- يورام	٧- أخاين
٦-حصرون	٧- عُزيا	٨- اليود
٧-أرام	٨-يونام	٩- أليعازر
٨-عمينا داب	١-أحاز	١٠- متان
٩-نحشون	٢-حزقيا	١١- يعقوب (ولد)
١٠-سلمون(ولد)	٣- منسيّ	١٢- يوسف (رجل
١١-بوعز(من-	٤-آمون	مريم التي ولد منها)
راحاب) (٣)	٥- يوشيا(ولد)	١٣- يسوع (الذي
١٢-عوبيد	٦- يكنيا(وأخوته	يدعى المسيح)
(من-راعوث)(٢٥)	عند سبي بابل)	١٤-..........
١٣-يسيّ		
١٤- داود (ولد) (١)		

(١) من الزناة(٢) ابن زنا(٣) مومس

يرى القارىء هنا شجرتي نسب المسيح. والنقطة الجوهرية المشتركة بين النسب حسب متى والنسب حسب لوقا هي المرور بـ " إبراهيم" و"داود" ولتيسير هذه الدراسة سنتصدى للنقد بتقسيم المجموع إلى ثلاثة أجزاء:

١–الفترة من آدم إلى إبراهيم

بما أن متى يبدأ نسب المسيح بإبراهيم فالأمر هنا لا يخصه. أما لوقا فقط هو الذي يعطي معلومات عن أسلاف إبراهيم إلى آدم وهو يعطي ٢٠ أسماً يوجد منها ١٩ أسم في سفر التكوين الاصحاحات ٤– ٥– ١٠ أيمكن تصور أنه لم يكن هناك إلا ٢٠ أو ١٩ جيلاً من الأجيال البشرية كانت موجودة قبل إبراهيم ؟!. شخصياً أعتقد عن طيب خاطر أن المسيح قد أستطاع أن يشفي الأبرص ولكني لا أستطيع أنه أقبل بأن يقال بصحة وبإلهام الله لنص أقرأ فيه أن عشرين فقط من الأجيال قد عاشت بين آدم أول إنسان وبين إبراهيم؟! فإذا رجع القارىء إلى جدول أنسال ذرية آدم حسب نص سفر التكوين ٤– ٥– ١١ والذي يحتوي على الإحداثيات الحسابية الزمنية التي يمكن إستنتاجها من نص التوراة فستجد أنه قد مرحوالي ١٩ قرناً فيما بين ظهور الإنسان على الأرض وميلاد إبراهيم.

ولكن لما كان المتخصصون يقدرون حالياً أن إبراهيم كان يعيش في عام ١٨٥٠ ق.م تقريباً فإننا نستنتج أن الإحداثيات التي يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالى ٣٨ قرناً قبل المسيح وبالطبع فقد أسلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله. ولأنه نقل هذه المعطيات فقدوهم.

وعلى هذا فإن تكوين معطيات العهد القديم غير مقبولة في عصرنا كذلك أمر يمكن تبريره حيث أن هذه المعطيات تقع في ميدان " البطلان " الذي تحدث عنه مجمع الفاتيكان الثاني أما أن يأخذ المبشرون على عاتقهم بنفس هذه المعطيات الباطلة التي لا تتواءم مع العلم؟ فذلك تقرير بالغ الجسامة ويتعارض مع الذين يدافعون عن الصحة التاريخية للنصوص الإنجيلية.

لقد أدرك المعلقون جيداً خطورة هذا التقرير. وهم يحاولون تجنب هذه الصعوبة بقولهم أنهم ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها وأن المبشرين قد أسقطوا أسماء عن عمد وأن ما يجب أن يدخل في الحسبان هو فقد نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح بالإعتماد عل الواقع التاريخي وليس في النصوص ما يسمح بإقامة مثل هذا الغرض. فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلاناً قد ولد فلاناً وأن هذا أبن ذلك. وزيادة على ذلك وبالنسبة لما يسبق إبراهيم على وجه خاص فقد نهل المبشر من العهد القديم الذي يعرض الأنساب على الوجه التالي: (س) في سن كذا أنجب (ص).. وعاش (ص) كماً من الأعوام وأنجب (ع).. إذا ليس هناك أنقطاع في التسلسل. وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول في ضوء المعارف الحديثة.

٢–الفترة من إبراهيم إلى داود

هنا تتفق شجرتا النسب أو تكادان بفرق يبلغ أسماً أو أسمين وقد يمكن توسيع هذا الفرق بأخطاء للنساخ غير إرادية. ولكن هل إحتمال الصدق هنا في جانب المبشرين؟! أن التاريخ يحدد عصر داود حول

عام ١٠٠٠ قبل الميلاد وعصر إبراهيم تقريباً ١٨٥٠- ١٨٠٠ ق.م أي ١٤ أو ١٦ جيلاً لثمانية قرون تقريباً.. هل هذا معقول؟! لنقل إذا تساهلاً أن النصوص الإنجيلية فيما يختص بتلك الفترة تقع على حدود الأمور المقبولة نسبياً.

٣-الفترة من بعد داود إلى عيسى

للأسف لا تتفق النصوص بتاتاً في تحديد السلف الداودي ليوسف النجار أى أسلاف المسيح في الإنجيل(يقول متى وداود الملك ولد سليمان وسليمان ولد رحبعام) فيما (يقول لوقا مينان بن متاثا بن ناثان بن داود) ولنضع جانباً التزييف الصريح في الوثيقة المعروفة بأسم " CODEX BEZAE CABNTABRIGIENSIS" وفيما يختص بلوقا ولنقارن بين ما تأتينا الوثيقتان الأكثر تمتعاً بالإحترام وهما الـ CODEX VATICANUSوالـ CODEX SINAITICUS

أ-تحتوي شجرة نسب المسيح عند لوقا على ١٤٢ أسماً بعد داود (رقم ٣٥) وحتى المسيح (رقم ٧٧).

أما إنجيل متى فيشير إلى ٢٧ أسماً بعد داود (رقم ١٤) وحتى المسيح (رقم ٤١) . إذا عدد أسلاف المسيح الإعتباريين بعد داود مختلف في الإنجيلين.

ج- يضاف إلى ذلك أن الأسماء مختلفة ولكن هناك أكثر من ذلك: يقول لنا متى أنه قد أكتشف أن أسلاف المسيح ينقسمون إبتداء من إبراهيم إلى ثلاثة مجموعات يحتوي كل منها على ١٤ أسماً المجموعة الأولى من إبراهيم إلى داود، المجموعة الثانية من داود إلى المنفى ببابل، المجموعة الثلاثة من المنفى إلى بابل حتى المسيح عيسى. ويحتوى نص متى فعلاً على ١٤ أسماً في كل من

المجموعتين الأولين ولكن المجموعة الثالثة لا تحتوي إلا على ١٣ أسما وليس ١٤ أسماً فالجدول يشير إلى أن رقم شالتئيل ٢٩ والمسيح رقم ٤١ وليست هناك أية نسخة مختلفة أخرىٰ لمتى تحتوي على ١٤ أسما في هذه المجموعة.

وحتى ينجح متى في إدخال ١٤ أسماً في مجموعته الثانية فإنه يتصرف بحرية شديدة مع نص العهد القديم. وتتفق أسماء الأسلاف الستة الأولى لداود (من ١٥ إلى ٢٠) مع معطيات العهد القديم. ولكن متى يغفل أنسال يورلم (رقم ٢٠) الذين تقول لنا عنهم أخبار الأيام الثاني أنهم أخاذياس ويواس وأماسيا. ويضاف إلى ذلك أن يكنيا (رقم ٢٨) هو أبن يوشيا (رقم ٢٧) على حين يقول لنا كتاب الملوك الثاني أنه الياقيم ومكانه واقع بين يوشيا ويكنيا. بهذا يثبت أن متى قد عدل في تسلسل النسب في العهد القديم لكي يقدم مجموعة مصطنعة من ١٤ أسماً بين داود والنفي إلى بابل.

أما أن ينقص المجموعة الثالثة أسم حيث أنه ليس هناك أى نص حالي لهذا الإنجيل يحتوي على الـ٤٢ أسماً المشار أياها ،فالدهشة لا ترجع إلى وجود الثغرة نفسها بقدر ما ترجع إلى الصمت شبه التام للمعلقين على هذا الموضوع. فكيف لا يرون الثغرة؟!

لقد قطع (و. ترلنج) W. TRILING هذا الصمت الورع في كتابه (إنجيل متى) بسطر واحد. لكن الأمر بعيد كل البعد عن أن يكون معدوم الأهمية فالمعلقون على هذا الإنجيل بما في ذلك المعلقون على الترجمة المسكونية وآخرون مثل الكاردينال دانيلو DANIELOU يكشفون عن الأهمية الكبرى لرمز العدد ١٤ مضروباً في ٣ عند متى. أفلم يحذف المبشر دون تردد أسماء جاءت في العهد القديم لكي

يوفق في برهنته الحسابية؟

هذا لا يهم فقد أقام المعلقون بناء على المديح والتبرير بعلل إسقاط الأسماء ويتجنب الثغرة وبذلك ينهار ما أراد المبشر إثباته.

ويضيف صاحب إظهار الحق ج١ ص ١٣٢ " الآية ١٧الاصحاح الأول متى هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٦٠ م (مجمع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً) ويعلم منها أن بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاث أقسام وكل قسم منها مشتمل على أربعة عشر جيلاً. وهو غلط صريح لأن القسم الأول يتم على داود وإذا كان داود عليه السلام داخلاً في هذا القسم يكون خارجاً من القسم الثاني لا محاله. ويبتدىء القسم الثاني لا محالة من سليمان (حسب متى أو ناثان حسب لوقا) ويتم على يكنيا (رقم ٢٨). وإذا دخل يكنيا في هذا القسم كان خارجاً من القسم الثالث لا محاله. ويبتدىء القسم الثالث من شالتئيل لا محاله ويتم على المسيح عيسى وفي هذا القسم لا يوجد إلا ثلاثة عشر جيلاً واعترض عليه سلفاً وخلفاً وكان (بورفرى) اعترض عليه في القرن الثالث الميلادي وللعلماء المسيحيين إعتذارات باردة غير قابلة للإلتفات. ولعل هذا ما دعا الأسقف (نورتون) أن يقول أن الاصحاحين ١و٢ من إنجيل متى ليسا منه.

إختلاف الأناجيل عن العهد القديم في الأنساب

١-إنجيل متى : لقد زال نسب المسيح من النص المعروف باسم: CODEX BEZAE CANTABRIGINENSIS وهي مخطوطة هامة جداً يرجع إلى القرن السادس الميلادي مزدوجة اللغة (يونانية- لاتينية)

وقد أختفى النص اليوناني تماماً وأختفت غالبية النص اللاتيني. وفيما يخص الجزء الضائع ربما الذي حدث هو مجرد ضياع الأوراق الأولى فقط. ولابد من الإشارة إلى الحرية الكبيرة جداً التي أتخذها متى إزاء العهد القديم. فقد حزف الأنساب منه لأحتياجات تختص ببرهنة حسابية غريبة. وفي نهاية الأمر لا يعطي متى هذا البرهان.

٢-إنجيل لوقا :

أ-قبل إبراهيم: يذكر لوقا ٢٠ أسماً.

أما العهد الجديد فهو لا يذكر إلا ١٩ أسماً فقط. وقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد (رقم ١٢) رجلاً يدعى كاينام (رقم ١٣) لا نجد له أى أثر في سفر التكوين بإعتباره ابن أرفكشاد.

ب-من إبراهيم إلى داود نجد عددا يتراوح بين ١٤ و١٦ أسماً وذلك حسب المخطوطات.

ج- من داود إلى المسيح: ونقطة الإختلاف الهامة هي التي توجد في النسخة المعروفة باسم CODEX BEZAE CANYABRIGIENSIS الذي ينسب إلى لوقا شجرة نسب وهمية صنعت من النسب عند متى والتي أضاف الناسخ إليها ٥ أسماء. ومما يؤسف له أن الجزء الخاص بنسب المسيح من هذه المخطوطات قد أختفى وبهذا لم تعد المقارنة ممكنة(١١٠).

لا شك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافيء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى.

قصة حياة راعوث (جدة يسوع المسيح)

يقول المؤرخ ليوتكسل: القصة التوراتية التي تستنزل منا دموع

البهجة وسوف نبدأ رواياتها وقلبنا ملؤه الحنان والعطف فبعد أن عدت نعمى أرملة فقدت ولديها المتزوجين امرأتين موآبيتين، وقد أذعنت أحداهما لمحاولات حماتها وعادت إلى شعبها بينما أعلنت الثانية لحماتها قائلة، حيثما ذهبت أذهب وحيثما نتّ أبيت وشعبك شعبي وإلهك إلهي " راعوث ١: ١٦ ".

لقد كان الفقر ينهش الحماه وكنتها فاليوم السعيد في حياتهما هو اليوم الذي تلتقيطان فيه بعضاً من سنابل القمح في حقل محصود. وحدث مرة أن كانت راعوث تجمع السنابل في حقل رجل بوعوز وهو من عشيرة اليملك. ومع أن القانون كان يبيح للرجل طرد راعوث من حقله الا أنه لم يفعل، وليس هذا وحسب بل قال لها لقد أمرت غلماني ألا يتعرضوا لك وإذا عطشتي فاذهبي إلى الأوعية واشربي مما أستقاه الغلمان. فخرت بوجهها وسجدت إلى الأرض وقالت لهم قد حظيت عندك يا سيدي لأنك عزيتني ولاطفت قلب أمتك وأنا لست كأحدى جواريك.

بعد هذا الحديث تكرم بوعوز الغنى ودعاها إلى تناول طعام الغداء مع خدمه قائلاً، كلي من الخبز وأغمسي لقمتك بالخل.. فأكلت وشبعت وأستبقت ما فضل عنها.

وبعد أن علمت نعمى أين جمعت راعوث السنابل وتناولت طعام الغداء الذي أتتها بما تبقى منه، ضربت كفاً بكف وقالت أن الرجل ذو قرابه لنا وهو من أوليائنا. ثم لمعت في ذهن العجوز فكرة حسنة: لماذا لا تتزوج كنتها هذا البوعوز الثري؟ وقالت لها نعمى والآن فإن بوعوز الذي كنت مع فتياته هو ذو قرابة لنا وها هو يذري الشعير في البيدر هذه الليلة. فأغتسلي وتطيبي والبسي ثيابك وانزلي إلى

البيدر ولا تظهري له حتى يفرغ من الأكل والشرب فإذا رقد عاينى الموضع الذي يرقد فيه، وادخلي واكشفي جهة رجليه واضجعي إنه يخبرك بما ينبغي أن تصنعي. فقالت لها: كل ما قلت لي أصنعه. ونزلت إلى البيدر وفعلت كل ما أمرتها حماتها. فأكل بوعوز وشرب وطابت نفسه فجاء ليضجع عند طرف العرمة فدخلت إليه وكشفت رجليه واضجعت وكان عند أنتصاف الليل أن الرجل قلق والتفت فإذا بامرأة مضجعه عند رجليه فقال: من أنت؟ فقالت أنا راعوث أمتك فابسط ذيل ثوبك على أماك لأنك ولي. فقال مباركة أنت من الرب يابنية لأن رحمتك الأخيرة خير من الأولى إذ لم تطلبي الشبان فقراء كانوا أم أغنياء. والآن لا تخافي يا بنيه ومهما قلت فإني أفعله لكي، فقد علم كل من في باب شعبي أنك أمرأة فاضلة.

ولكن بوعوز أراد الألتزام بتعاليم التوراة في مسألة زواجه من راعوث الأرملة، فذكر بأن لها ولياً آخر أقرب إليها منه وعليه فيجب أن يطرح الأمر عليه ليتفق معه، ولكن ذلك الرجل رفض أن يتزوج المؤآبية عندئذ دعا بوعوز الشعب وأعلن أمامه أنه يتخذ راعوث زوجة له. ودخل عليها فرزقها الرب حبلاً وولدت أبناً لنعمى: تبارك الرب الذي لم يعدمك اليوم ولياً يذكر أسمه في إسرائيل ويكون لك جبر قلب وعولاً لشيبتك لأن كنتك التي أحبتك قد ولدته وهي خير لك من سبعة بنين. فأخذت نعمى الصبى وجعلته في حجرها وحضنته، وسمته الجارات باسم قائلات: قد ولد لنعمى أبن ودعونه (عوبيد) وهو أبو يسى أبى داود (٤: ١٣-١٧).

تلك هي قصة راعوث التوراتية المثالية ونعمى زين الحموات وينبغي علينا أيضاً أن نؤدي الواجب أمام بوعوز ذى القلب الكبير

الذي ما جاءت إليه راعوث حتى أذن لها أن تأكل مع خادماته وتغمس الخبز بالخل كي لا تتأذى حنجرتها.

أما ما يثير تساؤل النقاد فهو سلوك بوعوز التالي: لماذا يقضي ذلك الرجل الغني ليلته في العراء على بيدر القمح وكأنه عامل فقير؟ والأكثر غرابة هو أن نستطيع راعوث الإضجاع إلى جانبه خفيه كما يقول لنا مؤلف هذه" القصة المقدسة ".

فهم يرون سمات سلوك غريب في فيما رأه مؤلف القصة أمراً عادياً عندما أرغم أمرأة شابة أن ترتكب فاحشة دون أن تشعر بأى درجة من دراجات الخجل. ويقولون أيضاً إذا كان ينبغي على بوعوز أن يتزوج راعوث لأنهه قريب زوجها، ألم يكن على نعمى التي تقوم مقام والدتها أن تزوجها له بطريقة شريفة؟

ألم يكن من واجبها الا تدفع كنتها إلى سلوك لا يليق بامرأة شريفة؟ أضف إلى هذا أنه كان يجب على نعمى نفسها أن تعرف أن لها قريباً آحر أحق من بوعوز بالزواج من راعوث (كما تقول الشريعة). ومن المعروف أن الكنيسة المسيحية تعيد نسب يسوع المسيح إلى داود أبن يسى أبن عبيد (ابن راعوث). وبهذا نقع مرة أخرى على البغاء وسفاح القربى في سلسلة نسب من أختاره يهوه ليكون تجسيداً له على الأرض فقد خرج بوعوز من نسل فارص الذي ولدته ثامر ليهوذا، عندما تظاهرت بأنها عاهرة وأغرت حماها يهوذا والد زوجيها المتوفيين، أضف إلى عراقة هذا النسل أن بوعوز نفسه هو أبن سلمون من راحاب قحبة أريحا الشهيرة. أما راعوث فهي موآبية أى أنها تنتسب إلى قبيلة التي نشأت (بكاملها) نتيجة مضاجعة لوط لأبنته الكبرى.

هؤلاء هم أجداد سيدنا يسوع المسيح البررة المحترمون! وهذا هو الدم " الطاهر" ليهوه الذي تجسد إنساناً.

ولكن ما يثير الفضول في هذه القصة أن "الحمامه" لم تلاحظ وهي تلقنها لمؤلفها بأن الكذب الفظ يطل من زواياها كلها. فبين سلمون زوج راحاب العاهرة ويسى وداود هناك بوعوز وعبيد فقط.

ولكن راحاب وسلمون من معاصري يوشع ابن نون خليفة موسى. فقد تزوجت راحاب سلمون بعد سقوط أريحا بيد اليهود. ومن ناحية أخرى عاش عوبيد مع عالي الكاهن الأكبر. وكان صموئيل خليفة عالى معاصراً ليسى أبو داود. وصموئيل هو آخر قضاة إسرائيل وهو الذي مسح شاول أول ملك على إسرائيل ثم عزلهومسح داود ملكاً.

وهكذا يتبن لنا أن التسلسل التاريخي في كتاب راعوث يتناقض تناقضاً حاداً مع مثيله في كتابي يشوع ابن نون والقضاة لأنه لا يمكن من الناحية الفيزيائية أن يعاصر أى فرد كل تلك الكوارث والحروب وفترات العبودية وعصور الاستقلال التي امتدت ٤٥٠ عاماً. وهي المساحة التاريخية التي تغطيها الكتب الثلاثة المذكورة. وليس معقولاً من الناحية الفيزيائية البحته أن يكون سلمون وبوعوز قد عاشا في زمن يشوع وزمن راعوث. أى في بداية العصر وفي نهايته.

(أنظر ليوتاكسل في كتابه التوراة ص٢٥٥– ٢٥٩)

طبيعة المسيح

نسب متّى المسيح الي يوسف بن يعقوب!!

ونسب لوقا الي العذراء مريم. وقال إن يوسف ابن هالي والد

مريم و أطلق علي يوسف اسم والد زوجتة ونسب المسيح إلي آدم فالله (١١٢) ثم يذكر متي (١٨/١) ولوقا (١/٣٤-٣٨) "ولد يسوع من العذراء مريم من غير مضاجعة رجل".

بعيداً عن ملاحظات المعلقين والنقاد علي هذه المسئلة. وتفنيذ آراء العلماء حولها.. أقول: هل السيد المسيح عليه ا لسلام ولد من السيدة مريم بطريقة طبيعية كسائر المخلوقات؟!

أم ولد بطريقة إعجازية كما لم يخلق أحد غيره بها؟!

فإن كان مولدة بطريقة بيولوجية طبيعية من أب معروف هو يوسف رجل مريم الجليلي وأم معروفة هي مريم زوجة يوسف بن يعقوب أو ابن هالي! فالنسب اليسوعي حسب متي أو لوقا يحدثنا عن طفل يهودي الجنسية جليلي الموطن من سلالة طيبة لا علاقة للموضوع به ولا يعنينا في شيء.

وإن كان مولده بطريقة إعجازية غير مسبوقة- بعد آدم- بكلمة الله الازلية القديمة "كن" فكان عيسي من العذراء الطاهر البتول مريم. فالنسب حسب متي أو لوقا ضرب من الحشو يجر ضرراً ولا يقدم نفعاً!! نحن في حل من مناقشة تناقضاته فضلا عن ثغراته الصارخة كما وصفها المعلقون والنقاد.

يقول هـ . ج. ولز "سنري من فورنا كيف مزق الشقاق حول مسألة الثالوث فيما بعد العالم المسيحي بأسره. وليس هناك من دليل واضح علي أن حواريي المسيح اعتنقوا ذلك المبدأ. كذلك لا يبرز هو دعواه انه "المسيح" ولا يضفي علي اشراكه مع الله في الربوبية أي ثوب بارز ربما أحسسنا انه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان

يراه أمراً في الدرجة الاولي من الأهمية.

ومن أشد ما يحير اللب قوله.

"حينئذ أوصي تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح" ! فمن العسير أن يفهم الانسان السر في هذا المنع (١١٣). وعندما صرح بولس واتباعه الأخرون بأنة اكثر من انسان وانه إله- كما جاء في غلاطية ٤/٤ "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة" وفي اتيموثاوس ١٦/٣" "وبالاجماع عظيم هو سر التقوي الله ظهر في الجسد" وفي يوحنا١٤/١ "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجد كما لوحيد من الآب- فإنهم أخطأوا أم أصابوا قد فتحوا ميداناً من الجدل. فهل كان يسوع رباً؟! أم أن الرب خلقه؟! هل هو والرب سواء؟! أو هو منفصل عن الرب؟!

وليس من مهمة المؤرخ أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة . بيد أنه مضطر أن يدونها. وأن يلحظ كم هي أسئلة لم يكن منها بد. بسبب ذلك السلطان الهائل الذي كان لها علي كل ماتلا ذلك من حياة البشرية في بلاد الغرب.

حتي اذا وافي القرن الرابع من الحقبة المسيحية. وجدنا المجتمعات المسيحية بأسرها في حالة من الهياج والسخط بسبب الجدال الملتوي الخداع حول طبيعة الله بحيث أهملت بدرجة كبيرة التعاليم الاكثر بساطة. تعاليم الاحسان و الأخوة والخدمة التي طبعها يسوع في العقول مراراً وتكراراً.

وأهم الآراء التي ينبغي أن يلحظها المؤرخ هي آراء الأريوسيه (ARIANS) والسابيلية أتباع سابيليوس(SABELLIANS) والثالوثية(TIRINITARIANS) وكانت الأريوسية تتبع آريوس الذي كان

يعلم أن المسيح كان اقل من إله وكان السابيلية يعلمون انه حالة أو اقتنوم للإله فا لإله هو الخالق والمخلص والمواس. كما يكون للرجل الواحد أباً وقيماً وضيفاً. أم الثالوثية الذين كان إثناسيوس زعيمهم الأكبر فقالوالإن الآب والإبن والروح القدس اقانيم ثلاثة مميزة. بيد أنها لإلة واحد. وإنا لنرجع القارىء إلي عقيدة اثناسيوس يطلب عندها التعبير الدقيق عن السر الأخير. ويطلب فيها النتائج المزعجة التي ستحل به إن فاتة فهمها أو الايمان بها.

ويجب علية أن يرجع إلي إدورد جيبون إن شاء بياناً عن هذه الخصومات ملوه السخرية والتهكم. علي أن الكاتب الحالي- ولز- لايسعه إلا أن يعالجها دون أدني رهبة ولا سخرية. وهو يري من واجبه أن يعترف أنها تبدو له كأنما هي غليان مدمر تهدر مراجله في العقل البشري وتفيض منة الكوارث الوبيلة وانها لا تتسق بتاتاً مع تعاليم يسوع البسيطة الصريحة المحفوظة لنا في الاناجيل.

ولم يعد اعتناق المذهب التقليدي السليم (الارثوذكسي) شرطاً لازماً للحصول علي الوظيفة المسيحية فحسب. بل لمزاولة التجارة بين المسيحيين. والحصول علي المعونة المسيحية كذلك. فإن التمسك بنقطة صغيرة من نقاط المباديء الدينية أو التزحزح عنها قد يكون معناه ثراء الرجل أو فقره. ومن العسير أن يقرأ الانسان الكتابات الباقية من ذلك الزمان. دون أن يشعر شعوراً قوياً بتحكم الاتجاه الاعتقادي (DOGMATISLM) وباستبداد الاحقاد والمنافسات والتفيهقات بالرجال الذين مزقوا المسيحية إرباً من أجل هذة التفصيلات اللاهوتية الدقيقة. ومعظم المجادلين. إذ أن أهم ما تبقي من الوثائق هو وثائق مذهب الثالوثية فقط دون غيرهم- يتهمون خصومهم بأن

لهم دوافع دنيئة أخـري خفيـة بيد أنهم يفعلـون ذلـك بطريقـة تفضـح روحهم الوضيعة في جلاء تام. مثال ذلك أنهم يتهمـون آريـوس بأنـه يعتنق الإحاد (الهرطقة) لانه لم يعين اسقفا علي الاسكندرية. وكـانت الفتن والحرمانات من عضوية الكنيسة والنفي تلازم علي الدوام هـذه الخصومات.

ثـم جـاء دور الاضطهـاد الرسمي آخر الأمـر إذ اختلطـت هـذه الفروق الدقيقـة حـول طبيعـة تكويـن الإلـه بالسياسـة والمنازعـات الدولية(١١٤)".

تقول دائرة المعارف الامريكية ح٢٧ ص٢٩٤ : " لقد بدأت عقيدة التوحيد- كحركة لاهوتية- بداية مبكرة جداً في التـاريخ وفـي حقيقـة الأمـر فانهـا تسبق عقيـدة التثليث بـأكثر مـن عشرات السنين- لقـد اشتقت المسيحية من اليهودية واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد.

ان الطريق الذي سـار مـن أورشليم- إلـي نيقيـة كـان مـن النـادر القول بأنه كان طريقا مستقيماً.

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميـلادي لـم تعكـس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يختص الطبيعة الله لقـد كـانت علـي العكس من ذلك انحرافاً عن هـذا التعليم ولهـذا فأنهـا تطـورت ضـد التوحيد الخالص أو علي الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضـة لمـا هو ضد التثليث.

كما أن انتصارها لم يكن كاملاً.

ويقـول أرنولـد توينبـي فـي كتابـه تـاريخ البشـرية ج٢ ص٥٩٠- ٥٦١ "إن اقدم ما وصـل إلينـا مـن أخبـار يسـوع هـي الاعمـال التـي دونها أتباعه المتحمسون الذين كانوا قد قبلوا العقيدة بـأن يسـوع مثل

الفراعنة لم يكن لة أب إنسان بل إنة ولد لأمة من آلة. وفي حالة يسوع لم يكن الأله رع المصري بل الله كان واسطة الله وروحه ذلك بأن صفات الله مثل (أهورامزادا). قد أصبحت آلهة صغيرة كل منها لها شخصيتها الخاصة بها وذلك لتخفيض التزمت الروحي للتوحيد. وبحسب ماورد في الكتب المقدسة المسيحية فقد رفض يسوع نفسه فكرة الإلهية بالنسبة إليه في أي معني كانت. وعلي الاقل في قولين لة مدونين يرمي يسوع الي القول بأنه لا يستوي مع الله في الهوية- كما في يوحنا ٣٩/٨ "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وانا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله" وفي ٣/١٧ "أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"

إلا انه يمكن أن يكون آلها بالمعني الهندوكي (رباني) في كونه إنساناً قضي نهائياً علي ذاته EGO. ومن ثم نزع جانباً النقاب الذي يغطي- في أكثر الرجال- الحقيقة الروحية المطلقة القائمة في الداخل وبالنسبة الي المدرسة اللاثنائية في الفكر الهندي تكون هذه الحقيقة المطلقة أساساً لجميع المظاهر.

وهي تشع أنوارها بالشكل والحين حينما ينزع هذا النقاب المعيق الذي يدور حول التمركز النفسي الفردي. ولعل هذه الرؤية المباشرة للحقيقة الروحية المطلقة عبر يسوع (١١٥) ثم يقول" لما وضعت الاناجيل الأول (متي) والثالث (لوقا) والرابع (يوحنا) كان ثمة جماعة من المسيحين يعتقدون بألوهية المسيح وبموجب ما جاء في الانجليين الأول والثالث لم يكن للمسيح أب فقد حملت به أمه البشرية بروح الله. وبموجب الانجيل الرابع فالمسيح هو كلمة الله المتجسدة.

وقد كان اليهود قد توصلوا في هذا الوقت الي اضفاء نوع من

الاستقلال علي "كلمة الله" و "روح الله" وهو وضع شبيه بما أضفته الزرادشتيه علي مظاهر (اهورامزاد) المنوعة. إلا أن هذا كان الحد الأخير لما يمكن أن تقبل بـه اليهوديـة مـن التقليـل لوحـدة اللـه ووحدانيتة. ولم يكن باستطاعة المسيحين– ولا هم رغبـوا فـي ذلـك– أن يديروا ظهورهم للتوحيد الذي ورثوه من اليهودية. لكن انـي كـان لهم أن يوفقوا بين التوحيد وبين اعتقـادهم بـأن المسيح واللـه كانـا إلهين.لقد نص على أن المسيح تحدث عن نفسه على أنـه " ابـن اللـه" ويمكن تفسير الانجيل الثاني (مرقس) مجازا بحيث يفهم منه أن اللـه أعلن للمسيح أنه اعتبره ابنه بالتبني. إلا أن الاناجيل الثلاثة الأخـرى كانت تتضمن أن المسيح هو ابن الله بالمعنى الحرفى للكلمـة. أى أن الابوة كانت على نحو ما كانت عليـه الحـال بالنسبة للفراعنـة (منـذ زمن الاسرة الخامسة) من حيث إضفاء الابوة الإلهيـة. وسـواء أكـان المسيح إلهاً في واحد من هذين المعنيين المحتملين أو الآخر. فـالأمر الذي لاشبةهة فيه هو أنه كان بشراص سوياً. وإذاً. فإذا كان ابن اللـه بالمعنى الحرفى. فهذه الحقيقـة أشارت قضايـا: الأولـى علاقـة الأبـن بلأب؟!

الثانية العلاقة بين الطبيعتين الإلهية والبشرية للأبن نفسه!

الثالثة هى منزلة أم المسيح مريم العذراء!

فقد كانت بشراً ولم تكن إلهة ! فهل من الممكـن أن يطلـق عليهـا اسم " أم اللـه " (ثيوتوكـوس) بإعتبـار الطبيعـة الإلهيـة لأبنهـا ؟! واللاهوتين المسيحيون لما سـألوا أنفسـهم هذه الأسئلة كـانوا ينقلـون " الكلمات " إلى آفاق خارجة عن نطاق التجربة البشرية. وقد وصـل هـؤلاء اللاهوتيـون إلـى هـذه الآفـاق لأنـهم كـانوا يتكلمـون ويكتبـون

باليونانية مثلاً الكلمتان اليونانيتان المستخدمتان للتعبير عن اخوة واخوات هما ADELPHOI- ADELPHAIوتعنيان بالفعل إخوة وأخوات بالمعنى البيولوجي وهذه بالتأكيد ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامي وتعنيان دون زيادة والناطقون باليونانية كانوا قد أخذوا أنفسهم. منذ قبيل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد يتعاملون مع الكلمات كما لو كانت الكلمات حقائق. حتى عندما تكون الكلمات أموراً ليس لها نظير لا في عالم الفكر ولا في عالم الظاهر. وفد قسطنطين الأول نفسه في السنة ٣٢٤- وقد خابت آماله في حل الخلاف في شمال غرب أفريقيا حول المسيحيين المتراجعين هناك- أنه مضطر إلى التدخل في خلاف حول علاقة الابن بالأب. هذا الخلاف كان قد نشب بين أسكندر أسقف الاسكندرية وآريوس الذى كان راعيا من رعاة اسقفية اسكندر بالذات. وقد كتب قسطنطين الي كل من المتخاصمين بأن القضية المختلف عليها بينهما لم يكن من الجائز إثارتها أبداً. وفي سنة ٦٤٨ منع كونستانس الثاني. منعاً باتاً أي نقاش حول القضية اللاهوتية المسيحية التي كانت سائدة في زمناه. وهي فيما اذا كان المسيح مشيئتان وعملان أم مشيئة واحدة وعمل واحد. وقد عجز جميع الاباطرة من قسطنطين الأول إلي كونستانس الثاني علي حمل اللاهوتين علي السكوت. فقد اضطر قسطنطين الأول علي عقد المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥م وقد رئسه بنفسه وصاغ هو كلمة هوموسيوس (مساو في الجوهر) وهي كلمة من النوع الذي كان يمقته من قبل. وقد بدأ وكأن اثناسيوس خصم آريوس قد ربح الجولة. ومع ذلك فقد اضطر ثيودوسيوس الأول إلي عقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية عام ٣٨١م

ولكن حتي يومها لم تلق القضية التي آرها آريوس ضربتها النهائية.

ولم ينف آريوس ان الابن هو الله ففي حياته (٢٥٠-٣٣٦) كانت العقيدة بالوهية المسيح قد انتشرت في الكنيسة المسيحية ولكن آريوس أصر علي القول بأن الابن خلقة الأب ومن ثم فالابن لا يستوي والأب زمنيا. وليس هو كفؤا لة. ومجمع نيقية (٣٢٥) وضع الاقانيم الثلاثة (الآب والأبن والروح القدس) في درجة واحدة مطلقا.

وقد أكد المجمع في الوقت ذاته علي أن الاقانيم الثلاثة هي الله الواحد وهذا الدمج بين التوحيد والتثليث هو أمر كلامي. فالنتيجة الحقيقة لمجمع نقية كانت وضع الابن في درجة إله ثان. وأصبحت المسيحية الآن "موحدة" بالاسم فقط.

وكتب القس إبراهيم فليبس في كتابه الغفران ص٩٤ : " يقول إن الثالوث الأقدس هو سر غامض بمعني الإلزام بالكلمة.

وللاسباب وحدها لايمكن التدليل علي وجود الثالوث الإلهي نتعلمه من الكتب الموحي بها. وحتي بعد وجود السر الغامض قد كشف لنا بقاء استحالة العقل الانساني ادراك كيف أن الثلاثة الاشخاص انما هي ذات طبيعة إلهية واحدة". فيما تقول الموسوعة الكاثوليكية الحديثة: THE NEW CATHOLIC ENCYCLOPAEDIA (1967) ART THE HOLY TRINITY : " إنه من العسير في النصف الثاني من القرن العشرين إعطاء هدفاً واضحاً وقدراً عادلاً من الوحي. فارتقاء العقيدة اللاهوتية وتنقيتها من سر التثليث الغامض. وجدل معتقدي التثليث من الروم الكاثوليك المساوين للآخرين تبرز صورة مهتزة كخيال. لقد حدث أمران:

١-التسليم من قبل اللاهوتين الدارسين للكتاب المقدس متضمناً

تزايد في اعداد الروم الكاثوليك بأن ينبغي على الانسان ألا يتكلم عن التثليث في العهد الجديد دون أن يكون جديراً بذلك.

٢- ويوجد أيضاً مطابقة دقيقة من قبل مؤرخي العقيدة والنظم اللاهوتية بأنه إذا أراد أن يتحدث إنسان من معتقدي التثليث غير المؤهلين فإنه يكون قد تحرك من الفترة الاصول المسيحية. فرضا الربع الاخير من القرن الرابع.

وبذلك يكون أن ما يدعيه بعقيدة الثالوث الحازمة بأنها إله واحد في ثلاثة أشخاص تصبح تماماً طعنة وسبّة في الحياة المسيحية والفكر المسيحي.

يقول المؤرخ ليو تاكسل في كتابه التوراة "الثالوث" على سبيل المثال حاول، اذا شئت، أن تقنع يهودياً مؤمناً بأنه يسجد لإله واحد في ثلاثة أقانيم. ولكنني أقول لك مسبقاً، إنك عبثاً تبدد وقتك وجهدك، لأنه سيسخر منك قائلاً: لو أن يهوه كان واحداً في ثلاثة أقانيم لاعترف بذلك لموسي، أو للآباء الأوائل، أو للرسل. وسيجمل التوراة بين يديه ليؤكد علي أنها لا تحتوي علي أيّ كلمه يمكن أن تكون مجرّد تنوية لوجود "الثالوث"، الذي يعتبره هو أمراً مفهوماً، وأن التوراة تؤكد قطعاً، بأن يهوه شخصية واحدة وحدانية لا تتجزأ.

وعندما يري اللاهوتي المسيحي هذه "الحماقة" ويتسم بلطف ووداعة، ويرفع كتفيه استخفافا. فهو يكفيه، أيها السادة.، أن يسوق أول سطرين في سفر التكوين حتي يبرهن لكم أن "الثالوث": كان موجوداً في الأزمنة كلها، وان هذا الأمر واضح ولا يحتاج برهاناً. ثم يأخذ التوراة ويقرأ عليكم بكل فخامة ومهرجانية، ما يلي: في البدء خلق الوهيم السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلي

وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرفّ علي وجه المياه. هذه الترجمة الحرفية للنص اليهودي. ألا ترون هنا الالهِ الأب، والاله الابن، والا له الروح؟

الحقيقة أنهم للوهلة الأولي لا يظهرون. وكان ما أن يضع أحدنا نظارات اللاهوات المسيحي علي عينيه، حتي يميز هذا الثالوث بوضوح تام. وهذه النظارات ستتمثل، اذا سمحتم لي، في المحاكمة العقلية التي يسوقها القديس أوغسطين في الفصل الثاني من كتابه "De cantico novo". صدقوني انه لا شيء أكثر اقناعا من هذه المحاكمة. فاللاهوتيون جميعهم يعتبر أو غسطين نور اللاهوات.

اليكم المحاكمة المنتظرة: ان التعبير التوراةي "في البدء"، والذي يعني بداية الأزمنة والأشياء، هو في حقيقة الأمر "الاله الابن". أتريدون البرهان؟

اليكموه. تناول من فضلك كتاب "العهد الجديد" واقرأ الاصحاح الثالث في "رؤيا يوحنا اللاهوتي"، حيث يسمي المسيح هناك "بداءة خليقة الله". ثم افتح انجيل يوحنا واقرأ معي في الاصحاح الثامن بماذا أجاب يسوع اليهود عندما سألوه "من أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا من البدء".

اذاً تصبح القراءة الصحيحة للسطر الأول من سفر التكوين كما يلي: " في الاله الابن، الذي هو البداية، خلق ألوهيم الأب السموات والأرض". وبهذا تظهر معنا أول شخصيتين من الثالوث، وسنري الثالثة بعد لحظة.

ولكن فلنأخذ نظارات أوغسطين ثانية لنر ان هذا الثالث الذي هو الإله الروح يختبيء في السطر الثاني من سفر التكوين وروح الوهيم

يرف فوق وجه المياه ".

تخيل ياسيدي أن أولئك اليهود الحمقي، لم يروا هذا كله في السطرين الأولين من كتابهم! إنه لعمي مذهل حقا!

افرح ايها " الاله الروح " الذي بدد وقته كله يرف فوق المياه. لكن السؤال الذي يبرز من تلقائه هو: أحقا "الروح القدس" حمامة؟ اننا نعتقد أنه بطه! مجرد بطه! (١١٨)

عيسى ليس الهاً "JUSUS NOYT GOD "

أن عيسي لم يسمح لأحد أن يصفه بأنه رجل صالح (GOOD) ناهيك عن إله(god) ولو كان الحرف الذي تبتدي به كلمة إله في اللغات اللاتينية مبدوءاً بحرف صغير"g" وهي كلمة كانت مألوفة عند اليهود اذ كانوا يطلقون لفظة "إله god" علي عالم الدين عندهم وعلماء الدين آله "أو" ربي" مؤثرا أن يلقب نفسه بأنه "ابن الانسان" ، أو " ابن الله تواضعاً منه " .

أ–فوصف نفسه بأنه " ابن الإنسان " في إنجيل متى ٣٠ مرة وفي إنجيل مرقس ١٥ مرة وفي إنجيل لوقا ٢٥ مرة وفي إنجيل يوحنا ١٢ مرة وهذا يعني أنه كان إنساناً وليس الله أو مساو لله.

ب–ووصف نفسه بأنه "ابن الله" كما ينسب بقية الأنبياء السابقين. والكتاب المقدس ينسب أطنان من الأبناء ليكونوا أبناء لله مثلاً:

١–في لوقا (٣٨/٣) ".. ابن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله.

٢–في تكوين (٦/٤) " إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا". ،

٣–في رومية (١٤/٨) "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك

هم أبناء الله".

٤-وفي متى (٩/٥) "طوبي لصانعي السلام لأنهم ابناء الله يدعون".

٥-وفي خروج (٤/٢٢) "فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر".

٦-وفي إرميا (٩/٣١) يقول الرب "لاني صرت لإسرائيل أباً وافريم هو بكري".

٧-وفي مزامور (٢/٧-٨) "قال لي- الرب- أنت ابني أنا اليوم ولدتك ".

وغيرها كثير جداً وهي تدل على النبوة الروحية المجازية لا النبوة الحيوانية الشهوانية الحقيقية " أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" عليه السلام. (يوحنا ٣/١٧). يقول اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في كتابه الاسلام ص٩١ غير أنهم محو صيغة التثليث من الطبعات الحديثة كالتالي: وردت في رسالة يوحنا الأولى الاصحاح الخامس العدد ٧- وكانت تعتبر النص الوحيد الذي يعطى الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الثلاثة الأب والكلمة والروح القدس هم واحد- لكن التراجم الحديثة في الكتاب المقدس حذفتها بإعتبارها نصاً دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون.

٣-عيد الفصح

يقول موريس بوكاي " يلاحظ الأب روجي R.P.ROGUET أن عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنياً بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحواريين في الأناجيل الثلاثة المتوافقة وفي الإنجيل الرابع.

فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء قبل عيد الفصح نفسه.

ويؤدي هذا التضارب فضلاً عن ذلك إلى أمور واضحة في عدم معقوليتها. إذ يستحيل تصور هذا الحدث أو ذلك بسبب موقع عيد الفصح الذي تحدد بهذا الشكل وبالنسبة إلى هذا الحدث. وعندما ندرك أهمية عيد الفصح في الطقوس اليهودية والأهمية التي اكتسبها هذا العشاء الذي ودع فيه المسيح تلاميذه.

فكيف يمكن تصور أن التراث الذي نقله المبشرون فيما بعد قد نسى زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح؟(١١٩)

٤-روايات الآلام

وبشكل اكثر عمومية فروايات الآلام تختلف بحسب الأناجيل وهي تختلف بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة الأولى وبين إنجيل يوحنا.

فالعشاء الأخير للمسيح والآلام يحتلان في إنجيل يوحنا مساحة كبيرة تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا.

ويزيد نص يوحنا بمقدار مرة ونصف على نص متى. ويسرد يوحنا خطبة طويلة للمسيح نحو تلاميذه ويحتل سرد هذه الخطبة أربع إصحاحات من إصحاح ١٤ إلى إصحاح ١٧ في إنجيله.

وعبر هذا الحديث الأعظم يعطي المسيح آخر إرشاداته لتلاميذته الذين سيتركهم كما يسلمهم وصيته الروحية.

وليس هناك أى أثر من هذا في الأناجيل الأخرى؟! وعلى العاكس يسرد متى ولوقا ومرقص صلاة المسيح لجيتسماني(GETHSEMANE) ولا يشير يوحنا إليها.(١٢٠)

٥- تأسيس القربان المقدس SANCTUM SANCTORUM

أهم ما يلفت قارىء روايات الآلام في انجيل يوحنا هو أنه لا

يشير الي تأسيس القربان المقدس في اثناء عشاء المسيح الأخير مع التلاميذ.

وليس هناك مسيحي لا يعرف أيقونة العشاء الأخير حيث يجلس المسيح بين حوارييه للمرة الأخيرة. لقد صور أعظم الرسامين هذا الاجتماع الأخير وفيه يجلس يوحنا إلي جانب المسيح. يوحنا.. .. .. هذا الذي اعتدنا اعتباره مؤلف الانجيل الذي يحمل اسمه! ومهما كان في ذلك دهشة للكثيرين فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا المبشر هو مؤلف الانجيل الرابع ويوحنا هذا الأخير لا يشير إلي تأسيس القربان المقدس. هذا علي حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح هو الفعل الطقسي الكنسي الجوهري والأهم للمسيحية. إن الاناجيل الثلاثة الأخري تتحدث عن هذا الفعل وإن كان ذلك بألفاظ مختلفة كما أشرنا إليه. أما يوحنا فهو لا يقول عنه كلمة واحدة وروايات الاناجيل الاربعة تحتوي فقط علي نقطتين مشتركتين:

التنبؤ بإنكار بطرس وخيانة أحد التلاميذ (ولا يشار إلي يهوذا الاسخريوطي بإسمه إلا في إنجليى متى ويوحنا).إن إنجيل يوحنا وحده هو الذي يسرد غسل المسيح لأقدام تلاميذته في بداية العشاء.

كيف يمكن تفسير هذه الثغرة في انجيل يوحنا؟!

إذا أردنا التفكير بموضوعية فإن أول ما يرد علي الخاطر (علي افتراض أن رواية الاناجيل الثلاثة الأولي صحيحة) هو فرض ضياع هذه الفقرة من انجيل يوحنا والذي يسرد نفس الحدث ولكن هذا مالم يتوقف عنده المعلقون المسيحيون.

تحت عنوان "العشاء الأخير" (CENE) يقول أ. تريكو A. TRICOT

في كتابه "PETIT DICTIONNAIRE DU NOVEAU TEST AMENT " "هو آخر عشاء تناوله المسيح مع الاثني عشر حواريا والذي أسس فيه القربان المقدس. ونحن نملك رواية هذا العشاء في الاناجيل الثلاثة المتوافقة- متي ومرقص ولوقا- ويعطينا الانجيل الرابع- يوحنا- تفاصيل تكميلية "وبالتالي لا يشير المعلق- أ. تريكو- إلي أن يوحنا لم يسرد تأسيس المسيح للقربان المقدس المؤلف يتحدث- فقط- عن تفاصيل تكميلية لتأسيس القربان المقدس- والواقع أن المقصود هو غسل المسيح لأقدام الحواريين فقط- ويوحنا يشير في انجيله لاشارة المسيح للقربان المقدس وذلك في شكل استطراد خاص بالخبز ولا يتحدث أي مبشر آخر عن هذا الحدث.

وهكذا إذن يمكن أن ندهش لصمت يوحنا- الجالس بجوار المسيح في صورة العشاء الشهيرة- علي ما يسرده المبشرون الثلاثة الأخرون- الذين لم يروا المسيح أصلاً- وأيضاً لصمت الثلاثة هؤلاء علي ما أعلنه المسيح- في خطبته الطويلة جداً- في قول يوحنا؟!

هذه الثغرة الكبيرة في انجيل يوحنا.. .. يعترف بها المعلقون علي الترجمة المسكونية للعهد الجديد ويقدمون تبريراً لعدم سرد يوحنا هذا يقولون "إن يوحنا عموماً لا يكن أي اهتمام إزاء تقاليد ومؤسسات اسرائيل القديمة وربما كان هذا هو الذي جعله يحيد عن الإشارة إلي تأصيل القربان المقدس في طقوس عيد الفصح " .

كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية هو الذي قاد يوحنا إلي أن لا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسي في طقوس الدين الجديد؟!

إن المشكلة تحرجُ المفسرين الي درجة أن علماء اللاهوت

يحتالون في البحث عن صور أولية أو معادلات للقربان المقدس في أحداث حياة المسيح التي يسردها يوحنا. وهكذا يري (أ. كولمان) في كتابه "العهد الجديد" أن معجزة قانا وتكاثر الخبز هما بمثابة صورة مسبقة لسر العشاء المقدس. ولنذكر بأن ما حدث بقانا هو تحويل الماء الي خمرحين فرغت عند عرس (وهي أول معجزة للمسيح وليست آخر معجزة ويذكرها يوحنا وحده من بين كل المبشرين ٢/١-١٢) أما فيما يختص بتكاثر الأرغفة (يوحنا ٦/١-١٣) فقد أدي ذلك إلي إطعام٥٠٠٠ شخص بخمسة أرغفة تكاثرت بمعجزة. وعندما يسرد يوحنا هذه الاحداث فإنه لم يضف أي تعليق خاص. إن عملية تقريب هذه المعجزات من تأسيس القربان المقدس هي من وحى خيال المفسر الصرف ولا يري القاريء- للأناجيل- سبب لهذا التقريب. كما يظل مبلبلاً جداً عندما يكتشف ان نفس هذا الكاتب يري أن شفاء المشلول و الاعمي يبشران بالتعميد وأن الماء والدم الخارجين من صدر المسيح بعد موته يجمعان في حدث واحد "إحالة الي التعميد والقربان المقدس"

ولا نري جيداً اساس كل هذه التقريبات الوهمية التي يقول بها المعلقون حتي يجعلوا الناس يقبلون بسهولة اكثر تلك الثغرة المحيرة في انجيل يوحنا؟!(١٢١)

يقول هـ. ج. ولز "يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلي يسوع فسر فيها مباديء الكفارة والفداء أو حض فيها اتباعه علي تقديم القرابين أو تناول سر مقدس (SACRAMEBNT) وهي أعباء وظيفة رجال الكهنوت".(١٢٢)

كيف يمكن تفسير غياب رواية الوداع من الاناجيل المتوافقة؟

يوحنا هو المبشر الوحيد الذي سرد ما حدث في نهاية العشاء الاخير للمسيح وقبل القبض عليه إي آخر احاديثه مع الحواريين.

وينتهي هذا الحدث بخطبة طويلة. فانجيل يوحنا يفرد أربع اصحاحات من ١٤إلى ١٧ لتلك الرواية التي لا تجد لها أثراً في الاناجيل الأخري ومع ذلك فهذه الاصحاحات من انجيل يوحنا تعالج مسائل أساسية وآفاق مستقبل ذات اهمية بالغة وهي معروضة بكامل العظمة والجلال اللذين يميزان هذا المشهد لوداع السيد لتلامذته. كيف يمكن ان نشرح الغياب التام في اناجيل متي ومرقس ولوقا لرواية الوداع المؤثر الذي يحتوي علي الوصية الروحية للمسيح؟! يمكن ان نطرح السؤال التالي: هل كان النص موجوداً أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد؟ ولماذا؟ ولنقل فوراً إنه لا يمكن الإتيان بأية إجابة فاللغز مستغلق تماماً بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة في رواية المبشرين الثلاثة (١٢٣).

٦–صلب يسوع الناصري

تحت هذا العنوان كتب هـ. ج. ولز في ص٧٠٣ ج٣ معالم تاريخ الانسانية ".. وتحدثنا الاناجيل في جلال ليس عليه مزيد كيف قبض علي يسوع الناصري في ضيعة جشيماني وكيف حوكم وأدين علي يد بيلاطس البنطي الوالي الروماني علي بلاد اليهودية وكيف نكل به الجنود الرومان وسخروا منه وصلبوه علي التل المسمي تل جلجثة بذلك انهارات الثورة انهيارا تاما وتخلي عنه تلاميذه عن بكرة ابيهم ولما اتهم بطرس المبشر بأنه واحد منهم قال" "إني لا أعرف الرجل" استجمع ذلك الزعيم قواه باذلا آخر جهد لديه بعدما تخلي عنه الناس جميعا وصاح بصوت جهير "إلهي لماذا تركتني؟" ثم اسلم الروح

مخلفا هذه العبارة ترجعها العصور أحجية أبدية للمؤمنين. ولم يكن بد من أن يحاول بسطاء المؤمنين أن يهولوا من عنف الذعر الرهيب المتولد عن هذه المأساة بإذاعتهم أقاصيص سخيفةعن حدوث اضطرابات في الطبيعة تشابه تلك التي اختلقت لتوكيد اهتداء (جوتاما) الي الصراط السوي فانهم يخبروننا أن ظلمة قد غشيت الارض.. واذا حجاب الهيكل قد انشق الي اثنين من فوق إلي أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين ودخلوا المدينة المقدسة. واذا كانت هذه الأمور حدثت حقا فهي لم تحدث اقل تأثير في أذهان الناس في أورشليم في ذلك الزمان. ومن العسير علينا في هذه الأيام أن نصدق أن نظم الطبيعة قد سمحت لنفسها بالإنغماس فى مثل هذه التعليقات الجوفاء علي الأحداث.. أما الحواريون فقد غمرت أرواحهم الي حين غاشية من الظلمات الدامسة ثم مالبثوا أن دب بينهم تهامس ثم اقاصيص متناقضة أو تكاد بأن جسم يسوع ليس في القبر الذي وضع فيه وأن واحدا منهم ثم آخر قد رآه حيا وسرعان ما أخذوا يعزون انفسهم بالاعتقاد بأنه قد بعث من بين آهل القبور وانه أظهر نفسه للكثيرين ثم صعد علي مرآي من الناس إلي السماء وجيء بشهود اعلنوا بلهجة التأكيد القاطع أنهم رأوه يصعد بجسمه ظاهرا للعيان لقد ذهب يطوي طباق السموات الزرقاء إلي الرب.. إن قصة البدايات الأولي للمسيحية انما هي قصة الكفاح بين التعاليم الحقة والروح المحض ليسوع الناصري وبين التحديات التي فرضها.

والاطنابات والزيادات التي اضافها والمسائل التي أساء فهمها أولئك الرجال البسطاء الذين احبوه وساروا في إثره من الجليل

والذين غدوا يومئذ حماة رسالته وحملتها الي البشرية وتقدم إلينا الاناجيل وأعمال الرسل سجلاً مرقعاً غير متوازن".(١٢٤)

يضيف الدكتور الفرنسي البروفسير موريس بوكاي ".. أعطينا سابقا مثالا بارزاً علي الخيال في الرواية بالنسبة لانجيل متي وذلك فيما يخص وصفه لظاهرات غير طبيعية قد صاحبت موت المسيح والاحداث التي تلت قيامته قد أعطت مادة لروايات متناقصة بل غريبة عند كل المبشرين (مرقص ولوقا ويوحنا). ويقول أ.د ونيس إريك نينهام أستاذ اللاهوت بجامعة لندن في ص ٤٢٢ من كتابه تفسير انجيل مرقس "لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب بحمل صلبانهم بأنفسم. ويقرر يوحنا ان هذا كان ما حدث فعلاً في حالة يسوع ولكن علي الرغم من ذلك نجد حسب رواية مرقس ان شخصا مجهولاً يدعي سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من يسوع. وبالنسبة لموضوع (جلجثة) فإن التقاليد التي تقول إنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع كما انها لا تزال موضوع جدل ولقد اقترحت أماكن أخري في عصرنا الحاضر لا أن القطع بواحد منها لا يزال بعيداً عن التحقيق".

ويعطينا الأب روجي في كتابه "مقدمة الي الاناجيل" (ص ١٨٢) أمثلة علي الاختلاط والفوضي والتناقض التي تسود هذه الروايات فيقول :"لا تتطابق تماماً في الاناجيل المتوافقة قائمه النساء الآتين الي القبر. فليس هناك إلا إمرأة واحدة في انجيل يوحنا وهي مريم المجدلية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهي تقول "لا نعرف اينْ وضعوه". ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن

علي مقربة من القبر!! ولا شك ان لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلاً في مصدره فيقول الملاك "تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل.." والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلي ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته.."

أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين علي ثمانية أيام بمجمع بيت القدس ثم في المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة.. إذن بالجليل.

وأما متي فأنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل. ويستبعد الأب روجي من هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التي تتحدث عن ظهور المسيح لانه يعتقد انها "كتبت بقلم آخر.." وليس بقلم مرقس.

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلي ظهور المسيح المحتواة في رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس (١٥و٥-٧) إذ يقول إنه قد ظهر لاكثر من ٥٠٠ شخص في وقت واحد ولـ (جاك) jacques إين كاليوبا ابن عم (؟) المسيح- ولكل الحواريين دون أن ينسي نفسه.

وإنه لمما يثير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجي في نفس هذا الكتاب "بالخوارق الطنانة والطفولية في بعض الاناجيل المزورة فيما يتعلق بقيامة المسيح ألا تصلح هذه الأوصاف بشكل كامل لمتي وبولس نفسه الذي يتناقض تماماً مع المبشرين الآخرين فيما يختص بظهور المسيح بعد قيامته؟!

يضاف إلي ذلك أن هناك تناقضاً بين رواية "أعمال الرسل" وهي من تأليف لوقا المبشر عن ظهور المسيح لبولس وبين ما يقوله لنا بولس عن ذلك بشكل موجز.

لقد أدي هذا إلي أن يشير الأب (كانيجسر)Kannengiesser في كتابه "الايمان بالقيامة وبعث الايمان" "عام ١٩٤٧" الي أن بولس هو الشاهد المعاين الوحيد علي قيامة المسيح الذي يصل بصوته إلينا مباشرة عبر ما كتب (وليس هناك أي كاتب للعهد الجديد يستطيع أن ينسب لنفسه مثل هذه الصفة) لكن بولس لا يتحدث أبداً عن مقابلته الشخصية مع المسيح بعد قيامته- هذا اذا استثنينا ثلاث إشارات شديدة التحفظ.. بل أكثر من ذلك. أنه يمنع نفسه من وصف هذه المقابلة."

إن التناقض جلي وواضح بين بولس- وهو الشاهد المعاين الوحيد ولكنه مشكوك فيه- وبين الاناجيل.

وفي كتاب تاريخ العقيدة للاستاذ الدكتور أدولف هرنك استاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ح١ ص٨٥ : "إن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته وانه لا يمكن التحقيق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها وان القبر الذي كان خالياً في اليوم الثالث لا يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة تاريخياً بأي حال من الأحوال".

ويلاحظ (أ. كولمان) في كتابه "العهد الجديد" التناقضات بين لوقا ومتي فالأول يقول بظهور المسيح في الناصرة judee. أما الثاني فيقول إنه ظهر بالجليل.

اما فيما يخص التناقض بين لوقا ويوحنا فلنتذكر أن الحدث الذي يرويه يوحنا (٢١/١-١٤) عن ظهور المسيح للصيادين بعد قيامته علي شاطيء بحيرة طبرية وحصولهم بعد ذلك علي سمك كثير حتي أنهم لا يستطيعون حمله. ليس إلا رواية معادة لنفس حدث معجزة الصيد بنفس المكان ولكن في حياة المسيح كما في رواية لوقا (٥/١-

(١١).

ويؤكد لنا الأب روجي في كتابه "مقدمه الي الانجيل" وفيما يتعلق بمرات ظهور المسيح " إن هذا التفكك وهذا الغموض وهذا الاختلال يبعث علي الثقة عنده" فكل ذلك يثبت أن المبشرين- الاربعة- لم يتشاوروا فيما بينهم والإ اعوزهم ان يوفقوا بين ماكتبوا. وهذا تفكير غريب؟!

فالواقع قد استطاعوا أيضا أن يوردوا- باخلاص تام وعلي غير علم منهم- كل الأقوال الموروثة لطوائفهم. وذلك في قوالب روائية: كيف ننتهي إلي إقامة هذا الفرض في مواجهة هذه الكثرة من التناقضات والأمور غير المعقولة في رواية الأحداث؟!

٧- صعود المسيح

تمتد المتناقضات حتي نهاية الروايات فمرقس ولوقا يتحدثان عن صعود المسيح أما يوحنا ومتي فلا يشيران الي هذا الصعود نهائيا.

فبالنسبة لمرقس فإن المسيح "قد رفع إلي السماء وجلس علي يمين الله" (١٩/١٦) ولكن لابد من ملاحظة أن نهاية انجيل مرقس والتي تحتوي علي هذه الجملة ليست نصا صحيحا وهي نص كتب وأضيف بعد ذلك وفي رأي الأب روجي انها "كتب بقلم آخر" حتي وإن كانت الكنيسة تعتبره نصا قانونيا.

يقول أ.د جون فنتون عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا في ص ٤٤٩ من كتابه تفسير انجيل متي "علي حسب معلوماتنا فإن انجيل مرقس الذي كان بين يدي متي قد انتهي عند الاصحاح ٨/١٦ كما ان كبار العلماء في القرن الرابع مثل ايزيبيوس "وجيروم

يشهدون بأن هذه الاعداد (٩-٢٠) كانت ساقطة من افضل النسخ الاغريقية المعلومة لديهم"(١٢٥)

يتبقى معنا إنجيل لوقا فهو الوحيد الذي يذكر حدث الصعود وذلك في نص لا يناقشه أحد فيقول "انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء" (٥١/٢٤) ويضع لوقا الحدث في نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حوارياً وتتضمن تفاصيل الرواية الانجيلية أن الصعود قد حدث يوم القيامة ولكن لوقا يصف في "أعمال الرسل"- ولكل يعتقد أنه كاتبها- مرات ظهور المسيح للحواريين بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية "وقد حصلوا منه علي اكثر من آية علي حين أظهر نفسه لهم وحدثهم طيلة أربعين يوماً عن ملكوت الله (١/٢-٣) إن هذه الفقرة من أعمال الرسل هي الاصل في تحديد العيد المسيحي للصعود بأربعين يوما بعد الفصح وحيث يحتفل بالقيامة. التاريخ إذن محدد علي عكس انجيل لوقا.

ويضاف الي ذلك أن ليس هناك أي نص إنجيلي آخر يبرر هذا التحديد التاريخي.

إن المسيحي وقد عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة فالتناقض واضح. ومع ذلك فالترجمة المسكونية للعهد تعترف بهذا الواقع ولكنها لا تفيض في الحديث عن التناقض. بل هي تكتفي بالاشارة إلي احتمال أهمية هذه الاربعين يوماً بالنسبة لرسالة المسيح.

إن المعلقين الذين يريدون شرح كل شيء والتوفيق بين ما لايقبل التوفيق يعطوننا في هذا الشأن تفسيرات شاذة. فالطبعة التي نشرتها مدرسة الكتاب المقدس بالقدس عام ١٩٧٢ "الاناجيل الأربعة المتوافقة" تحتوي علي تعليقات شديدة الغرابة.

فحتي كلمة "صعود" موضوع للنقد التالي: " الواقع انه لم يحدث صعود بالمعني الفيزيقي نفسه ، فليس الله بأعلي اكثر مما هو أسفل " (كذا) . ولا يفهم القاريء جيداً معني تلك الملاحظة ويتساءل كيف كان يمكن للوقا أن يصرح بهذا بشكل أو بآخر؟. ويضاف الي ذلك ان كاتب التعليق يري "حيلة أدبية" في الواقع أن "أعمال الرسل" تقول أن الصعود قد حدث بعد أربعين يوماً من قيامة المسيح.. والحيلة نفسها تهدف إلي التأكيد علي أن فترة ظهور المسيح قد انتهت" ولكنه يضيف أن انجيل لوقا يحدد الحدث بمساء يوم الفصح. حيث ان لوقا لا يضع أي فاصل بين مختلف الاحداث التي يسردها. وبعد اكتشاف القبر فارغاً صباح القيامة.. أليس هذا أيضا حيلة أدبية تهدف الي ترك فترة من الزمن يسمح للمسيح بالظهور بعد قيامته؟ (كذا) .

إن الشعور بالحرج النابع من تفسيرات من هذا النوع يتضح اكثر فأكثر في كتاب الأب روجي الذي يميز بين صعودين يقول: "إذا كان الصعود من وجهة نظر المسيح يواكب القيامة فإنه لا يقع من وجهة نظر التلاميذ إلا بعد أن يكف المسيح تماماً عن الظهور لهم حتي يرسل لهم الروح وحتي يبدأ عصر الكنيسة" واذا كان ثمة قاريء غير قادر علي إدراك الدقة اللاهوتية في تفكير الكاتب التي لم تكن تملك أي اساس من معرفه النصوص الانجيلية. فإن الكاتب يوجه إليه هذا التحذير العام وهو نموذج للأطناب في اللغة المديحية. وهنا كما في كثير من الحالات المماثلة لاتبدو المشكلة بغير حلّ الا اذا أخذنا حرفياً ومادياً بدعاوي الكاتب المقدس مع تناسي معناها الديني– وليس المقصود هو إذابة واقع الاشياء في رمزية هلامية وإنما

المقصود هو أن نبحث عن النية اللاهوتية لدي هؤلاء الذين يكشفون لنا الألغاز عندما يعطوننا عن أمور محسوسة. علامات تختص بالجذور المادية لعقليتنا ".(١٢٦)

٨-الملائكة والشيطان

بأسلوبه الساخر يحدد المؤرخ ليو تاكسل المفهوم المسيحي لمعتقدات اليهود القدماء في الملائكة فيقول " من المعروف أن المسيحين أخذوا دينهم عن معتقدات اليهود القدماء، لكنهم أنشؤوا عقائد جديدة لا نقع علي اثرلها في التوراة. فقصة ثورة الشيطان وهزيمته أمام ميخائيل، رئيس الملائكة، مختلفة جملة وتفاصيل. ونحن لا نستطيع أن نتجاهل هذه المسألة عند دراستنا التوراة من وجهة نظر العقيدة المسيحية.

فحسب تعاليم اللاهوت المسيحي، ان سيد السماء، الله ، قال لنفسه يوما: لا يليق بي وأنا الكليّ القدرة، أن أقف عند خلق السماء والأرض فقط: وبما أنني عمرت الأرض بالبشر، فلماذا لا أعمر السماء أيضا؟. وفي يوم من الأيام رأينا، أن يهوه ضاق ذرعا بالخراب الكوني. وها هو يضيق الآن ذرعاً بالعيش وحيداً في الجنة. وبما أنه كان ماهراً في صنع كل ما يخطر بالبال من أشياء مسلية، وكائنات حية، فقد خلق لنفسه الملائكة، ولم يكن لهؤلاء إلا مهمة واحدة هي، خلق جو من المرح يمنع تسرب الملل الي نفس العجوز. ثم أعد يهوه لنفسه عرشاً يجلس فوقه أثناء قيادته الاجتماعات السماويه. ولكي يروح بالملائكة عن نفس السيد يهوه، فانهم لا يتوقفون عن الغناء. وبما أنهم مخلوقات خارقة، فهم لا يتعبون.

ولكن هاهو أحد الملائكة، يختار عرش العلي القدير لنفسه، فقد رأي أنه لا ضير في أن يشغل هو نفسه كرسي الرئاسة بدلا من العجوز القادر الخالق يهوه، وقد دعا الكنيسون ذلك الملاك الشاب التمرد الطموح،باسم (لوسفير) الشيطان. وقد رأي بعض الملائكة الذين أرهقتهم تمارين الغناء التي لا تنتهي، فانضموا إلي ذاك المقدام، بينما وقف أكثر الملائكة ضد مساعية، وقام بينهم المدعو (ميخائيل)، وهو كبير الملائكة، فأخذ علي عاتقه مهمة الدفاع عن مصالح يهوه. وتولي قيادة جنود السماء، وجلد الملاك العاصي بكل قسوة، ثم قذف به إلي جهنم، إلي "مملكة" تحتية ما، أسست له في الحال، وسقط معه إلي هناك، أنظاره كلهم، وعاد العجوز إلي كرسى الرئاسة ثانية.

تلك هي الخرافة التي جعل الكنيسون منها عقيدة من عقائد الايمان، فرددوها علي مسامع المؤمنين، وارتعش هؤلاء خوفا، وهو ما سعي اليه الكنيسون: احذري أيتها الخراف الطاهرة فاذا عصيت ارادة السادة الكهنه، سقطت إلي الهاوية التي هوي فيها الملائكة الحمقي إلي جهنم.

في التوراة اليهودية القديمة، أي في أسفارها التي كتب بعد السبي البابلي (بعد مضي أكثر من ألف عام علي التاريخ الذي ينسب اليه موت موسي)، يجري الحديث عن الشيطان، ويوصف فيها ابليس بأنه أكثر الشياطين أهمية. فالشياطين هي، أرواح شريرة، لكنها مثل يهوه والمقربين منه. ولا نقع فيها علي أي ايضاح آخر. فهم لا يصفون الشياطين بأنها كائنات تاعسة، مطرودة من الجنه السماوية، ومقيدة إلي جدران جهنم المستعرة. ففي قصة أيوب، نري ابليس

يتجول في السماء متبختراً، بل ويدخل في جدال مع يهوه نفسه. ولما راي النقاد أن هذه الشياطين تعيش في التوراة عيشة مرحة، ولا تعاني عذابات جهنم، أشاروا إلي أن هذه الحاله تتوافق مع عقائد الكلدانيين والفرس، الذين يعود تاريخ كتبهم المقدسه إلي زمن أكثر عمقاً في التاريخ من كتاب اليهود. وبناء علي هذا سجلوا الاستنتاج التالي: في فترة السبي البابلي، أضاف اليهود الي معتقداتهم بعض معتقدات الشعوب التي تأتي لهم العيش بين ظهرانيها. أصنف إلي هذا أن الاسم الذي أطلقه اليهود علي الشيطان الرئيسي، يحمل طابع الديانة الكلدانية أو البابلية: ساتانا، أي ابليس، ليست كلمه يهودية، بل كلدانية، معناها، "الكره".

وهكذا نكتشف أن يهوه أخفي عن شعبه "المختار" قصة المؤامرة التي حاكها بعض الملائكة ضده، وأخفي عنه ايضا، الاسم الحقيقي للمتمرد الرئيس. فالتوراة لا تدعوه لو سفير في أي نص من نصوصها. فهذا الاسم أطلقه المسيحيون عليه. ومع ذلك، حاول أحبار الكنيسة جهدهم ليجدوا في العهد القديم أشارة ما بصدد لو سفير. لكنهم فشلوا، فلجؤوا إلي تزوير متقن خدعوا به المؤمنين، الذين لا يقرؤون التوراة، بل يستمعون إلي قراءاتها وتفسيرها من الكهنة المحترفين. لذلك، لابد من اخراج هذا التزوير ووضعه علي صفحة بيضاء، ولكننا نستميح القاريء عذراً لبعض الاستطراد الذي لابد منه كي نضع النقاط علي الحروف في هذه المسألة.

في نبوأة أشعياء (١٢،١٤) يجري الحديث عن لوسفير باسمه الحقيقي, هذا يؤكدة اللاهوتيون، بعد أن يسوقوا بداية السطر بصيغة يجري تحريفها بمساعدةُ الترجمة اللاتينية للتورات. ففي هذا

الاصحاح، يصب هذا اليهودي المتزمت جام حقده علي البابليين، الذين طال زمن استعبادهم لليهود، ويتنبأ الملك البابلي بقرب انهيار مملكته وتحولها إلي رماد. فيصرخ قائلا: "لأن الرب سيرحم يعقوب، ويختار أيضاً اسرائيل: ويرحهم في أرضهم.. انك تنطق بهذا الهجو علي ملك بابل وتقول: كيف باد الظالم بادت المغطرسة قد كسر الرب عصا الأشرار، قضيب المتسلطين.

كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح كيف تحطمت علي الأرض يا قاهر الأمم. وأما أنت فقد طرحت من قبرك كغصن أشنع، كلباس القتلي المضروبين بالسيف، الهابطيين الي حجارة الجب كجثة مدوسة. لا تتحد بهم في القبر. لانك أخربت أرضك، قتلت شعبك: لا يسمي الي الابد نسل فاعلي الشر "(أشعياء١٤،١،٤،٥،١٢،١٩،٢٠).

لكي يستطيع المرء أن يؤكد بأن الحديث يجري هنا عن لوسفير– ابليس، يجب أن يتمتع بأقصي درجات الصفاقة. فاشعياء يتحدث بوضوح ظاهر، عن الملك البابلي وحسب وليس حديثه هذا أكثر من فيض من الحقد والغضب والوعيد، موجهة كلها إلي نبوخذ نصر، الذي سبي اليهود وأذلهم واستبعدهم.

أما الأن فسنري كيف حرف "القديس" هيرودنيم التوراة أثناء ترجمتها إلي اللغة اللاتينية. لقد استغل هيروينم مقارنة أشعياء للملك البابلي بنجمة الصبح (كوكب الزهرة)، التي يدعوها اليهود خليل (صبح)، ويدعوها الرومان لوسفير (حامل الزهرة)، ثم سمح لنفسه أن يبسط الشطر الأول من السطر الثاني عشر، باللغة اللاتينية كما يلي:" QUOMODO COCIDISTI DE COEL, LUCIFER, Qui mane orieberis" (كما سقطت أنت من السماء يالوسفير، أنت الذي يستيقظ كل

صباح).

وعندما يأتي النص اليهودي الأصلي علي ذكر اسم خليل، فانه يتحدث عن الملك البابلي، فيقارنه بنجمة الصبح- الزهرة. اما اللاهوتيون فيطلقون صيحة النصر معلنين: "إن التوراة تؤكد علي سقوط لوسفير وهذا ما يتحدث عنه أشعياء النبي". انها لثقة تبلغ حد الوقاحة مرة أخري نقول : ان الكتب اليهودية "القديمة"، لا تقدم أي أساس لخرافة عصيان لوسفير وهزيمته.

نعود الآن إلي ملائكة الاصحاح السادس من سفر التكوين، ونرجع إلي مصادر ليست أقل قداسة من سابقاتها، وفيها نقع علي بعض التفاصيل

المتصلة بمعايشة سكان السماء لنساء الأرض الجميلات. ان الكتب التي وضعت لتعليم بسطاء الناس "التاريخ المقدس" لا تحتوي علي أي تنوع عن المغامرات، التي كشف عنها السطور الاربعة المذكورة. وما يجدر ذكره أن تلك السطور لم تحذف من التوراة . لكن هذا ليس كل شيء، فلخدم الدين، ولهم فقط، كتاب آخر يحيطونه بجلال كبير، ولا يسعون لنشرة انه كتاب أخنوخ.

والان، هل بقي عند أحد شك في أن العناية الالهية وحدها التي ساعدت علي العثور علي كتاب اخنوخ؟ انه لم يفقد عند المسيحين الأوائل، فالرسول يهوذا يقتبس منه، وتحدث عنه بعض اباء الكنيسة بصفته كتابا معروفا. وحافظ هذا الكتاب علي مكانته الرفيعة عند المسيحين، حتي القرن الميلادي الرابع. ولكن، بعد أن فطن رجال الكنيسه إلي أن "أخنوخ" يشرح في كتابه، السطور الأربعة الأولي من الاصحاح السادس في سفر التكوين ويؤكدها، حذفوا الكتاب من

التوراة.

أما بعد ان رأينا كيف تصور اليهود الملائكة لا يسعنا الا ان نؤكد علي ان الكنيسة المسيحية ادخلت علي الرؤيةُ اليهودية تغيرات كبيرة ومع ذلك فهي تعترف بان اليهود هم، شعب الله المختار، وتقر بالكتب الدينية اليهودية كتبا "مقدسة لا شك فيها".

فدرجات الملائكة عند اليهود عشر درجات هي: ١- كادوشيم، أو المقدسون الطاهرون: ٢- افاميم، أو السريعون:٣- أوراليم، أو الاقوياء، ٤- شاسماليم، أو المتوهجون، ٥- سيرافيم، أو الشرارات، ٦- ما لاخيم، أو الرسل، ٧- ألوهيم، أو الالهيون، ٨- بن ألوهيم، أو أبناء الله، ٩- كيروبيم، أو الملائكة الثيران، ١٠- ابشيم، أو المتحسمون. إلا أن البابا.غريغوري الأول وزعهم توزيعاً مختلفاً تماماً. فنزلاً عند ارادته "الكلية. القداسة"، قسم الملائكة في المسيحية إلي ثلاث درجات في كل منها ثلاث رتب: الدرجة الأولي هي، السيرافيم، الكيروبيم والمذابح: الدرجة الثانية، ملائكة القوة، والسلطة، والسيطرة، والدرجة الثالثة، ملائكة البداية، رؤساء الملائكة، والملائكة العاديون. وان دل هذا التقسيم علي شيء، انما يدل علي مدي قوة السلطة التي يتمتع بها البابا، لأن حق اعادة توزيع الرتب السماوية ليس با لأمر العادي.

ومما يذكر هنا، ان رجال الكنيسة المسيحية يؤكدون علي أن اليهود لم يفهموا كتبهم "المقدسة"، وانهم لا يفهمون ديانتهم حتى الان ولا يعرفون ، "الايمان الحق". تخيل ان هؤلاء اليهود الحمقي "لم يدركوا" ان أشعياء، عندما هاجم الملك البابلي و "تنبأ" له بيوم انهيار مملكته، انما كان يقصد في حقيقة الأمر، ليس هذا الملك، بل الخرافة

القديمة عن العصيان الذي أعلنه (لوسفير) ضد يهوه وما الربوات سوى كومة من الأغبياء ، لانهم لم يستطيعوا قراءة ذلك بين السطور! ويؤكد أحبار الكنيسه المسيحية، ان التوراة تضم بين دفتيه أشياء كثيرة أخري لم يرها اليهود. (التوراة ص ٥٢-٥٥) ليوتاكسل

التناقض الإجمالي بين النصوص " المقدسة !!"

م	النص المقابل	الاصحاح والفقرة	النص المقابل	الاصحاح والفقرة
١	يكنيا ولد شالتئيل ولد زر بابل	متى ١٢/١	وابناء يكنيا اسيرو شالتئل ابنه وملكيرام وفدايا وابنا فدايا زربابل وشمعي	اخبار الايام الأول ١٧/٣-١٩
٢	وزر بابل ولد ابيهود وابيهود ولد الياقيم	متى ١٣/١	وبنوزر بال مشلام وحننيا وشلومية اختمهم وحشوبة وأوهل وبرخيا وجسديا ويوشب حسد خمسة	اخبار الايام الأول ١٩/٣
٣	فلما واخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف الي مصر وكان هناك الي وفاة هيرودس فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر. قائلا قم وخذ الصبي وأمه واذهب الي أرض اسرائيل لانه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي	متى ١٤/٢ متى ١٩/٢	فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدائا من الجليل إلي هنا. فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي. وحين علم انه من سلطنة هيرودس أرسله الي هيرودس إذ كان هو ايضا تلك الايام في أورشليم	لوقا ٢٣/٥-٧
٤	وانصرف الي مصر	متى ١٤/٢	وجاء الي الناصرة حيث كان قد تربي وكان ابواه يذهبان كل سنة الي اورشليم في عيد الفصح	لوقا ١٦/٤ لوقا ٤١/٢
٥	افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا	فليبي ٤/٤	طوبي للحزاني لأنهم يتعزون	متى ٤/٥

لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ماجئت لا نقض بل لاكمل فإني الحق اقول لكم الي ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من النامس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدي هذه الوصايا	متى ١٧/٥-١٩	واما انا ايها الاخوة فان كنت بعد اكرز بالختان فلماذا أضطهد بعد ليس الختان شيئا وليست العزلة شيئا بل حفظ وصايا الله. فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئا.	غلاطية ١١/٥ كورنثوس ١٩/٧ العبرانيين
الصغري وعلمالناس هكذا يدعى لصغر في ملكوت السموات. ولكن زوال السماء والارض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس	لوقا ١٧/١٦	بل بالحري عرفتم من الله فكيف ترجعون ايضا الي الاركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون ان تستعبدوا لها من جديد. اتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين	غلاطية ٩/٤-١٠
ولما راي الجموع صعد الي الجبل.. طوبي للجياع.. طوبي للحزانى	متى ١/٥	ونزل معهم ووقف في موضوع سهل هو وجمع من تلاميذة وجمهور كثير ..طوبالكم ايها المساكين.. طوبللكم ايها الجياع.. طوبالكم ايها الباكون	لوقا ١٧/٦
طوبي لصانعي السلام لأنهم ابناء الله يدعون.	متى ٩/٥	لا تظنوا اني لألقي سلاما علي الارض. ماجئت لالقي سلاما بل سيفا فإني جئت لأفرق الانسان ضد ابيه والابنه ضد امها والكنة ضد حماتها واعداء الانسان اهل بيتة. ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتر سيفا	متى ٣٤/١٠-٣٦ لوقا ٣٦/٢٢
ومن قال ي احمق يكون مستوجب نار جهنم	متى ٢٢/٥	ايها الجهال والعميان.. ايها الجهال والعميان..	متى ١٧/٢٣-٣٣

جاء اليه قائد منه.. وقال يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي	متى ٨/٥-٦	فلما سمع عن يسوع أرسل إليه شيوخ اليهود يسأله أن يأتي ويشفي عبدة
ورجع المرسلون الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صح	لوقا ٧/١٠	ثم قال يسوع لقائد المئة اذهب وكما آمنت ليكن لك فبرأ غلامه
ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبلة مجنونان خارجان من القبور	متى ٨/٢٨	ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان بهِ روح نجس
وفيما هو مجتاز رأي لاوي بن حلفي	مرقس ٢/١٤	وفيما يسوع مجتاز من هناك رأي انساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى
إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن إبنتي للآن ماتت	متى ٩/١٨	ولما راه خر عند قدميه وطلب اليه كثيرا قائلاً ابنتي الصغيرة على آخر نسمة
التلميذ الثاني عشر لباوس الملقب تداوس	متى ١٠/٤	التلميذ الثاني عشر يهوذا أخو يعقوب
الى طريق امم لا تمضوا والى مدينة السلامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة. اصرفها لانها تصبح وراءنا فاجاب وقال	، متى ١٠/٥	وقال اذهبوا الى العالم أجمعوا واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها

فاجاب يسوع وقال طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات وانا اقول لك ايضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوي عليها وأعطيك مفاتيح ملكون السموات فكل ما تربطة على الارض يكوم مربوطا في السموات وكل ما تحلة على الارض يكون محلولا في السموات	متى ١٦/١٧ الى ١٩	فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان انت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس قال له يسوع الحق اقول لك إنك في هذه الليلة قبل ان يصيح ديك تنكر في ثلاث مرات فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك. أجابة يسوع اتضع نفسك عني. الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات
وبعد تسة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاة وصعد بهم الى جبل عال منفردين	متى ١/١٧	وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى جبل ليصلي.

ولما اكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء الي تخوم اليهودية من عبر الأردن.. ها نحن صاعدون الي أورشليم.. وجاءوا إلي بيت فاجي عند جبل الزيتون	متي ١/١٦ ١٨/٢٠ ١/٢١	بل مضى من هناك الي الكورة القريبة من البرية الي مدينة يقال لها أفرايم.. ثم قبل الفصح بستة أيام أتي يسوع إلي بيت عينا.. وفي الغد سمع الجميع الكثير الذي جاء الي العيد أن يسوع أت إلي أورشليم
وفيما هم خارجون من أريحا تبعة جمع كثير واذا أعميان جالسان علي الطريق	متي ٣٠/٢٠	ولما اقترب من اريحا كان أعمي جالساً علي الطريق يستعطي
اذهبا إلي القرية التي امامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاة وأتيا به	لوقا ٣٠/١٩	اذهبا الي القرية التي امامكم فللوقت تجدان اتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما واتياني بهما
منظر شجرة تين علي الطريق وجاء اليها شيئاً إلا ورقا فقط	متي ١٩/٢١	ويل لذلك الانسان الذي به تاتي العثرة لان ابن الانسان قد جاء لكي
فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلي الأبد فيبست التنية في الحال.		يخلص ما قد هلك لتقتل.. لاتصلب..
وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الابرص تقدمت إلية امراة معها قارورة طيب فسكبتة علي رأسه وهو متكيء قبل الفصح بيومين		
الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلمني	متى ٢٣/٢٦	اجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة واعطية فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي
والذي اقبله هو هو امسكوة فللوقت تقدم الي يسوع وقال	متى ٤٨/٢٦	فسالهم ايضا من تطلبون فقالوا يسوع الناصري. اجاب

٣٣	ولما مضوا به امسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان اتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع	لوقا ٢٦/٢٣	فاخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه
٣٤	فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الاولاية في موضع يقال البلاط وبالعبرانية جباثا وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة	يوحنا ١٣/١٩	ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الارض الى الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني.
٣٥	وبعد السبت عند الفجر	متى ١/٢٨	اتين الى القبر اذ طلعت الشمس
	جاءت مريم المجدلية ومريم الأخري للرن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودرج الحجر عن الباب وجلس عليه		اشترت مريم المجدليةو مريم ام يعقوب وسالومة وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر فتلصلصن ورأين ان الحجر قد دحرج
٣٦	ولما دخلن القبر راين شابا جالسا عن اليمين لابسا بيضاء فاندهشن فقال لهن لا تنهشن انتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام ليس هو ههنا	مرقس ٥/١٦	وفيما هن محتارات في ذلك اذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة.. قالا لهن لماذا تطلبن الحي بين الأموات ليس هو ههنا لكنه قام

صرخ بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني اي إلهي إلهي لماذا تركتني وامــا الرجــال المســافرون معــه فوقفــوا صــامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا	متى ٤٥/٢٧ اعمال الرسل ٧/٩	وقال لهم هكذا مكتوب وهكــذا ينبغــي ان المسيح يتألم ويقول من الأموات ز الذيـن كـانوا معـي نظروا النور وارتعبوا ولكنهـم لـم يسـمعوا صوت الذي يكلمني
أبرق حولـي وحـول الذاهبيـن معـي فلمـا سقطنا جميعاً علـى الارض	اعمال الرسل ١٢/٢٦	وامــا الرجــال المسافرون معه فوقفوا
حينئذ لما راي يهوذا الذي اسلمه انـه قـد دين ندم ورد الثلاثيـن مـن الفضـة الـي رؤسـاء الكهنـة والشـيوخ قـائلا قـد أخطات إذ سلمت دمـا بريئاً فقالوا ماذا	متى ٣/٢٧	فقال له داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذيـن قبضوا على يسوع فان هذا اقتنى حقلاً مـن اجرة الظلم وإذ سقط على وجهة انشق من الوسط

علينـا انـت ابصـر فطـرح الفضـة فـي الهيكل وانصرف ثـم مضي وخنق نفسه.. اشتروا بها حقل ولهذا سمي ذلك الحقل الدم		فانسكبت احشاؤه كلهـا وصار ذلك معلوماً عند جميع سـكان أورشـليم حتـي دعـي ذلك الحقل في لغتهم حقل دمـا أي حقل دم.
وفـي اليـوم الثـامن جاءوا ليختنوا الصبي وسـموة باسـم ابيـه زكريا فأجـابت أمـة وقـالت لا بل يسـمي يوحنـا ولمـا تمـت ثمانيـة ايـام ليختنـوا الصبي سمي يسـوع	لوقا ٥٩/١ لوقا ٢١/٢	اذا إن كـان الاغـرل يحفظ احكام النـاموس أفمـا تحسـب غرلتـه ختانا. وتكون الغرلة التي مـن الطبيعـة وهـي تكمـل الناموس انت الذي في الكتـاب

كما تسمي من الملاك هذا هو عهدي الذي تحفظونة بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون فـي لحـم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في اعيالكم.. فيكون عهدي فـي لحمكم عهداً ابدياً واما الذكر الاغلف الذي لا يختن في لحم غرلتة فتقطع تلك النفسمن شعبها. إنة قد نكث عهدي. وانحدر قـوم مـن اليهوديـة وجعلـوا يعلمون الأخوة إنة إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم ان تخلصوا		والختـان تتعـدي الناموس. لأن اليهـودي فـي الظـاهر ليـس هـو يهوديا"ولا الختان الـذي في الظـاهر فـي اللحـم ختانا. بل اليهودي فـي الخلفـاء هـو اليهـودي. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. اذا مـا هـو فضـل اليهودي أو ما هـو نفع الختان انـا لمـر فـي جميـع الكنائس دعي أحد وهـو مختـون فـلا يصـر اغلف. دعي أحد فـي الغرلة فلا يختتن. ليس الختـان شيئاً وليسـت الغرلـة شيئاً بـل حفـظ وصايا الله . ولكـن لمـا أتـوا كـان يؤخـر ويفـرز نفسـه خائفا مـن الذيسـن هـم الختان	رومية ١/٣ ١ كورنثوس ١٧/٧-١٩ غلاطية ١٢/٢
وقال الرب لابرام بعد اعـتزال لـوط عنـه ارفـع عينيك وانظـر مـن الموضـع الـذي انـت فيـه شـمالاً وجنوبا وشرقا وغربـا لأن جميـع الأرض التـي انـت تـري اعطيها ولنسك الـي الابد	تكوين ١٤/١٣	ظهر إلـه المجد لا بينا ابراهيم وهو في ما بين النهرين.. ولـم يعطيـه فيها ميراثـا ولا وطـأة قـدم ولكـن وعـدان يعطيها ملكا لـه ولنسله من بعده	اعمال الرسل ٥/٧
وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل و لكن لـم يطـرد سكان الـوادي لان لهـم مركبـات حديد	قضاة ١٩/١	لان كل شيء مستطاع عند الله	مرقـــس ٢٧/١٠
ولكن لم يطرد سكان الـوادي لأن لهـم مركبات حديد	١٩/١		٢٧/١٠
فقال لهمـا يسـوع لا تخافـا اذهبـا قـولا	متي ١/٢١	ولما كـانت عشية ذلك اليوم وهو أول الاسبوع	يوحنا ١٩/٢٠

	لاخوتي ان يذهبوا الى الجليل وهنالك يرونني.. ولما الاحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل حيث امرهم يسوع ولما رأوه سجدوا له		وكانت الابواب مغلقه حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال سلام لكم	
٤٥	فجاء داود الى نوب الى اخيمالك الكاهن فاضطرب اخيمالك عند لقاء داود وقال لماذا انت وحدك وليس معك أحد	١ صموئيل	فقال اما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو و الذين معه كيف دخل بيت الله.. وأكل خبز التقدمه.. واعطى الذين كانوا معه ايضاً	مرقس ٢٥/٢
٤٦	لكي يطلب هذا الجيل دم جميع الانبياء المهرق منذ زكريا الذي اهلك بين المذبح والبيت. نعم اقول لكم انه يطلب من هذا الجيل	لوقا ٥٠/١١	فانهلا يموت بإثم ابيه حيوه يحيا. أما أبوهُ فلأنَهُ ظلَم ظلماً واغتصب اخاهَ اغتصاباً وعمل غير الصالح بين شعبه فهوذا يموت باثمه. وانتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من اثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائض وعمل بها فحيوة يحيا. النفس التي تخطيء هي تموت الأبن لا يحمل من اثم الأب والأب لا يحمل من اثم الأبن. بر البار عليه يكون وشرا الشرير عليه يكون	حزقيال ١٨/١٨
٤٧	ليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء	يوحنا ١٣/٣	وسار اخنوخ مع الله لأن الله اخذه وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السماء وكان اليشع يرى وهو يصرخ	تكوين ٢٤/٥ ٢ ملوك ١١/٢



	التلميذ الخائن	مع المسيح في الصحفة ٢٠:١٤	مع المسيح في الصحفة ٢٣:٢٦
٤	متى دخل الشيطان في يهوذا الخائن	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٠:١٤ – ١٢	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٤:٢٦ – ١٧
٥	كيف تعرف الجند على المسيح	بعد قبله يهوذا ٤٥:١٤ – ٤٦	بعد قبله يهوذا ٤٩:٢٦ – ٥٠
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٤٣:١٤	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٤٧:٢٦
٧	سلوك التلاميذ عند القبض	تركه الجميع وهربوا ٥٠:١٤	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٥٦:٢٦

المحاكمات

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقص	متى
٨	المحاكمة الأولى: التوقيت هيئة المحكمة	ليلا بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيس الكهنة	ليلا بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيسا الكهنة

	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
				١٣-١٢:١٨
المحاكمة الثانية: التوقيت -هيئة المحكمة	صباح اليوم التالي(الجمعة) بيلاطس الوالي ١:١٥	صباح اليوم التالي (الجمعة) بيلاطس الوالي ١:٢٧	صباح اليوم التالي (الجمعة) بيلاطس الوالي ١:٢٣	صباح اليوم التالي (الخميس) بيلاطس الوالي ٢٨:١٨-٣٣
المحاكمة الثالثة:التوقيت هيئة المحكمة	......	......	صباح اليوم التالي (الجمعة) هيرودس حاكم الجليل ٧:٢٣-١٠	......

الصلب

نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة ١٥:١٥-٢٠	الجمعة ٢٦:٢٨،٣١	الجمعة ٢٤:٢٣،٣٣	الخميس يوم تذبح خراف الفصح "وكان استعداد الفصح" ١٤:١٩-١٨

كات منذ القبض حتي الصلب

نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
المرحلة الاولي	مساء الخميس "إلى رئيس الكهنة" ،	مساء الخميس "إلى قيافا رئيس الكهنة" ٥٧:٢٦	مساء الخميس "إلى بيت رئيس الكهنة" ٥٤:٢٢	مساء الاربعاء "إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة" ١٣:١٨

لوقا	متي	مرقس
١:٢،٦٦:٢٢ ٣	١:٢٧	١:١٥
نهار الجمعة "إلى هيرودس في أورشليم" ٧:٢٣	نهار الجمعة "إلى موضوع يقال له جلجثة" ٣٣:٢٧	نهار الجمعة "إلى موضع جاجثة" مكان الصلب ٢٢:١٥
نهار الجمعة "ردة" (هيرودس) ١١:٢٣	......	
نهار الجمعة "مضوا إلى الموضوع الذي يدعى جمجمة" ٣٣:٢٣	......	......
٥	٣	٣

،

لوقا	متي	مرقس
"جنود هيرودس" ١١:٢٣	"جنود بيلاطس" ٢٧:٢٧-٣١	"جنود بيلاطس" ١٦:١٥-٢٠
سمعان القيرواني ٢٦:٢٣	سمعان القيرواني ٣٢:٢٧	سمعان القيرواني ٢١:١٥
٠......	خلا ممزوجا بمرارة ولما ذاق	خمراً ممزوجة بمر فلم يقبل

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا
	صرخة	٢٢:١٥	لم يشرب ٣٤:٢٧	
٢٤	علة المصلوب	"ملك اليهود" ٢٦:١٥	"هذا هو يسوع ملك اليهود" ٣٧:٢٧	اليهود [يونانية-رومانية-عبرانية] ٣٨:٢٣
٢٥	اللصان والمطلوب	"كانا يعيرانه" ٣٢:١٥	"كانا يعيرانه" ٤٤:٢٧	كان أحدهما يعيرة والآخر يدافع عنه ٣٩:٢٣-٤٠

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة ٢٥:١٥	......	قبل الساعة السادسة ٣٣:٢٣-٤٤
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	"إلهي، إلهي لماذا تركتني" ٣٤:١٥	"إلهي، إلهي لماذا تركتني" ٤٦:٢٧	"يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" ٣٤:٢٣
٢٨	شهود الصلب	"نساء ينظرون من بعيد" ٤٠:١٥	"نساء كثيرات ينظرون من بعيد" ٥٥:٢٧	"جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن" ٤٩:٢٣

روايات القيامة

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا
٢٩	زوار المقبرة	"مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة"	"مريم المجدلية ومريم أخري" ١:٢٨	"مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات"

على اليمين لابسا خلة بيضاء" 5:16	"ملاك الرب دحرج الحجر عن الباب وجلس عليه" 2:28	"رجلان بثياب براقة" 4:24
"قلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل 7:16	"قولا لتلاميذه أنه قام من الأموات هاهو يسبقكم إلى الجليل 7:28	"اذكرن كيف كلمكن وهو بعد الجليل" 6:24
"لم يقلن لأحد لأنهن كن خائفات" 8:16	"خرجتا سريعا لتخبرا تلاميذه" 8:28	"أخبرن الأحد عشر وجميع الباقين" 9:24

مرقس	متى	لوقا
" مريم المجدلية " أخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا 16:9-11	" مريم المجدلية ومريم الأخري" 28:1،9	" اثنان منهم لم يعرفاه 24:13،16
" اثنين منهم" "أخبر الباقين فلم يصدقوا" 16:12-13	في الجليل "الأحد عشر تلميذاً" "بعضهم شكوا" 28:16-17	سمعان 24:34
في الجليل الأحد عشر		(في أورشليم)

	الشهود – رد الفعل	وبخ عدم إيمانهم ١٤:١٦		التلاميذ "ظنوا أنهم نظروا روحا" ٢٤:٣٦-٣٧	ومعهم توما (بعد ثمانية أيام) ٦:٢٠
٣٧	الظهور الرابع – الشهود – رد الفعل	......	......	......	التلاميذ (على بحيرة طبريا) "لم يكونوا يعلمون أنه يسوع" ٢١:١-٤

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	أعمال الرسل (كتبه لوقا)	يوحنا
٣٩	كيف مات	......	انتحر إذ أنه "مضى وخنق نفسه" ٥:٢٧	مات ميتة دموية إذ "سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها" ١٨:١	....
٤٠	من اشتري الحقل بثمن الخيانة الذي أخذ من الكهنة؟	....	"الكهنة اشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء" ٧:٢٧	يهوذا هو الذي "اقتنى حقلا من إجرة الظلم" ١٨:١	
٤١	لماذا سمي الحقل حقل دم	....	لأن نقودة كانت "ثمن دم بريء" ٨-٤:٢٧	بسبب الميتة الدموية التى ماتها "دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم" ١٩-١٨:١	......

[جداول الآلام بتفضل من كتاب الإسلام للواء المهندس احمد عبد الوهاب]

وعليه ....

فإن الدراسة النقدية للنصوص الإنجلية تقودنا إلى نتائج متعددة منها:

١- اكتساب مفهوم أدب مفكك تفتقر خطته الي الاستمرار أو التجديد.

٢- تبدو تناقضات النصوص الانجيلية غير قابلة للحل والتقديرات التفسيرية في هذا الموضوع تؤدي بالضرورة الي نتائج بالغة الخطورة خاصة عند مقابلات النصوص بعضها ببعض.

ان بعض المعلومات عن التاريخ الديني المعاصر لميلاد الاناجيل توضح بعض سمات هذا الادب الذي يبلبل القاريء المتامل الدارس فيجب البحث عن المصادر التي نهل منها المبشرون لتحرير وتأليف نصوصهم كما انه من الاهمية بمكان دراسة ما اذا كان تاريخ هذه النصوص بعد استقرارها قادرا علي شرح بعض الصفات التي تقدمها في عصرنا المتجدد والمتغير؟!

٣- لقد تصدي آباء الكنيسة لمشكلة تعدد المصادر واختلافها بطريقة ساذجة وسطحية " لست ادري إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل! أنوع من تقوي العاجئز المخرفين! أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتي نعتقد انهم وحدهم الأمناء علي أسرار الله؟!(١٣٩)

٤- كثير من روايات الاناجيل التي لها صلة بمعجزات ما لا نسمح مطلقاً بأي تعليق علمي تجريبي. كما تحتوي الاناجيل علي قليل جداً من الفقرات التي تستطيع أن تقود الي مقارنة مع المعطيات العلمية الحديثة. كما ان هذه المعجزات تتعلق بظاهرات مادية صرف تقع علي هامش القوانين الطبيعية كمشي المسيح علي صفحة المياة التي

تحملة. وتغيير الماء الي خمر كما في عرس " قانا " وتجفيف شـجرة التين في لحظة والعاء عليها.

وهذه الاحداث يتدخل فيها الله بقدرته ، ولا يدهش المرء مما يقدر الله علي فعله. وتبدو للأنسان كمعجزات وإن لـم تكن كذلـك بالنسبة لله . ومع ذلك فإن يسوع يصـور علـي الـدوام نظيفـا ممشـط الشـعر مرجله صقيل الاهاب نقي الثياب مستقيم العود.

ومن حوله سكون كاتما هو منزلق في الهواء. وهذا وحده جعلـه وهماً لا يؤمن به الكثير مـن النـاس. الذيـن لا يستطيعون أن يمـيزوا بين لبـاب القصـة وبين زخـرف إضافـات التحسين والتجليــة غـير الموفقة التي يضيفها بعض المتبتلين بغبـاء ومـن الجـائز أن الاجزاء الاولي من الاناجيل استطرادات واضافات من نفس هذا الطراز. فاذا نحن جردنا هذه القصة مـن هـذه الاضافـات العسيرة. وجدنـا انفسـنا ازاء كائن مكتمل الانسانية. موفور الجد. مرهف العاطفةوالحساسـية. عرضة للغضب السريع. يعلم النـاس مبـاديء جديـدة بسيطة ولكنهـا عميقة: هي ابوة الرب العامةالمحبة ومجيء مملكة السماء وغني عن البيان انه كان شخصـا- ان جاز لنا ان نطلق عليه هذا اللفظ العـادي- ذا جاذبية شخصية بالغـة القـوة. فكـان يجتذب اليـه الاتبـاع ويملؤهـم بالحب والشجاعة علية صلوات الله وسلامة.

٤- لااحد من الكتاب الذين دونوا الاناجيل عرف يسوع المسيح أو استمع حديثة- والوحيد الذي رأي الاناجيل من التلاميذ هو بطرس الرسول المفكر للمسيح ثلاث مرات والذي وصفه يسوع بانة شـيطان وقد رفض ان يضع نفسه مكان المسيح علي الصليب. فشهادتة علـي الاناجيل مطعون او حتيٰ مشكوك فيها- فهو معثرة ليسوع لانة يهتـم

بما للناس ولا يهتم بما لله.

٥- كتبت جميع الاناجيل باللغة اليونانية القديمة. بينما كان يسوع يتكلم باللغة الارامية المنتشرة في بلاد اليهود انذاك كما يقول (متي ٤٥/٢٧) "صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا" ايلي.. ايلي لما شبقتني "ويفسرها المؤلف بقولة" أي الهي الهي لماذا تركتني"

الأبوكريفا " APOCRYPHES"

قد يتصور الانسان ان هذه الكتب أو تلك الاسفار قد اعتمدت أي اصبحت قانونية مقدسة دفعة واحدة وفي قائمة واحدة من قبل رجال اللاهوت ومجامعهم المسكونية.

لكن الواقع غير ذلك. فقد انعقد مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م تحت رعاية الامبراطور الروماني قسطنطين في مدينة نيقية باسيا الصغري (تركيا). لتحقيق الامر في الكتب المشكوك في قداستها سواء تلك التي زادت بها الترجمه السبعينية علي الاصل العبري أو غيرها من اسفار العهد الجديد فقرر هذا المجمع وجوب تسليم سفر (يهوديت) فقط ويظهر ذلك من المقدمة التي كتبها "جيروم" علي هذا السفر. والقديس جيروم هو ذلك اللاهوتي الذي ترجم الكتاب المقدس من النسخة السبعينية ايونانية الي اللغة اللاتينية القديمة سنة ٤٠٤م وسميت نسختة VULGATE وكانت هي الكتاب المقدس الوحيد التي اقرها مجمع "ترنت" سنة ١٥٤٦م مأخوذة عن الفولجاتا وهي التي صارت المتاب المقدس المسمي OFFICIAL BIBLE للكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هى غير مسلم بها من علماء مجمع نيقيه الى ان أنعقد مجمع "لوديسيا" سنة٣٦٤م فأقر حكم

المجمع الأول وزاد عليه وجوب التسليم بأسفار سبعة أخرى هى:
١-أستير ٢- رسالة بطرس الثانية ٣- رسالة يوحنا الثانية
٤- رسالة يوحنا الثالثة ٥- رسالة يهوذا ٦- رسالة يعقوب
٧-الرسالة الى العبرانيين. وقرر الأبقاء على سفر"رؤيا يوحنا" مشكوكاً فيه وغير مسلم من الكنيسة.

ثم أنعقد مجمع" قرطاج" سنة٣٩٧م وقد أقر قرارات المجامع السابقة وزاد عليها عندما عاد مجمع قرطاج للإنعقاد مرة أخرى سنة٤١٩م بزعامة القديس" أوغسطين" سبعة أسفار أخرى هى:
١- الحكمة ٢- طوبيا ٣- باروخ ٤- الجامعة
٥- المكابيين الأول ٦- المكابيين الثانى ٧- رؤيا يوحنا.

وقد عدّ المجمع باروخ جزءاً من أرميا لأن باروخ نائب أرميا وخليفته فلم يكتبوا أسم سفر باروخ على حده وجعلوه ضمن أرميا وبغد أنعقاد هذه المجامع صارت الكتب المشكوك فيها مسلم بها بين جمهور المسيحيين مدة ١٢٦٠ سنة الى ان ظهرت فرقة البروتستانت عام١٥٢١م فردوا حكم هذه المجامع المسكونيه وقالوا ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلم بها (١٤٢).

والإناجيل الأربعة التى يتضمنها الكتاب المقدس لم تكن هى الإناجيل الوحيدة التى دونت فى القرون الأولى من العصر المسيحى فقد كان هناك الكثير ومن بينها ما يطلق عليه "الإناجيل وفقاً للعبرانيين"وهى أعمال دونت باللغة الأراميه–التى كان يتكلم بها يسوع الناصرى– وكان يستخدمها الناصريون.وفى نهاية القرن الثانى الميلادى فأن الإناجيل الأربعة أحتواها العهد الجديد ضمن الكتب القانونية أما باقى الإناجيل فقد أعلنوا عنها هرطقات أو أسفار

خفية غير قانونية"أبوكريفا" ان الكنيسة هى السلطة التى تحـدد الكتب القانونية عن الكتب غير القانونية الأبوكريفا(١٤٣).

والغريب ان أول الكتابات المتداولة وأول ما ساد وانتشر منها قبل الإناجيل هو رسائل بولس. ولقـد رأينـا أنـه قبـل عـام ١٤٠م لـم يكـن هناك ما يشهد بأن هنـاك مـن يعـرف وجـود مجموعـة مـن الكتابـات الإنجيلية- على عكس مما يكتب بعض المعلقين عن الإنـاجيل حتـى اليوم-ولكن يجب أنتظـار عـام١٧٠م حتـى تكتسـب الإنـاجيل صفـة الأدب المعترف به كنسياً. نعم كان هنـاك تـداول كثير فـى العصـور الأولـى للمسيحية مـن كتابـات عن المسيح- غير أنـه لـم يعتد بهـا ككتابات جديرة بصفة الصحة .كما ان الكنيسة اوصت بأخفائها. ومن هنـا جـاء أسم الإنـاجيل المـزورة " THE UNRELIAHILIY OF THE GTOSPELS .

لقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بهـا جيداً لأنهـا كـانت تتمتـع بـالتقدير العـام علـى مـا تقولـة الترجمـة المسكونية ومـن هـذه المؤلفات رسالة القديـس برنابـا الرسـول (DIDACHE DE BAR NABE) ولكن هناك نصوص آخرى غيرها قد أستبعدت بشكل أكثر عنفاً. ولم يتبق منهـا إلا بعض الأجـزاء ولانهـا كـانت تعتبر ناقلـة للخطـأ فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين.

برغم ذلك فهنـاك مـن هـذه المؤلفـات مـا كـان يشبـه عـن قـرب الانـاجيل المعتـرف بهـا كنسـياً مثـل انـاجيل النـاصريين وانــاجيل العبرانيين واناجيل المصريين وانجيل توما وانجيل برنابا وبعض هذه الاناجيل المزورة تحتوى علىتفاصيل خرافية انتجها الخيـال الشـعبى وبعض هذه هذه التفاصيل تدعو حقاً للسخرية .

ومن الممكن ايضاً ان نجد مثل هذه الفقرات فى كل الاناجيل سواء المعترف بها أو المزورة(الأبوكريفا) إذا يمكن ان نجد فقرات إنجيلية تفتقر الى الجدية فى كل كتابات العصور الأولى للمسيحية ولكن على المعلقين الإنجيليين ان يتحلوا بشرف الأعتراف بهذه الحقائق.

وأمام وفرة الروايات عن المسيح وكثرتها قادت المجامع الكنسية إجراءات متباعدة لاستبعاد الكثير من المؤلفات الإنجيلية. وربما كان ما حذفت(١٠٠) انجيل لقد احتفظ فقط بأربعة من الإناجيل لتدخل فى قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتى تشكل ما يسمى من بالكتب المعترف بها كنسياً. (١٣٢)

(تقول المقدمة الحديثة للكتاب المقدس ط١٩٨٩ بيروت) الى جانب مؤلفات فيها من الوضوح الباطنى ما جعل الكنيسة تتقبلها تقبلاً لما لابد منه. هناك عدد كبير من المؤلفات "الحائرة" يذكرها بعض الأباء ذكرهم لأسفار قانونية فى حين ان غيرهم ينظر اليها نظرته الى مطالعة مفيدة ذلك شأن الرسالة الى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية وكل من رسالة يعقوب ويهوذا وهناك ايضاً مؤلفات جرت العادة ان يستشهد بها فى ذلك الوقت على انها من الكتاب المقدس ومن ثم جزء من القانون لم تبق زمناً على تلك الحال بل أخرجت آخر الأمر من القانون. ذلك ما جرى لمؤلف "هرماس" وعنوانه "الراعى" "وللديداكى" ورسالة"اقليمنص" الاولى ورسالة برنابا و"رؤيا بطرس" ولا حاجة الى ان نتتبع تتبعا مفصلاً جميع مراحل التطور... ولم تحظ بمثل ذلك المؤلفات التى لم يكتب لها ان تدخل فى القانون الكنسى. فأذا حظى بعضها - كالديداكى أو رسالة برنابا-بتقدير جميع

الكنائس فحفظ فـى حالـة حسنة من انـه لـم يدخل الـى القانون فـإن بعضهـا الآخر الذى لـم يتحل بتلك الصفات نحـى تنحيـه أشد عن الأستعمال الكنسي فأصبح عرضه للضياع الأمر الذى يبيـن لمـاذا لـم يبق منه سوى آثار قليلة ؟" والمؤلفات المنحولة (خفية باليونانية) الـى العهد الجديد مهما يكن من قيمتها العامة لا تزال مؤلفـات ثمينـة جداً لدرس تطور الآراء الدينية فى القرنيين الثانى والثالث ق.م."

ولا نستطيع إلا أن نأسف مع الأب (بومار) على أختفاء كم ضخـم من الكتب التى أعتبرتها الكنيسة مزورة. لا تقل أهمية عن المعتـرف بها بل ربما تزيد ولكن الأب (بومار) يعطيها مكاناً مناسباً فـى كتابـه " الإناجيل الأربعة المتوافقة " جنباً الى جنب مـع الإنـاجيل الرسـمية. بل ان هذه الكتب كانت موجودة بالمكتبات حتـى نهايـة القرن الرابـع الميلادى وترجع الى هذا العصر أقدم المخطوطات الكاملـة للأنـاجيل بالأضافـة الـى برديـات ترجـع الـى القـرن الثـالث والثـانى وأقـدم مخطوطتيـن همـا مخطوطتـان يونانيتـان يعرفـان بإسـم "CODEX VATICANUS" وهمـا محفوظتـان بمكتبـة الفاتيكـان البابويـة. وبإسـم CODEX SINAITICUS اكتشفت بجبل سـيناء وتحتـوى هـذه المخطوطـة على مؤلفين مزورين وهى محفوظة بالمتحف البريطانى.(١٣٣)

الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل والرؤى المنحولة

تقـول" المقدمـة الحديثـة للكتـاب المقـدس ط بـيروت ١٩٨٩ م" : ويمكن للمرء إذا لم يقصد الدقـة فـى التعبير ان يميز ضمـن الآداب المنحول أربـع فئـات من المؤلفـات تشـابه مختلـف أصنـاف الأسـفار القانونية. فهناك اناجيل وأعمال رسل ورسـائل ورؤى منحولـة. ولـن يذكـر هنـا سـوى بعض المؤلفـات. ولا نعـرف انـاجيل النـاصريين

والعبرانيين والمصريين إلا مما أستشهد منها آباء الكنيسة وهى على قدر ما يسعنا ان نحكم ما ورد منها.

مؤلفات تمت بصلة قريبه الى الأناجيل القانونية- المعترف بها بالمجامع المسكونية- ويقول المؤرخ جورج سارتون تشمل الأبوكريفا أسفاراً مختلفة تتناول الدين أو القصص الديني:-

١- سفر طوبيا وابنه طوبيا وزمن تأليفه فى الفتره الواقعة حوالى ٢٠٠- ١٧٥ق.م كتبه رجلاً يهودياً من مصر باللغة اليونانية.

٢- سفر يهوديت كتبه باللغة العبرية بعد حروب المكابيين حوالى١٥٠ق.م.

٣- سفر أستير وهو قصة فتاة يهودية كتبت هذه القصة باللغة العبرية حوالى١٥٠ -١٢٥ق.م ويختلف سفر أستير فى الترجمة الأنجليزية أختلافاً ظاهراً عن النص فى التوراة العبرية وفى الترجمة السبعينية.

٤-٥-٦ الأسفار الثلاثة التى تنسب الى عزرا الكاتب- يطلق عليها فى اليونانية اسم ESDRAS والأفضل ان نطلق اسم عزرا على السفر المعترف به فى العهد القديم وأما السفران الآخران فالأفضل أن نبقي التسمية اليونانية القديمة تفرقة لها عن التسمية الأولى النعترف بها أى عزرا- ويرجح أنها كتبت باليونانية في مصر حوالى ١٥٠ ق.م وقد ظل السفران عزرا ونحميا كتاباً واحداً حتى سنة ١٤٤٨ م أما الترجمة اللاتينية VULGATE فإن هذين السفرين يعرفان بسفر عزرا- الأول وسفر عزرا الثاني. وأما السفران الابوكريفيان فيعرفان في الترجمة اللاتينية بسفر عزرا الثالث وعزرا الرابع.

٧- سفر المكابيين الأول وهو سفر تاريخي وزمن تأليفه حوالي

٩٠- ٧٠ ق.م كتب بالعبرية وقد فقد الأصل وحفظ في الترجمة.
٨ – سفر المكابيين الثاني كتب باليونانية في الاسكندرية حوالى ٥٠ ق.م مؤلف السفر رجل من مدينة برقة أسمه " ياسون ".
٩ – سفر المكابيين الثالث تاريخ كتابته القرن الأول ق.م ويعني بالقصص ويهتم باستشهاد اليهود المصريين في عهد بطليموس الرابع " فيلوباتر" والترجمة السبعينية تشمل هذه الأسفار الثلاثة والترجمة اللاتينية VULGATE فتشمل سفرين فقط.
١٠ – سفر المكابيين الرابع كتب باليونانية في القرن الأخير قبل ظهور المسيحية كتبه يهودي من المدرسة الرواقية.
١١ – سفر المكابيين الخامس وهو سفر متأخر وهو كتاب تلخيص ظهر في والترجمة السريانية " البسيطة ".
١٢ – سفر اليوبيل ويسمى " سفر التكوين الصغير ".
١٣ – سفر أخنوخ.
١٤ – سفر وصايا الآباء الأثنى عشر أى أولاد يعقوب كتب في عهد يوحنا هرقانوس حوالى ١٣٤- ١٠٤ ق.م ولهذا السفر أثر في ككتابات العهد الجديد.
١٥- صعود موسى. وهذه الاسفار الابوكريفية كتبت في الفترة الواقعة بين ١٥٠ إلى ٥٠ ق.م معروفة في التراجم اليونانية والحبشية واللاتينية وقد تكون كتبت أولاً باللسان العبري أو الأرامي. ولا نجد هذه الأسفار الأربعة في الترجمة الانكليزية المعروفة بترجمة الملك جيمس ١٦١١م.
١٦- صلاة منسي MANASSES IN GREEK PROSEUCHE MANASSE وهي صلاة توبة وندامة ربما كانت فريسية الأصل كتبت باليونانية

بين ١٥٠- ٥٠ ق.م ومنسي ملك اليهود (٦٩٢- ٦٣٩) ق.م أسرة الاشوريون وجاءوا به إلى بابل وفي منفاه تضـايق واستنزال رحمـة الله بصلاة عرفت فيما بعـد بصـلاة منسـي. وجـاء فـي أخبـار الايـام الثاني ١٢/٣٣ ولما تضايق منسي طلب الرب إلهه وتواضع جداً أمام إله آبائه وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه.

١٧- سفر حكمة يشوع بين سيراخ ويسمى حكمة سيراخ وقد سماه اليونان " الحكمة الفاضلة " ويسماه التلموديون كتاب " ابن سيرا" كتب حوالى ١٨٠ ق.م وبعد ٥٠ سنة مـن تأليفه ترجم إلـى اليونانيـة فـي مصر سنة ١٣٢ ق.م.

١٨- صلاة الغلمان الثلاثـة وهذه الصـلاة مـع الصـلاة التـي رفعهـا عزريـا (الاصحـاح ٢٣/٣- ٩٠) فـي الترجمـة العربيـة اليسوعية. فإنهما صلاتا شكر وحمد. يعود زمن صلاة عزريا إلى حوالى ١٧٠ ق.م وصلاة الغلمان إلى حوالـى ١٥٠ ق.م كتبتـا بالعبريـة وترجمتـا إلى اليونانية لادراجهما في الترجمة السبعينية.

١٩- قصة سوسنة ابنة حلقيا كاتب القصة يهودي من الفريسين ألفهـا في القرن الأخير قبل الميلاد بالعبرية أو اليونانية.

٢٠- قصة بال والتنين أى قصى بعل ويعود زمن تأليف القصة إلـى ١٠٠ ق.م ومن الراجح أنها كتبت باليونانيــة ووردت فـي آخـر سـفر في الترجمة السبعينية وهذه الاضافات الثلاث التي أقحمت على سـفر دانيال في الترجمة السبعينية نقحهـا أو أعـاد ترجمتهـا إلـى اليونانيـة رجل يهودي من أهل أفسس أو سينوبه أسمه " ثيودوتيون ". وأمـا النص الذي اعتمدته مختلف الترجمات المسيحية أو الابوككريفـا فإنـه نـص مـأخوذ عن اليهودي " ثيودوتيون " لا مـن النـص الـوارد فـي

الترجمة السبعينية اليونانية (١٣٤).
٢١- ترانيم الشكر وعددها ٣٠ إصحاح.
٢٢- حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام.
٢٣- سفر السلوك ومحتوياته تشبه التعاليم المسيحية وقد ترجم هذه الوثائق الثلاثة الاب الدومينيكي " رولانددي فو " من معهد الكتاب المقدس بالقدس ومعه "ج.لانكستر هاردنج" سنة ١٩٤٧ م من أصل آلاف الوثائق التاريخية التي اكتشفها غلام بدوي في كهف من روابي البحر الميت.
٢٤- سفر أخبار ناثان النبي.
٢٥- سفر نبوة أخيا الشيلوني.
٢٦- رؤى يعدو الرائي على يربعام بن نباط. وهذه الاسفار في ص٦٩٤ من العهد القديم سفر أخبار الايام الثاني ٢٩/٩ وكان مخرج خيل سليمان من مصر ومن جميع الاراضي وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة. أما هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي وفي نبوة أخيا الشيلوني وفي رؤى يعدو الرائي على يربعام بن نباط كما ورد في كتاب " ذخيرة الالباب " القس ماروني ترجمة الخوري نعمة الله اللبناني طبعة سنة ١٨٨٢ م بالمطبعة العمومية الكاثوليكية ببيروت مجموعة من الأناجيل الابوكريفا وهي:

٢٧- انجيل برنابا القديس ٢٨- انجيل متى (غير المعتمد كنسياً)
٢٩- انجيل الابيونيين ٣٠- انجيل يعقوب القديس
٣١- انجيل توماس القديس ٣٢ - انجيل نيكوديم القديس
٣٣- انجيل السبعين لتلامس ٣٤- انجيل التذكرة
٣٥- امجيل العبريين ٣٦- انجيل الصبوة لبطرس

٣٧- انجيل الحياة ٣٨- انجيل المصريين
٣٩- انجيل ماني ٤٠- انجيل مرسيون أومرقيون
٤١- سفر المشاهدات ٤٢- كتاب المعراج
٤٣- كتاب الاسرار ٤٤- كتاب تستمنت
٤٥- كتاب الإقرار.

كما ورد في كتاب " اكسيهومو " طبعة سنة ١٨١٣م لندن فهرست الكتب التي ذكر قدماء المسيحيين أنها منسوبة إلى يسوع المسيح وهي:

٤٦- رسالة إلى ابكرس ملك آديسه ٤٧- رسالة إلى بطرس وبولس
٤٨- ككتاب التمثيلات والوعظ ٤٨- رسالة زبوره
٥٠- كتاب الشعبذات والسحر ٥١- كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها . ٥٢- رسالته التي سقطت من السماء (المنسوبة إلى مريم وعددها ٨) ٥٣- رسالتها إلى أكتاشس.
٥٤- رسالتها إلى سي سيليان
٥٥- كتاب مسقط رأس مريم ٥٦- كتاب مريم وظئرها
٥٧- تاريخ مريم وحديثها. ٥٨- كتاب معجزات المسيح
٥٩- كتاب السؤلات الصغار والكبار وعددها٦
٦٠- كتاب نسل مريم والخاتم السليماني (المنسوبة إلى بطرس وعددها ١١).
٦١- إنجيل بطرس ٦٢- أعمال بطرس
٦٣- مشاهدات بطرس الثانية ٦٤- رسالته إلى كليمنس
٦٥- مباحثة بطرسٍ وائ بين ٦٦- تعليم بطرس

٦٧- وعظ بطرس
٦٨- آداب صلوة بطرس
٦٩- كتاب مسافراة بطرس
٧٠- كتاب قياس بطرس
(الكتب المنسوبة إلى يوحنا وعددها ٩)
٧١- أعمال يوحنا
٧٢- الإنجيل الثاني ليوحنا
٧٣- كتاب مسافرة يوحنا
٧٤- حديثيوحنا
٧٥- رسالته إلى حيدروباك
٧٦- كتاب وفاة مريم
تذكرة المسيح ونزوله من الصليب
٧٨- المشاهدات ليوحنا
٧٩- آداب صلات يوحنا
(الكتب المنسوبة إلى توما القديس وعددها ٥)
٨٠- إنجيل توما
٨١- أعمال توما
٨٢- إنجيل طفوليات المسيح
٨٣- مشاهدات توما
٨٤- كتاب مسافرة توما
(الكتب المنسوبة إلى يعقوب القديس وعددها ٣)
٨٥- إنجيل يعقوب
٨٦- آداب صلاة يعقوب
٨٧- كتاب وفاةمريم
(الكتب المنسوبة إلى متياه وعددها ٣)
٨٨- إنجيلل متياه
٨٩- حديث متياه
٩٠- أعمال متياه
(الكتب االمنسوبة إلى مرقس وعددها ٢)
٩١- إنجيل المصريين
٩٢- آداب صلواة مرقس
(الكتب المنسوبة إلى برنياه)
٩٣- كتاب بي شن برنياه
٩٤- إنجيل برنياه
٩٥- رسالة برنياه
٩٦- إنجيل تهيودوشن (١٣٥)

٩٧- إنجيل أندرياه ٩٨- أندرياه
٩٩- إنجيل الطفوليات ١٠٠- آداب صلوة متى
١٠١- إنجيل فيلب ١٠٢- أعمال فيلب
١٠٣- إنجيـل برتولمـاه القديـس ١٠٤- مـأثورات كليمنـت الاسكندري
١٠٥- الفضائل الكيمنتيه ١٠٦- نهاية العالم لجاك(١٣٦)
١٠٧- أعمال بولس ١٠٨- أعمال تهلكه
١٠٩- رسالته إلى لادوقيين ١١٠- مشاهدات بولس
١١١- رسالته الثالثة إلى أهل تسالونيقي
١١٢- رسالته الثالثة إلى أهل كورنثيوس
١١٣- رسالة أهل كورنثيوس إليه وجوابها من جانبه
١١٤- رسالته إلى سنكيا وجوابها
١١٥- المشاهدات الثانية لبولس ١١٦- وزن بولس
١١٧- أنابي كش بولس ١١٨- إنجيل بول
١١٩- وعظ بولس ١٢٠- كتاب رقية الحية
١٢١- بري سبت بطرس وبولس(١٣٧)
١٢٢- إنجيل الحق ١٢٣- إنجيل فيلبس
١٢٤- أعمال أندراوس ١٢٥- رسالة الرسل
١٢٦- رؤى الراعي لهرماس ١٢٧- رؤيا بطرس
١٢٨- رؤيا بولس ١٢٩- الديداكي
١٣٠- رسالة اقليمنطس(١٣٨)
١٣١- إنجيل نيقوديموس ١٣٢- إنجيل عمالائيل
١٣٣- إنجيل الكمال ١٣٤- إنجيل الانكراتيين

١٣٥- إنجيلل هسيشيوس ١٣٦- إنجيل يهوذا
١٣٧- رؤيا استفانوس ١٣٨- أنجيل تداوس
١٣٩- إنجيل باسيليوس ١٤٠- إنجيل ماركيون
١٤١- إنجيل أبللس ١٤٢- إنجيل ناسينس
١٤٣- إنجيل ماتياس ١٤٤- إنجيل برثولماوس (١٣٩)

هذه الاناجيل واعمال الرسل والرسائل والرؤى كلها كتابات حكم عليها بأنه " منحولة " مزورة و مستجوبة الإخفاء. وقد فعلت هذه الكنيسة اليونانية- تحت غطاء الاهتمام بالوحدة في الكنيسة- والتي ولدت على يد بولس الرسول والتي قامت بقطع الأدب الانجيلي ولم تحتفظ الا بالاناجيل الاربعة القانونية وأعمال ورسائل بولس وبعض الرسل بتردد وفي سنة ٤٩٢م أصدر البابا " جلاسيون " الأمر البابوى ببيان أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها لعدم قانونيتها وبالطبع منها " الانجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح" للقديس برنابا اللاوى الرسول .

أ-القديس برنابا الرسول

هو يوسف برنابا بن الواعظ اللاوى من نسل هارون ابن عمرام أحد تلاميذ يسوع الناصري الأثنى عشر القبرصي. يقول المعلم بطرس البستانب " برنابا BARNABSAS معلم مسيحي أشتهر بمرافقته لبولس الرسول وكان أسمه الأصلي جوسي أو جوزغ ثم لقب برنابا وهي كلمة سريانية معناها ابن النبوة أو ابن الأنذار أو ابن التعزية. ولد في قبرس من أبوين يهوديين واكن له ملك فباعه ودفع ثمنه

لصندوق المسيحيين العمومي " (ج٥ ص٣٦٢ موسوعة البستاني)

وكان طاهراً نقياً وثقة وهو رسول ونبي والشيخ الأمين والمؤتمن والممتلىء من الروح القدس ملكوت السموات والمنفق على رسل يسوع. الذي دعى بين الناس بالإله (زفس) خال يوحنا المدعو مرقص، ومرقص بن أخت برنابا الذي أختتم لأجله وصايا ولمكانته بين التلاميذ وأمانته بعثوه إلى انطاكية وقبرصص وفينيقية وطرطوس بعثوا إلى أنطاكية برسول مؤتمن يدعى برنابا ليدرس هذا الموقف الذي يبدو أنه أثار الشكوك والقلق غير أن حماس الاتباع الجدد لم يلبث أن انتقل إلى برنابا نفسه الذي رأى في ظاهرة انتشار الدعوة نفحة إلهية فوقف كل جهوده في إخلاص عميق بمواصلة هذه المبادأة المثمرة في حال العمل التبشيري ورحل إلى طرطوس ححيث كان يقيم بولس (شاعول) وعاد به إلى انطاكية ليشركه في عمله (١٤٠) جاء في أعمال الرسل اصحاح ١١ فقرة ٢٢ فسمع الخبر آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى انطاكية الذي للما أتى ورأى نعمة الله ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب لأنه كان رجلا صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان فانضم إلى الرب جمع غضير. ثم خرج برنابا إلى طرطوس ليطلب من شاول. ولما وجده جاء به إلى انطاكية فحدث إنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كامملة وعلما جمعاً غفيراً ودعى التلاميذ مسيحيين في انطاكية أولاً وجاء في الاصحاح ٤ فقرة ٢٦ ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ وهو لاوى قبرصي الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل وفي الاصحاح ١٢ فقرة ١٣.. ورجع برنابا

وشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة وأخذ معهما يوحنا الملقب مرقس وكان في انطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان- بطرس- وبينما هم يخدمون الربّ ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الايادي ثم اطلقوهما.. وكان مع الوالي سرجيوس بولس وهو رجل فهيم فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله.. ولما انقضت الجماعه تبع كثير من اليهود والدخلاء المتعبدين بولس وبرنابا الذين كانا يكلمانهم ويقنعانهم أن يثبتوا في نعمة الله..فجهر بولس وبرنابا وقلا كان يحب أن تكلوا انتم أول بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحيوة الأبدية هو ذا نتوجه إلى الأمم لأن هكذا أوصانا الرب.. وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة.. ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهادا على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخوفهم.. وجاء في الاصحاح ١٤ فقرة ١٢ ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فكانوا يدعون ربنا بازفس وبولس هرمس.. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين: أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ونحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الأله الحي الذي خلق السماء والارض والبحر وكل ما فيها.. وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربه.

وفي الاصحاح ١٥ فقرة ١٢ وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما خلق الله من الأيات والعجائب في الأمم بواسطتهم حينئذ رأى الرسل المشايخ مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم

فيرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح.. أما بولس وبرنابا فأقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضاً بكلمة الرب ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد أخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس.. وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما.

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. برنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص. وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعاً من الأخوة إلى نعمة الله فاجتاز ففي سورية وكيليكية يشدد الكنائس.

يقول المعلم بطرس البستاني" ولما حدث جدال في انطاكية من جهة ختان المرتدين من الأمم أرسل بولس وبرنابا لكي يطرحا المسألة أمام المشايخ في أورشليم فما قراره همل المشايخ على الحكم بأن الختان غير ضروري ثم قصد بولس وبرنابا أن يسافرا معاً سفررة أخرى لأجل التبشير فطلب برنابا أن يأخذ معه ابن أخته مرقس فلم يرتض بولس لسبب غير معين ولكن قد ذكر فيما بعد أن مرقس كان رفيقاً خاصا لبطرس فربما كان قد اتفق معه دون بولس في مسألة الختان والحاصل أن الجدال بين بولس وبرنابا منجهة مرقس كان شديداً حتى أدى إلى انفصالهما.

ولا يعلم شيء غير ما تقدم عن برنابا على وجه التحقيق إلا ما ذكر بطريق العرض في بعض رسائل بولس فستنتج منه أنه كان

عزباً يعول نفسه كبولس بشغل يده. ويوجد روايات كثيرة عنه ولكن لا يمكن ارجاع واحدة منها إلى ما قبل القرن السادس ومن جملتها أنه حاول التبشير في مجمع سلاميس فجروه إلى الخارج ورجموه حتى مات وأنه حاول جماعة احراق جسمه فحبط مسعاهم وان مرقس خلص جسده ودفنه في مغارة فثار اطهاد تفرق به المسيحيون ففقد مكان دفنه " جـ٥ ص٣٦٣ موسوعة البستاني.

موقف القديس برنابا اللاوى مع بولس الروماني

لعل التلاميذ ما كانوا ليثقوا ببولس بعد ما كان من عدواته لدينهم ففي الاصحاح ٩ فقرة ٢٣ ولما تمت ايم كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه فعلو شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الابواب أيضاً نهاراً وليلاً ليقتلوه فأخذه التلاميذ ليلاً وانزلوه من السور مدلين اياه في سل. ولم جاء إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ. وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهز في دمشق باسم يسوع فكان معهم يدخل ويخرج ولولا برنابا الذي عرفه أولاً ثم عرفهم به ثانياً لم يكن ليجد في مجتمع التلاميذ المحدود بها سوى نظرات الحذر والتشكك. ولولا برنابا أيضاً لما استطاع حتى الاتصال بهذا المجتمع فقد عجب هذا القديس بحماسة بولس وقوة يقينه فسار به إلى بطرس ويعقوب الذين رأيا استقباله والاعتراف برسالته(١٤١) جاء في الاصحاح ٢٢ فرأيته قائلاً لي اسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني. فقلت يارب هم يعلمون أني كنت أحبس واضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك.

فقال ليذهب فأني سأرسلك إلى أمم بعيداً.

يضيف أ.د شارل جينيبير رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس كان برنابا رجلاً ألمعياً.. ويالبتنا نعرف عن حياته المزيد فالفضل يرجع إليه في اقناع بولس بأن يقاوم بنشر كلمة عيسى بين أرجاء الكورة وبأن يبدأ من أجل ذلك حياته العنيفة كمبشر في آسيا الصغرى وفي اليونان(١٤٢).

ويصنفه الدكتور منيس عبد النور على رأس قائمة رجال القرن الأول المسيحي فيقول " برنابا عمل مع الرسول بولس (أعمال ٢/١٣ و ٣و ٤٦ و ٤٧- واكورنثوس ٦/٩) ويسمى رسولاً أيضاً (أعمال ١٤/١٤) وألف رسلة كانت لها منزلة عند القدماء ولا تزال موجودة. استشهد فيها بإنجيل متى ونقل عنه بقوله " مكتوب " وكان اليهود يستعملون هذه الكلمة عند الاستشهاد بالكتب المقدسة واستشهد بكثير من أقوال العهد الجديد وذكر عجائب المسيح واختياره ١٢ تلميذاً وذكر جلده ولطمه والاستهزاء به والاقتراع على لباسه وقيامته في أول الاسبوع وصعوده إلى السماء وغير ذلك(١٤٣)

إنجيل برنابا

لقد تنكر بولس لبرنابا ولم يحفظ له الجميل واختلفا اختلافاً شديداً وحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر فأخذ برنابا مرقس وسافر به إلى قبرص موطنه وأما بولس فاختار سيلا وسبب هذا الافتراق لأن بولس انفرد بتعاليم جديد مخلف لتعاليم يسوع الناصري كما يقول الاصحاح ١٥ من فقرة ١ إلى فقرة ٤٠ وإنحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى

لا يمكنكم أن تخلصوا. فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسئلة.. ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم. ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغي أن يختتنوا يوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى.. .. .."

ص٢١٧ جديد- على ما ذكرته سابقاً تحت عنوان الشعب الثالث- فيقول برنابا الرسول في مقدمة إنجيله الاعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمته العظيمة للتعلم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس الذي ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا اكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته في أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة. وعليه فاحذروا كل واحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما اكتبه اتخلصوا خلاصاً لأبدياً. آمين.

يقول المعلم بطرس البستاني" ورسالة برنابا يقال إن كاتبها القديس برنابا وقد عرفت في أوائل الكنيسة المسيحية واقتبسوا منها مراراً (اكليمنض الاسكندرى) و

(أوريجانس) وذكرها (أوسابيوس) و (ايرونيموس) وبقيت عدة قرون منسية حتى كشفها (سرمند) في القرن السابع عشر في

آخر نسخة خط لرسالة من رسائل (بوليكربوس) وفي الوقت نفسه كشف (هو غو مينردوس) نسخة لاتينية منها في (ديركورفي) وطبعت في باريس سنة ١٦٤٥ وفي السنة السابقة كان رئيس الاساقفة (أوشر) قد حصل على نسخة منها فأضافها إلى رسائل (اغناطيوس) إلا أنه حددثت حريقة في (اكسفورد) فأتلفتها إلا بعض أوجه منها. وهذه الرسالة قد طبعت نسختها اليونانية واللاتينية تكراراً وترجمتها إلى الانكليزية (ويك) وترجمت مراراً إلى الالمانية وكل هذه الترجمات هي مأخوذة عن نسخة سرمند اليونانية التي كانت ناقصة أربعة الفصول الأولى وقسماً من الفصل الخامس. وعن نسخة (كورفي) اللاتينية التي كانت ناقصة خمسة الفصول الأخيرة ولكن سنة ١٨٥٩ أحضر تيشندرف من جبل سينا نسخة يونانية كاملة قد قسمت إلى ٢١ فصلاً وأحسن نسخة لهذه الرسالة هي نسخة (هلجنفلد) مع النسخة اللاتينية القديمة. وحواش وتفسير وقد طبعت في (ليبسيك) سنة ١٨٦٥ وطبعت ثانية في (جرنال أمركاني) سنة ١٨٦٤ جـ٥ ص ٣٦٣ موسوعة البستاني.

ويقول الدكتور خليل سعاده في مقدمة ترجمته للانجيل عام ١٩٠٨م اقدمت على ترجمة هذا الكتاب المسمى بإنجيل برنابا وأنا شاعر بخطورة المسئولية التي ألقيتها على عاتقي. وإني لم أقدم عليه إلا خدمة للتاريخ وغيرة على لغة هي أحق بنقله إليها من سواها وإنني آليت على نفسي ترجمة هذا الإنجيل بالحرف الواحد متوخياً أبسط الألفاظ واسهل الاساليب معرضاً في ذلك عن تنميق العبارات مفضلاً الأمانة في الترجمة والبساطة في التعبير على الفصاحة والبلاغة متى كان فيهما أقل عدول عن الأصل فهو مطابق من كل

وجه للترجمة الانكليزية المأخوذة من الأصل الإيطالي.

وهي المرة الأولى التي برز فيها هذا الإنجيل في ثوب عربي والفضل يرجع إلى حضرة العالم المحقق (لونسدال راغ) نائب مطران الكنيسة الانكليزية في فنيس وإلى حضرة العالمة الفاضلة المدققة (لور اراغ) عقيلته اللذين أذنا لي بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن ترجمتها الانكليزية التي اصدراها حديثاً مع الأصل الإيطالي. وإلى حضرة الفاضل أمين مطبعة كلارندن في اكسفورد التي التزمت طبع هذا الإنجيل ووضعت بين أيدي القراء كتاباً نادراً فكان ذلك من أجل الخدمات التي قامت بها هذه المطبعة الشهيرة.

النسخة الإيطالية: أول من عثر على النسخة الإيطالية. ممن لم يعف التاريخ أثرها ولم تدرس الأيام ذكرها هو المستشار (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا وكان مقيماً وقتئذ في امستردام مأخذها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة فلا أقرضها (كريمر) إلى (طولند) ثم أهداها بعد ٤ سنوات إلى البرنس (ابوجين سافوى) ثم انتقلت النسخة سنة ١٧٣٨م مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط في (فينا) حيث لا تزال هناك حتى الآن.

وصف النسخةالإيطالية: هي النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الإنجيل وتعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية. تقع في ٢٢٥ صفحة سميكة مجلدة بصفيحتين رقيقتين من المقوى يغطيها جلدان لونهما أدكن ضارب إلى الصفرة النحاسية وفي مركز الجلد نقش بارز بدون تذهيب والحاغة بها نقوش ذهبية متباينة الاشكال. هذا التجليد قد يكون من صنع المجلدين البارزين اللذين استقدمهما الدوق

(دي سافوى) لتجليد النسخة المذكورة التي ككانت ملكاً له. جميع الورق ممعروف بالورق القطني وهي متينة النسيج. تبدوا الورقة متى استشففتها إلى شكل مرساة سفينة تحيط بها دائرة وهي علامة مميزة لنوع الورق الإيطالي (كما قال بعض مشاهير الإخصائيين) ولم تشاهد في نوع من أنواع الورق الشرقي أو التركي.

النسخة الاسبانية: وجدت في أوائل القرن الثامن عشر تقع في ٢٢٢ فصلاً و ٤٢٠ صفحة. جر عليها الدهر ذييل العفاء فطمست آثارها ودرست رسومها وكان قد أقرضها الدكتور (هلم) منهدلي من (همبشير) المستشرق الشهير (سايل) ثم تناولها الدكتور (منكهوس) أحد اعضاء كلية الملكة في اكسفورد فنقلها إلى الانكليزية ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤م إلى الدكتور (هويت) أحد مشاهير الاساتذة. ولقد طالعت هذه النسخة الاسبانية ترجمة حرفية عن تلك ولم أرى بينها فرقاً يستحق الذكر.

كيف تم اكتشافها: يقول المستشرق (سايل) مكتشف النسخة الاسبانية هو راهب لاتيني أسمه (فرامينو) وقد عثر إلى رسائل لـ (ايريناوس) وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس (بولس الرسول) وأن ايرناايوس أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس (برنابا) فأصبح من ذلك الحين الراهب فرامينو شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل. واتفق انه أصبح حينا من الدهر مقربا الي البابا (اسكتس الخامس) في نهاية القرن السادس عشر الميلادي. فحدث يوما انها دخلا معاً مكتبة البابا فغلب النوم علي أجفان قداسته فأجب فرامينو أن يقتل الوقت بالمطالعة الي ان يفيق البابا فكان

الكتاب الأول والذي وضع يده عليه هـو هذا الانجيل نفسـه فكـاد ان يطرد فرحا من هذا الاكتشـاف. فخبأ هذه الذخيرة الثمينـة فـي أحد ردنيه ولبث الي أن استفاق البابـا فاستأذنه بـالانصراف حـاملا ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق علـي اثر ذلك الدين الاسلامي. هذه هي رواية الراهب فرامينـو إلـي مـا هـو مـدون في مقدمة النسخة الايطالية كمـا رواهـا المستشـرق سـايل ولـم أعثر علـي كيفيـة فقدان النسـخة الاسبانية سـوي ان الدكتـور سـايل عهـد بترجمتها الي الدكتور منكهوس فدفعها الي الدكتور هويت ثـم طمس بعد ذلك خبرها وامحي اثرها.

ومـن الممكن ان تكـون النسـخة الايطاليـة والتـي عـثر عليهـا المستشـار كريمـر سنة ١٧٠٩ هـي عينهـا التـي اختلسـها الراهـب اللاتيني فرامينو من مكتبـة البابـا اسكتش الخـامس فـي نهايـة القرن السادس عشر الميلادي.

إذا كـان الأمـر كذلـك فمـا هـو الأصـل الـذي أخذت عنـه النسـخة الايطالية ؟! هو سؤال صعب لكـن لا يستحيل الاجابـة عليـه. يصـح الاستبدال بالهوامش العربية التي يمكن معه من ترجمة هذا الانجيل من العربية الي أي لغة أخري لا يرتكب مثل هذه الأغـلاط السـخيفة التي تراها في الهوامش ولا يقلب الكلام الي حد تقديم المضـاف اليـه علي المضاف. الي غير ذلك من التعابير التي هي في أول الأمرعلي أصل لاتيني أو ايطالي قديم. وهو استنتاج ينطبق علـي مـا قـال بـه الثقات بعـد التدقيـق وإمعـان النظـر فـي نـوع خـط النسـخة الايطاليـة والموجودة الآن في مكتبة بـلاط فينـا. فقد توصلـوا الـي الجـزم بـأن ناسخها انما هو من أهالي البندقية نسخها في القرن السادس عشـر أو

أوائل القرن السابع عشر وانه يرجح انه أخذها من نسخة طسقانية أو عن نسخة بلغة البندقية تطرقت اليها اصلاحات طسكانية. وهي أقوال (لو نسدال) و (لورارغ) بعد أن أخذا في ذلك آراء اعظم الثقات الايطاليين الذين يؤخذ قولهم حجة في هذه المباحث الاخصائية والقول بأن النسخة الايطالية مأخوذة عن أصل عربي مبني علي السماع لأنه لم يعثر علي نسخة عربية للانجيل. ثم انه لم يرد ذكر لهذا الانجيل في كتابات مشاهير الكتاّب المسلمين. سواء في العصور القديمة أو الحديثة مع أن انجيل برنابا أمضي سلاح لهم في المناقشات والمجادلات. ولم يرد حتي في فهارس الكتب العربية القديمة ذكرا له. كما وأن الأمر الذي أصدره البابا (جلاسيوس الأول) الذي جلس علي الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمي (انجيل برنابا) وعليه فهذا الانجيل كان موجوداً قبل ظهور نبي المسلمين بزمن طويل. كما أن هناك انجيلا يسمي بالانجيل (الأغنسطي) طمست رسومه وعفت آثاره يبتديء بمقدمة تندد بالقديس (بولص) وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد. ولما كان ذلك في انجيل برنابا فمن المحتمل أن يكون (الانجيل الاغنسطي) أبا لإنجيل برنابا هذا. وأن احد معتنقي الاسلام من اليهود أو النصاري عثر علي نسخة منه اليونانية أو اللاتينية في القرن الرابع أو الخامس عشر فصاغه في الغالب الذي تراه فيه الآن فخص بذلك أصله.

يقول المعلم بطرس البستاني "كثيرون من العلماء المدققين ذهبوا إلي ان هذه الرسالة كتبها برنابا رفيق بولس ولكن رأي المتأخريين ان نسبتها اليه غير صحيحة"(١٤٤)

أسلوب الانجيل

وبعد كل ما تقدم فإن هذا الانجيل قد اتي علي آيات باهرة من الحكمة وطرازاً راق من الفلسفة الأدبية. وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية. علي ما فيها البساطة في التعبير. وهي ترمي الي ترقية العواطف البشرية الي افق سام وتنزيهها عن الشهوات البهيمية أمرا بالمعروف. وناهيا ةعن المنكر. حاثاً علي الفضائل. مقبحاً للرذائل داعيا الانسان الي تضحية نفسه في سبيل الاحسان الي الناس حتي يزوال منه أثر للأنانية. ويحيا لنفع إخوانه.

التراجم

١- الترجمة السبعينية Septugint سميت بالسبعينية لانه قام بها سبعون أو اثنان وسبعون حبراً يهوديا بأمر من الحاكم (بطليموس فيلادلفوس) عام ٢٨٣-٢٨٢ ق.م مكتوبة باليونانية وتعد أقدم ترجمة الأسفار العهد القديم عن نسختها الأصلية العبرية الاغريقية وهي اللغة الهلينيةHellenic (السائدة في مدينة الاسكندرية) فجمع الكتب وختمها بخاتمة ووضعها في هيكل صنم يقال له (سرابيون) Serapis ثم توالت الترجمات من النص الأصلي العبري ومن الترجمة السبعينية الي اللاتينية القديمة ترجمة لا تتطابق مع الأصل اليوناني أو العبري سواء في عدد الأسفار أو في المحتوي.

وهذه الترجمة اليونانية طبعت لأول مرة في "التوراة الكاملة" سنة ١٥١٧م وفي سنة ١٥١٨م نشرتها مطبعة الدين (Aidine) في البندقية عام ١٥١٨-١٥١٩م.

٢- الترجمة الرتينية الفولجاتا (Valgata) ويظهر من كتابة (ترتوليان وكبريان) إنة قد ظهر خرل القرنين الثاني والثالث





أول طبعة للترجمة السبعينية ١٥١٨ ، النص اليوناني ، وتقع في ٤٥٢ ورقة من الحجم الكبير وتشمل هذه الصفحة التي صورناها منها على الإصحاح الأول من سفر التكوين وهي معنونة (الكتب المقدسة ، القديمة والجديدة) .

الميلادي ترجمان لاتينيتان للكتاب المقدس واحدة في شمال افريقية والأخري في إيطالية مما أوجد خلصاً وارتباكاً بين الترجمتين وقد كلف البابا (ديموس الأول) القديس جيروم Jerome (٣٤٧- ٤٢٠م) بتنقيح نسخة قياسية معتمدة.

وقد أنجز القديس جيروم في عشرين سنه أي عام ٤٠٤م وسميت هذه النسخة اللاتينية الفولجاتا. تقول دائرة المعارف البريطانية "قام القديس جيروم بتكليف من البابا بتلرحمة الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد عن النسخة السبعينية للاغريقية للعهد القديم والنسخة الاغريقية للعهد الي اللغة اللاتينية عام ٤٠٤م وسميت نسخة الفولجاتا وكانت النسخة الوحيدة للكتلب المقدس المعروفة والمستعملة في الكنائس الغربية في العصور الوسطي والترجمة التي إقرها مجم ترنت (TRENYT) سنه ١٥٤٦م مأخوذة عن الفولجاتا وهي التي اصبحت الكتاب المقدس الرسمي OFFICIAL BIBLE للكنيسة الكاثوليكية الرومانية (١٤٥).

المخطوطات

١- نسخة سيناء

يفترض رجال اللاهوت أن تاريخ تدوينها يرجع إلي القرن الرابع

الميلادي وهي تضم نصوص العهدين مع اختلاف في ترتيب الأسفار ومع النقص في المحتوي. وكذلك تضم بعض الأسفار غير المعترف بها مثل رسائل القديس برباتا وغيرها. وقد اكتشفها الباحث الألماني المغامر الدكتور (تشندورف) THISCHONDORF سنة ١٨٤٤م في دير سانت كاترين بسيناء وقد أهداها إلي قيصر روسيا وحفظت في بطرسبرج ثم نقلت إلي المتحف البريطاني عام ١٩٣٣.

٢- نسخة الاسكندرية

تاريخ تدوينها يرجع إلي القرن الخامس الميلادي تقريباً وتضم العهد الجديد الاغريقي وهي ناقصة. عرفت بعد القرن السابع عشر الميلادي وأحضرها (كريل لوكاريس) CRIL LUVCORIS إلي ملك إنجلترا (جيمي الأول) وهي تضم رسالتي (كامنت) CLEMENT وهما ناقصات جداً وحفظت في المتحف البريطاني في لندن.

٣-نسخة الفاتيكان THE CODEX VATICANUS

دونت في القرن الرابع الميلادي وهي تضم نص العهديين القديمن والجديد مع نقص في كثير من المواضع. كما تضم أيضا الكتب غير المعتمدة. وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان ولم تكن معروفة قبل عام ١٤٨١م.

٤- النسخة الإفرايمية THE CODEX EPHRAEMI

ويخمن رجال اللاهوت أنها كتبت في القرن الخامس وهي تحوي نصاً يونانياً ناقصاً جداً وإن لها أهمية خاصة بالنسبة لأسفار العهد الجديد وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس.

٥- نسخة بيزا THE CODEX BEZAE

يفترض أنها كتبت في القرن الخامس الميلادي وهي تضم

الأناجيل وأعمال الرسل مع خلوها من كثير من النصوص مثل صدر انجيل يوحنا. وهي محفوظة في مكتبة كمبردج. وكان قد قدمها إليها رجل الدين البروتستانتي من مذهب الكالفني THE ODORE DE BEZAE (١٥١٩- ١٦٠٥م).

٦- **نسخة بازل** BOSILEENIS THE CODEX

دونت في القرن الثامن الميلادي وتضم الاناجيل الاربعة مع نقص فيها.

وهي محفوظة في جامعة بازل بسويسرا.

٧- **نسخة لاديانوس** THE CODEX LAUDIANUS

وترجع الي القرن التاسع الميلادي وهي تضم أعمال الحوار بين وهي محفوظة في بودليانا باكسفورد . وهناك ٤ مخطوطات أخري من هذا النوع أقل شاناً لنقصها وتأخر زمان كتبتها. فهي ترجع الي القرن التاسع حسب اكثر افتراضاتهم تفاؤلا. وهي محفوظة في باريس بفرنسا وواشطن بأمريكا وسويسرا وتفليس بروسيا(١٤٦).

٨-نسخة نص الكتبة

في القرن الثاني الميلادي اشتغل كتبة يهود بالقدس بضبط النص ولكن لم توضع له حركات ولا علامات للنبرة وضوابط للقراءة إلا في القرن السابع الميلادي وهي المعروفة باسم بالمسورة.

٩-نسخة المسورة

لم تعرف الا في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي.

١٠-النسخة (الكاملة)

طبعت تحت إشراف (فرنسيسكو خيمنينس دي سيز نروس)

كاردينال طليطة. وقد تم طبع هذه التوراة بكاملها قبل وفاة الكردينال سنة ١٥١٧م. ولم تنشر حتي سنة ١٥٢١م في مدينة (ألكالا) علي نهر (خناريس) وكانت مكتوبة

١١- نسخة مدرسة طبرية

طبعت في ٤ أجزاء في مدينة البندقية ١٥٢٤م- ١٥٢٥م. تحت إشراف رجل يهودي إسمة (ابن اشير) وكان يرأس المدرسة الفلسطينية في طبرية.

١٢-نسخة مدرسة بابل

طبعت في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي تحت إشراف رجل يهودي عالم إسمة (ابن نفتال) وكان علي رأس المدرسة الشرقية أي مدرسة بابل (١٤٧).

لغة الاناجيل

دائرة المعارف الامريكية تقول "إن العهد الجديد من أوله الي آخره هو كتاب اغريقي. فعلي الرغم من أن التعاليم الاولي الشفوية التي تختص باعمال يسوع وأقواله لاشك إنها كانت متداولة بالأرامية- وهي اللغة التي تكلم بها المسيح وتلاميذه- فإنة لم يمضي وقت طويل قبل ان تترجم هذه التعاليم الشفوية الي الاغريقية الدارجة التي كانت لغة الحديث في عالم البحر الابيض المتحضر. ولا تزال بقايا من تلارامية الاصلية توجد هنا وهناك في اسفار العهد الجديد وعلي سبيل المثال فانجدة في مرقس (٥/٤١) و (١٥/٣٤) والمثالان هما :

"وأمسك بين الصبية وقال لها طليثا قومي ، الذي تفسيره يا صبية لك اقول قومي ".

"وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائل ألوي ألوي لما سبقتني الذي تفسير الهي الهي لماذا تركتني" . و
ص ٣٢ كتاب تفسير انجيل لوقا دكتور جورج بردفورد كيرر
ENCYCLOPEDLA AMERICANA. 1959 .

FROM THE BOOK

"THE GOSPEL IN MANY TONGUES"

SPECIMENS FROM 875 LANGUAGE

FIFTEEN DIFFERENT SCRIPTS FOR OUR ARAB BROTHERS ALONE!!

21 ARABIC.

Arabic char. 1871

[illegible]

Hebrew char. For Jews 1892

[illegible]

Tunisian script. Tunisia 1903

[illegible]

ARABIC (KARSHUNI).
Syriac char. For Syrians. 1827

[illegible]

22 ARABIC: Algerian Colloquial. Algeria 1930

[illegible]

ARABIC: Algerian-Tunisian Colloquial. Algeria and Tunisia. 1953

[illegible]

23 ARABIC: Egyptian Colloquial. Egypt 1940

[illegible]

24 ARABIC: Judaeo-Arabic of North Africa (Judaeo-Tunisian). Jews in N. Africa

Hebrew char. 1933

[illegible]

25 ARABIC: Maltese. Malta 1872

Ghaliex Alla hecca hab id dinia illi tà l' Iben tighu unigenitu, sabiex collmin jemmen bih ma jintilfx, iżda icollu il hajja ta dejjem.

26 ARABIC: Moorish Colloquial (Mograbi). Morocco.

Arabic char. 1933

[illegible]

Hebrew char. 1920

[illegible]

27 ARABIC: Palestinian Palestine 1946

[illegible]

28 ARABIC: Southern Sudan Colloquial. S. Sudan

Arabic char. 1955

[illegible]

Roman char. 1927

Fi shân az-zôl el ya'mil bikdan Allah, huwa âkhi wa ukhti wa ummi.

29 ARABIC: Tunisian Colloquial. Tunisia. 1911

[illegible]

جيل بكل لغات العالم وحسب اللهجات المحلية ، منها عـ
بات عربية غير اللغات الأخرى . صورة مأخوذة من كـ
لأنجيل بكل اللغات " .

الطباعة

يقول فريد يك جرانت في كتابه " الاناجيل أصلها ونموها "

F.C GTRANT: TGHRE G0SPELS THEIR ORIGIN And their groowth, faber 1957 p.32 إن أول نص مطبوع من العهد كان ذلك قام به (إرازموس) عام ١٥١٦ م وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص في محفوظات (manuscipts) نسختها أيدي مجهدة لكتبة كثيرين. ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق الي نمخطوطات كاملة علي رقائق الجلد أو القماش.

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف إختلافا كبيرا ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنة قد إرتكب أخطاء.

وهذه الأخطاء بقيت في كل النس التي نقلت عن نسختة الأصلية.

إن أغلب النسخ الموجودة في جميع الاحجام قد تعرضت لتغييرات أخري علي أيدي المصححيين الذبن لم يكن عملهم دلنما إعادة القراءة الصحيحة (١٤٨).

● الأمريكان يختصرون

خمسين فى المائة من الإنجيل !

● الامريكى العادى ، والامريكية العادية ،مغرمان بقراءة اكبر عدد من الكتب .

الترهم يحمل كتابا يقرؤه وهو فى الاوبيس المدينة او فى قطار الضواحى ، ذاهبا الى العمل وعائدا الى البيت .. وتراه يقرأ كتابا وهو يلتهم السندويتش فى وجبة الغداء .. وفى بيت اى امريكى رف او رفوف من الكتب .. ولهذا لا نعجب من ان امريكا تطرح كل عام حوالى خمسين الف كتاب !

ومن الطبيعى ان تكون معظم هــذه الكتب قصصا وروايات بجميع انواعها .. والى جانب كتب لا حصر لها فى كل الفروع .. من كتب الدين الى كتب الجنس .. ومن كتب التاريخ الى كتب الالعاب الرياضية .. ومن كتب فى الاقتصاد واستثمار المدخرات ، الى كتب من الادب الكلاسيكى .. فضلا عن كتب الطهى .. وكتب السحر والارواح !

ولكن وقت هؤلاء الناس ، الذين يعمل منهم الواحد والواحدة عملا مجهدا ساعات طويلة كل يوم ، لايتسع لقراءة عشر معشار هــذا الفيض من الكتب .. ولهذا خرجت فى امريكا مجلات متخصصة فى تلخيص الكتب .. فتقدم المجلة الشهرية خلاصة اربعة او خمسة كتب .. تختارها اولا من الكتب والقصص التى يقبل عليها الجمهور ، ثم تلخصها تلخيصا وافيا فى ثلاثة او اربعين صفحة على الاكثر .

وبهذا يستطيع القارىء ان يلم كل اسبوع بكتاب او قصة مما تتعلق به المطابع .

وهذا شىء لا بأس به .. ولو ان الدكتور طه حسين ، حين علم بما يفعله الامريكان ، قد انتقد تلخيص الكتب انتقادا شديدا .. لانه كان يريد ان يقرأ الناس الكتب مثلما يقرأها .. من اول صفحة الى آخر صفحة ..

اما الذى يستحق الانتقاد فعلا فهو ان تمتد عملية تلخيص الكتب الى تلخيص الانجيل ..

فقد اعلنت مؤسسة « ريدرز دايجست » انها ستصدر طبعة ملخصة للانجيل .. تختصر فيها خمسين فى المائة من العهد الجديد ، وخمسة وعشرين فى المائة من العهد القديم ..

وتقول المؤسسة انها لن تمس جوهر الانجيل .. ولكنها ستحذف الاشياء المكررة ..

وهذه هى اول مرة ، تتجرأ ، فيها المسيحية على تلخيص الانجيل .. ولعلها اول مرة وآخر مرة تتجرأ فيها اية امة على تلخيص كتابها المقدس .

وقد ظل العالم المسيحى الذى يقرأ الانجليزية محافظا على الترجمة المعروفة باسم الملك جيمس الاول .. وكان المسيحيون ، او المتعلمون منهم يقرأون الانجيل قبل هذا باللغة اللاتينية .. فلما ظهرت القوميات الاوربية المختلفة بدأ فى ترجمة الانجيل من اللاتينية ، ومن العبرية ، الى اللغات الاوربية الحديثة .

ومرت على هذه الترجمة اكثر من ثلاثمائة سنة .. اذ ظهرت فى سنة ١٦٦١ وفى خلال هذه القرون الثلاثة حلت فى اللغة السائدة بين الناس كلمات جديدة مكان الكلمات القديمة .. وتغير تركيب الجمل والعبارات .. فقام الامريكيون منذ بضع سنوات بوضع صياغة جديدة للانجيل تتمشى مع التعبيرات السائدة فى ايامنا هذه .. وعرفت هذه الصياغة الجديدة باسم « الطبعة الشعبية للانجيل » ..

ولم يعترض رجال الدين على هذه الطبعة الشعبية .. اولا لان التغيير يتناول الترجمة الانجليزية وليس الاصل العبرى للانجيل .. وثانيا لان هذا التغيير يرمى الى تقريب لغة الانجيل الى عامة الناس وترغيبهم فى قراءته فى لغة مبسطة سائغة .

اما الآن .. فلابد ان كثيرا من رجال الدين، ومن المسيحيين المحافظين ، سيثيرهم اختصار الانجيل .. وستثيرهم ايضا محاولة فريق تغيير الكلمات والعبارات التى تميز بين الرجل والمرأة .. فمثلا النص الذى يقول : « ابانا الذى فى السماوات » .. نص لايعجب النساء فى امريكا .. ويقلن : لماذا يكون « ابانا الذى .. » ولا تكون « امنا التى .. »

ولهذا سيتغير هذا التعبير فى الطبعة الجديدة .. فيقال « الخالق الذى فى السماوات » .. وكلمة « الخالق » بالانجليزية ليست مذكرا ولا مؤنثا ..

وهكذا يتساوى الرجل والمرأة فى الطبعة الامريكية الجديدة للانجيل !

شكل عصري من أشكال تأليف الأناجيل والتعامل معها بالحذف والإضافة . مقال نشر في مجلة آخر ساعة المصرية العدد ٢٤٦٠ ص ٢١ بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٨١

هوامش العهد القديم

النداء في أول الكتاب مأخوذ من المزامير :

١-٤٩ / ٢-٦ / ٣-٤٧ / ٤-٤٥ / ٥-٨٤ / ٦-٨٦ / ٧-٨٨ / ٨-٨٩ / ٩-٨٩ / ١٠-٩١ / ١١-٩٥ / ١٢-٩٨ / ١٣-١٠٠ / ١٤/١٠٢ / ١٥-١١٣ / ١٦-١١٦ / ١٧-١١٨ / ١٨-١٤٢ / ١٩-١٤٩ .

م	المرجع
١)	ص ٤٩ شبهات وهمية د. منيس عبد انور
٢)	ص ٥٢٤ التوراة ليوتاكسل
٣)	ص ١٨ دراسة الكتب المقدسة موريس بوكاي
٤)	ص ٢٨ نفسه
٥)	ص ٢٣ نفسه
٦)	ص ٢٩ نفسه
٧)	ص ٢٢ ج٣ الفولكلور في العهد القديم
٨)	ص ٢٣ نفسه
٩)	ص ٢٧ نفسه
١٠)	ص ٢٨ نفسه
١١)	ص ٢٧ نفسه
١٢)	ص ٢٩ دراسة الكتب المقدسة
١٣)	ص ٢٤٠-٢٤٤ الفلكلور في العهد القديم ج١
١٤)	ص ٢٠ دراسة الكتب المقدسة
١٥)	ص ١٧ نفسه
١٦)	ص ٣٩-٤٠ الغفران إبراهيم خليل فليبس
١٧)	ص ١٨-١٩ دراسة الكتب المقدسة
١٨)	ص ٢٤ نفسه
١٩)	ص ٢٧٣ رسالة في اللاهوت والسياسة ، سبينوزا
٢٠)	ص ٣٣ دراسة الكتب المقدس

٥٥ ج١ نفسه

٥٦ ج١ نفسه

١٤٤ ج١ نفسه

١١٨ ج١ نفسه

٥٧ ج١ نفسه

٥ ـ ١٩ التوراة ليوتاكسل

١١٥ ج١ الفلكلور في الع

١٨٢ ـ ١٨٣ نفسه

٤٤ التوراة ليوتاكسل

١٨٦ ج١ الفلكلور في الع

٢١٢ج١ نفسه

٦٥-٧٣ التوراة ليوتاكسل

٢٢٠ ج١ الفلكلور في الع

٢٢٤،ج١ نفسه

٢٣٢ ج١ نفسه

٢٥٢ ج١ نفسه

٢٥٣ ج١ نفسه

٤١٠ ج١ نفسه

٢٥٤ ج١ نفسه

٧٦ التوراة ليوتاكسل

٤٣٤ ج١ الفلكلور في العهد

١٥-١٦-١٨-٠٠ ج٢ نفسه

٢٠ ج٢ نفسه

٥٤ ج٢ نفسه

١٣٠ ج٢ نفسه

١٢٨ ج٢ نفسه

١٣٠ ج٢ نفسه

١٦٧ ج٢ نفسه

١٦٩ ج٢ نفسه

١٨٠ ج٢ نفسه

١٩٦ ج٢ نفسه

١٨٧ ج٢ نفسه

٢٠٠ ج٢ نفسه

٢١٨ ج٢ نفسه

٢٢٩ ج٢ نفسه

٢٢٩ ج٢ نفسه

٢٤٨ ج٢ نفسه

٣٩ دراسة الكتب المقدسة

٢٦ ج٢ نفسه

٥٥ نفسه

٣٥ مدخل الى سفر التكوين

٧٩)	ص٧٤ نفسه
٨٠)	ص٢٧٥ جالفلكلور في العهد القد
٨١)	ص٢٤٥-٣٥٤ التوراة ليوتاكسل
٨٢)	ص٥٠-٦٠ نفسه
٨٣)	ص١١ شبهات وهمية
٨٤)	ص١٤١ ج٢ الفلكلور
٨٥)	ص١٤٦ ج١ نفسه
٨٦)	ص٦١ نفسه
٨٧)	ص١٤١ ج٢ الفلكلور
٨٨)	ص١٤٦ ج١ نفسه
٨٩)	ص١٠٧ ج١ نفسه
٩٠)	ص٢٤٠ ج١ نفسه
٩١)	ص٤٢٣ ج١ نفسه
٩٢)	ص ٤٢٣ ج١ نفسه
٩٣)	ص ٤٠ دراسة الكتب المقدسة
٩٤)	ص٥٢ نفسه
٩٥)	ص١٢-١٤ نفسه
٩٦)	ص٤٠ نفسه
٩٧)	ص٤١ نفسه
٩٨)	ص٤٥ نفسه
٩٩)	ص٤٨ نفسه
١٠٠)	ص ٥١ نفسه
١٠١)	ص٥٤ نفسه

٤	ص ٦٨ المسيحية
٥	ص ٦٨ المسيحية
٦	ص ٦٨ المسيحية
٧	ص ٨٤ المسيحية
٨	ص ٨٥ المسيحية
٩	ص ٦٩١ معالم تاريخ الإنسانية ، ج ١
١٠	ص ٩٨ دراسة الكتب المقدسة
١١	ص ٩٩ دراسة الكتب المقدسة
١٢	ص ٧٧ - ٧٩ دراسة الكتب المقدسة
١٣	ص ٢٢ التاريخ وكيف يفسرونه ، ج ١
١٤	ص ٧٨ دراسة الكتب المقدسة
١٥	ص ٦٥ دراسة الكتب المقدسة
١٦	ص ١٣٦ تفسير إنجيل متى أ.د جون ف
١٧	ص ٦٥ هذه حياتي BY DEEDAT
١٨	ص ١٦ الغفران
١٩	ص ١٨٨ الغفران
٢٠	ص ٨٠ دراسة الكتب المقدسة

٢٦	ص ١٥ الغفران
٢٧	ص ٣١٧ شبهات وهمية
٢٨	ص ٨٦ دراسة الكتب المقدسة
٢٩	ص ٣٢٧ شبهات وهمية
٣٠	ص ٣٢٨ شبهات وهمية
٣١	ص ٦٣ المسيح
٣٢	ص ٨٧ دراسة الكتب المقدسة
٣٣	ص ١٧ الغفران
٣٤	ص ١٧ الغفران
٣٥	ص ١٨٩ محمد
٣٦	ص ٣٢ تفسير إنجيل لوقا
٣٧	SAINT JOHN, PENGUIN PP 18-20
٣٨	ص ٩٠ دراسة الكتب المقدسة
٣٩	ص ١٨٦ الأديان
٤٠	ص ٩٠ دراسة الكتب المقدسة
٤١	ص ٩١ دراسة الكتب المقدسة
٤٢	ص ١٥٩ دائرة المعارف الأمر
٤٣	ص ١٧الغفران
٤٤	ص٩٠دراسة الكتب المقدسة
٤٥	ص ٣٥تفسير إنجيل مرقس
٤٦	ص ٨٨المسيحية

٥٤	ص ٧٠-٧٤دراسة الكتب المقدسة
٥٥	ص ٧٠٤ -٧٢٠معالم تاريخ الإنسانية
٥٦	ص ١٤٨المسيحية
٥٧	ص ١١٧المسيحية
٥٨	ص ٦٩٣ معالم تاريخ الإنسانية ، ج ٣
٥٩	ص ٦٩ معالم تاريخ الإنسانية ج٣
٦٠	ص٧٩٠ معالم تاريخ الإنسانية ج٣
٦١	ص ١٤٨المسيحية
٦٢	ص ٦٢المسيحية
٦٣	ص ١٦٦المسيحية
٦٤	ص ٦٢المسيحية
٦٥	ص١٣١ المسيحية
٦٦	ص ١٤١المسيحية
٦٧	ص ١٣٣المسيحية
٦٨	دراسة الكتب المقدسة
٦٩	ص ٧٠٦ معالم تاريخ الإنسانية ج٣
٧٠	ص ١٣١المسيحية
٧١	ص ١٣١المسيحية
٧٢	ص ١٠٨المسيحية

٧٧	ص ٨٩-٩١المسيحية
٧٨	ص ٨٩-٩١المسيحية
٧٩	ص ٨٩-٩١المسيحية
٨٠	ص ١٠٠المسيحية
٨١	ص ٧٠المسيحية
٨٢	ص ١٠٦-١٠٨المسيحية
٨٣	ص ٣٧دراسة الكتب المقدسة
٨٤	ص ٧٠٤ ج١معالم تاريخ الإنسانية
٨٥	ص ١٤١المسيحية
٨٦	ص ١١٢المسيحية
٨٧	ص ٧١-٧٣-٧٤دراسة الكتب المقدسة
٨٨	ص ١١٠المسيحية
٨٩	ص ١٢٨المسيحية
٩٠	ص ١١٣المسيحية
٩١	ص ٩٤دراسة الكتب المقدسة
٩٢	ص٤٦المسيح
٩٣	ص٩٤-٩٨دراسة الكتب المقدسة
٩٤	ص١٧٣ج٢التاريخ
٩٥	ص١٠ ج١ معالم تاريخ الإنسانية
٩٦	ص٢٨٨ ج١معالم تاريخ الإنسانية
٩٧	ص٢٨٨-٢٩٤ج١معالم تاريخ الإنسانية
٩٨	ص١٤ج٢معالم تاريخ الإنسانية

١٠٤	ص١١٧ادراسة الكتب المقدسة
١٠٥	ص١٣ادراسة الكتب المقدسة
١٠٦	ص٥دراسة الكتب المقدسة
١٠٧	ص٦٦دراسة الكتب المقدسة
١٠٨	ص١١٢ادراسة الكتب المقدسة
١٠٩	ص١٠٤ادراسة الكتب المقدسة
١١٠	ص١١ادراسة الكتب المقدسة
١١١	ص١١٦ادراسة الكتب المقدسة
١١٢	ص٢٥٦شبهات وهمية
١١٣	ص٦٩٢ ج٢معالم تاريخ الإنس
١١٤	ص٧١١-٧١٢ج٣معالم تاريخ
١١٥	ص٢٩٠ ج١معالم تاريخ الإنس
١١٦	ص٥٩-٦١ج٢معالم تاريخ الإ
١١٧	ص٩٤الغفران
١١٨	ص٦١-٦٢التوراة ليوتاكسل
١٩	ص١١٧ادراسة الكتب المقدسة
١٢٠	ص١١٨ادراسة الكتب المقدسة
١٢١	ص١١٩ادراسة الكتب المقدسة
١٢٢	ص٦٩٢ ج٢معالم تاريخ الإنس
١٢٣	ص١٢٥ادراسة الكتب المقدسة
١٢٤	ص٧٠٣ ج٣معالم تاريخ الإنس

م	المرجـع
١٢٥	صالمسيح لواء احمد عبد الوهاب
١٢٦	ص١١٧-١٢٥دراسة الكتب المقد
١٢٧	ص٢٩٧رسالة في اللاهوت والسيا
١٢٨	ص١٠٥دراسة الكتب المقدسة
١٢٩	ص٦٩١ ج٣معالم تاريخ الإنسانية
١٣٠	ص٣٣الغفران
١٣١	ص١٩الغفران
١٣٢	صدراسة الكتب المقدسة
١٣٣	ص٩٨دراسة الكتب المقدسة
١٣٤	ص٤٣-٧٤ تاريخ العلم ج٥
١٣٥	ص٢٦٦ -٢٦٨ إظهار الحق ج١
١٣٦	صدراسة الكتب المقدسة
١٣٧	ص ٢٦٦-٢٦٨ إظهار الحق ج١
١٣٨	المقدمة الحديثة للكتاب المقدس بير
١٣٩	OLA AMFRICANA -VOL.13.P.70-71
١٤٠	ص ٨٤ المسيحية
١٤١	ص ٨٨ المسيحية
١٤٢	ص ٨٨ المسيحية
١٤٣	ص ٢٥ شبهات وهمية
١٤٤	ص ٢٦٤ موسوعة المعلم ، ج ٥
١٤٥	ص ٥٨٢ المعارف البريطانية ، ج
١٤٦	ص ٣٧ الغفران و ص ٤٥ المحاد
١٤٧	ص ٥١ تاريخ العلم ، ج ٥
١٤٨	ص ٣٨ الغفران

المراجع

١ - الكتاب المقدس ط ١٩٩٢ ودار المشرق ١٩٨٩ بيروت . ترجمة البروتستانت.
٢ – روبرتسن سميث : ديانة الساميين. ترجمة د.عبد الوهاب علوب قديم . ترجمة أد
١–هـ.ج . ولز: معالم تاريخ الانسانية. ترجمة عبد العزيز جاويد
٤ - جاكلين لاغريه : الدين الطبيعي . ترجمة منصور القاضي
٥ – أ.ل . رانيلا : الماضي المشترك بين العرب والغرب أصول الأدب الشعبية الغربية . ترجمة أ.د نبيلة ابراهيم
٦ - ليو تاكسل : التوراة كتاب مقدس أم جمع من الاساطير ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق
٧ – د. موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة
٨ – شفيق مقار : الجنس في التوراة
٩ – روجيه أرنلديز : رسل ثلاثة لإله واحد
١٠ – إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها. ترجمة محمد علي أبو درة
١١ – ستيفن أزمنت وفرانك تيرنر : التاريخ من شتى جوانبه. ترجمة د. أحمد حمدي محمود.
١٢– ستيفن رانسيمان : الحملات الصليبية . ترجمة نور الدين خليل
١٣– الحبر الاعظم شموئل بن يهوذا المغربي : بذل المجهود في إفحام اليهود .
١٤– الحبر الاعظم اسرائيل بن شموئيل الاورشليمى: الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية .
١٥– أندريه فلورنس : أرض الذكريات للدكتور
١٦– جورج سارتون : تاريخ العلم
١٧– أرنولد توينبى : تاريخ البشرية . ترجمة د. نقولا زيادة
١٨– د. منيس عبد النور: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس.
١٩ – روبرتسن سميث : ديانة الساميين ترجمة د. عبد الوهاب

علوب
٢٠- ليوتاكسل : التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير . ترجمة د. حسان ميخائيل إسحاق
٢١- د. موريس بوكييه : دراسة الكتب المقدسة
٢٢- شفيق مقار : الجنس في التوراة
٢٣- روجيه ارنلديز : رسل ثلاثة لإله واحد
٢٤- إدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية سقوطها. ترجمة محمد علي أبو دره
٢٥- ستيفن أزمنت وفرانك تيرنر: التاريخ من شتي جوانبه . ترجمة د. أحمد حمدى محمود
٢٦- ستيفن رانسيمان : الحملات الصليبية. ترجمة نور الدين خليل
٢٧- اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر القصائد المسيحية
٢٨- اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب : الإسلام والأديان الأخرى
٢٩- د. بركات أحمد : محمد واليهود
٣٠- اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء
٣١- شارل جنيبير: المسيحية - نشأتها وتطورها
٣٢- خليل الرحمن الهندي : إظهار الحق .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
اختلاف النص في التراجم المختلفة	١٩٤
وعليـــــــه	١٩٧

العهد الجديد